الحركات الدينية في إيران

في القرون الإسلامية الأولى

البروفسور

غلام حسين صديقي

أطروحة دكتوراه

جامعة السوربون

ترجمه عن الفارسية وقدم له:

الدكتور نصير الكعبي



الحَرَكَاتُ الدِّينيّة في إيرَانَ

المركز الأكاديمي للأبحاث

الحَرَكَاتُ الدِّينيّة في إيرَانَ

في القُرونِ الإسْلاميّةِ المُبْكِرَةِ

البرُوفِسُور
غُلام حُسَيْن صِدِّيقِي

تَرجَمَه عن الفَارِسيّةِ
الدّكْتُور نَصِيْر الكَعْبِيّ

الحَرَكَاتُ الدِّينيّة في إيرَانَ

في القُرونِ الإسْلاميّةِ المُبْكِرَةِ

Religious movements

in Iran

البروفسور غُلام حُسَيْن

صِدِّيقِي

ترجمة: الدكتور نصير الكعبي

تصميم الكتاب وغلافه

علي الحسناوي

الناشر :المركز الأكاديمي للأبحاث

العراق ـ تورنتو ـ كندا

The Academic Center for Research

TORONTO -CANADA

موثق بدار الكتب والوثائق الكندية

Library and Archives Canada

ISBN 978-9948-88-747-0

http: //www.acadcr.com

Email: info@acadcr.com

nasseralkab@gmail.com

بيروت ـ الطبعة الأولى 2020

توزيع : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : بيروت ـ لبنان 2047-7611

الجناح ـ شارع زاهية سلمان ـ مبنى مجموعة تحسين الخياط

Fax: +961-1-830609

Tel:+961-1-830608

tradebooks@all-prints.com

Website:www.all-prints.com

المقدمة

عندما هممت بترجمة كتاب الحركات الدِّينيَّة في القرون الإسلاميَّة للدُّكتور (غلام حسين صدِّيقيُّ) من الُّلغة الفارسيَّة إلى العربيَّة لأهمِّيَّته في ردم بعضٍ من الفجوات التي تعاني منها الدِّراسات في هذا الميدان... لم أتمَّ من التَّرجمة إلَّا بضع وريقاتٍ، حتَّى أبلغني أحد الأصدقاء الباحثين الإيرانيِّين عندما كنَّا نتكلَّم عن أهمِّيَّة ترجمة بعضٍ من الدِّراسات المُصنَّفة بالفارسيَّة إلى العربيَّة لأهمِّيَّتها وجدارتها، بالنَّظر لِمَا تحويه من إضافةٍ وابتكارٍ... أبلغني أنَّ الكتاب قد تمَّت ترجمته حديثاً إلى العربيَّة، كما تمَّت طباعته في سوريا؛ وقد أسعدني هذا الخبر للوهلة الأولى؛ لأنَّه وفَّر لي فرصة ترجمة كتابٍ آخرَ من الفارسيَّة ونقلِه إلى العربيَّة، وأسْهَمَ في عدم ضياع الجهود والالتزام بمبدأ التَّراكم في ميدان البحث العلميّ! فطلبت منه النُّسخة الجديدة، وقمت بنسخها، ومن ثمَّ مطالعتِها وقراءة ترجمتها.

لكنْ ما لبثت تلك النَّشوة أن تبدَّدت! إذ وجدت في النُّسخة من النَّواقص والثُّلم الكثيرَ على الهيئة التي لا يمكن معها الاعتماد عليها أو الرُّكون إليها، وذلك لجملة أسبابٍ وتعليلاتٍ علميَّةٍ ومهنيَّةٍ ـ وهكذا فقد عقدت مبحثاً خاصَّاً لنقد التَّرجمة ضمن دراستها ـ ورجعت أكْمِلُ ما بدأته من عملٍ سعيت فيه للمحافظة على جوهر

النَّصِّ الفارسيِّ من دون المساس به أو التَّحوير فيه.

وقد شكَّل كتاب (الحركات الدِّينيّة في إيران) منذ صدوره باللُّغة الفرنسيَّة ومن ثمَّ الفارسيَّة... شكَّل مصدراً رئيساً للباحثين في ميدان دراسات تاريخ الدَّولة العبَّاسيَّة والتَّاريخ الدِّينيِّ فيها على وجه التَّحديد؛ إذ تركَّزت موضوعة الكتاب على تناول الجذور الأولى أو الأسس العميقة لظاهرة (المعارضة الدِّينيَّة) وطريقة تعاطيها مع السُّلطة أو الدَّولة الحاكمة؛ فقد تعقَّب المُؤلِّف ذلك في تاريخ الدّولة السَّاسانيَّة وطريقة تعاطيها مع الحركات الدِّينيَّة المُخالِفة لِمَا هو رسميٌّ ومُتحالِفٌ مع الدَّولة؛ ثمَّ صَعِد تدريجيًّا لتعقُّب تشكُّل هذه الظَّاهرة في بواكير التَّاريخ الإسلاميِّ وتناميها، حتَّى اتَّضح شكلُها في العصر العبَّاسيِّ.

ومن المزايا الرَّئيسة التي حملها هذا الكتاب المِنهجُ المُقتَفَى فيه، فَقَدْ اتَّبع المُؤلِّف مِنهج الاجتماع الدِّينيِّ بوصفه مختصًّاً في علم الاجتماع ومؤسِّسَ أقسامه في الجامعات الإيرانيَّة.

ربَّما من غير الضَّروريِّ الإغراق في هذه المُقدَّمة لانتفاء الحاجة إليها؛ وذلك بسبب وجود دراسةٍ مُفصَّلةٍ ـ إلى حدٍّ ما ـ عن الكتاب وأسبابِ اختياره، وعن المُؤلِّف ومِنهجه ومُنجَزِه العلميِّ، وعن التَّرجمة والطَّريقة المُعتَمَدَة فيها. لذا أكتفي هنا بتقديم الشُّكر للمركِز الأكاديميِّ للأبحاث لتبنِّيه ترجمة هذا النَّصِّ وطباعتِه.

المترجِم

نصير الكعبي

مقدمة المركز الأكاديمي للابحاث/ الطبعة الثانية

بعد نفاذ الطبعة الأولى من كتاب الحركات الدينية في إيران في القرون الإسلامية الأولى لمؤلفه غلام حسين صديقي المطبوع في عام 2013م والمكوّنة من (2000) نسخة من الكتاب، فإن مقدمة الطبعة الثانية قد لا تحمل الشيء الكثير؛ لأن الكتاب في طبعته الأولى قد تضمّن مقدمةً ودراسةً تفصيلية موسعة إلى حدٍ ما، وكان من بين أقسامها هو نقد للترجمة العربية الأولى لترجمة الكتاب، فلذا اقتصر الجهد في هذه المقدمة على إعادة ضبط النص وتصحيح الأخطاء المطبعية والهفوات اللغوية أينما وجدت، كذلك تمّ مراجعة الهوامش بدقة لمصادرها العربية والفارسية والإنكليزية.

ومن المقومات التي استدعت إعادة طباعة هذا الكتاب هو أهميته بالنسبة للدارسين في التاريخ الإسلامي ولا سيما العصر العباسي، فالكتاب شكّل في مجاله الأول أي اللغة (الفرنسية) التي أؤلف بها أولاً معتمداً اساسياً ورئيساً للمستشرقين لتناول التاريخ الديني للعصر العباسي والإسلامي المبكر، فجغرافية الكتاب تمتدّ من قلب الدولة العربية الإسلامية بغداد إلى حافات الحدود الشرقية لتلك الدولة وهي المناطق الأكثر حيوية وديناميكية في العصور الإسلامية الستة الأولى.

وكذلك في محيطه الثاني أي (الفارسي) مثّل مرجعاً مركزياً لأغلب الدارسين والباحثين في هذا الحقل، ويبدو أن هذه الأهمية قد انتقلت إلى محيط الكتاب الثالث الجديد الثالث (العربي) فقد أضاءت هذه الدراسة مناطقاً رخوة ومعتمة إلى حدٍ ما في دراسة الحركات الدينية من المنظار السسيولوجي إذ بحثت في بواعثها ومحركاتها الأولى، فحفزت الكثير من الدارسين العرب إلى مماثلة هذا الاتجاه وأساليبه في الكتابة ولا سيما حجم المصادر وطبيعتها المتنوعة التي وظفتها فقد اشتغلت الدراسة على فكرة المقارنة والمقاطعة والمقابلة بين النصوص العربية وقرينتها الفارسية المختلفة عنها في الرؤية والمرجعية، ولهذا الأسباب مجتمعة فقد أعيدت طباعة هذا الكتاب بحلته الجديدة.



الدِّراسة

المبحث الأوَّل: المُؤلِّف

غلام حسين صدِّيقيٌّ (1905–1991م):

من حسن الحظِّ أنّنا نملك ترجمةً للبروفسور غلام حسين صدِّيقيٌّ، كان قد كتبها بنفسه، وهي جزءٌ من كتاب (مازندران ورجالها المعاصرون)[1] إذ أوجز بشكلٍ دقيقٍ مسيرته الشَّخصيَّة والعلميَّة وأهمَّ الانعطافات الهامَّة في حياته؛ ولاسِيَّما أنَّه لم يكن شخصيَّةً علميَّةً ذاتَ تأثير عميقٍ في ميدان تخصُّصه الدَّقيق فحسْبُ، وإنَّما كانت له العديد من الأدوار السِّياسيَّة والإداريَّة الهامَّة في تاريخ إيران المُعاصِر منذ الأربعينيَّات حتَّى السَّبعينيَّات من القرن المُنصرِم. وربَّما من الأجدى علميَّاً الاعتمادُ على تلك التَّرجمة والحفاظُ على صيغة ضمير المتكِّلِم فيها مع الإيجاز في بعضٍ من فقراتها، وهي على النَّحو الآتي:

(1) كما وردت هذه الترجمة في الكتاب الذي خُصِّص للاحتفاء بالدكتور صدِّيقيٍّ بمناسبة مرور عام على وفاته. يُنظر: يادنامه دكتر غلام حسين صديقي (كرد اوري وتنظيم): دكتر برويز ورجاوند (طهران: شركت انتشاراتي جابخش 1372).

الأسرة:

وُلد كاتبُ هذه السُّطور (غلام حسين صدِّيقيُّ) مساء السَّابع من شوَّال المُكرَّم من عام (1323) الموافق للرَّابعَ عشَرَ من ديسمبر من عام (1905م) في مدينة طهران في سوق (سرجشمه ـ النَّبع) الذي استُبدل بـ (شارع سيروس).[1]

يقول غلام حسين:

اسمُ أبي حسين صدِّيقيُّ، ويُلقَّب بـ (اعتماد دفتر ياسلي نوري) وقَدْ تُوفِّي فجأة يوم الثُّلاثاء السَّادس من فروردين من عام (1322) (1943م) في السَّاعة (21) في قرية رزنان المجاورة لشاه آباد كرج، واسمُ أمِّي (مريم) وأبوها المَرحُوم الميرزا (محمَّد خان ابن عمِّ أبي)[2]

الدِّراسة:

أكملتُ تعليميَ الابتدائيَّ و جزءاً من الدِّراسة المتوسِّطة في مدرسة (الأقدسيَّة) التي تأسَّست على يد العالم الكبير السَّيِّد (إبراهيم المشِّيِّ ـ سيِّد العلماء) ثمَّ انتقلتُ إلى مدرسة (آليانس) الفرنسيَّة في طهران من أجل تعلم الُّلغة الفرنسيَّة، ونلتُ الدّبلوم في ذلك، ثمَّ التحقتُ بمدرسة (دار الفنون) ودرستُ هناك الدُّروس المتوسِّطة في سنيِّ الرَّابع والخامس في الشُّعبة العلميَّة. وفي الحادي والعشرين من شهريور من عام (1308) (1929م) أرسلتني وزارة الثَّقافة من أجل إكمال دراستي في أوروبا وتحديداً (فرنسا)؛ ولأنَّه لم تكن لديَّ شهادةٌ أكاديميَّةٌ معتَرَفٌ بها، اضْطررتُ إلى أن أدرس لمدَّة عامين كمُقدَّماتٍ، وحصلتُ بذلك على الدُّبلوم العالي في علم النَّفس

(1) المصدر ذاته، ص42.

(2) المصدر ذاته، ص42.

وعلم نفس الأطفال والجمال، وتاريخ الأديان والاجتماع، ثمَّ تهيَّئتُ لدراسة وكتابة أطروحة الدُّكتوراه في شهر أسفند من عام (1318) (1940م) وحصلتُ على الدُّكتوراه من جامعة باريس، وعُدْتُ إلى طهران في فروردين من عام (1317) (1939).[1]

الأعمال:

مارستُ العمل منذ السَّادسَ عشَرَ من فروردين من عام (1317) (1939م)، فدرستُ الاجتماع وتاريخ الفلسفة في جامعة طهران، وفي شهر فروردين من عام (1322) (1943م) رُقِّيتُ من رتبة أستاذٍ مساعدٍ إلى رتبة الأستاذيَّة، وفي شهر بهمن من عام (1323) (1944م) أصبحتُ المدير العامَّ للمكتبة المركزيَّة في جامعة طهران، ثم أُعفيتُ من هذا العمل عام (1325) (1946م) وفي تاريخ 21 مرداد من عام (1322) (1943م) أصبحتُ ضمن هيئة الأمناء في كليَّة الآداب والمعهد العالي في الجامعة وأشغلُ هذا المنصب حتَّى الآن[2].

المأمُوريات:

1 - انتُخبتُ في شهر شهريور من عام (1314) (1935م) من قِبَلِ الدَّولة الإيرانيَّة ممثِّلاً في المنظَّمة العالميَّة للتَّربيَّة والتَّعليم في مدينة جنيف (مركز المؤسَّسة).

2 - أُرسلتُ في شهر مرداد من عام (1316) (1938م) من قبل وزارة الثَّقافة إلى المؤسَّسات العلميَّة والمتاحف في باريس وفينا (النِّمسا) لاطِّلاعي على الدِّراسات المهتمَّة بالأنثروبولوجيا. من

(1) المصدر ذاته، ص 43.

(2) المصدر ذاته، ص43.

أجل تأسيس متحفٍ يعتني بهذا الأمر في طهران.

3 - شاركتُ في الثَّالث من شهر مهر من عام (1324) (1945م) ممثِّلاً للحكومة الإيرانيَّة في مؤتمر المنظَّمة الدَّوليَّة للثَّقافة والتَّربية المُنعقِد في لندن.

4 - شاركتُ ممثِّلاً عن جامعة طهران في شهر اسفند من عام (1325) (1946م) في مؤتمر الشُّعوب الآسيويَّة وحصلتُ على العضويَّة في ذلك.

5 - شاركتُ في شهر آبان من عام (13274) (1948م) ممثِّلاً عن الحكومة الإيرانيَّة لرئاسة الوفد المشارِك في المُؤتمَر الثَّالث لمنظَّمة التَّربية والثَّقافة والعلوم (اليونسكو) المنعقد في بيروت.

فهرست المُؤلَّفات:

1 - رسالة الدُّكتوراه بالفرنسيَّة (الحركات الدِّينيَّة في إيران في القرنَيْن الثّاني والثَّالث الهجريَّين) شهر اسفند من عام (1316) (1938م)- فوريه من عام (1338) (1959م).

2 - رَحلةٌ إلى الهند عام (1326) (1947م).

3 - كتاب تاريخ الفلسفة اليونانيَّة بالفارسيَّة بعنوان (من طاليس إلى سقراط) (هو الآن قيد الطَّبع في مطابع جامعة طهران).

المُؤلَّفات المخطوطة:

4 -تاريخ فلسفة اليونان من سقراط إلى أرسطو.

5 -الاجتماع.

6 -أبو ريحان البيرونيُّ سيرته ومُؤلَّفاته.

7 -ابن سينا: آراؤه وسيرته ومُؤلَّفاته.

8 -تاريخ الثَّقافة الإيرانيَّة[1].

بعضٌ من الأنشطة والمسؤوليَّات الفكريَّة للدُّكتور صدِّيقيِّ:

- عام (1317) (1939م) عضوٌ في الجمعيَّة الآسيويَّة في باريس.

- عام (1319) (1941م) عضوٌ في جمعيَّة الجَغرافيِّين والمُصطلَحات الفكريَّة في المجتمع الإيرانيِّ.

- عام (1323) (1944م) عضوٌ مؤسِّسٌ في جمعيَّة الآثار الوطنيَّة.

- عام (1325) (1946م) عضو هيئة العلاقات الفكريَّة بين إيران والهند.

- عام (1326) (1947م) عضوٌ ضمن الفريق العامل في تأليف قاموس دهخدا.

- عام (1329) (1950م) عضوٌ في جمعيَّة المُصطلَحات العلميَّة في جامعة طهران.

- عام (1330) (1951م) عضوٌ في الهيئة العليا للثَّقافة.

(1) المصدر ذاته، ص44-45.

- عام (1334) (1955م) عضوٌ في الجمعيَّة الإيرانيَّة للفلسفة والعلوم الإنسانيَّة المرتبطة بمنظمة اليونسكو الدَّوليَّة في إيران.

- عام (1337) (1958م) أسَّس وترأَّس مؤسَّسة الدِّراسات والبحوث الاجتماعيَّة (استُبدلت هذه المؤسسة عام (1351) (1973م) بكليَّة العلوم الاجتماعيَّة).

- عام (1342) (1963م) مدير قسم العلوم الاجتماعيَّة.

- عام (1345) (1968م) عضوٌ في تأليف دائرة المعارف الفارسيَّة.

- عام (1352) (1974م) تقاعد من جامعة طهران بعد أن عمل في التَّدريس (35) عاماً وخمسة أشهر و (15) يوماً.

انتُخب في (1/ 9/ 1352) (1974م) أستاذاً متمرِّساً في جامعة طهران، واستمرَّ في التَّدريس حتَّى عام (1358) في كليَّة العلوم الاجتماعيَّة والتَّربية.

ومع أهمِّيَّة المعلومات وقيمتها الواردة في هذه السِّيرة الشَّخصيَّة المذكُورة آنفاً التي كتبها المُؤلِّف بخطِّ يده؛ لكن يبدو أنَّها غير مكتملةٍ! وقد يكون دبَّجها في مطلَع حياته العلميَّة فلم تَرِدْ فيها أعمالُه كاملةً، كما إنَّها اتَّسمت بالتَّواضع العلميِّ الذي حال دون التَّعرُّف على الكثير من الصِّفات العلميَّة لكاتب تلك السِّيرة، ولْيُلحظ أنَّه من خلال متابعة مسيرته العلميَّة التي استغرقت لأكثر من (35) عاماً متواصلةً في البحث والتَّصنيف والتَّأسيس لبعضٍ

من المُنشَآت العلميَّة الهامَّة... أسهم في بعضٍ من الإنجازات الهامَّة في ميْدانَيْ الفكر والثّقافة! كان منها على سبيل المثال لا الحصر دورُه الرَّئيسُ في تأسيس أقسام علم الاجتماع في الجامعات الإيرانيَّة، فهو الرَّائدُ في هذا الميدان من دون مُنازِع، فإليه يرجع الفضل أوَّلاً في وضع المُصطلَح الفارسيِّ لعلم الاجتماع الذي اصطُلِح عليه ججامعة شناسي) إذ كان المُصطلَح المُتداول حين ذاك (socio – ogy) والمُصطلَح العربيّ (علم الاجتماع) حيث حاول إيجاد البديل الَّلفظيَّ لمُصطَلَح (علم الاجتماع) ومرادفِهِ في الفارسيَّة الحديثة، كما إنَّه ساهم بشكلٍ بارزٍ في تأسيس أقسام علم الاجتماع ليس في جامعة طهران فحسبُ؛ وإنَّما في الجامعة الوطنيَّة (جامعة شهيد بهشتي الحاليَّة) وجامعات شيراز، تبريز، أصفهان، مشهد.[1] كما أسَّس العديد من مراكز ومؤسَّسات البحوث المعنِيَّة بالتَّصنيف والتَّأليف والإشراف على طلبة الماجستير والدُّكتوراه، فهو قد كوَّن جيلاً مهمَّاً من الباحثين المهتمِّين بعلم الاجتماع في إيران؛ وربَّما تجوز في هذا الباب المقارنة والمقابلة من حيث الأهمِّيَّةُ والشُّهرةُ والتَّأثيرُ بباحثٍ عراقيٍّ أخذ مساحةً موازيةً على المستويَيْن الأكاديميِّ والشَّعبيِّ في ميدان الدَّراسات الاجتماعيَّة، هو الدُّكتور عليُّ الورديُّ.

وقد تجاوز الجهدُ العلميُّ للدُّكتور صدِّيقيِّ فضاء الدِّراسات الاجتماعيَّة إلى ميدان الدِّراسات الُّلغويَّة، فقد كان واحداً من خمسة أشخاصٍ ساهموا مساهمةً فاعلةً في تدوين وإعادة كتابة وطباعة القاموس الموسوعيِّ الُّلغويِّ الفارسيِّ الشَّهير وذائع الصِّيت

(1) عبد اللهي، محمد، استاذ دكتر غلام حسين صديقي وجامعة شناسي در إيران، فصلنامه علوم اجتماعى دانشكاه علامه طباطبائي (1370) ص43.

(دهخدا) المُكوَّن من (14) مُجلَّداً، وقد أشرف شخصيَّاً على الأبواب والمُصطلَحات المعنيَّة بعلم الاجتماع وملحقاته.[1]

ويُلحَظ أيضاً أنَّ للدُّكتور صدِّيقيٍّ بعضاً من الأنشطة السِّياسيَّة المهمَّة والمِفصليَّة في تاريخ إيران المعاصر، إذ يُعَدُّ مؤسِّسَ حزب الجبهة الوطنيَّة في إيران، وهو حزبٌ كان يميل بطبيعته إلى استقلال إيران وتثبيت سيادتها الوطنيَّة، وكانت له جهودٌ مُمَيَّزةٌ في هذا الباب، وربَّما لا تسمحُ هذه المُقدَّمة الوجيزة بالخوض والتَّفصيل فيها. ويبدو أنَّه لتلك الأهمِّيَّة التي نالها صدِّيقيٌّ في مجال السِّياسة استُوزِرَ لأوَّل مرَّة للاتِّصالات، ثمَّ أُسندت إليه وزارةٌ في غاية الأهمِّيَّة في زمان حكومة مصدَّق، هي وزارة الدَّاخليَّة.

وربَّما كان بسبب تلك الأهمِّيَّة العلميَّة والسِّياسيَّة يُقدَّم دائماً إلى المحافل الدَّوليَّة بوصفه ممثِّلاً علميَّاً لإيران.

ويمكن عند تعقُّب الآثار المطبوعة والمخطوطة للدُّكتور صدِّيقيٍّ منذ تأليفها حتَّى وفاته سنة (1991م) إيرادُ الفهرست الآتي المُرتَّب بحسْبِ التَّتابع الزَّمنيِّ لتلك المُؤلَّفات التي تنوَّعت بيْن الكتب الكبيرة أو المتوسِّطة، وبيْن البحوث المنشورة في المجلَّات العلميَّة المحكمة وبين بعضٍ من التَّحقيقات للنُّصوص التُّراثيَّة، واشتملت القائمة أيضاً على بعضٍ التَّرجمات من اللُّغات الأجنبيَّة إلى الفارسيَّة.

ولكن يبقى العملُ الأكثر أهمَّيَّةً من بين جميع تلك الأعمال من دون شكٍّ ـ أطروحتَه للدُّكتوراه (الحركات الدِّينيَّة في القرون

(1) يادنامه دكتر غلام حسين صديقي، دكتر صديقي ولغتنامه دهخدا، ص70.

الإسلاميَّة الأولى) المُؤلَّفة في عام (1938م) والمطبوعة في العام ذاته في باريس، وفيما يأتي أهمُّ وأبرزُ تلك الأعمال غير أطروحته للدُّكتوراه التي ستكون موضوعة الدِّراسة في القسم الثَّاني من هذه المُقدَّمة أو الدِّراسة.

1 – المازيار وعليُّ بنُ الطَّبريِّ ـ مجلة ياديكار– السَّنة الأولى العدد 6 الصَّفحات (78–80) عام (1324) (1945م).

2 – الرَّحلة إلى الهند (وهي رسالةٌ مستقلَّةٌ نشرتها جامعة طهران تحتوي على معلوماتٍ جديدةٍ حول المخطوطات الموجودة في الهند والوسائل الفكريَّة المُشتَرَكَة عام (1326) (1947م).

3 – مكارم الأخلاق و رضيُّ الدِّين النَّيشابوريُّ، مجلَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة تبريز، السَّنة الثَّالثة الأعداد 5–6 الصَّفحات (94–96) سنة (1329 (1950م).

4 – ظفرنامة المنسوبة إلى ابن سينا سنة (1330) (1951م).

5 – الطَّبيعيَّات. تأليف ابن سينا سنة (1332) (1953م).

6 – الحكيم النَّسويُّ، مجلَّة كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة طهران، السَّنة السَّادسة، العدد الأوَّل، الصَّفحات (12–28) السَّنة (1337) (1958م).

7 – مقدَّمة حول وصول حكومة أرسطو، ترجمة الدَّكتور محمَّد إبراهيم باستيانيِّ باريزيِّ سنة (1334) (1955م).

8 – بعضٌ من أقدم آثار النَّثر الفارسيِّ حتَّى نهاية القرن الرَّابع

الهجريِّ مجلَّة كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة طهران، السَّنة الثَّالثةَ عشَرَة، العدد الرَّابع، الصَّفحات (54–126) سنة (1344) (1965م).

9 – عشر رسائل عن المشروطة، مجلَّة راهنمايي كتاب، السَّنة الثَّالثةَ عشَرة الصَّفحات (17–24) السَّنة (1349) (1971م).

10 – ترتيب وتحرير الأحرف (ث و ي) في قاموس دهخدا.

11 – ترجمة منشور اليونسكو.

12 – تحقيق المتن العربيِّ لقصَّة ابن سينا.

13 – خردنامة (كتاب العقل).

14 – ترجمة وشرح سير وآثار نخبةٍ من الفلاسفة والمفكِّرين الاجتماعيِّين في دائرة المعارف الفارسيَّة.

15 – ويُشار إلى أنَّ للدُّكتور حسين صدِّيقيِّ مجموعةً من الكتب المخطوطة التي لم تُطبع حتّى الآن، أو بالأحرى لم يكتمل تأليفها. ومن ضمن تلك الكتب هذا الكتاب المُترجَم (الحركات الدِّينيَّة في إيران في القرون الإسلاميَّة الأولى) فعندما انتهى من ترجمة أطروحته بالفرنسيَّة وإعادة كتابتها من جديدٍ باللُّغة الفارسيَّة أضاف العديد من المطالب وغيَّر بعضاً من الآراء والفِكَرِ نتيجة ظهور بحوثٍ جديدةٍ ونصوصٍ تراثيَّةٍ تعتني بفكرة الكتاب؛ وقد استغرق هذا على ما يبدو وقتاً طويلاً في عمليَّة التَّرجمة من الفرنسيَّة إلى الفارسيَّة، فهو على ما يبدو كذلك

إعادةُ تأليفٍ وترجمةٌ في الوقت ذاته، لكنْ ـ ولحسن الحظِّ ـ كان عمل الدُّكتور صدِّيقيٍّ عن الحركات الدِّينيَّة عند وفاته بالفارسيَّة ومخطوطاً بصورته النِّهائيَّة الكاملة، غير أنَّه لم يصل إلى الطَّبع، وقد طُبع بعد مماته، ولم يشاهد كتابَه بالنُّسخة الفارسيَّة.

المبحث الثَّاني: الكتاب

ما بين النُّسخة الفرنسيَّة والفارسيَّة:

إنَّ كتاب (جنبش هاي ديني ايرانى در قرنهاى دوم وسوم هجرى)[1] في أَصله أطروحةُ دكتوراه نُوقِشَتْ في باريس، وحاز صاحبها على درجة الدُّكتوراه، وقد طُبِعَتْ حينئذٍ باللُّغة الفرنسيَّة وذلك في عام (1938م) بالعنوان الآتي:

(Les Mouvements Religieux Iraniens au II et III siècle de I hegira) .

إلَّا أنَّه عند المُقارَنة بين الأصل الفرنسيِّ المطبوع في التَّاريخ المَذكُور وبين الأصل الفارسيِّ المَنشُور في عام (1991م) يُلحّظُ أنَّ الفارق الزَّمنيَّ بينهما يكون قريباً من (53) عاماً! وقد وَلَّدَ هذا فوارقَ جوهريَّةً يمكن تشخصيها في أمرين:

الأوَّل أنَّ الباحث طوال مدَّة حياته العلميَّة غيَّر بعضاً من آرائه. وثانيها التَّفصيل في بعضٍ من الحقول والحواشي نتيجة تحقيق بعضٍ من المَخطُوطات أو نشر أبحاثٍ جديدةٍ؛ ويمكن رصد الإضافة والتَّفصيل الَّلتين احتواهما فيما يأتي:

---

(1) علمًا بأنَّه عند وفاة المُؤلِّف كانت تتمة الكتاب لم تزل غير مطبوعة، وهي على هيئة مخطوطٍ نسخةٍ أوَّليَّةٍ مكتوبةٍ على الآلة الكاتبة، وبعددِ صفحات (459) صفحة بقطع 25×31سم، ويبدو أنَّ بعضاً من النَّواقص قد وُجدت في أصل النُّسخة الفارسيَّة، لكنَّ الأستاذ يَحْيَى مهدويّ ناشرَ النَّصِّ قد رفعها وأعاد النَّظر فيها.

أـ من المواضع المهمَّة التي فيها فروقاتٌ جوهريَّةٌ بين الأصلين الفرنسيِّ والفارسيِّ الفصلُ الرَّابع المُتعلِّق بـ (استاذ سيس) فقد كتبها المُؤلِّف من جديدٍ وبلغت (30) صفحةً بخطِّ يده، وقد كان أعدَّه للنَّشر في (دانشامه ايران إسلام) (دائرة معارف إيران والإسلام) وفيها الكثير من التَّفصيل والإضافة، ولذلك تمَّ رفع الأصل الفرنسيِّ بالكامل وإضافتُه إلى المتن الفارسيِّ، كما نقل النُّصوص الفارسيَّة ذاتها من المُصنَّفات التُّراثيَّة من دون الرُّجوع إلى ترجمتها الفرنسيَّة. وفصَّل الحديث أيضاً عن نسب وخصال أبي مُسْلم، وطوَّر هوامشه في ذلك، ويُعَدُّ الحال متشابهاً عند حديثه عن ماني والمانويِّين، واستعمل مجموعةً من الهوامش الجديدة المُهمَّة حول المازيار والخرميَّة وكتبهم المُؤلَّفة، وفعل الأمرَ ذاته في حديثه عن بابك الذي طوَّر معلوماته، وأضاف إليها مصادرَ وحواشيَ جديدةً.

بـ - القيمة العلميَّة للكتاب:

نالت دراسة وتتبُّع تاريخ الفرق والمذاهب الإسلاميَّة والأديان أهمِّيَّةً واضحةً منذ المراحل الأولى لبدايات التَّصنيف والتَّدوين الإسلاميَّين، وذلك لدواعٍ إسلاميَّةٍ ذاتيَّةٍ تندرج ضمن المناكفات والاحتكاكات المذهبيَّة! ولعلَّها إسلاميَّةٌ خارجيَّةٌ تتعلَّق بطبيعة المُنازَعات والمُجادَلات مع الأديان الأخرى، زيادةً على الدَّواعي العلميَّة الصِّرفة التي سعت للاستكشاف والتَّعرف على الآخَر المُختلِف دينيَّاً، وربَّما يكشف كتاب (الفهرست) لابن النَّديم عن مجموعة حقائقَ مهمَّةٍ في هذا الميدان؛ ولاسِيَّما في المُصنَّفات والمُؤلَّفات المعنيَّة بالفرق والمذاهب الإسلاميَّة ومقالاتها التي فُقدت ولم تصل إلينا أصولُها الأولى. وقد يكون وراء ذلك الاهتمام

والتَّحفيز المستمرَّيْن كثرةُ الحركات الدِّينيَّة الإسلاميَّة وتعدُّدُها بالشّكل الذي مثَّل التَّصنيفُ والتَّدوينُ فيه أحدَ أبرز المظاهر الدَّالَّة على اختلاجات وأفكار تلك الحركات في نزاعها أو صراع بعضها مع بعضٍ، إذ غالباً ما تدخل تلك المُصنَّفات ميدان الجدل والبَخْسِ لتصل حدَّ الازدراء للمُختلِفِين مذهبيَّاً ودينيَّاً، وربَّما يصعِّبُ هذا الأمرُ كثيراً الخوض ودراسة هذه الفرق والحركات الدِّينيَّة؛ ولاسِيَّما إذا ما عُلِمَ أنَّ العوامل أو الفواعل السِّياسيَّة قد أخذت أدواراً رئيسةً لها عند تبنِّي أو معارضة تلك التَّيَّارات أو الحركات الدِّينيَّة، وهذا ما كان يحدث في الأعمِّ الأغلب في مُصادرة أو إتلافِ كلِّ تراث تلك الحركات والفرق الدِّينيَّة من قِبَلِ السُّلطة الرَّسميَّة أو الحاكمة، ممَّا يشكِّل صعوبةً أمام الباحثين أو المختصِّين بدراستها، وهكذا فُقدت أغلب النُّصوص الأولى ولم تصل أصولُها الرَّئيسة إلينا، لكنَّ الذي خفَّف الوطأة في ذلك، أنَّ جزءاً لا يُستهان به قد وصل عن طريق الرِّواية الثَّانية، إذ احتوتها المُصنَّفات الَّلاحقة، لكنَّها جاءت مقترِنةً وغيرَ مجتمعةٍ في مطلبٍ واحدٍ، ما يستدعي جهداً مُضاعَفاً للبحث عنها وملاحقتها والوقوف على مواطنها وأماكن استقرارها الأخيرة عبر الرِّواية الثَّانية، ثمَّ مقارنتها ومقابلتها؛ لأنَّ العديد من تلك النُّصوص لم تتسرَّب إلى المُصنَّفات في وجهة نظرٍ واحدةٍ، وإنَّما هنالك ردود فعلٍ عليها، فأصبحت هناك الرِّوايةُ والرِّوايةُ المُضادَّة لها، أو النَّافية أو حتَّى المُفَنِّدَةُ لها، وهكذا تزيد كلُّ هذه التَّركيبة من مصاعب الخوض والبحث. فعلى سبيل المثال لا الحصر، نلحظ سيطرة الرِّواية الرَّسميَّة وتحديداً العبَّاسيَّة على مُجمَل ما صُنِّفَ في هذا الميدان، وهي تجد في تلك الحركات أنَّها خارجةٌ عن حياض الدِّين القويم بحسْبِ توصيفها!.

وقد انعكس هذا الأمر على المُصنَّفات السُّنِّيَّة التي ثبَّتت تلك الرُّؤيةَ، وقد درجت المُؤلَّفات اللَّاحقة على التَّناصّ منها كما في كتاب (الفَرقُ بين الفِرق) للبغداديِّ[1] أو كتاب (الفصلُ في المِلَل والأهواء والنِّحل) لابن حزمٍ،[2] و (المِلَلُ والنِّحل) للشَّهرستانيِّ،[3] وغيرها من الكتب، ما أسهمَ في تقديم صورٍ مُمَوَّهةٍ وبعيدةٍ عن واقعها الذي انبلجَت فيه! والأهمُّ من ذلك تأثيرها الواضح على الدَّارسين والباحثين في ميدان دراسة التَّاريخ الدِّينيِّ والمذاهب والحركات الإسلاميَّة التي نشأت في العصور الإسلاميَّة المُبْكِرَةِ، فقد واكب الجيلُ الأوَّل من المستشرقين التَّقليديِّين تلك الرُّؤيةَ وخالفوها في مُؤلَّفاتهم، أو تبنَّى فِكَرَها أيضاً بعضٌ من الباحثين العرب، أمثال الدُّكتور أحمد أمين في (فجر) و (ضحى) و (عصر) الإسلام.

لكنَّ هذا لا يعني وجود تيَّار آخرَ أكثرَ موضوعيَّةً واعتدالاً وتقصِّياً في بحث تاريخ الفرق والحركات الإسلاميَّة النَّاشئة في القرون الأولى، كما في دراسات عبد الرَّحمن بدويِّ.

ويمكن تصنيف جهد الدُّكتور صدِّيقيِّ في كتابه (الحركات الدِّينيَّة في إيران في القرون الإسلاميَّة الأولى) ضمن هذا الجيل من الباحثين.

---

(1) أبو منصور وعبد القاهر بن طاهر بن محمّد (479هـ - 1037م) دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، القاهرة 1976.

(2) أبو محمّد علّي بن أحمد الظّاهريّ (ت 456هـ - 1063) بيروت: دار المعرفة 1961.

(3) أبو الفتح عبد الكريم بن (أبي بكر) أحمد (548هـ - 1153م) بيروت دار المعرفة 1975.

كما يمكن وضعُ الطَّريقة أو الرَّؤية التي تعاطى فيها صدِّيقيٌّ مع موضوعه (الحركات الدِّينيَّة) ضمن دراسات الاجتماع الدِّينيِّ، فهو لم يركِّز كثيراً في بحثه على البعد التَّاريخيِّ ـ وإنْ كان ذلك حاضراً ـ وإنَّما اقتضى الجذرُ المنهجيُّ له الدِّراسةَ الاجتماعيَّةَ لطبيعة ظاهرة الحركات الدِّينيَّة المتناوبة في الظُّهور والأفول المزمن؛ ولاسِيَّما في المرحلة البرزخيَّة عندما انهارت الدَّولة السَّاسانيَّة ودينُها الزَّردشتيُّ وامتدادِ الدِّينِ الإسلاميِّ الجديد إلى الأراضي الإيرانيَّة، وربَّما كان ذلك بسبب تخصُّص الباحث الدَّقيقِ في العلوم الاجتماعيَّة وتوظيفِه لآليَّات وطرائق ومناهج البحث السُّوسيولوجيِّ في مجال تاريخ الأديان. فقد تابع المُؤلِّفُ في ديباجة الكتاب المُعنونَةِ بـ (المُقدَّمة) والتي شغلت الصَّفحات من (17-143) من كتابٍ بلغ مجموع صفحاته (407) صفحةً، أي ما يوازي ثُلُثَ حجم الكتاب الكلِّيِّ... تابع بحث الجذور الاجتماعيَّة لأديان العصر السَّاسانيِّ مُركِّزاً في ذلك على أحوالها إبَّان مرحلة التَّدهور والسُّقوط والواقعِ الاجتماعيِّ الذي كانت تعيشه بين معتنقيها، ثمَّ الانتقال في البحث التَّدريجيِّ لِمَا آل إليه حال هذه الأديان في المرحلة الأولى من الامتداد الإسلاميِّ، فَجَرَتْ دراسةُ وتعقُّب أحوالها في هذه الحِقبة، وكأنَّما تَبيَّنَ أنَّ الباحث حاول عقد مقارنةٍ أو مقاربةٍ تاريخيَّةٍ اجتماعيَّةٍ لبيان مَدَيَات التَّأثير الذي أحدثه الامتداد الإسلاميُّ على الأديان في إيران والكيفيَّة التي عاش فيها أتباعها تحت ظلِّ الدِّيْن الجديد، وكأنَّما يبيَّنُ هذا أنَّ الباحث حاول في هذه المُقدَّمة بحث الجذور الأولى لتلك الظَّاهرات الاجتماعيَّة الدِّينيَّة. فيما انتظم الكتاب من غير مُقدَّمته على سبعة فصولٍ رُوعي في تنظيمها الجانب الموضُوعيُّ والتَّاريخيُّ وهي تكاد تشتركُ جميعاً في البِنية التَّنظيميَّة والهيكليَّة حيث يتصدَّرُها

مطلب البحث في مصادر دراسة الفصل وتحديدُ تناصِّ الرِّوايات المعنيَّة بها وتصنيفُها وبيانُ حجم شبكة النُّصوص وامتدادِها، حيث يصل في بعضٍ من الأحيان إلى الفصل بين الشَّبكة العريضة التي تكوَّنت منها تلك النُّصوصُ والنّقولِ الَّلاحقةِ التي أُخذت منها، وربَّما يكون هذا المطلب من أكثر المطالب أهمّيّةً وأصعبها بحثاً في الفصل الواحد، وذلك بسبب فقدان أصول أو مصادر مُجمَل النُّصوص الأصليَّة. وقد سيطرت الرِّواية الرَّسميَّة المُضادَّة على نطاق النُّصوص التُّراثيَّة، وتتجاوز مَدَياتُ البحث في هذا المطلب في معظم الفصول فحصَ المصادر إلى تتبُّع المراجع والدِّراسات الحديثة التي كُتِبَتْ في الموضوع ذاته، فقد مسَّت بعضاً من أجزائه، وتُشكِّلُ الدِّراساتُ الاستشراقيَّة في هذا المنحى الحجمَ الأكبرَ، وهذه ـ من دون شكٍّ ـ دراساتٌ كُتبت قبل زمن تأليف الكتاب.

المبحث الثَّالث: التَّرجمة

أ- نقد التَّرجمة العربيَّة للكتاب:

ظهرت في سوريا / دمشق في العام (2010) عن (دار الزَّمان) ترجمةٌ للكتاب بعدد صفحات (167) وبقياس (17×24) حملت صفحة الغلاف الورقيِّ المعلومات الآتية:

الدكتور غلام حسين صدِّيقيُّ، الحركات الدِّينيَّة المعارضة للإسلام في إيران في القرنين الثَّاني والثَّالث الهجريَّين، ترجمة الدُّكتور مازن إسماعيل النُّعيميِّ. وعند مقارنة النُّسخة العربيَّة المُترجَمَة للكتاب مع الأصل الفارسيِّ المطبوع في إيران/ طهران سنة (1372/ 1991م) في دار بازنك للنَّشر، تُلحظ جملةٌ هائلةٌ من الأخطاء الجسيمة في عمليَّة التَّرجمة والالتزامِ بشروطها المهنيَّة والاحترافيَّة والموضوعيَّة، أثَّرت بشكلٍ مِفصليٍّ على قيمة الكتاب ومعلوماته الأصليَّة، وابتَعَدَتْ به عن الأمانة ومعاييرها الواجبة.

ومن أجْلِ الدِّقة في تشخيص تلك الهفوات وتحديد مواطنها في التَّرجمة العربيَّة المذكورة، فإنَّه سيتَّم بتتبُّع الإشارة إليها وبيانِ مواضع الإخفاق فيها. وترجع أسباب تلك الهفوات على ما يبدو بشكلٍ عامٍّ ـ إلى السُّرعة في إنجاز العمل وعدمِ التَّخصُّص في الميدان الذي تُرجم منه الكتابُ والتَّعاملِ الأيديولوجيِّ والانزياحِ الفكريِّ عن الموضوعيَّة واشتراطاتِها المطلوبة، وفيما يأتي إشارةٌ إلى أهمِّ تلك الهفوات:

1 – لم يُترجَم العنوانُ بدقَّةٍ، ولم يشر المترجِمُ إلى التَّحوير الذي أجراه والأسبابِ التي قادت إلى ذلك التَّغيير، فقد حمل الكتاب عنوان (الحركات الدِّينيَّة المعارِضة للإسلام في إيران في القرنين الثَّاني والثَّالث الهجريَّين). أمَّا العنوان الفارسيُّ فهو (جنبش هاي ديني إيراني در قرنهاي دوم وسوم هجري) وترجمته: (الحركات الدِّينيَّة في إيران في القرنين الثَّاني والثَّالث الهجريَّيْن).

وهكذا فقد أُضيفت كلمتان إلى أصل العنوان هما (المعارِضة للإسلام) وتغيَّر بذلك المعنى الجوهريُّ المُراد للكتاب حيث جعل تلك الحركات مقابِلةً ومعارضةً للإسلام! ولم تكن هناك مطابَقةٌ واضحةٌ بين عنوان الكتاب ومحتويات المطالب التي جاء بها المُؤلِّف عند تدوينه كتابَه وتفصيل خطَّته.

2 – إنَّ من الواجبات العلميَّة الرَّئيسة والضَّروريَّة لأيِّ كتاب يُترجمُ من لغةٍ إلى أخرى أن يحتوي مُقدَّمةً وفي بعضٍ من الأحيان دراسةً يقوم بها المترجِمُ يفصِحُ فيها عن المُؤلِّف ومسيرته العلميَّة ومُنْجَزِهُ وأهمِّيَّة الكتاب وأسباب نقله وترجمته عن لغته الأصليَّة؛ ومَدَيَات الفائدة التي من الممكن أن يحقِّقها في لغة المقصِد المنقولة إليها، زيادةً مع إيضاح الطَّريقة أو الأسلوب المُقتَفَى أو المُعتمَد في عمليَّة التَّرجمة، إلَّا أنَّه لم يُلحظ في تلك التَّرجمة العربيَّة للكتاب الحالي شيءٌ من ذلك قطُّ، حيث بدأ المترجِمُ للكتاب من مُقدَّمته وفصلِه الأوَّل من دون أيَّة إشارةٍ إلى الكتاب أو المُؤلِّف أو طريقة التَّرجمة! وبذلك حُرِمَ القارئُ العربيُّ الذي لا يجيد الفارسيَّة معلوماتٍ علميَّةً هامَّةً عن ذلك.

3 - إنَّ الملحوظة النَّقديَّة التي تؤخذ على التَّرجمة العربيَّة للكتاب في محور الأمانة العلميَّة وتوخِّي الدِّقَّة هي أنَّ المترجِم قد حذف من كلِّ الكتاب أكثر الهوامشِ والحواشي والشُّروحاتِ التي دوَّنها المُؤلِّف من دون أيَّة إشارةٍ إلى مواضع الحذف، فظهرت للقارئ العربيِّ كأنَّها ـ في أصل الكتاب ـ على هذه الحال، وفَقَدَ الكتاب بذلك عنصراً مهمّاً من عناصر تفوُّقه وقوَّته العلميَّة، فكما هو معلوم، إنَّ الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه، احتوت على هامشٍ مغذٍّ ومفيدٍ ومكمِّلٍ للمتن الأصليِّ إذ فيه إحالاتٌ هامَّةٌ وإيضاحاتٌ، تنفع المختصَّ في توسيع معرفته والتَّثبُّتِ من صحَّة المعلومات التي يحتويها المتن ومقارنتِها، وقد كان أصلُ الكتابِ الفارسيُّ متنوِّعاً في مصادره الشَّرقيَّة (العربيَّة والفارسيَّة) والدِّراساتِ الغربيَّةِ (الاستشراقيَّة). وعند متابعة الحجم الكمِّيِّ لتلك الهوامش والحواشي والإيضاحات والشُّروحات والإحالات والمقارنات التي وضعها المُؤلِّفُ أسفلَ المتن، فإنَّها تتراوح بين 30-40٪ من حجم الكتاب الكُلِّيِّ، وقد تجاوز حجم الهامش في صفحاتٍ عديدةٍ من الكتاب حجم المتن أو تساوى معه.[1]

4 - ومن الانتقادات التي من الممكن تثبيتها على ترجمة الكتاب العربيَّة هي قيام المترجم بترجمة النُّصوص العربيَّة للكتب التُّراثيَّة الإسلاميَّة مثلِ كتاب الطَّبريِّ والمسعوديِّ وياقوت الحموي.. الخ، حيث ترجمها عن الفارسيَّة إلى العربيَّة وقَدْ وُضِعَتْ بين

(1) يُنظر: جنبشهاي ديني دير إيران ص 83، 13، 145، 150، 151، 177، 180، 181، 183، 197، 199.

أقواسٍ حدَّدت معالمها، وبيَّنت أنَّها نُقلَتْ بحذافيرها من الأصل، وهي كثيرةُ بطبيعة الحال، وقد كان منهج المُؤلِّف أنَّه يستعين في الغالب بتلك النُّصوص، ويضعها بين مُزدَوجَتين من دون التَّصرُّف بها، فقام المترجِم بترجمتها عن الدِّراسة الفارسيَّة، فتعرَّض النَّصُّ بسبب ذلك لأكثر من محاولة ترجمةٍ وَفَقَدَ الكثير من خواصِّه ودِلالاته العلميَّة ومقاصده، وتغيَّرت العديد من مُصطلحاتِه، وانحرفت بعضٌ من معانيه عن أصولها الأولى، فكان من الأجدر علميَّاً على المترجِم أن يقوم بالرُّجوع إلى الأصل العربيِّ للبحث عنه ـ وإن كانت تلك عمليَّةً شاقَّةً تحتاج إلى ملاحقة النُّصوص وتحديد مواطن وجودها من أجل نقلها ووضعها في أماكنها الدَّقيقة، وإنَّ من المْؤكَّد أنَّ هذه العمليَّة تزيد من جودة التَّرجمة وتجعلها أكثرَ وفاءً للأصل، ولذلك فقد وقع المترجِم في بعضٍ من الهفوات بتجاوزه أو عدم اكتراثه بهذا المبدأ الجوهريِّ من مبادئ وأصول التَّرجمة العلميَّة. والشَّواهد على ذلك عديدةٌ، ويمكن المراجعة والمقارنة بين ما أورده المترجِم وبين ترجمتنا الحاليَّة التي اعتمدت الرُّجوع إلى الأصول العربيَّة لتلك الرِّوايات.

5 - إنَّ ضبط الألفاظ والمُصطلَحات في التَّرجمة وتقديمَ معادِلٍ عربيٍّ دقيقٍ ومؤنسٍ لها، يُعَدُّ من أبرز الصُّعوبات التي تواجه المترجِم، ويبدو أنَّ الأمر مضاعفٌ في الفارسيَّة! لاسِيَّما في الكلمات والمفردات العربيَّة التي انتقلت إلى الفارسيَّة، ويبدو أنَّ المترجِم قد وقع ببعض الأخطاء في التَّرجمة الدَّقيقة لبعضٍ من تلك المُصطلَحات، فقد ذكر مثلاً مُصطَلَح (الهاخمنثيون)

بينما في المُصنَّفات التُّراثيَّة العربيَّة يَرِدُ على شكل (الأخمينيُّون)، ومُصطَلَح (طغشادته) بينما الأكثر صواباً (طغشاده)، وترجم الكتابَ البهلويَّ (كزيده زاده سبرم) بـ (اصطلاحات سبرام) بينما التَّرجمة العربيَّة الصَّحيحة لذلك هي (مختارات زاده سيرم)؛ وغيرها من المُصطلَحات والمُفرَدات، ومن الممكن تجاوز هذا عبر مراجعة المُصنَّفات التُّراثيَّة العربيَّة وضبطها على وَفق ما تناولته.

6 - من الأمور التي أخفق المترجِم في تناولها في ترجمة الكتاب حذفُه لقائمة المصادر التي استفاد منها المُؤلِّف، وقد تجاوزت (12) صفحةً، وتنوَّعت بين المصادر والمراجع العربيَّة والفارسيَّة والإنكليزيَّة والفرنسيَّة والألمانيَّة، ومن المُؤكَّد أنَّها مفيدةٌ وغنيَّةٌ لمن يريد التَّعمُّق والاستزادة أو البحث في الموضوع.

7 - لقد توهم المترجِم عندما وضع في نهاية الكتاب عبارة (هوامش)[1] وترجم أسفلها لشخصين، وفي الحقيقة وكما في الأصل الفارسي إنَّما هي مُلحَقان، الأوَّل لـ (اللأفشين خيدر بن كاوس والمُلحق الثَّاني خاصٌّ بـ محمَّد).[2]

بــ منهج التَّرجمة المُتَّبع:

إنَّ عمليَّة اختيار عنوان كتابٍ من أجل ترجمته ونقله إلى أيَّة لغةٍ تخضع ـ من دون شكٍّ ـ لجملة اهتماماتٍ وقواعدَ علميَّةٍ صارمةٍ ومتعلِّقة بجدارة ذلك الكاتب وتفوُّقه في ميدان اختصاصه في لغته الأمِّ، ومن ثمَّ مقدارِ الفوائد العلميَّة المَرجوَّة منه، ومَدَيَات التَّأثير

(1) غلام حسين صدّيقيَ، ترجمة مازن إسماعيل النّعيميّ، ص 155.

(2) جنبشهاى ديني دير إيران ص 333، 354.

العميق الذي من الممكن أن يحقِّقه عند نقله إلى لغة المقصد. ويوجد في الُّلغة الفارسيَّة العديد من الدِّراسات والبحوث ذات الأهمِّيَّة العلميَّة التي تشكِّل إضافاتٍ إلى المكتبة العربيَّة، وتردم بعضاً من الفجوات وتسدُّ الثَّغرات فيها وعلى وَفق هذه الآليَّة تمَّ انتخاب كتاب (جنبش هاي ديني إيراني در قرنهاي دوم وسوي هجري) للدُّكتور (غلام حسين صدِّيقيِّ) لأهمِّيَّته في إضافة أفكار وموضوعاتٍ لم يتمَّ التَّعاطي معها عربيَّاً بهذا العمق، علماً بأنَّ شهرة الكتاب تجاوزت المدار الإقليميَّ (الإيرانيَّ) وتعَدَّتْه إلى المدار العالميِّ (الاستشراقيِّ)، فهو من المصادر الرَّئيسة منذ زمن تأليفه حتَّى الوقت الحاليِّ، وقد ألزمتُ نفسيَ أن أكونَ أكثر ارتباطاً ووفاءً للنَّصِّ الأصليِّ في عمليَّة التَّرجمة والنَّقل إلى العربيَّة، فلم أحذف شيئاً ولم أتجاوز مطلباً أورَدَه المُؤلِّف، كما لم يتمَّ الإغراق والتَّمادي في الأسلوب الأدبيِّ للتَّرجمة العربيَّة، لأنَّ النَّصَّ الفارسيَّ عملٌ أكاديميٌّ نال به صاحبه درجةً علميَّةً ـ الدَّكتوراه ـ لذا يُلحظُ في التَّرجمة بوضوح التَّقييدُ الأكاديميُّ والتَّزمُّتُ المِنهجيُّ، ومن أجل المحافظة على ذلك، لم يتمَّ الاهتمامُ كثيراً بالتَّزويق الَّلفظيِّ أو الأدبيِّ؛ لذا ظهرت التَّرجمة في أحايينَ عديدةٍ جافَّةً وخاليةً من الطَّراوة والسَّلاسة الأدبيَّة والفنِّيَّة.

ومن أجل أن يكون النَّص أكثرَ دقَّةً فقد تمَّ الحرص على الإفادة من النُّصوص والمتون العربيَّة ذاتها التي اعتمدها المترجم من دون ترجمتها من الأصل الفارسيِّ، أي جرت ملاحقة واستحضار كلِّ النُّصوص العربيَّة الموضوعة بين مزدوجتين التي استعملها المُؤلِّف من الكتب التُّراثيَّة التَّاريخيَّة والأدبيَّة.

ومن أجل الدِّقة ومعرفة مُحتويَات الكتاب الرّئيسةِ والفرعيَّة تمَّت

إضافة فهرستٍ تفصيليٍّ في مطلَع كلِّ فصلٍ وداخلَه مع نقله إلى نهاية الكتاب، وقد وُضع بين معقوفتين [] من أجل تمييز النَّصِّ الأصليِّ، وذلك من أجل السُّهولة ووصول القارئ إلى مقصده بسرعةٍ.

ورافق عمليَّة ترجمة متن الكتاب ترجمة المصادر والحواشي التي أفاد منها المُؤلِّف، فقد ترجمت عنوانات الكتب والمصادر الفارسيَّة إلى العربيَّة، مع الإشارة إلى أنَّها فارسيَّةٌ، وذلك من أجل التَّعرُّف على المصادر غير العربيَّة وما تحمله من معاني.

وقد تقدَّمتْ التَّرجمةَ العربيَّة للكتاب دراسةٌ سعت إلى التَّركيز على ثلاثة محاورَ رئيسةٍ اشتمل الأوَّلُ منها على المُؤلِّف ومسيرته العلميَّة ومُنجَزِه الفكريِّ، وركَّز المحور الثَّاني على الكتاب وأهمِّيَّته في ميدانه وتأثيره على الدِّراسات الَّلاحقة له، وكان المحور الثَّالث معنيَّاً بالتَّرجمة ونقد التَّرجمة العربية للكتاب الصَّادر عام (2010م) ومن ثمَّ بيان الطَّريقة المُعتمَدَة للتَّرجمة.

المترجِمُ

المُقَدَّمَةُ

«تَمهيدٌ تَاريخِيٌّ للاجْتِمَاعِ الدِّينيّ في إيرَانَ»

أوّلاً : «أدْيَانُ العَصرِ السَّاسَانِيّ» :

عُدَّ (أهورَامزدا) الإِلهَ الأَعظمَ للقبائِلِ السَّاكِنةِ إيرَانَ مُنذُ بَدءِ تاريخِهِم، وعلى رَأيِ أَكثرِ المُحقِّقينَ، فَقدْ أصلحَ زَرَدَشْتُ في القَرنِ السَّابعِ قَبْلَ الميلادِ في شَرقِ إيرَانَ الدِّينَ المزدائيَّ، لكنَّ دِينَهُ لم يَنتشِر بتِلكَ السُّرعة، بل ظَلَّ يُرَاوِحُ في مَكانِهِ قرُوناً، وكانَ دِيْنَاً عَاديَّاً في بِلادِ إيْرَانَ!.

ووَصَلَتْ الدِّيَانَةُ الزَّرَدَشْتيَّةُ مِنَ الشّرقِ إلى مُختَلِفِ المَناطِقِ الإيرَانِيّة بشَكلٍ تَدريجيٍّ، وقَدْ لُحِظَ مُنذُ القَرْنِ الرَّابعِ قَبْلَ المِيلادِ، أنَّ هذَا الدِّينَ المَنسوبَ إلى زَرَدَشْتَ قد شَاع بَيْنَ المُغَانِ بعدَ أنْ اكتَسبَ شيئاً مِنَ العقائِدِ السَّائِدةِ بَيْنَ عُمومِ النَّاس، فتَغَيَّرَ إلى حدٍّ مَا، وعَرَفَ نَفسُهُ بَعْضَاً مِنَ التَطوُّرِ والتّغييرَاتِ إلى أنْ أصْبحَ الدِّيْنَ الغَالبَ.

ويُقَالُ: إنّ الأشْكَانيِّينَ هُم مِنْ أتباعِ اليُونَانيِّينَ، لَكِنْ يُحتَمَلُ كثيراً، أنّهم كانُوا مِن أتْباعِ الزَّرَدَشْتِيَّةِ، فَأَسْماءُ مُلوكِ هذه الدَّولةِ شَاهِدٌ على عِلاقتِهِم بالآلِهةِ الوطَنِيَّةِ.[1]

وعلى وَجْهِ العُمُوم فَإنَّ مِنْ خَصَائِص ومُمَيِّزَاتِ المُلوكِ الإيرَانِيِّين

(1) إيرَان في العصر السَّاسَانِّي (بالفَارسيّة)، ص33 ترجمه إلى الفَارسيَّة رشيد يَاسمى ص 16ـ17

الأشْكَانِيِّين والأخمينيِّين، والذِين عَاصَرُوهم امْتِلاكَهم لرُوح التّسَامُح الدِّينيِّ، وحرِّيَّةُ الأَديَانِ المُختَلِفَةِ، واحْتِرَامَ عقائِدِ وعَاداتِ الشّعوب الأخرى، «مِنْ أجلِ تَمجِيدِ هؤلَاءِ المُلُوكِ الذِينَ كانُوا ـ بِحَقٍّ ـ أتقِيَاءَ، ولم يكُونُوا في الغالِبِ غَيْرَ رُحَمَاءَ إلّا في الضَّرُورَةِ، وزيَادةً على ذَلِكَ فَإِنَّ أوامِرَهُم تَدُلُّ على تَسَاهُلٍ كبِيرٍ تُجاهَ عَقائِدِ، وطُقُوسِ، وأديَانِ الشُّعُوبِ الخَاضِعَةِ لهم؛ وكانَت الإمْبَرَاطُورِيَّةُ الإِيرَانيّةُ في أفضَلِ حَالاتِهَا، فَقَدْ احتَوَت على خلِيطٍ مُتَنَوِّعٍ مِنَ الأديَانِ، وعَاشَ أكثَرُ رعَايَاهَا الذِين هُم مِنَ الهُنُودِ والآشُورِيِّينَ، والبابِلِيِّينَ واليَهُودِ وَالمِصرِيِّينَ بسَلامٍ وطُمَأنِينةٍ تحتَ ظِلِّ قوانِينِهَا الرَّاشِدةِ.»[1] وكانَت مُثُلُهُم أَكثرَ رُقِيّاً مِن إمْبَرَاطُورِيَّة الرُّومِ. وكانَ نُفُوذُ رجَال الدِّينِ محدُوداً للغايَةِ في العُصُورِ التي كانت فيها إيران تحت حكم الدولتين الأشكانية والأخمينية، ولَم يكونُوا يُشَكِّلُون طبَقَةً حَاكِمةً.

انتصَرَ إيرَانِيُّو الجَنُوبِ في سَنةِ (244م) على إيرَانيِّي الشِّمَالِ الذِينَ كانت إيرَانُ تحت سيطرَتِهم، وأصبحَ أَرْدَشِيرُ بنُ بابِكَ ـ الذي هو مِن طَبَقَةِ رجَال الدِّين (Caste Sacrdotale) ـ مَلِكاً وسيْطَرَ علىٰ أقَالِيم إيرَانَ، وأدخَلَهَا تحتَ حُكمِهِ!، ولم تَكُنْ فِكْرَةُ أردشيرَ مُنحَصِرَةً في تَحقِيقِ الوَحْدةِ السِّيَاسيَّة فَحَسْبُ، وإنَّما كانَت الوَحْدَةُ السِّيَاسيَّة في نظَرِهِ توأمَاً مع الوَحْدَةِ الدِّينيَّةِ؛ ولأَجْلِ هَذا «خَرَبَ بُيُوتَ النِّيرَان المُنشَقّةَ» ونصَّبَ شَخصَاً بمَنصِبِ (مُوبِذ مُوبِذَان)، ومنَحَهُ صَلاحِياتٍ واسِعَةً في الأُمُورِ النَّظريَّةِ والعمليَّةِ الدِّينيَّةِ، وكلِّ مَا تعلَّقَ بِبيتِ النَّارِ الزَّرَدَشْتِيِّ.

يَذكرُ أرْدَشِيرُ في وصِيَّته لابنهِ شابُورَ: «إنَّ الدِّيْنَ والمُلْكَ أَخَوانِ،

(1) هَانري، الدِّين الفَارسيِّ، ص244.

ولا غِنى لواحدٍ منهُمَا عن صاحِبِهِ، فَالدِّيْنُ أَسُّ المُلْكِ، وَالمُلْكُ حَارِسُهُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أُسٌّ فَمَهْدُومٌ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضائِعٌ». [1] وَقَدْ تَعَامَلَ أَردَشِيرُ تَعَامُلاً حَسَنَا مع اليَهُود مُقَارَنَةً بالأشْكَانِيِّينَ، ولذلِكَ أعَانُوهُ عِنْدَ مُحَارَبَتِه لِلمَلِكِ الأشْكانِيِّ، وَكَانُوا مَعَهُ في الحَرْبِ ضِدَّ أردُوانَ الذِي كانَ قَدْ أَسَاءَ إليهِم، لكِنَّ هَذِه الطَّرِيقَةَ لم تُتَّبَعْ فِيمَا بَعْدُ، وَعَاشَ اليَهُودُ تَحتَ ظِلِّ حُكْمِ السَّاسَانِيِّينَ بِحُرِّيَّةٍ.

وَقَدْ أَصْبحَ رجَالُ الدِّيْنِ الزَّرَدَشْتِيُّونَ في الدَّولَةِ السَّاسانِيّةِ أصْحَابَ قُدْرَةٍ وشَأْنٍ، وتَحَالَفُوا في بَعْضٍ مِنَ الأحْيَان مع الأَشْرَافِ ضِدَّ المَلِكِ، وكانَ لَهُم في المُجتَمَع ـ لاسِيَّما بَيْنَ العَامَّةِ مِنَ النَّاس نُفوذٌ وتأثيرٌ كبيرَانِ بِحَيْثُ تدَخَّلُوا في حَيَاةِ كلِّ فَردٍ!، إذ إنَّ كلَّ شَيْءٍ لا يَتِمُّ إلَّا بمُبارَكتِهِم «فَلم يَكُنْ نُفوذُ الزَّرَدَشْتِيِّين مُعتَمِدَاً عَلى أعْمَالِهم في الوِلاداتِ، والتَّطْهِيرِ، وتَقْدِيم القَرَابِيْنِ، ومَا شاكَلَ ذَلِكَ فَحَسْبُ، بَلْ كانتْ عِندَهُم أَمْلَاكٌ وأَطْيَانٌ، ومَصَادِرُ لِلثّروَةِ نَاتِجَةٌ عَن الكَفَّارَاتِ الدِّينيّةِ، وكانَ هَذَا عَامِلاً مُساعِدَاً في أنْ يَمْلِكُوا استِقْلالاً واسِعَاً، وأَنْ يُشَكِّلُوا دَوْلَةً داخلَ دَوْلةٍ». [2]

---

(1) المسعوديّ. مروج الذَّهب ج2، ص162. وفي عهد أردشير أو كتاب النَّصيحة البند 4. (ص22من التّرجمة الفَارسيّة لـ محمّد إمَام شوشترى، سلسلة منشورَات جمعيّة الآثار الشّعبيّة التّسلسل 67، طهرَان 1348) فقد جاء: «اعلم أنّ الدّين والمُلْك أخوان توأمَان لا قوام لأحدهمَا إلّا بصَاحبه؛ لأنّ الدّين أسُّ الملك وعمَاده، ثمّ صَار الملك بعدُ حَارسَ الدّين، فلا بدّ للمُلك من أسّه، ولابدّ للدّين من حَارسه، ولأنّ مَا لا حَارس له ضائعٌ ومَا لا أسَّ له مهدومٌ». كانت هذه الفقرة مظهرَاً لسيَاسته وسيَاسة أكثر خلفَائه. وكان الأصل العربيّ لعهد أردشير 1387هـ ق. قد طُبع في العَام 1967م في بيروت مع مقدّمةٍ علميّةٍ ممتعةٍ وحواشٍ مفيدةٍ، كانت من عمل الباحث الدّكتور إحسان عبّاس.

(2) إيرَان في العصر السَّاسَانِّي ص 112ـ ترجمة: رشيد يَاسمي ص17.

وكانَ لِلمُوَابِذَةِ تأثيرٌ على أعمَالِ وأفعَالِ النَّاسِ، وهَيْمَنَةٌ على أخلَاقِ ونُفوسِ الشّعبِ وتصرُّفَاتِهِ حتَّى النِّصفِ الأوَّل مِنَ القَرْن السَّادسِ المِيلَادِيِّ بشَكلٍ تَقريبيٍّ!، وكانَ مِن نتائج هَذِهِ السَّيطَرَةِ الواسِعةِ ظُهورُ الاستِبدَادِ بَينَ المُوابِذَة، وظُهورُ التَّدَيُّنِ العَاطِفِيِّ، وضَعْفُ الإِيمَانِ، وشُيوعُ الشَّعوَذَةِ والدَّجَلِ.

وكانَ مِنْ نتائجِ هَذَا الاستِبدادِ وشِدَّتِهِ ظُهورُ فِرَقٍ مُخَالِفةٍ للدِّيَانةِ الرَّسْميَّةِ، فَقَدْ سعَى الزَّرَدَشْتِيُّون إلى مُواجَهةِ هَذهِ الفِرَقِ الخَارِجةِ وأتْباعِهَا بالاستِعَانةِ بالدَّولةِ؛ ممَا جعَلَ الدَّولةَ تخُوضُ باستِمرَارٍ في مُعَالجَةِ هَذِهِ المُشْكِلات؛ وعلى وَفْقِ هَذَا واجهَتْ الزَّرَدَشْتِيَّةُ الأَدْيَانَ الأُخْرَى بتَعَصُّبٍ واضْطِهَاد، وتَعَقَّبَتْ أَتْباعَهَا!، وصارَ هَذَا الدِّينُ قَبْلَ ذَلِكَ دِيناً رَسميَّاً. وقَدْ تَشعَّبَتْ ـ مِنْ دُون شكٍّ ـ فِرَقٌ ومَذاهِبُ مِنَ الدِّين المَزْدَائِيِّ في عَددٍ مِن مناطِقِ إيرَانَ، وجذبَتْ بَعْضٌ مِن عَقائدِ هَذِهِ الفِرَقِ المَذْهبَ الرَّسميَّ، لكنَّ هَذَا لَم يَكُن عَاملاً في اضْمِحلالِ الفِرَقِ الزَّرَدَشْتِيَّةِ، إذْ ظَلَّتْ الزَّرَدَشْتِيَّة قُرُوناً دِيْناً رَائِجاً في إيرَانَ، وعلى الرَّغْم مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ بقيَتْ تِلْكَ المذاهبُ والفِرَقُ المُختلِفةُ مَوْجُودةً، ولم تُؤَثِّرْ عليهَا تِلْكَ المُضايَقاتُ كَثيرَاً، إلّا أنَّ الزَّرْوانِيَّةَ كانت هي المَذهَبَ السَّائدَ في العصرِ السَّاسانِيِّ ـ على وَجْهِ الإِجْمَالِ ـ ولكنَّ الإيرَانِيِّينَ تحَرَّرُوا مِنْ هَذَا النِّطاقِ بَعْدَ فَتْحِ العَربِ لإِيرَانَ مباشَرَةً، وسَعَوا إلى التَّخَلُّصِ مِنَ الأفكار الزَّرْوَانِيَّةِ.[1]

ويتَّضِحُ ممَّا تَقدَّم أنَّ الدِّيْنَ الرَّسمِيَّ لم يَكُن مَظْهَرَاً للوَحْدَة الدِّينيّة في إيرانَ، يُضافُ إلى ذَلِكَ ظُهور تعَاليمَ دِينيَّةٍ أُخْرى داخلَ وخَارِجَ إيرَانَ بَعْدَ تَأسيسِ الدَّولةِ السَّاسانِيَّةِ، وقَدْ أَخلَّ هَذا

(1) إيرَان في العصر السَّاسَانِّي ص 144ـ153 الترَجمة الفَارسيّة ص94ـ101.

بالشّكلِ الظَّاهِرِيِّ للوَحْدةِ، وكانت المَانوِيَّةُ والمَزْدَكِيَّةُ ـ داخلَ إيرَانَ، والمَسِيْحِيَّةُ والبُوذِيَّةُ خَارجَهَا ـ أَهَمَّ الأَديَانِ المُخَالِفةِ للزَّرَدَشْتِيَّةِ، وعلى الرَّغْمِ مِنْ صِحَّة عَدَمِ عِلْمنَا بِمَدى التَّأْثيرِ في ظُهُورِ المَانَوِيَّةِ والمَزْدَكِيَّةِ، وأثرِ الأعمَالِ الاسْتِبْدادِيَّةِ لرجَال الدِّيْنِ الزَّرَدَشْتيِّين، وحِرْمَان الأَفْرَادِ مُقابِلَ الدِّيَانَة السَّائِدة... إلّا أنَّ مِنَ المَعرُوفِ لَدَيْنَا إجرَاءاتِ المُوابِذَة الزَّرَدَشْتِيِّين المُضَادَّةَ لَهُم.

«1ـ المَانَوِيَّةُ»

كان (مَانِي) إيرَانيَّاً لِأَبٍ مِنْ أهلِ هَمَدانَ، وأُمُّهُ مِنْ أسْلافِ الأَشْكانِيِّين، وقَدْ نَزَحَ أبُوه مِنْ هَمَدانَ إلى بابِلَ التي كانت تُعَدُّ نَنَذَاك جُزْءاً مِنَ الأَرَاضِي الإِيرَانيَّة، واعتَنَقَ دِيْنَ المُغْتَسِلَةِ (Bat – seurs). وقدْ وُلِدَ مَانِي في ذَلِكَ الحِينِ بالقُرْبِ مِنْ بَغدادَ الحَاليَّةِ في العَامِ (215) أو العَام (216م)، وكَانَ على مَذهبِ أبِيهِ حتَّى إِذَا شبَّ، اطَّلعَ على الأديَانِ السَّائِدةِ في تِلْكَ المَنَاطِقِ، مِثْلِ الزَّرَدَشْتيَّة، والنَّصْرَانيَّة، والطّرائقِ العِرْفَانِيَّةِ؛ فَارْتَدَّ عَن دِيْنِ أبيهِ، وسافرَ إلى الهِندِ في عَصْرِ أَرْدَشِيرَ، واطَّلعَ على الأفكار الهِنديَّةِ، واقتبَسَ منهَا،[1] فَصاغَ دِينَهُ، ودعَا إليه. ثمَّ رَجَعَ إلى إيرَانَ حِينَ وافَتْ المَنِيَّةُ أرْدَشِيرَ، والتقَى بِشَاپورَ الأَوَّلِ عِنْدَ تَتْويجِهِ في20مَارس مِن العَام (242م) ودعَاهُ إلى دِينِهِ، فَأحسَنَ إليه شَاپورُ، وَأذِنَ لَه بالتّبشِير بعقَائِدِه، وَقَدْ بَشَّرَ مَانِي بِدِيْنِه خَارجَ إيرَانَ في الأرَاضي الشِّماليَّةِ الشَّرقيَّةِ في أسْفَارٍ استمرَّتْ لأكثرَ مِنْ عِشرينَ سَنةَ؛ وعَادَ إلى إيرَانَ عندَ وُصُولِ هُرْمُزَ الأَوَّلِ إلى المُلْكِ في العَام (272ـ273م). لكنَّ هُرْمُزَ تُوفِّيَ سَريعَاً، فَأساءَ إلَى

(1) آرَاء الهند، ص27.

مَانِي خَليفَتُهُ بَهْرَامُ! ويَظْهَرُ أنّ ذَلِكَ كانَ بِتحرِيضٍ ودَسائسَ مِنَ المُوابِذَة، فَألقِيَ في السِّجنِ، وتُوُفِّيَ بِسببِ التَّعْذِيبِ بَعْدَ سِتَةٍ وعِشرينَ يَومَاً وذَلِكَ في 26 شُباطَ مِنْ سَنَةِ (276م).

انتَشرَ دِينُ مَاني في حَياتِهِ في طَيْسَفُونَ، وبابِلَ، ومَيْسَانَ، وأُدسَ (الرّهَا أورْفَه الحَالِيَّة) والشُّوشِ، وأرْمِينْيَا، والهِندِ، وأمْكِنةٍ أُخرى، إلَّا أنَّ الاضْطِهَاد والتَّعصُّبَ الزَّرَدَشْتيَّ جعَلا أتباعَهُ، يتَوارَوْنَ مَعَ عَقَائِدهِم، وعلى الرَّغْمِ مِمَّا لاقَتْهُ المَانَويَّةُ، فَإنَّهَا لمْ تَضْمَحِلَّ في إيرَانَ! إذْ ظَلَّتْ في الخَفَاء، وكانت تَشِيعُ وتَنْتَشِرُ كُلَّمَا سَنَحتْ لهَا الفُرَصُ بِذَلِكَ.[1]

«2ـ المَزْدَكِيَّةُ»

ظَهَرَ (مَزْدَكُ) في عَصْرِ قُبَّاذَ وذَلِكَ في العَامِ (487 ـ 489م و501 ـ 531م) ولَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ اختلافٌ كَبِيرٌ بَينَهُ وبَيْنَ العقائدِ المَانَويَّةِ مِنْ حَيْثُ الظَّاهرُ، لَكِنَّ الأمرَ الذِي عُرِفَ به مَزْدَكُ هو آرَاؤُه الاجتِمَاعِيَّةُ.

ولَقَدْ تَبنَّى قُبَّاذُ دِينَهُ! فَأسْهَمَ ذَلِكَ في ازدِيَادِ أتْباعِهِ، وَحَمْلِ رجَالِ الدِّينِ الزَّرَدَشْتيِّين ـ في الوقتِ ذَاتِهِ ـ على آرَائِه المُخَالِفةِ لِسُنَّتهم، فلَم يَحْتَمِلوا مكانَتهُ في بَلاطِ المَلِكِ، لذَلِكَ فَقَدْ تَحَالفوا مع العُظَمَاءِ، وتَمَرَّدُوا على المَلِكِ وأَلْقَوْهُ في السِّجنِ، وأجلَسُوا مكانَهُ أخَاهُ زامَاسب (جامَاسب) على العَرشِ، لَكِنَّ سيَاوش ـ وهو أحدُ أتباع قُبَّاذَ الذي يَظْهَرُ أنَّهُ مُعتَقِدٌ بالمَزْدَكِيَّةِ – حَرَّرهُ مِنَ الحَبسِ، فَفرَّ إلى

(1) للاطّلاع تفصيلًا حول مَاني وعقائده يُرَاجع (إيرَان في العصر السَّاسَانِّي) ص174ـ200 ترجمة، ص117ـ135؛ ملحوظات على المَانويَّة، ويليَم جوكسون (20ـ3ص)؛ ودين المَانويَّة، تأليف بركيه (بالفَارسيّة).

خَاقَانَ مَلِكِ الهَيَاطِلَةِ، فَاسْتَقْبَلَهُ الخَاقانُ، ودَعَمهُ بِجَيشٍ، فَعَادَ قُبَّاذُ إلى إيرَانَ، وجَلسَ مَرَّةً أُخْرى على العَرشِ وذَلِكَ في العَامِ (498/ 499م) لَكِنَّهُ لَمْ يَكُن كالسَّابقِ داعِماً لِمَزْدَكَ وأتباعِه.

وظَهَرَتْ في سَنَةِ (519م) مُشْكِلَةُ وِلايةِ العَهدِ! فَقَدْ كَانَ لِقُباذَ ثلاثةُ أبنَاءٍ، هم، كاووس ـ وهو أكبرُهُم ـ وزَامُ الذِي كانَ أعوَرَ العَينَين ـ فَلا يُمكِنُهُ بِسببِ عَوَرِه أنْ يَكونَ مَلِكاً ـ وكِسْرَى الذِي كان قُباذُ يَميلُ إليهِ، فَانْتَخبَهُ وليّاً لِلْعهدِ؛ لَكنَّ كَاووسَ كانَ على المَزْدَكِيَّةِ، وقَدْ حَبَّبَ هؤُلَاءِ إليه المَلَكِيَّةَ، ورغَّبُوهُ في وِلايةِ العهدِ، فقامَ أتْباعُ مَزْدَكَ بِعِصيَانٍ واضْطِرَاباتٍ، وأحدثُوا إربَاكاً في المَلَكِيَّةَ والنِّظامِ الأُسَرِيِّ، «وسبَّبَتْ هَذِهِ العَواقِبُ الوَخِيْمَةُ للدُّعَاةِ المَزْدَكِيِّينَ غَضَبَ المَلِكِ! فَلَمْ يَعُدْ يَقْبَلُ أَعمَالَهُمْ وأَفعَالَهُمْ غَيْرَ المُرْضِيةِ، وبدَأَ بَعْدَ هَذِهِ السِّنِيْنَ مِنَ التَّساهُلِ مَعَهُم بالمَيْلِ التَّدرِيجِيِّ نَحوَ رجَال الدِّيْنِ الزَّرَدَشْتيِّينَ».[1] كَمَا حُظِرَت عَلَيْهِمْ المُشارَكةُ في المُنَاظَرَاتِ الدِّينيَّةِ التي كانت تُقَامُ تَحتَ إشرَاف قُبَّاذَ، وتَوحَّدَتْ مَواقِفُ كِسْرَى مَعَ غَضبِ المُوابِذَة، حَيْثُ كان يَرى أَنَّ حَقَّهُ ومُجْتَمعَ الدَّولةِ مَعاً في خَطرٍ، فَأُلقِيَ القَبْضُ على المُوابِذَة وَرَئِيسِهِم، وتَمَّتْ مُحَاكَمَتهُم؛ ولا نَعْرِفُ عَدَدَ المَزْدَكِيِّينَ الذِينَ أَوْدَوْا في هَذِهِ المُؤامَرةِ، لأَنَّ الأَعدادَ التي كان الكُتَّابُ المُسْلمُونَ قَدْ قَدَّمُوهَا غَيْرُ صَحِيحةٍ!، لَكِنْ يَظْهَرُ أَنَّ جَميعَ عُظَمَاءِ المَزْدَكِيَّةِ في ذَلِكَ الوَقْتِ قَدْ قُتِلوا، وصَدَرتْ الأوامِرُ بِمُلاحَقةِ أتباعِ الدِّينِ الجدِيدِ، وجَرَتْ مَجازِرُ بِحقِّهم وتَشَرْذَمُوا ولم يَستَطِيعوا مُقاومَةَ خُصُوْمِهِم النَاقِمينَ مِنْهُم، فَأُعدِمُوا، وصُودِرَتْ

(1) حكومة قباذ ودين مزدك الاشتَراكيّ (بالفَارسيَّة) ص121

مُمتلكاتِهم، وأُحْرِقَتْ كُتُبُهُم الدِّينيَّةُ،[1] إلّا أنَّهُ بَقِيَ مِنْ أتباعِ هَذَا الدِّيْنِ كَثِيرٌ، اخْتَفَوْا في مَنَاطِقِ إيرَانَ، وظَلُّوا على عَقائِدِهِم خُفْيَةً.

وقَدْ اخْتَلَفَ الباحِثونَ اخْتِلافَاً كَبِيرَاً حَوْلَ هَذَيْنِ الدِّينيْنِ المَذْكُورَيْنِ لِجِهَةِ مَدَى ارتِباطِهِمَا بالتَّعَالِيمِ الزَّرَدَشْتِيَّةِ بالمُقَارَنَةِ مع أدْيَانٍ أخْرى كان لهَا أتباعٌ في إيرَانَ، مِثْلِ الكيومَرثِيَّةِ،[2] وَالكَيْنَويَّةِ،[3] وَالمَاهَانِيَّةِ،[4] وَالمَسْخِيَّةِ،[5] وَالتَّنَاسُخِيَّةِ،[6] وَالصِّيَامِيَّةِ؛[7] فَهِي ـ وإنْ لم تَكُنْ مهمَّةً ـ إلَّا أَنَّهَا كانت عَاملاً مُؤَثِّرَاً في النِّزاعِ والخِصَامِ. ويُقَالُ: إنَّ وُجودَ بَعْضِهَا يَعُودُ إلَى العَصْرِ السَّابِقِ للسَّاسَانِيِّينَ، غَيْرَ أَنَّنَا لَا نَمْتلِكُ معْلُومَاتٍ كافِيَةً حَوْلَ مُؤَسِّسِيْهَا وأنْصارِهَا. وَقَدْ كانَ قِسمٌ مِنَ المَجُوس ـ بِحَسَبِ قَوْلِ المَسْعُودِيِّ ـ يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا العَالَمِ بِدايَةٌ ولا نِهَايَةٌ، وكانَ قِسْمٌ آخَرُ مِنهُم يَعْتَقدُونَ بأنَّ لَهُ بِدايَةً، ولَكِنْ لَيسَ لَهُ نِهَايَةٌ؛[8] وإنَّ مِنَ المُحْتمَلِ أنْ تَرْتبِطَ هَذِهِ الأقوالُ بالفِرَقِ الزَّرَدَشْتِيَّةِ، حَيْثُ يَذْكرُ حَمْزَةُ الأَصْفَهَانِيُّ أنَّ الإيرَانِيِّين عَدُّوا

(1) إيرَان في العصر السَّاسَانِّي، ص300، ترجمة ص253.

(2) الملل والنِّحل، ص182.

(3) م.ن، ص196،المقدسّي، ج 4، 24.

(4) م.ن، ص194، الفهرست، ص329؛ البدء والتّاريخ، ج4 ،ص24؛ التّنبيه والإشرَاف، ص353و ص355.

(5) كتاب الفرق بين الفرق، ص347؛ الملل والنِّحل، ص185؛ كتاب البدء، ج1، 142، وضُبطت في نسخةٍ أخرى المسخيَّة.

(6) الملل والنِّحل، ص197.

(7) م.ن، ص197. اسم الفرق الثّلاثة الأخيرة عربّي، ويمكن أن تكون هذه الفرق الثلاث من شعب الفرق الزّردشتيّة بعد ظهور الإسلام.

(8) المروج، ج 4، ص109.

كيخسرو نبيًّاً؛ [1] كَمَا رَوَى المَقْدِسِيُّ أَنَّ بَعْضاً مِنَ الإيرَانِيِّين عَدُّوا جُمْشِيْدَ نبيًّاً، كَذَلِكَ الحَالُ عَنْ كيومِيرثَ وَفريدُونَ.[2]

ويَرى بَعْضٌ مِنَ المُؤَلِّفينَ المُسْلِمين أنَّ مُؤسِّسِي فرْقَتَيْ الدَّيصَانِيَّةِ وَالمَرْقُونِيَّةِ الفِرْقَتَيْنِ العِرْفَانِيَّتَيْنِ المُرْتَبِطَتَيْنِ بالمَسِيْحِيَّة... قَدْ اقْتَبَسُوا عقائِدَهُم مِنَ الدَّيْنِ الزَّرَدَشْتِيِّ، لذَلِكَ عَدُّوهَا مِنْ مَذاهِبِ الدِّيْنِ الأخِيرِ.[3]

«3ـ المَسِيْحِيَّةُ»

ومِنَ الأَخْطارِ الكبِيرةِ التي واجَهَتْهَا الزَّرَدَشْتِيَّةُ مِنَ الخَارِجِ، انْتِشارُ المَسِيْحِيَّة في مرَاكِزِ قُوَّةِ المُلُوْكِ السَّاسَانِيِّينَ وبَيْنَ الفِئاتِ الإِيرَانيّةِ المُخْتلِفةِ، وقَدْ كانت المَسِيْحِيَّةُ مُنْذُ القِدَمِ وحتَّى مَا قَبْلَ تَأسِيْسِ الدَّولةِ السَّاسانِيَّة مُنْتشِرةً في بابِلَ وكَلدُو، وَوُجِدَتْ فِرَقٌ عِرْفَانِيَّةٌ عِندَ ظُهورِ السَّاسانِيِّينَ، اقْتَبستْ تَعَالِيمَهَا مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ، مِثْلُ المَنْدَائِيَّةِ، وَالدِّيصَانِيَّةِ، وَالمَرْقُونِيَّةِ وَالمُغْتَسِلَةِ؛ وقَدْ لَحَظْنَا سابِقَاً أنَّ أبا مَانِي كانَ مِنَ المُغْتَسِلَةِ، ولكِنْ لَمْ تَكُنْ النَّصْرَانِيَّةُ حتَّى ذَلِكَ الوَقتِ مُنْتَشِرَةً بِعُمْقٍ، «بَعدَ نَحوِ السَّنةِ (250م)، ونَتِيجةً لِلمُنَازَعَاتِ المَذْهبيَّة لِلكاثولِيْكِ، تَشَرْذَمتْ الكَنَائِسُ اليُونَانيَّةُ والرُّومِيَّةُ، وانْشَطَرتْ، واهْتَمُّوا بالتَّبْشِيرِ في المَنَاطِقِ السَّاحِلِيَّةِ لِدِجْلَةَ».[4]

(1) التّاريخ، ص27. ويُرَاجع كتاب الكيَانيّين، تأليف كريستنسن (بالفرنسيّة) ص9ـ 92.

(2) المقدسّي، كتاب البدء، ج 3، ص7. ويُرَاجع كتاب الكيَانيّين، ص75 و ص79ـ80.

(3) الملل والنِّحل، ص194ـ 195؛ كتاب البدء والتّاريخ، ج 4، ص24.

(4) المَسِيْحِية في الإمبَراطوريَّة الإِيرَانيَّة السَّاسَانِيّة (بالفرنسيّة)، ص17.

وقَدْ كان مع الأَسْرى الذِينَ جَلَبَهُمْ المُلُوكُ السَّاسَانِيُّونَ مِنَ الشَّامِ إلى إيرَانَ في حُرُوبهم مع دَوْلةِ الرُّوم كَثِيرٌ مِنَ النَّصَارَى، وقَدْ قَامَ هؤلاءِ فيمَا بَعْدُ بِنَشْرِ دِينِهِم حتَّى أَصْبَحتْ بَعْضُ مِنْ مُدُن السَّاسَانيّينَ في القرْن الرَّابعِ المِيلَاديِّ مَرَاكِزَ لِلنَّصَارى، ولَمْ يكُنْ مُضَيَّقَاً عليهم في ذَلِكَ الوَقتِ، وَلَكِنْ عِنْدمَا صارَت النَّصْرَانيَّةُ دِيَانةً رَسميَّةً للإمْبرَاطُورِيَّةِ البِيْزَنْطِيَّةِ، تغيَّرَتْ الأوضَاعُ، حَيْثُ الْتَقَتْ المخَاوِفُ السِّيَاسيَّةُ بِمصالح المُوابِذَة، وبدَأ الاضْطِهَاد نحو النَّصْرَانِيَّةِ وأتباعِهَا، واحتدمَتْ المُنَاظَرَاتُ والنِّقَاشاتُ بَيْنَ النَّصَارَى والزَّرَدَشْتِيِّينَ،[1] ولَمْ يَعْمَدْ الملوكُ السَّاسَانِيُّونَ مِنْ قَبْلُ إلى القتلِ، أو التَّضْييقِ على أصْحَابِ الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى على الرَّغْمِ مِنْ وُجودِ الرَّابِطةِ القَويَّةِ بينهُم وبَيْنَ الدِّيْنِ الوطنِيِّ.

لَكِنَّ الأوضَاع تغيَّرتْ بَعْدَ ذَلِكَ تغيُّرَاً كَثِيرَاً! وأَخَذتْ حَربُ شَاپُورَ الثَّانِي مع دَولةِ الرُّومِ صِبغةً دِينيَّةً، ولم يَكُنْ المُجتَمَعُ الدِّينيُّ الإيرَانِيُّ النَّصْرَانِيُّ قَبْلَ ذَلِكَ مَعزُولاً عن المُجتمَع الدِّينيّ البِيزَنطِيِّ، ثُمَّ رَافقَ الحربَ الإِيرَانِيَّةَ الرُّومِيَّةَ حَربٌ على نَصَارى إيرَانَ، لأنَّ الإيرَانيِّينَ الزَّرَدَشْتِيِّينَ اتَّهَمُوا النَّصَارَى بالتَّواطُؤِ مع الرُّومِ وبالمَيْلِ إليهِم «ويَجِبُ القَولُ: إنَّ هَذَا الارتِيَابَ لم يَكُنْ مِنْ دُونِ سببٍ! فَقَدْ ضَيَّقَ الإيرَانِيُّونَ الخِنَاقَ على النَّصَارَى في كلدو وبِلادِ ما بَيْنَ النَّهرَين، وعَاملُوهُم طَبَقيَّاً في صِيْغَةٍ قرِيبةٍ مِنْ العبِيدِ، مع قَتلٍ وأعمَالٍ للسُّخرَةِ، ولم يَجْرُؤوا على مُقاومةِ العمَّالِ؛ وقَدْ حَسَدَ النَّصَارَى جِيرَانَهُم الذين عَاشُوا تَحتَ ظِلِّ القَوانِينِ الرُّومِيَّةِ، وهِيَ قوانِيْنُ كانت أَقلَّ اسْتِبداداً مِنْ نَظِيرَتِهَا الإِيرَانيَّةِ، وكانَ هؤلاءِ يَسعَوْنَ ليعيشُوا بوصْفِهم بَشرَاً

(1) م.ن، ص41.

مُنقادِينَ إلى النِّظامِ الإدارِيِّ، وليسَ أُسَرَاءَ وخَاضِعِينَ للمُتَحَكِّمِينَ النَّهِمِينَ». [1]

أصدرَ شَابُورُ في سَنةِ (339 ـ 340م) أمرَاً باضْطِهَاد النَّصَارَى، واسْتَمرَّ اضْطِهَادهُم وحَبْسُهم وقَتْلُهُم في كلِّ الأقَالِيْم الشِّمَالِيَّةِ الغرْبيَّةِ والمَنَاطِقِ المُجاوِرةِ للأَرَاضِي الرُّوميَّةِ حتَّى عَام (379 م)، ومَازالَ شَابُورُ حَيّاً، لَكِنَّ صَبْرَ ومُقَاومةَ المَسِيْحِيِّينَ المَقْدِسِيِّيْنَ تسَبَّبَ في انتشارِ المَسِيحِيَّةِ في إيرَانَ أكثرَ مِنْ ذِي قَبْلُ، ودامتْ سِيَاسةُ شَابورَ على وتيرتِهَا، أوْ لَعلَّهَا كانت أقلَّ مِنْهَا عِنْدَ أسلافِهِ، حتَّى وُصُولِ يَزْدُكَرْدَّ الأوَّلِ إلى المَلَكِيَّةِ، حَيْثُ كان مِنْ مُرِيدي الصُّلحِ ظاهِرَاً وباطِنَاً، ولم يَرَ فَائِدةً في اضْطِهَاد رَعَايَاهُ مِنَ الأَدْيَانِ الأُخْرى، لذا مَنحهُم الحُرِّيَّةَ الدِّينيَّةَ، وَمَنحَ الحقَّ للنَّصَارَى في تَشكِيلِ مَجْمَعٍ لرجَال دِينهم في العَاصِمةِ، وذَلِكَ سَنَةَ (410م)، فَانتعشتْ النَّصْرَانِيَّةُ بِذَلكَ في أقَاليمِ إيرَانَ الشَّرْقِيَّةِ، إلّا أنَّ الحَالَ لَمْ يَستمِرَّ؛ إذْ لم تَكُنْ نَظْرةُ المُوابِذَة الزَّرَدَشْتِيِّينَ والأَشْرَافِ نَظْرَةً حَسنةً إلى يَزْدُكَرْدَ وأعمَالِهِ! «وكان النَّصَارَى قَدْ أَفَادُوا مِنَ التَّداوُلِ الدِّينيِّ الجديدِ؛ فَازْدَادَتْ بذَلِكَ أعدادُهُم بشَكلٍ مَلحوظٍ عمَّا كانت عَلَيهِ الحَالُ سَنَة (410م)، ولِأَنَّ المَسِيْحِيِّينَ لم يَتعرَّضْوا لِلشَّهَادةِ أو المَوتِ، تكاثَرُوا بِصُورَةٍ مَلحُوظَةٍ، وهَذَا مَا دفعَ رُؤساءَهُم إلى تأسِيسِ مناطِقَ جديدَةٍ، ومِنَ المُحتَمَلِ مَرَاكِزَ دينيَّةً أخرَى، لَكِنَّ الذِي سبَّبَ غَضبَ الزَّرَدَشْتيينَ كثيرَاً، هُوَ تزايدُ مُعْتنقِي النَّصْرَانِيَّةِ، لاسِيَّما أصحَابِ المقامَاتِ العُليَا في الدَّولةِ، الذِينَ ينْتسبُ بَعْضُهُم إلى الأُسَرِ الإِيرَانيَّةِ النّبيلةِ». [2]

---

(1) المصدر ذاته 47.

(2) المَسِيْحِيّة في الإمبَراطوريّة الإِيرَانيّة 105.

وقّدْ خَرَبَ قِسٌّ في عَصرِ هُرْمُزَ أَرْدَشِيرَ بَيتَ نَارٍ مُجاوِراً لِلكَنِيْسَةِ سَنَةَ (420م)، فتسبَّبَ هَذَا في ازدِيَادِ غَضبِ الزَّرَدَشْتِيِّينَ، ولَمَّا لم يَمتثِلْ النَّصَارَى لأوامرِ المَلِكِ في إصلاح بَيتِ النَّارِ، تَرَاجعَ المَلِكُ عَنْ سِيَاسةِ التَّسامُحِ نحوهُم. إلّا أنَّ يَزْدُكَرْدّ تُوُفِّيَ في الوَقتِ الذِي كان يَسْتعِدُّ فِيْه لِلعَوْدةِ للاضْطِهَاد والتَّضْييقِ عَليهِم بِتحرِيضٍ مِنَ المُوابِذَة.

وبَعْدَ أنْ وافتْ المَنِيَّةُ يَزْدُكَرْدّ، بدأ التَّعذِيبُ والقَتلُ في عَصرِ ابنهِ بَهرَامَ الخَامسِ وذَلِكَ سَنَةَ (420ـ 438م)، ففرَّ النَّصَارَى مِنْ إيرَانَ إلى أرَاضِي الإمْبرَاطُورِيَّةِ البِيْزَنْطِيَّةِ المُجاورةِ، وقد قُتِلَ عَدَدٌ كَبِيْرٌ مِنْهُمْ في مناطِقَ مُخْتلِفةٍ، ونشِبتْ الحَربُ في هَذَا الوَقتِ مع دَولةِ الرُّوم، وحصلَ نَصَارى إيرَانَ على الحرِّيَّةِ الدِّينيَّةِ بِمُوجَبِ مُعَاهَدةِ الصُّلْحِ المعقُودةِ مع الدَّولةِ البيزَنطيَّة في سَنَة (422م)، لَكنَّ الاضْطِهَاد للنَّصَارى لم يَنتهِ بشكلٍ كاملٍ.

وحدثَ في هَذِهِ الأَثْنَاءِ تطَوُّرٌ مُهمٌّ لهم، فَقَدْ عقَدوْا مَجْمعاً كَنسيَّاً في إحدى مُدُنِ العَربِ، أعلنوا فيهِ ـ نَتيجةً لجهودِ (دادي شوع)[1] ـ عَنْ استقْلالِ «المُجْتمعِ الدِّيْنِيِّ النَّصْرَانِيِّ»[2] في إيرَانَ وعدمَ تابعيَّتهِ لِرجَالِ الدِّيْنِ الغربيِّينَ، فَقَلَّ بذَلكَ ارتِيَابُ الإيرَانيِّيْنَ مِنْ ارْتباطِهِم بالدَّولةِ البِيْزَنطِيَّةِ،[3] وكان الدُّعَاةُ المسيحِيُّونَ قَدْ انتشرُوا فِي إيرَانَ كُلِّهَا في ذَلِكَ الوَقتِ، وأَخذُوا يبشِّرُونَ بِدِينهم؛ وعلى الرَّغْمِ مِنْ ارْتفَاعِ وتيرَةِ الاضْطِهَاد، وتوقُّفهَا في بَعْضٍ مِنَ الأحْيَانِ، إلَّا أَنَّ أتباعَ

(1) Dadicho.

(2) Eglise.

(3) المصدر ذاته 119ـ 125.

النَّصْرَانِيَّةِ تزايدُوا يَومَاً بَعدَ آخَرَ، واستَمرَّ بِناءُ الكنَائسِ.

وجدتْ المَسِيْحِيَّةُ طريقَهَا إلى أرْمِينْيَا، عِندَ تأسيسِ الدَّولةِ السَّاسَانيّةِ، وكان لعملِ المُلُوكِ والمُوابِذَة الزَّرَدَشْتِيِّيْنَ ظهُورٌ هُنَاكَ، وأصْبحتْ المسِيْحِيَّةُ فِي مَطْلَعِ القَرنِ الرَّابعِ فِي أرْمِيْنيا دِيْنَاً رَسمِيَّاً؛ ولَمَّا كانت سيَاسةُ إيرَانَ مخَالفةً لنشرِ هَذَا الدِّينِ، مع مَا عَمد إلَيهِ حكَّامُ هَذِهِ الدَّولةِ مِنْ زَجْرٍ وتعذِيبٍ لِمُعْتنِقِيهِ، فَقَدْ تعَاطفَ سُكَّانُ أرْمِينْيَا مع الرُّومِ، وكانُوا قَدْ أظهَروا حقدَهُم على الإيرَانيِّيْنَ الزَّرَدَشْتيِّيْنَ، فكانُوا يُخَرِبونَ بُيُوتَ النِّيرَانِ كُلَّمَا وجدُوْا الفُرصةَ سَانِحةً لِذَلِكَ.

وتمَّ التَّضيِيقُ فِي زمَانِ يَزْدُكَرْدَ الثَّانِيْ فِي الأَعوام (438ـ457 م) على النَّصَارَى أيضَاً، وذَلِكَ نَتيجَةً لِمساعِيْ اليَهُود الدَّاعيةِ إلى إصْدارِ ضَرَائِبَ مَالِيَّةٍ جَدِيدَةٍ على الكنَائِسِ، بهدفِ الحدِّ مِنْ انْتِشارِ النَّصْرَانيَّةِ فِي ذَلِكَ الإقليم، إلَّا أَنَّ مسَاعيَهُم جاءتْ بنَتائجَ مُغايِرَةٍ! إذْ رَسَّختْ فِكْرَةَ الاستقْلالِ عِندَ سُكَّانِ ذَلِكَ الإقلِيمِ، وأعلنَ النَّصَارَى المُقَاوَمةَ ضِدَّ الإيرَانِيِّيْنَ، وزحفَ يَزْدُكَرْدُ بِنفْسهِ إلى أرْمِيْنْيَا وقضى على الثَّائرينَ، وَقَدْ كان ذَلِكَ فِي سَنَةِ (451 م)، فَقتَلَ أعداداً مِنْهُم، وأَسَرَ رُؤساءَ الدّينِ فيهم، واستَمرَّ التَّعصُّبُ والقَتْلُ والتَّعذِيبُ حتَّى نهَايَة عَصْرِ يَزْدُكَرْدَ الثَّانِي سَنَةَ (457م).

وَقَدْ شجَّعَ فَيْرُوْزُ (459ـ484م) رَعَايَاهُ النَّصَارَى المُضَيَّقَ عليهِم، الذين رُفِضَتْ عقِيْدَتَهم النَّسْطُوْرِيَّةُ عِندَ الرُّومِ، كمَا تعطَّلتْ فِي هَذَا الوقتِ أعمَالُ قَسَاوسةِ الرَّهَا (ادس، أورفَه الحَاليَّة) ومَدْرستهم فِي نَصِيْبَيْنَ نتيجَةَ نُفوذِ العقائدِ النَّسْطُورِيَّةِ، فَعمَدُوا بسببِ ذَلِكَ إلَى تَأسِيسِ مَدرسةٍ هُنَاكَ، وكان هَذَانِ العَاملانِ سبباً فِي

انفِصالِ نَصَارى إيرَانَ عَن نَصَارى الرُّوم، إلَّا أنَّ نَصَارى أرمِيْنيَا لم يَقْبلوا هذا المذهبَ، وَبَقَوْا على مذهبِ «الطَّبْيعَةِ الوَاحِدَةِ»،[1] وظلُّوا يثُورُونَ، مبَدِّدينَ كلَّ الجهودِ الإيرَانيَّةِ في ذَلِكَ.

وتَوَتَّرتْ في زَمَان بَلَاشَ (484ـ 488م) العَلاقَاتُ الدِّيْنيَّةُ بَيْنَ الإيرَانيِّيْن والأرمَنِ، بسببِ فَرْضِ هَذَا المَلِكِ دِيْنَ إيرَانَ الرَّسميَّ على أرْمِينْيَا كلِّهَا؛ فِيمَا نَالَ المَسِيحِيُّونَ في زمَانِ قُبَّاذَ حُرِّيَّتَهُم، وذَلِكَ في سَنَةِ (488م)، لاسِيَّما في عَصرِ مملكتِهِ الأولى التي لَمْ يَكُونُوا فِيهَا تحتَ نُفُوذِ المُوابِذَة الزَّرَدَشْتِيِّيْن، حَيْثُ نَشرُوْا عقائدَهُم الدِّيْنِيَّةَ، وأسَّسُوا المَجامِعَ والمدارِسَ الدِّيْنِيَّةَ، وانشَغَلوْا في تَنظيمِ عَقَائِدِهِم، والتَّعرِيفِ بأصُولِ دِينِهِم. ولم يَتعصَّبْ أنُوشِرْوانَ في مَطْلِعِ حُكْمِهِ ضِدَّ النَّصَارَى، بَلْ كان حَامِياً لهُم، لاسِيَّما فِرْقَةِ (نَسْطُوْرُوسَ)؛ وحِينَما نَشِبتْ الحَرْبُ مع الدَّوْلةِ البِيْزَنْطِيَّةِ، عَاوَدَ المُوابِذَة التَّعْذِيبَ وَالقَتْلَ لِنصارى إيرَانَ مَرَّةً أُخرى، فَحَاكَمُوا الجَاثْلِيْقَ (مَارَابا) في سَنَةِ (488م) بِتُهْمةِ أنَّهُ كان زَرَدَشْتِيَّاً، فَتَنصَّرَ، وتَمَّ إبْعَادُه إلى أذَربِيْجَانَ.

وأعلَنَ أنُوشُ بنُ كِسْرَى الذي كانت أمُّهُ نَصْرَانِيَّةً ـ العِصيَانَ مع بَعْضٍ مِنَ الرَّعَايَا المَسِيْحِيِّيْنَ، وذَلِكَ في سَنَةِ (551 م) وتعَاطفَ مَعَهُ النَّصَارَى في خُوْزِسْتَانَ التي أُبْعِدَ إليهَا، لاسِيَّما بَعْدَ سماعِهِ عَنْ مَرَضِ أبِيْهِ، لَكِنْ سَرْعَانَ مَا أُلْقِيَ القَبْضُ عَليهِ وَسُمِلتْ عَيْنُهُ لِكَيْ لا يَسْتَلم العَرْشَ، وكانَ أنوشَرُوانَ قَدْ نَقَلَ الجَاثليْقَ المُبْعَدَ ـ الذي كَانَ في العَاصمةِ حِينَهَا ـ إلَى خُوزِسْتَانَ مِنْ أَجْلِ التَّهْدئةِ، وقَدْ أعَزَّهُ وأطلَق سَرَاحَهُ لِنجاحهِ في مَهَمَّتهِ؛ إلَّا أنَّهُ تُوُفِّيَ بَعْدَ 29 شُباطٍ سَنَةَ (552 م) نَتيْجَةً تَعْذِيبهِ السَّابِقِ، واستَطاعَ الجَاثْلِيْقُ في نِهَايةِ حِياتِهِ

(1) Monophysisme.

أنْ يَكُونَ قُرْبَ مَلِكِ الحِيرَةِ وهُوَ عَمْرُو بنُ المُنْذِرِ (554ـ569م)، الذي كان نَصْرَانِيّاً. وامْتَنَعَ هُرْمُزُ الرَّابِعُ في العَامِ (579ـ 579م) عَنْ اضْطِهَاد النَّصَارَى، وَلَمْ يَقْبَلْ تَحْرِيضَ المُوابِذَة، وقَدْ تَنَصَّرَ النُّعْمَانُ مَلِكُ الحِيرَة في آخرِ مُلْكِهِ حَيْثُ كانَ مِثْلَ أجدادِهِ تَابِعَاً لِلدَّولةِ السَّاسانِيَّةِ، وكذَلِكَ كان قَبْلَه عَمُّهُ عَمْرُو بنُ المُنْذِرِ (554ـ 569 م) نَصْرَانِيّاً، إلَّا أنَّ أباهُ المُنْذِرَ ظَلَّ على الوَثَنِيَّةِ،[1] فكان ذَلِكَ مِنْ أسبابِ غَضَبِ كِسْرَى الثَّانِي عَليهِ، ثُمَّ قَتْلِهِ.

ارْتَبَطَ كِسْرَى الثَّانِي بِرَوَابطَ حَسَنَةٍ مع مُورِيسَ الإمْبَرَاطُورِ البِيْزَنطِيِّ، فَأطلَقَ الحُرِّيَاتِ الدِّيْنِيَّةَ للنَّصارى، وكذلِكَ كانت اثنَتَانِ مِنْ نِسائهِ نَصْرَانيَّاتٍ، كَمَا أفَاد اليَعَاقبَةُ ـ أوْ أَتْباعُ الطَّبِيْعَةِ الوَاحِدَةِ ـ مِنَ الاختلافَاتِ الدَّاخليَّةِ للنَّساطِرةِ، وشرَعُوا بِالتَّبشيرِ في مَنَاطقِ إيرَانَ الشَّرْقِيَّةِ؛ وَكَانَتْ المُنَافَسةُ حَادَّةً بَيْنَ المَذْهَبَيْنِ المَذْكُورَيْنِ، وكان أَحَدُ أَطباءِ كِسْرَى الثَّاني ـ واسمُه جِبْرَائِيْلُ ـ يَعْقُوبِيّاً، افْتَرَى عِندَ المَلِكِ على مخَالِفِيْ عَقيدَتهِ أيْ النَّسَاطِرَةِ! واللّافِتُ للنَّظرِ أنَّ كِسْرَى الثَّانِي كان فَاقِداً لِلسِّيَاسَةِ الرَّشِيدةِ المُدَبِّرَةِ، فَقَدْ حملَ على النَّسَاطِرَةِ الذِينَ عُرِفوا بأنَّهُم أصحَابُ المَذْهبِ الرَّسمِيِّ لنَصارى إيرَانَ. وَلَمْ يَظْهَرْ فِي المُوابِذَة الزَّرَدَشْتِيِّينَ آنذاكَ، وَهُم يُمَثِّلُونَ الدِّيْنَ الرَّسميَّ للدّولةِ. وَقَدْ صادفَ حِينَهَا أنَّ قُوَّتَهُم ضَعُفت، وَلَمْ يكُونوا قادِرِيْنَ على الإفَادةِ مِنَ الاختلافَاتِ المَذْهَبيَّةِ النَّصْرَانيَّةِ، إذ نَلحظُ أنَّ أفرَادَ أسرَةِ يَزدِيْنَ النَّصْرَانيَّةِ أمْسَكُوا بالوظَائِفِ المَاليَّةِ الرَّفِيعةِ في الدَّوْلَةِ، وَحَمَلُوْا أعْباءَ المَسْؤُوْلِيَّةِ، إذْ عَمِلَ النَّصَارَى قَبْلَ هَذَا الوَقْتِ في

(1) المَسِيْحِيّة في الإمبَراطوريّة الإيرَانيّة، ص207.

المَنَاصِبِ الإدَارِيَّةِ، وَلَكِنْ بِمرَاتِبَ دُنْيَا.[1]

ونشِبَت في سَنَةِ (604م) حَرْبُ العِشْرين سَنَةً بَيْنَ كِسْرَى والدَّوْلة البِيزنْطيَّة، ودَخَلَ جُنُودُ جَيْش كِسْرَى بقيَادَة شَهْرَبَرَاز بَيْتَ المَقدِس سَنَة (614م)، فنَهَبوا المَدينَة وأسَرُوا كِبارَ رجَالِ الدِّينِ النَّصَارَى، وأحْرَقوا الكَنيسَة الكبيرَة في تلك المَدينَة، وغنِمُوا صَليبَ السَّيِّد المَسيح، وأسَرَ قادَتُهُم الكثيرَ مِنَ اليَعَاقِبَة، وسَاقوهُم إلى الأقَالِيم الإِيرَانيَّة الشَّرقِيَّة في خُرَاسَانَ وسِيسْتَانَ. وعندَمَا شَنَّ هِرَاكليُوس الحَربَ على إيرَانَ واسْتَولى وغَنِمَ (دستگرد) مَقَرَّ كِسْرَى، شَرَعَ كِسْرَى باضْطِهَاد النَّصَارَى، وتَجَدَّدَتْ أعْمَالُ التَّعذِيبِ والقَتْلِ. وعندَمَا لم يَقْبَلْ كِسْرَى اقتِرَاح الصُّلح مع هِرَاكليُوس،[2] ثار عليه قُوَّاد الجَيْشِ وألقَوْه في السِّجن، وأصْبَحَ شِيرَوَيْهُ بَعد قَتْلِه مَلِكاً؛ وقد وَصَلَ إلى الحُكْم بعْد قَتْلِه سَبْعةٌ مِن أمَرَاء الأسْرَة المَالكَة، وشَاع الاضْطِرَابُ بعْد ذَلِكَ، وهيمَنَتْ الفَوضَى على الدَّولَة و «تناوَبَ على إيرَانَ في مدَّة أربع سِنينَ عَشَرَةُ مُلوكٍ».[3]

«4. البُوذِيَّةُ»

واجَه الدِّينُ الزَّرَدَشْتيُّ الخَطَرَ أيضاً مِنْ جهَة الشَّرْق؛ لأنَّ البُوذيَّة كانت في حَالِ توسُّعٍ في تلك المَنَاطِقِ، ووَصَلَ هذا الدِّينُ قَبْلَ المِيلادِ مِنَ الهِندِ إلى بَلْخ، وكانت له معَابِدُ مِنْ ضِمْنِهَا معبَدُ (نوبهَار)، وانتشَر البُوذيُّون في أواخِر العَصَرِ السَّاسَانِيِّ في مَنَاطِقَ واسِعةٍ في

(1) إيرَان في عصر السَّاسَانِيّين، ص485، ترجمة، ص349.

(2) المصدر ذاته، ص234.

(3) المصدر ذاته ص493، ترجمة، ص356.

شَرق إيرَانَ عمُوماً وفي بَلْخ على وجْهِ الخَصُوص،[1] إذ تُعَدُّ المَدينَةُ المَذكُورةُ مِنْ أهمِّ مَرَاكِزِ الدِّيْنِ البُوذيِّ! ولقَد وَصَفَ السَّائحُ الصِّينيُّ (هوان تسنگ ـ HuanTsang) المعروفُ بولعه بالسَّفر الرَّحْلَةَ التي كان مَوجُوداً فيهَا فى بلخ مِنَ العَام (629م) حَتَّى العَام (645م) فقَالَ: «فيهَا مئَةُ مَعْبَدٍ بُوذيٍّ وثَلاثَة آلاف طَالِبٍ وزَاهِدٍ ورَاهِبٍ وعَابِدِ صَنَمٍ، وفي معْبد نوبهَار مِئَة مُتَعَبِّدٍ، وقد نَزَلْتُ فيه لُمدّةِ شهرٍ واحِدٍ، وشَاهدتُ إحدَى أواني بُوذا التي كان يَستَعمِلُهَا للغَسْلِ وَأَحَدَ أسْنَانِه وجَوْرَبَيْه».[2]

ولَمَّا كان للمُوابِذَة الزَّرَدَشْتِيِّين نُفُوذٌ داخِلَ مَركِزِ الدَّولَة السَّاسَانِيَّة أقوى مِنْهُ في الأطْرَاف البعِيدَة، زِيَادةً على أنَّ نَشْرَ الدِّيْنِ البُوذيِّ لم يكنْ يشَكِّل خَطَرَاً سيَاسيَّاً على الإيرَانيِّين، وكان شِمَالُ خُرَاسَانَ يتَمتَّعُ بنوعٍ خَاصٍّ مْنَ الحُكومَة... فَقَدْ كانت حرِّيَّة البُوذيِّين أكثرَ مِنَ النَّصَارَى، إلّا أنّه يَجِبُ عَدَمُ الذَّهَابِ إلى أنَّ البُوذيَّة لم تكُنْ بالكامِلِ تشَكِّلُ خَطَرَاً على الزَّرَدَشْتيَّة، أو أنَّ الزَّرَدَشْتِيِّين كانُوا غَافِلين عن ذَلِكَ! فَقَدْ كان لَهُم في الأصْلِ اخْتِلافٌ عَمِيقٌ مع بُوذا، إذ أوْجَدَ الانتِشَارُ المُسْتمِرُّ للبُوذيَّة في شَرْقِ إيرَانَ اختِلافَاتٍ شَديْدةً مع الزَّرَدَشْتيَّة، وقَدْ كان هَذَا مَدْعَاةً لِعَدمِ الارتيَاح الزَّرَدَشْتيِّ.[3] وكان

(1) يُلحظ فهرست ابن النَّديم، ص345.

(2) ترجمة وتفسير يشتهَا (بالفَارسيّة)،ج الثّاني، ص30ـ 37. ويُرَاجع كذلك Dastur Hoshang Memorial volume ،Bommboy 1908 pp.509-513.Persian Budhist translators in china by kentok Hori(Lmperilal University of Tokio).

(3) كانت عبادة الأصنَام منتشرةً في سِيْسْتَان وهرَات وكابل وغزنة، وفي زمَان عثمَان أمير الحرب في سِيْستَان، غنم من بيت الأصنَام، صنمَاً عينَاه من اليَاقوت، ويظهر أن تلك كانت مجسَّمَةً لبوذا.

التّشدُّد الدِّينيُّ في إيرَانَ قد تسَبَّبَ في أن تكُون المَانَويَّة مُعْلَنَةً خَارجَ إيرَانَ، ويُضافُ إلى ذَلِكَ مجزرة المزدكيِّين، زيَادةً على الاضْطِهَاد والتَّعصُّب الشَّديدين حِيال النَّصَارَى، وقد وَلَّدَ كلُّ ذَلِكَ حَالاً كبيرةً منْ عَدَمِ الاسْتِقرَار وفُقدَان الانْسِجَام.

«5. سُلْطَةُ رجَال الدِّيْنِ الزَّرَدَشْتيِّيْنَ»

كان اتِّحَادُ الدَّولَة مع الدِّين، وعَدَمُ وجُودِ سيَاسَةٍ مُعتَدِلَةٍ نحو انتِشَار النَّصْرَانيَّة من خصائص الدَّولة السَّاسَانِيَّة، وكان مِنْ عُيُوب ذَلِكَ ـ كمَا اتّضَح سابقاً ـ أنَّ الملوك السَّاسَانِيِّينَ مجْتمِعِين لم يكُونُوا فَاقِدِين لسِيَاسَةٍ دِينيَّةٍ مُوحَّدةٍ نحو المُخَالِفين فَحَسْبُ، وإنَّما كان الواحِدُ منهم فَاقِداً لِمَنْهَج مُحَدَّدٍ وصَرِيْحٍ وثَابِتٍ، ولم تَكُنْ هنَاك مِصْداقِيَّةٌ واقِعيَّةٌ للمُوابذَة الزَّرَدَشْتيِّين مع البُعْدِ الأخْلاقِيِّ للدِّيْنِ الزَّرَدَشْتيِّ، فقد كان دِيْناً مَليئاً بالأعْمال الشَّاقَّة، والنّواهِي غيْر المُجدِيَة، لذَلِكَ لم يَكُنْ له نُفُوذٌ على أرْوَاح النَّاس الآخَرِين، إذ كانت سُلْطَتُهُم الرُّوحِيَّة ـ شِئْنَا أم أبَيْنَا ـ في حَال تَرَاجعٍ و ضَعْفٍ مسْتمِرَّيْن، ويتَجَلَّى هذا الأمرُ بوضُوحٍ لافِتٍ في نصَارَى الأرْمَن، وأهْلِ الحِيرَة، وأعْدادٍ غفِيرةٍ من سُكَّانِ إيرَانَ، وحَتَى بعْضٍ مِنَ المَنَاطِق الشَّرْقِيَّة في تِلْكَ الدَّولَة، إذْ إنَّ أعْدَادَ المَسِيحِيِّين، لاسِيَّما في بابِلَ كانت كثِيرةً للغايَة، فكيف سَيكُونُ حَالُ الزَّرَدَشْتيَّةِ[1] في هَذِهِ البِيئَة الفِكريَّة حِينَ

(1) وقد استقرُّوا في بابل عَاصمة السَّاسَانِيّين، وكانت لغة الجزء الأعظم من السُّكَّان غيرَ إيرَانيّة، وقد ساهم هذا في مساندة العرب وتطوُّرهم، كذلك كان وجود أديَانٍ متعدّدةٍ في العِرَاق إبَّان فتح العرب من أسباب ضعف الحكومة الإيرَانيّة ووسيلةً لسيطرة العرب السّريعة. وقد تبدّد الحسّ الوطنيّ نتيجة النّزاعَات الدِّينيّة، وأصبحت كلّ فرقةٍ ـ من سوء الحظّ ـ مخَالفةً للأخرى، وقد صَارت المنَافسة والحسد جزءاً من الأعمال المعتادة.

لم يَكُنْ الإسْلام قد ظَهَرَ بَعْدُ؟!.

ظَهَرَت حَرَكَةٌ فِكْرِيَّةٌ بعد تَأسِيس مَدرسَة نَصِيْبَيْنِ في أواخِرِ القَرْنِ الخَامسِ المِيلادِيِّ، وذَلِكَ في عصْرِ أَنُوشِروانَ على وجْهِ التَّحْدِيد، وقَدْ أَسْهَمَت في زيَادةِ الحِسِّ النَّقْدِيِّ والاسْتِدْلاليِّ لِلنَّاسِ، إذ جَعَلَتْ عَقائِدَ وفِكَرَ الدِّيْنِ الزَّرَدَشْتيِّ مُسَاويَةً للخُرَافَاتِ والأسَاطِيرِ! وزَادَت مِنْ الشَّكِّ والتَّرْديْد وعَدَم اليَقِيْن. وهَيْمَنَ على العَالَمِ الفِكْرُ المَادِّيُّ المسْتَنِدُ إلى القُوَّة، وعَدَم الرَّأفة «وكان التَّفَاؤلُ في البَدْء فَاعلاً وذَا تَأثيرٍ وأسَاسَاً للدِّين الزَّرَدَشْتِيِّ، وذَلِكَ بعنوانِ فكَرٍ للعَقْل، ثمَّ رَاج المَيْلُ نَحْوَ الزُّهْد عنْد بَعْضٍ مِنَ الفِرَقِ الدِّينيَّة الزَّرَدَشْتِيَّةِ فَخَرَبَت قواعدَ الدِّيْنِ... وأخذت الزُّروانيَّة مكانةً مميَّزةً في العصر السَّاسَانِيِّ، وبَثَّت مَبْدَأَ الجَبْرِ، فكانت كَالسُّمِّ الزُّعَافِ للدِّيْنِ الزَّرَدَشْتيِّ القَدِيم، ولم يَكُنْ زِرْوانُ الإلهُ الأزَلِيُّ أبو هِرْمُزْدَ وأهْرِيمَنَ الزَّمَانَ الذِي لا يَنتَهِي فَحَسْبُ، وإنَّمَا القَدَرَ كَذَلِكَ».[1]

وكان تَأسِيسُ الدَّولَة السَّاسَانِيَّة في القَرْنِ الثَّالِثِ المِيْلادِيِّ رَدَّ فِعْلٍ للظُّرُوف الطَّبَقِيَّة والدِّينيَّة، وكان مِنْ نتَائِج ذَلِكَ دُخُولُ الفِكَرِ الخَارِجيَّة، وظُهُور الاخْتِلال الطَّبَقِيِّ والدِّينيِّ، ومِنْ ثَمَّ ضَعفُت أسُسِ الإمْبرَاطُورِيَّةِ السَّاسَانِيَّةِ.[2]

(1) إيرَان في العصر السَّاسَانِّي، ص430، ترجمة، ص 305.

(2) القاموس الإسلاميّ، بارتولد، التّرجمة من الرّوسيّة إلى الإنكليزيّة، ص7.

«ثَانِيَاً: عَوامِلُ سُقُوطِ الدَّولَةِ السَّاسَانِيِّةِ»:

كان لِسُقُوطِ الدَّولَة السَّاسَانِيِّة، وسيْطَرَة العَرَب على الفُرْسِ أَسْبابٌ وعِلَلٌ عَدِيَدَةٌ مُباشِرةٌ وغَيرُ مُباشِرةٍ![1] فمنهَا التَّخَبُّطُ الدِّينيُّ والسِّيَاسِيُّ والاجْتِمَاعيُّ لكِسْرَى الثَّانِي، إذ كانَ مَلِكَاً طَاغِيَاً ومُتكَبِّرَاً وطَمَّاعَاً، وشَهوَانيَّاً كثِيرَ الشَّكِّ، ولا يَتَورَّعُ عن شَيءٍ. كمَا اشْتدَّ الغَلاءُ في إيرَانَ وَبَلَغَ أوجَه، وكانت العَوامِلُ الدِّيْنِيَّةُ مِنْ أَهَمِّ أَسْباب ذَلِكَ، كمَا ذُكِرَ آنفَاً؛ وممَّا ضَاعَفَ منهَا تَرَكُّزُ تِلكَ الاخْتِلافَات والمُشْكِلات في العَاصِمة أَكْثَر مِنَ الأطْرَافِ، وقَدْ شَاعَت حَالٌ مِنَ العدَاوَة والبَغضَاء، كمَا لُحِظَ هَذا بصُورةٍ واضِحَةٍ بيْن النَّصَارَى، إذ لم يُلحظْ الأمَان عَليْهم أبَداً، «أظهر النَّصَارَى في كلِّ مَكَانٍ تقريباً مُعَاداتِهم للخُصُوم. وتَذكُر سِيَرُ الكُتَّابِ اليَعقابَةِ والنَّسَاطِرةِ أنّ البَطْرَيرك يشوع يهب، (Isa Yahib) لم يَأْلُ جَهْداً في كَسْبِ إحْسَان القُوَّاد الجُدُد".

قد يَكونُ في الفِقرَة الآتِيَة نَوعٌ من المبالغة، ولكنَّ فيهَا قرباً مِن الواقع، فقد كان صَبْرُ النَّصَارَى يُعلَّل بمساندتهم الإيرَانيِّين «سوف لا نتعجَّب أنَّ النَّصَارَى لم يقدِّموا شيئاً إلى الإيرَانيِّين بالضِّدِّ من مخَالفيهم، وأصبح الأرمن منذ اثني عشر قرنَاً تحت حكمهم أكثرَ قوَّةً، فعلى الرَّغْم من مساعي الأخمينيِّين والسَّلوكيِّين والأشكانيِّين والسَّاسَانِيِّين المتواصلة لفرض السَّيطرة عليهم، إلّا أنَّهم تمكَّنوا من المواجهة، واتّبع العَرَبُ كذلِكَ هذا الأسْلوب، وَلَا يُوْجَدُ فَرْقٌ عِنْدَ العَبْدِ في خِدْمَةِ هَذَا السَّيِّدِ أو ذَاكَ.

(1) رَاجع كتاب من أبرويز حتى جنگيز خَان (بالفَارسيَّة) تأليف حسن تقيّ زادة. ص 2ـ6 (مكتبة طهرَان1310)

وَتُظْهِرُ الفِقْرَةُ التَّالِيَةُ أَوْضَاعَ النَّصَارَى الإيرانيِّين «فَقَد كانت أوضَاعَاً تُثِيرُ العَجَبَ، فلَو كان نَصارَى إيرَانَ مِنْ مُحبِّي الوَطَن الحَقيقيِّين، ولم يَكُونُوا يختلفُون مع السَّاسَانِيِّين، فَإِنَّهُم مِنْ دُونِ شَكٍّ سَيرْتابُون مِنَ السَّيطَرَة الخَارجِيَّة، فَعِنْدَمَا أصْبَحَ الخَطَر العَربِيُّ قَريْباً، كانت أوَّلُ أعْمالهم تَأمِينَ أوضَاعهم المسْتقبَلِيَّة، فتَقَرّبُوا مِنْ زُعَمائِهِم، وتمَنَّوْا لَهُم النَّصْرَ!».[1]

ولم يَكُنْ هَذا الحَالُ مقتَصِرَاً على النَّصَارَى والدِّيَانَاتِ المُخَالِفَة فَحَسْبُ، فقد كان مِنْ نَتَائِج هَذا التَّعصُّبِ الدِّينيِّ ارتِدادُ مجموعَاتٍ بكاملهَا عن الدِّينِ الزَّرَدَشْتيِّ، إذ عِنْدمَا شَرَعَ الغَالبُون العَربُ المُسْلمُون في أعمَالِهم بَعْدَ الفَتْح، كانت مُعَامَلتُهم أفْضَلَ مِنْ مُعَامَلة زُعَمَاء الدِّينِ الزَّرَدَشْتيِّين، فَاعْتَنَقَ الأفرَادُ دِيْنَ الفَاتِحِينَ.

اخْتبَرَ العَربُ والفُرْسُ قُواهم في مَعْرَكَة البويب (مَكانٌ بالقُرْب مِنْ مَدينَة الكُوفَة) إذ دَخَلَت أَرَاضيَ العِرَاق تَحْتَ سَيطَرَة العَرَبِ بعدَ مَعْرَكَة القادِسِيَّة (رمضَان في السَّنة الرَّابعة عشْرة هجريَّة) فتَقطَّعت أوصَالُ الدَّولة السَّاسَانِيَّةِ، وفُتِحَت الطَّرِيقُ أمَام العَربِ للسَّيطرة على كَامِلِ الأقَاليم الإِيرَانيَّة الدَّاخليَّة، بعد معْرَكة نَهَاوَنْدَ (سنة 21هـ)، ومُنحَتْ إدَارةُ كلِّ إقليم إلى مَرَازِبَتِهِ، وعُيِّنَ بَعْضٌ منهم، وأشْرِفَ عليهم مباشَرةً، وذَلِكَ في الأقَالِيم التي لم تخْضَع للفَاتِحِين إلَّا عن طَرِيْق الحَربِ والعَنْوَةِ، وعَقَد بَعْضٌ مِنْهم الصُّلح ودَفَعوا الخَرَاج والجِزْيَة عن رضَا، لكنَّ سُكّان إيرَانَ لم يهْدَؤوا نِهَائيَّاً، وتَنَاوَبَ الاضْطرَاب والسِّلم سنِين في الأقَالِيم الإِيرَانيَّة.

(1) هَانري، الدِّين الفَارسّي، ص266.

[ثالثاً: مُعَامَلة الفَاتِحِين للإيرَانيِّين]:

لم تَكُنْ مُعَامَلة ولاة العرب للإيرَانيِّين واضِحةً على وجْه الدِّقَّة، لاسِيَّمَا في الأمُور الدِّينيَّة، لكنَّ الظَّاهِر أنَّ مُعَامَلة الفَاتِحِين كانت تَختَلفُ بِحَسَبِ مقتَضَيَات الزَّمَان والمَكان، فعِندمَا فُتِحَتْ اليَمَن في زمَان نبيِّ الإسْلام، أرسَل النَّبيُّ أشخَاصاً إلى هنَاك من أجل دعوة النَّاس إلى الإسْلام، وجبايَة الزَّكاة منهُم؛ وَفَرْضِ الجِزْيَة على الذِين لم يَدْخُلوا في الإسْلام مثلِ اليَهُود والنَّصَارَى والزَّرَدَشْتيِّين،[1] وعندما فُتِحَتْ عُمَانُ، أمَر الرَّسُولُ الصَّحَابيَّ أبا زيدٍ أن يَأخذَ مِن المُسْلِمِين الزَّكاة ومِنَ الزَّرَدَشْتيِّين الجِزْيَة،[2] ودَخَلَ في البَحْرَيْن أعْدادٌ مِنْ مَرزِبانيِّهَا الإسْلام، وظلَّت بقيَّةٌ على الزَّرَدَشْتيَّة، فَدَفَعَ الجِزْيَة كلُّ رجلٍ بالغٍ دينَاراً.

وقد نَفَر اليَهُود والزَّرَدَشْتيُّون من الإسْلام، وفضَّلوا دَفْعَ الجِزْيَة، وكانَ أَخْذُ الجِزْيَة مِن زَرَدَشْتِيِّي البَحْرَيْنِ وعُمَانَ واليَمَنِ باعثَ جَدلٍ بَيْن المُسْلِمِين، إذ كَيْفَ كان النَّبيُّ يَجْبي الجِزْيَة مِن المَجُوسِ في الوَقت الذِي كان فيْه أهْلُ الكِتَابِ هم اليَهُود والنَّصَارَى فَقَطُ، ولهَذا نَزَلَتْ الآيَة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيكُم أَنفُسَكُم لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهتَدَيتُم إِلَى اللهِ مَرجِعُكُم جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تعمَلُونَ﴾[3] حَيْثُ

(1) فتوح البلدان. البلاذريّ، ص69؛ برَاون، تاريخ الأدب (بالإنكليزيّة)، ج1،201.

(2) فتوح البلدان. البلاذريّ، ص77. برَاون، الموضع المذكور.

(3) سورة المَائدة، الآية 105. ربَّمَا يكون هنَاك وَهْمٌ في الإشارة إلى الآية فَالآية الوحِيدة التي ورد فيهَا ذكر ،المَجُوس وتقريباً قد أُدرجوا ضمن أهل الكتاب: (إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَالذِينَ هَادُوا وَالصَابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالمَجُوس وَ الذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ)

تُظْهِرُ الآيَة أنَّ الزَّرَدَشْتيِّين مِنْ أهْل الكِتَاب، أو يَجِبُ أنْ يُعَامَلُوْا مُعَامَلةَ أَهْلِ الكِتَابِ!، وعِنْدمَا تَردَّد عمرُ بنُ الخَطَّاب في الطَّريقَة التي يَجِبُ أن يَتعَامَل فيهَا مع الزَّرَدَشْتيِّين تحدَّث مَعَه عبدُ الرَّحْمَن بنُ عَوْفٍ، وَقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله حِينَ قَالَ: «سُنُّوا بِهِم سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ».[1]

ويمكِن ـ على وجْهِ العُمُوم ـ تشْخِيصُ ثَلاثَة عُهُودٍ مِنَ المُعَامَلة، يَختَلِف أحَدُهَا عن الآخر، وذَلِكَ اعتمَاداً على الوَقائِع التَّاريْخِيَّة:

الأَوَّلُ: عَهْدُ الخُلفَاء الرَّاشِدِين الذي بَدَأ مع فَتْح العَربِ، وامْتدَّ حَتَّى آخر خِلافَة الإمَام عليٍّ.

الثَّانِي: العَهْدُ الأمَوِيُّ، الذي يَبْدَأ مِنْ خلافة مُعَاويَة، حَتَّى أفُول الأسْرَة الأمَويَّة.

الثّالثُ: العَصْرُ العبَّاسيُّ الذِي يبدأ منذ تأسيس دولة بني هَاشمٍ، حتَّى مَوتِ المُعْتَصِم في سنة (227هـ).

«1ـ العَصْرُ الأوَّل: الخلفَاء الرَّاشِدُون»

كان الوُلاة العَربُ في العَصْر الأوَّل مُؤمِنِين صَادِقِين، ومُجَرَّدِين عن الطَّمَع، فَإذا سيطروا على مَنطِقةٍ أو نَاحِيةٍ عن طَريقِ الحَربِ، فَإنَّهم يعَامِلون الذِين قاومُوا مُعَامَلةً صَعْبةً.[2] وكان يتمُّ قَتْلُ الذِين يقَاومُون، وتُؤْسَر البقيَّة بعد الظَّفر، وَتُوَزَّعُ أمواهم بوصفهَا غنيمةً،

(الحج: 17) المترجم.

(1) تقيّ زاده، من برويز إلى جنگيز، ص46.

(2) البلاذريّ، ص389.

ولا يبقى فيهَا بعد ذَلِكَ للمغلوبين حقٌّ؛ ثمَّ تُقْسَمُ غنَائم الحَربِ على خمْسَة أقسَام، يُمنح قسمٌ واحدٌ منهَا إلى بيت المَالِ، ويُرسَلُ إلى مركز الخِلافَة، ثُمَّ تُقسَم الأربَع الأخرى بَيْنَ الذِين اشْتَرَكوا في الحَربِ بشَكلٍ فِعليٍّ.

وإذا مَا خَضَعَ أهلُ منطقةٍ، ثمَّ ثارُوا مرَّةً أخْرَى، فَإنَّه يُقضى على الاضطرَاب بِالقوَّة، ويُعمَد إلى القَتْلِ والأسَر، وإذا فُتحَت مناطِق بالقوَّة فمِن المتَعَارف عليه أن ينَصِّبَ العَربُ شَخصَاً منهم للحُكومَة، وأمَّا إذا سلَّم السُّكَّان منطِقتَهم مِنْ دُون حَربٍ، وتصَالحُوا على دفع مبلَغٍ معيَّنٍ في السَّنة مِنْ أجلِ حمَايَة أنفُسِهم، فتبقى أموالُهم وأرواحُهم محَفُوظَةً، ويبقى المَرزِبانُ أو الحَاكمُ المَحليُّ في منصِبه.[1] فقد جَاء في المُعَاهَدة التي عَقَدَهَا حَبِيبُ بنُ مَسْلَمَة مع أهْل أرْمِينيَا الآتي: «بسْم الله الرَّحمن الرَّحِيم: هذا كتابٌ مِن حبيبٍ بنِ مَسْلمَة لنَصَارى أهلِ دبِيلَ ومجُوسِهَا ويهُودهَا، شَاهِدِهم وغائِبِهم: إنِّي أمَّنتُكم على أنفسِكم وأموَالِكم وكنَائِسِكم وبِيَعِكم وسُورِ مدِينَتِكم، فَأنتُم آمِنُون، وعَلينَا الوَفَاء لكم بِالعَهد مَا أوفيتُم وأدَّيتُم الجِزْيَة والخرَاج، شَهِد الله وَكَفى باللهِ شَهِيداً».[2] وتَكُون سُلطَة العَربِ عليهم سُلطَةً غيرَ مباشِرةٍ، لاسِيَّما في المَنَاطِق التي يبْقَى فيهَا الحُكَّامُ المَحلِّيُّونَ «المَرَازبة» في مواضِعِهم، وتكُون ممَارسَة الطُّقوس الدِّينيَّة حُرَّةً، وتَظَلُّ المَعَابد وبُيوتُ النِّيرَان قَائمَةً، ويُخيَّر الإيرَانيُّون بين الدُّخول في الإسْلام أو

(1) حول مجيء مَاهويه (مرزبان) حَاكم مرو إلى الإمَام علّي، يُرَاجع البلاذريّ، ص408 وكذلك ص 405؛ والطّبريّ القسم الأوّل، ص2888. وحول صلح بهمنه (كذلك 404) وصلح كنَارنك (كذلك 405) وصلح مرزبان هرَات (كذلك ص 405).

(2) فتوح البلدان، ص267؛ برَاون، ج1، ص202،201، ويُرَاجع العهود الأخرى فتوح البلدان، ص405.

دَفْع الجِزْيَة؛ ولم يكنْ هنَاكَ إجْحَافٌ يُذكَر فِي أَخْذ الجِزْيَة والخَرَاج، وكان كُلُّ شَخصٍ يدفَعُ مَبلغَاً على قَدْرِ طَاقَتِه،[1] وكان مَالُه ونَفْسُه ودِينُه فِي أمَانٍ.[2] وأمَّا الدَّعوة إلى الإسْلام فكانت حُرَّةً فِي كُلِّ المُدُن والبلاد، ولم تكنْ أوْضَاع النَّاس وأحوَالُهم فِي المَنَاطِق التي كان يَحكُم فيهَا العَربُ غيرَ قابلةٍ للتَّحمُّل، بل كانت مُعَامَلة هَؤلاءِ الأجَانبِ فِي بَعْضٍ مِنْ الأوْقَات أفْضَلَ مِنْ مُعَامَلة الحُكَّامُ الإيرَانيِّين الذِينَ حَكَمُوا قَبلَ هَذا الوَقْت؛[3] فيجِبُ عَدَمُ الذَّهَاب إلى أنَّ الفتح العربيَّ كان مَقرُونَاً فِي كلِّ الأوقاتِ بِالقتْلِ والإجْبَار لتَغيير الدِّيْنِ وقَبُول الإسْلام، ولم يكُنْ التَّعَامُل فِي هذا العصْر بِالقوَّة والخُشونة، بل إنَّ أحكامَاً صَريحَةً صَدَرَتْ مِنَ الخَليفَة فِي مرَاعَاة أحْوالِهم،[4] وإنْ كان مِنَ البدهيِّ ألّا تُرَاعَى كُلُّ هذه الأحكامُ أيضَاً،[5] ولكنَّهَا طُبِّقت على وجْهِ الإجْمَال.[6]

كان الأملُ لدى الإيرَانيِّين فِي هذا العَصْر قويَّاً فِي إعَادة حرِّيَّتهم الدِّينيَّة، لاسِيَّما فِي سَنَةِ (32هـ)، حِينَ كان المَلِك يَزْدُكَرْدَ حَيَّاً،[7]

---

(1) رَاجع فون كريمر، تاريخ الحضارة الإسلاميَّة، ترجمة: خدا بخش، 77ـ 79.

(2) الطّبريّ القسم الأوّل، 2658.

(3) م.ن، 2689.

(4) م.ن،2713.

(5) م.ن ، ص 2836.

(6) كان إنكار وسخط عثمَان على الأمير بن أحمر اليشكريّ بسبب إشاعته القتل بين أهل مرو، لاسيّما بعد علمه بأنّهم يريدون الثّورة، ويدلّل ذَلِكَ على أنّ الميول في عهد الخلفَاء كانت تتّجه نحو المُعَامَلة الحسنة مع العرب وغيرهم. (اليعقوبيّ، التّاريخ ،ج2، ص193).

(7) عدَّ الإيرَانيّون قتل يَزْدُكَرْد أمرَاً غير مرغوبٍ فيه، وحتّى القرن الرَّابع

وكان للأحْدَاث التي وَقَعَت في مركِز الدَّولَة العرَبيَّة نتَائِجُ في إيرَان، إذ ثارَت بعْضٌ مِنْ المَنَاطِق والنَّواحِي، ممَّا اضْطُرَّ الفَاتِحِين إلى إعَادة فتحهَا مرَّةً أخْرى، وتعَامَل العَربُ في هَذهِ المرَّة مع الثَّائرين بقسْوةٍ، فَأسروهم وغنموا أموالهم، ولكنَّ تلك الحَالَ لم تكن مسْتمرَّةً، إذ حَالمَا تهدأ الأوضاع، تعود الأمور إلى سابق عَهْدهَا.

ونَلحَظ بَعدَ هَذا العَصْرِ المرْحَلَةَ الثَّانيَة التي تبْدأ مع خِلافَة معَاويَة التي اضْطَهَد فيهَا العُمَّالُ العَربُ أتبَاع بقيَّة الأديَان الأخْرى! فمن ذَلِكَ مَا ذكره الجَاحِظ في باب قتل هَرَابذة فَارسَ، وإخْمَادِ (بيت نَار كاريَان) المهمِّ، وبيوتِ النِّيرَان الأخرى في عهد زيَادٍ بنِ أبيه[1] على يد عُبَيْد الله بن أبي بَكْرة.[2] وكان ممَّا أيِّد ذَلِكَ التَّوجُّهَ تخريبُ نوبهَار بلخ في زَمَان الخَليفَة نفسِه، واضْطِهَادُ أهل هَذهِ المَدينَة على يد قَيْسٍ بنِ الهيثَم والي خُرَاسَان(42هـ)[3] وكذَلِكَ قَتْلُ بَطارِقَة أرَان

فَإنّ النَاس كان يسمّون أولاد مَاهويه (مرزبان مرو) الذِي قتل يَزْدُگَرْد بـ (خداه كشان) (قتلة الملوك) (حمزة الأصفهَانيّ، تاريخ سنيّ ملوك الأرض، ص63).

(1) كان هذا الرّجل من عظمَاء الدَّولة الأمويّة، وكان منذ البدء حتّى سنة 42 هجريّة واليَاً من قبل الإمَام عليّ، وامتلك في اصطخر فَارس بلاطاً عظيماً عجّ بالفرسان والخيَّالة، وكان نفوذه عميقاً في الأقَاليم الشّرقيّة والجنوبيّة في إيرَان، ثمّ حكم العِرَاق والحجاز في عهد معَاوية.

(2) كتاب الحَيوان، ج4. ص153. ولكن مرّةً أخرى أضرم النَار في بيت نَار (كاريَان)؛ لكن انتعش بيت النَار هذا في القرن الرَابع، وأُسّست بيوت نيرَانٍ أخرى (بشار المقدسيّ، ص427) كُتب خطّأ اسم عبيد الله بـ (عبد الله) في هذا الموضع (الطّبريّ القسم الثّاني ص 1033).

(3) البلاذريّ. فتوح البلدان، ص409. ولم يخرب بالكامل (نوبهَار) فظلّ النَّاس يزورونه هنَاك (الطّبريّ. القسم الثّاني، ص120، ص1206) عمرت بلخ في زمن أسد بن عبد الله وحدث هذا العمل تحت نظر البرَامكة، وبدعمهم. (الطّبريّ القسم الثّاني ص1181؛ كذلك بارتولد تركستان،

فِي سنة (42هـ).[1] ويذكر أيضاً مؤلِّف تَاريخ سِيْستَان أَنَّه فِي زمَان ولايَة رَبيعِ الحَارثيِّ (سنة 46هـ) «جاء ربيعٌ إلى سِيْستَان وجَلَبَ معه الأمَان، وشَجَّع النَّاسَ على تَعلُّم القُرآن والتَّفسِير، وأشَاع العَدلَ؛ وأنَّ مِنْ حُسْن سِيْرتِه أنَّ الكثِير مِنَ المَجُوس صَاروا مُسْلِمِين».[2]

وإذا كان كلام المؤلِّف يذْهبُ إلى أنَّه بسَبَب حُسْنِ سِيرَة هَذا الوَالي قَدْ أَسْلمَ الكثيرُ من الإيرَانيِّين، إنما يبدو أنَّ الجبْر والقُوَّة كانَا متَداخِلَيْنِ مع هَذا الأمْرِ! حَيْثُ يشِير المؤلِّف نفسُه إلى فِعْلِ عُبيد الله بنِ أبي بكْرة قَبْلَ هذا ببيت (نَار كاريَان)، وقتلِهِ هِربذَ الهَرَابذة الذِي كان بأمرِ زيَادِ بنِ أَبِيْهِ فِي سنة إحْدى وخَمسينَ فِي سِيْستَان «فَأمره بأن يتَّجِه نحو شابور كبيرِ الهَرَابذة[3] ويقتُلَه، وأن يهدم نيرَان المَجُوس؛ بعْدهَا وَصَلَ سِيْستَان وَقَصَدَهُ الدَّهَاقنة والمَجُوسُ الذِين عَصَوْا أوامِرَه، ثمَّ قَالَ مُسْلمو سِيْستَان: لو أنَّ نبيَّنَا أو الخُلفَاءَ الرَّاشِدِين عملوا هذا لتصالحوا معهم، ونحن نقوم بذلِكَ،[4] وإذا لم يكنْ كذَلِكَ فلا يَجِبُ العمَلُ بِه لأنَّ هذا ليْسَ مِنَ الإسْلام! وإذا كُتِبَ الصُّلحُ مَرَّةً أخْرى إلى الشَّام، فيجبُ ألَّا يَأتي الجواب على هذه الشَّاكلة؛ فهم قد كتبُوا عهداً، وإنَّ هذا المعبد مكانُهم، وهم قَالُوا:

ص77؛ ويَاقوت، معجم البلدان، ج 4، ص817ـ20؛ وابن الفقيه ص 322ـ 24؛ والطّبريّ القسم الثّاني، ص1409، و ص1591. ولا يُلحظ في تاريخ الطّبريّ أنّ (نوبهَار) قد خرب بيد قيس.

(1) الطّبريّ القسم الثّاني، ص16.

(2) تاريخ سِيْستَان، ص91.

(3) رَاجع ملحوظات نَاشر كتاب تاريخ سِيْستَان (بالفَارسيّة).

(4) وصل هذا المطلب جيّداً وقبل هذا لم يكن كذلك.

نحنُ نعبُدُ الله ولدَيْنَا بيت نار خورشيد[1]. اعلَمْ أنَّ هذا الذي لدَينَا وليس لدينَا شيءٌ آخرُ، هَذهِ عبَادتُنَا، في مثلِ هذا المكانِ الذي لنَا، أنْتُم لكم محْرَابُ الكعبَة ولا يجوز تخريبُه؛ لأنَّه مُقَدَّسٌ، ولا نفرِّق بَيْنَ كَنِيسِ اليَهُود وكنِيسة النَّصارَى وبيت نَار الزَّرَدَشْتيِّين، لأنَّهم قد كتبوا معَاهداتٍ جميعَاً»[2].

«2ـ العَصْرُ الثَّاني :الأُمَويُّ»

كُلَّمَا تَقدَّم الوَقتُ بالإسْلام، تنَاقَصَت عِندَ العَربِ النَّوايَا الخَالِصَة، والشُّعُورُ الدِّينيُّ، وَعَدَمُ التزام الواجبات الإسْلاميَّة، وغَابَ الصَّفَاءُ! وتغلَّبَ عَليْهم الخُيَلاءُ، والغُرُورُ، وطَلَبُ الجَاه، والطَّمعُ، والشَّهْوةُ، وغيرُ ذلِكَ! .

وعلى الرَّغْم من بَقاءِ بَعْضٍ مِنْ أصْحَابِ النَّبيِّ أحْيَاءً حَتَّى ذَلِكَ الوَقتِ، إلّا أنَّ الخَليفَة قد تَحَرَّرَ مِنْ أدَاء وظَائِف أسْلافِه، فتَسَبَّب نهْجُه ذَلِكَ في انْحرَافِ كثيرينَ عن العَدْلِ والمُسَاوَاة؛ ولم يَكُنْ فتْحُ البُلد وتحْصِيلُ الأمْوالِ غيرُ المَحدُود، وظُهُورُ نَسْلٍ جَديدٍ دُونمَا تأثِيرٍ، إذ أصْبَحَ حِمْلُ الَّربِ بالتَّدريْج ثِقِيلاً على الإيرَانيِّينَ، واسْتُبْدِلَت

(1) رَاجع ملحوظات نَاشر كتاب تاريخ سِيْستَان.

(2) تاريخ سِيْستَان، ص92 ـ 93، بعد هذا بدأ التّجاوز في مركز الخلافة على معَابد الأديَان الأخرى، فكان مسجد دمشق أوّلاً كنيسةً فصَار بعد الفتح مسجداً وبنَاه الوليد بن عبد الملك= =(المسعوديّ ج 4، ص90) «صعِد الوليد المنبر فسمع صوت نَاقوسٍ (Couvent)، فقَالَ: مَا هذا؟ قيل: البيَعَة، فأمر بهدمهَا، وتولّى بعضاً من ذَلِكَ بيده، فتتابع النَاس يهدمون، فكتب إليه الأخرم ملك الرّوم: إنّ هذه البيَعَةَ قد أقرّهَا من كان قبلك، فإن يكونوا أصَابوا فقد أخطأت، وإن تكن أصبتَ فقد أخطؤوا..." المسعوديّ، ج 5، 381 ـ 382.

الأغْرَاضُ الشَّخصِيَّةُ بمنْظورِ العَربِ الدِّينيِّ، وسَادَ حُكمُ الغالِبِ للمَغلُوبِ، وَبَدَأ الحَطُّ مِنْ قِيمَةِ غيرِ العَربِ[1] واسْتغلالُ جُهُودِهِم. وقد كان النَّاسُ في إيرَانَ حِينهَا ثلاثَة أصْنَاف: قِسْمٌ قَبِلَ الإسْلامَ وآمَن بِهِ إيمَانَاً كاملاً، وقِسْمٌ آخرُ أظْهَرَ إسْلامَه مِن أجْل الاطْمِئنَان والهُرُوبِ مِن الجِزْيَة والخَرَاج، وهُو في الوَاقِع لم يَكُنْ لا على الدِّيْنِ القَديمِ ولا على الدِّيْنِ الجَديْدِ، وبَقِي القِسْمُ الآخَرُ ـ وهَؤلاءِ عَدَدُهُم كبِيرٌ ـ على دِيْنِهِم القَديمِ.

فَأمَّا الصِّنفُ الأوَّلُ، فلم يَكُونُوا مُرتَاحِينَ مِنْ إجْرَاء الشَّعَائِرِ وَالطُّقوسِ الدِّيْنيَّة الجديدة.

وأمَّا الصِّنفُ الثَّانِي، فلم يَرغَبُوا بتِلْكَ المُعَامَلة! إذ تعَامَلَ العَربُ مَعَهم بِتعَالٍ وكِبْرٍ، وأفَادُوا مِن إمْكَانَاتِهم، ولم يَكُنْ لهَؤلاءِ نصِيبٌ يُذْكَرُ، فكان ذَلِكَ سَبَبَاً في عَدَمِ رضَاهُم.

وأمَّا الصِّنفُ الثَّالث، فقد كانوا ينتَهِزُون الفُرَصَ للخَلاصِ مِنْ حُكْمِ الغَالِبِين.

إنَّ حُدُوث الاضْطِرَاب في العِرَاقِ أوَاخِر خِلافة يَزيدَ، إنَّمَا كان بِسَبَب اخْتِلافِ القَبَائِل واشْمِئْزازهَا مِن الخُلَفَاء الأمَويِّين، وقَتْلِ الإمَام الحُسَين وذلِكَ في سَنَة (61هـ ـ 680م)؛ والإغَارَةِ على المَدِيْنَة

(1) البلاذريّ، أنساب الأشَراف (طبعة بيت المقدس ص117) سعيد بن عثمَان الذِي كان معَاوية قد ولّاه خرَاسان، وفتح سمرقند، وكان عند سعيد غلمَانٌ من أبنَاء ملوك السّغد دُفعوا إليه رهَائن، فَأخذهم معه حِين عزله معَاوية لَمَّا خَاف من طلبه الخلافة، فلمَّا صَار بهم إلى المدينة جعل يَأخذ كسوتهم ومنَاطقهم فيدفعهَا إلى غلمَانه، وألبسهم جباب الصّوف وألزمهم السَّواني والعمل الصّعب، فدخلوا عليه في مجلسه ففتكوا به ثمّ قتلوا أنفسهم.

المُنوَّرة في سَنَة (63 هـ ـ 682م)، وحَرق الكَعبَة؛ وقد تَوسَّعَ ذَلِكَ بَعدَ مَوتِ يَزيدَ، وكان الإيرَانيُّونَ كثِيرِيْن في العِرَاق، لكِنَّهم لم يَنالُوا الرَّاحَة،[1] إذ كان كُلُّ شَخصٍ مُخَالفٍ للدَّولَة الأُمَويَّة يتلَقَّى العَوْن منهم، فكان أَكْثَر العِشْرِيْن ألفَاً مِن مُقاتِلي المُختَار بنِ أبي عُبَيْد الله الذِينَ غَلبُوا الجَيشَ الشَّامِيَّ جَيشَ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوَانَ، واسْتَولَوْا على العِرَاقَ في سَنَة (66هـ).. مِنَ الفُرْس، وقد ذَهَبَ عُمَيْرٌ ـ وهو أحَدُ أمَرَاء عبدِ الملكِ ـ للحَديثِ مع جَيشِ إبْرَاهِيم بنِ الأشْتَر، فَقَالَ لَهُ: «لقد اشْتَدَّ غَمِّي مُذ دَخَلتُ عَسْكرَكَ، وذَلِكَ أنِّي لم أسْمَع فيه كَلاماً عَرَبيَّاً، حَتَّى انتَهيْتُ إلَيْك، وإنَّما معك هَؤلاءِ الأعَاجِمُ، وقد جَاءكَ صَنَاديدُ أهْلِ الشَّام وأبطَالُهُم، وهم زُهَاءُ أرْبعِين ألفِ رجُلٍ، فكيف تَلقَاهُم بمَنْ مَعَك؟! فقَالَ إبْرَاهِيم: والله لو لم أجِدْ إلَّا النَّمْلَ لقَاتلتُهم بِه، فكيف ونَحْنُ قَومٌ أشَدُّ بصِيرَةً في قتالِ أهلِ الشَّام مِن هَؤلاءِ النَّاسِ الذين تَرَاهُم مَعي؟ وإنَّما هم أولادُ الأسَاوِرَة مِنْ أهل فَارسَ، والمَرَازبَة».[2]

وتَحوَّلتْ إيرَانُ في ذَلِكَ الوَقتِ إلى مَعْقلٍ لمُعَارِضِي الحُكُومَة الرَّسْمِيَّة، فكان سُكَّانهَا مُجاوِرينَ للعِرَاقِ، وقد عَانَوا كَثيراً مِنْ حَربِ

(1) كان البلاذريّ قد نقل هذه الفقرة في كتاب (أنساب الأشَراف ج5 ص223) من المدائنيّ، ويظهر جيّداً كيف أنّ الإيرَانيّين كانوا يتحَيَّنون الفرصة لقبول أقوال معَارضي الأمويّين ويعمدون إلى مساندتهم، و لذَلِكَ وعن هذا الطريق مَال الفرس إلى آل البيت ومساندة هذه الأسرة، وكان المختار على اطّلاع جيّدٍ بهذه العداوة، وقد أفَاد منهَا إلى حدٍّ كبيرٍ (الكتاب ذاته، ص246) وهو ظاهراً أوّل شخصٍ كان في جيشه رجالٌ من الموالي الذِين كانوا فئةً خَاصّةً، وكانت زعَامتهم أيضاً بيد أبي عمرة كيسان الذِي كان رئيس حرسه (المصدر ذاته ص253).

(2) الدّينوريّ الأخبار الطّوال، ص302، من برويز حتّى جنگيز، ص70، آل نوبخت، ص62.

ومُنَازَعَةِ هَؤلاءِ الثُّوَّار إزاء أعْمَالِ الحُكُومَة المُرهِقَةِ والمُؤذيَةِ،[1] وأُرسَلَتْ قَبائِلَ عَرَبِ البَاديَة مِن أجْل الحَرْبِ ضِدَّ جَيشِ الفُرْسِ في مَدينَتَيْ البَصْرة والكُوفَة التي كانت قد أُسِّسَتْ بِأمرِ الخَليْفَة الثَّانِي، وكانوا قَدْ اسْتقرُّوا في هَاتَينِ المَدِينَتَيْن؛ ولِأنّ هَؤلاءِ العَربَ لم يَكونُوا يَرغَبُون بتَفوُّق قُرَيشٍ، فقد اعْتَنَقَ قِسْمٌ منهم عَقائِد الخَوارِجِ بَعْدَ ظُهورِهَا، واتَّبَع قِسْمٌ آخَرُ زيَاداً، وكانوا قد هيَّؤوا أسْبابَ دَعْمِ الحُكومَة؛ لكن إلى الوَقتِ الذي كانَ فيه مُعَاويَة حَيَّاً، فَإنَّ قوَّتَه وتَدبِيرَه كانَا عَامِلَيْنِ مُهمَّيْنِ في الحدِّ مِنْ نُفُوذ هَذهِ الفِرْقَة، لكِنَّهم انتهَزُوا الفُرصَة بَعْدَ مَوتِه وأعْلَنُوا الثَّورَة، وقَدْ التَحَقَ قِسْمٌ مِنْ أهْل خُوزسْتَان وفَارسَ وكَرمَانَ، وصَارُوا مِنْ أتبَاع الخَوارج الذِينَ نَادَوْا بالمسَاوَاة مع المُسْلِمِين مِن أجْل التَّخلُّص مِن دَفْع الخَرَاج؛ فتَزَايَدَت بذَلِكَ أعْدادُ الخَوارِجِ في الأقَالِيم الإِيرَانيَّة البَعيدَة، حَتَّى القَرْنِ الثَّالثِ الهجْرِيِّ، حِين زَعَمَ يزيدُ بنُ أُنَيْسَةَ - وهو مِن أهل البَصْرةِ ومِن ثَمَّ جَاء إلى جوار فَارسَ - [2] أنَّ الله تعَالى سَيَبعثُ رسُولاً مِن العَجَم، ويُنزِلُ عليْه كِتاباً قدْ كُتِب في السَّمَاء، ويَنزِل عليه جمْلَةً واحِدَةً، وتُتْرَكُ شَريعَةُ المُصْطفى، ويكُونُ على مِلَّة الصَّابِئَة المَذكُورة في القُرْآن؛ وليْسَت هي الصَّابئَةَ الموجُودةَ في حَرَّان وواسِطٍ، ويتَولَّى هو كُلَّ مَن شَهد لمحمَّدٍ مِن أهْل الكِتَاب بِالنَّبوَّة وإنْ لم يَدْخُل في دينِه. وَقَالَ: إنَّ أصحَاب الحُدود مِن موافِقِيه وغيرَهُم مِنَ الكُفَارِ

(1) حمزة الأصفهانّي، تاريخ سنيّ ملوك الأرض، ص47.

(2) في الفَرق بين الفِرق: تون، وفي الإسفرَاييني، نسخة برلين، وفي نسخة باريس جور، وهذا الشّكل الأخير هو الصّحِيح، وجور بعدهَا عرفت بـ فيروز أباد، وقد كانت من مدن فَارس المعروفة، هَال كين A.S.H alkin الذِي ترجم قسماً من كتاب الفرق بين الفرق إلى الإنكليزيّة (103) ويحتمل أن يكون الصّحِيح خور، وخورتن من مدن الجبال.

مشْركُون. وقَدْ تَزايَدَت قُوَّة الخَوارج،[1] لاسِيَّما في سَنَةِ خَمْسٍ وستِّين هجْريَّةً، وكانُوا قد هَاجَروا مِن خُوزسْتَان إلى القُرْبِ مِن البصْرة، فصَار المُهلَّب بنُ أبي صُفْرَة المسْؤولَ عن مُقاتَلتِهم، فَأبعدهم عن خُوزسْتان، فتفرَّقُوا في كرمَان وأصْفهَان،[2] لكِنَّهم عَادُوا مَرَّةً أخْرى في سَنَةِ ثَمانٍ وستِّين إلى العِرَاق، وأصْبحُوا داخِلَ المُدُن، وجَاؤوا مِن هنَاكَ إلى إيرَانَ، واسْتَوْلَوا على الرِّيِّ، فَأشَاعُوا القتْل والدَّمَار، لأنَّ قِطْرِيَّ بنَ الفُجَاءَةِ كان لِبعْضٍ مِن الوقْت في سِيْستَان، فتوافَقَ مع أهْلهَا، وأصْبح زعيماً، وأرسَلَ أشخَاصاً إلى سِيْستَان في سنة (71هـ)، واتَّحَدَ النَّاسُ سَواءٌ العَامَّة أم الخَاصَّة منهم مع الخَوَارِج، وتَسَلَّطوا على سِيْستَان،[3] وكان الخَوارجُ والمنْضمُّون إليهم في حَالِ كَرٍّ وفَرٍّ حَتَّى سَنةِ سَبع وسَبعينَ عندمَا وَقَعَ اخْتلافٌ بينَهم، فَانْقسَموا إلى شَطْرين، واختَلفُوا، فَذَهَبَ القسْمُ الأصْغَر بزعَامَة قِطْرِيٍّ إلى طَبَرسْتَان، وكان زَعيمُ الشَّطرِ الأكْبَر عَبْدَ الرَّبِّ الكَبِيْرَ، وقَدْ تعقَّبَه المهلَّبُ وقَتَلَه مع جمْعٍ كبيرٍ مِن أتْباعِه وأسَرَ بعْضَهم، وكَذلِكَ قُتِلَ قِطْرِيٌّ في طَبرسْتان، بجَيْشٍ الشَّام الذِي حرَّكَه الحجَّاج.[4]

كان الحُكَّام والعُمَّال العَربُ في هَذا العَصْر يَختلِفُون اخْتِلافاً كبيراً عن سَائِر العَربِ وأهْل الأقَالِيم، إذ فَضَّلُوا العَربَ وميَّزُوهم، ولم يَفُوا بالعُهُود، ولم يَرْعَوْا حُقوقَ أهْل الدِّيَانَات الأخْرى، بل ازْدَاد

(1) مقَالاَت الإسلاميّين، ص103ـ 104؛ الملل والنِّحل، الشّهرستانّي، ص101 ـ 102؛ الفَرق بين الفِرق، البغداديّ، ص263.

(2) تاريخ الطّبريّ، القسم الثّاني، ص580ـ591.

(3) تاريخ سِيْستَان، ص109ـ110.

(4) حول الرِّوايَات المتعلِّقة بالحروب بين الخوارج وأهل خرَاسان والمهلّب يُرَاجع كتاب تاريخ سِيْستَان، ص85ـ 88.

التَّضْيِيق عليْهم والاحْتِقَار لهم، وعَمَدَ بَعْضٌ مِن الذِين اعتنَقوا الإسْلام إلى تَرْكِه طوعاً أو كَرهَاً، وذَلِكَ بسَبَب وجُود تفَاوتٍ كبِيرٍ بيْن المُسْلِمين العربِ والمُسْلِمين مِن أصولٍ أخْرى.

وقَدْ كان هذا إلى حدٍّ كبيرٍ سبَبَاً في عَدَمِ اسْتقرَار الأقَالِيم الإسْلامِيَّة بعْد مَوْتِ يزِيدَ لسِنينَ عدِيدةٍ، ولهذا فقد اضْطربَتْ الأوْضَاعُ في مركِزِ الخِلافَة وأصْبَحَتْ غيرَ مسْتقرَّةٍ، وعدَّ الإيرَانيُّون ذَلِكَ فَرَجاً، وتمَرَّدتْ العدِيدُ مِنَ المُدُنِ والنَّواحِي على العَربِ، وحَدَثَ الأمرُ ذاتُه في خُوزسْتَان، وفَارسَ، وكَرمَانَ وسِيسْتَانَ[1] التي كان فيهَا خَوَارِجُ، واضْطربَت خُرَاسَانُ كذَلِكَ؛[2] وأظْهَرَت الحَوادِثُ في هَذه المدِيَنة الأخِيْرَة أنَّ الاخْتلافَ بَيْن القبائِلِ العَربِيَّة كان بفِعْلِ الطَّمَع والتَّنَازع بَيْن زعماء القَبائِل،[3] إذ سَعَى كُلُّ واحدٍ مِنْهم إلى مَنَافِعِه الشَّخصِيَّة، والإفَادَة مِنَ السُّكَّان المَحَلِّيِّين، كما حَدَثَ مع (تكبيرِ بنِ وُشَامِي) في سَنةِ سَبْعٍ وسَبعيْن، وهو الذِي كانت أمُّهُ مِنْ أصُفهَان، حَيْثُ جبَى الخَرَاجَ مِن أهْل خُرَاسَانَ بتحْريضٍ مِن أعوَانِه، ثمَّ أجْبَرهُم على اعتِنَاقِ الإسْلام، وعَامَلَهُم بالغِلْظَة، فثَاروا ضِدَّ أمَيَّة بنِ عبدِ الله بنِ خَالدِ بنِ أُسَيْدٍ الَذي كانَ قُرَشِيَّاً.[4]

شجَّع تمرُّدُ العَرَبِ على حكَّامِهِم وخُرُوجُهُم على الخَليفةِ...

---

(1) يُنظر حول اضطرَاب العِرَاق وحوادث ابن الزّبير والخوارج وهروبه من الرّيِّ إلى أصفهَان (كتاب أنساب الأشرَاف وأخبارهم، تأليف أبو الحسن أحمد بن يحْيى بن جابر بن داود البلاذريّ البغداديّ)،الجزء الحَادي عشر، فتوح البلدان، ص413.

(2) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص413.

(3) م.ن ، ص 414 ـ 415؛ والطّبريّ، القسم الثّاني، ص531 ـ533.

(4) الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1023ـ 1025.

الإيرَانيِّين على التَّحَرُّر والتَّطَاوُل؛ إذ جعلوا منهم مِثالاً لذَلِكَ، وممَّا سَاعَدَ في ذَلِكَ أنَّ الحُكَّامِ الذين نُصِّبوا على الأقَالِيم الإيرَانيَّة لم يكونوا خَالينَ مِن الطَّمع والشَّرَاهَة نحْوَ رَعَايَاهم، فقد تعَامَلُوا مع النَّاس بغِلظَةٍ وقَسْوةٍ.

وكان أمَيَّةُ الذي ذُكِرَ آنفَاً متكبِّرَاً وطمَّاعَاً ومغروراً، وكان يقول: إنَّ عَائِدَات خُرَاسَان وسَجِسْتَان لا تكفِي لمصْرُوفَات مَطْبَخِي!. و لذَلِكَ فَقَدْ ضَيَّقَ على النَّاس في خَرَاجِهِم؛[1] وازداد في هذا الوَقْتِ ظُلْمُ واعتِداءُ العُمَّال العَرَب في إيرَانَ، حَيْثُ سيطر الحجَّاج على العِرَاق بالكامل، ومَنَحَه عبدُ المَلِكِ في عَام (78هـ) حكومَة خُرَاسَان وسَجِسْتَانَ.

عَامَل عبدُ الرَّحَمن بنُ الأشْعثِ أهل خُرَاسَانَ في سنة (81هـ) مُعَامَلةً حَسَنَةً، فرَغِب جميعُ أهْلِهَا في حُكْمِه، وثارُوا على الحجَّاج في السّنَة ذاتها بسببِ تضْيِيقِهِ علَيْهم ومَا قاسَوْهُ مِن ظُلمِهِ وإرَاقَتِه لِلْدِّمَاء بغير وجْهِ حَقٍّ. والملحُوظ أنَّ أتْبَاع عبدِ الرّحمَنِ كانُوا أهلَ علمٍ، ولذَلِكَ فَقَدْ تَلَقَّى المددَ منهم، وتعَاوَن أهلُ سِيْستَان[2] وفَارسَ مَعَه بِسَبَب ظُلم الحَجَّاج لابنِ الأشْعث. وكان قد حَدَثَ قبْلَ هَذا التَّمرُّدِ، أنَّ عمَّال الحَجَّاج على الخَرَاج كتَبُوا إليْه سببَ دخُول أهْلِ الذِّمَّة في الإسْلام وانتقَالِهِم مِنَ القُرى إلى المُدُن، فَأجابهم بِأنَّ كُلَّ شَخْصٍ في البصْرة، أو المُدُن الأخرى جاءَ مِنَ القُرى يجِبُ عليه الخَرَاج. فهرع النَّاسُ إلى خَارجِ المُدُن وهم يردِّدُون: وامُحمَّداه؛ ولا

(1) م.ن، القسم الثّاني، ص1028.

(2) تاريخ سِيْستَان، ص114ـ 118.

يَعرفُون إلى أيْن يذْهَبُون، وخَرَجَ معَهم قُرَّاء البصْرة وبَكَوْا لحَالِهم،[1] فشَجَّعتْ تِلكَ الأوضَاعُ ابنَ الأشْعث فثَار ضِدَّ الحَجَّاج، والتحَقَ النَّاس به.[2] وعنْدَمَا جاءَ ابنُ الأشْعَث إلى البصْرة، أسْرَعَ إليْه القُرَاءُ والشُّيُوخ، وبَايعُوه على حَرْبِ الحَجَّاج وَخَلْعِ عبْدِ المَلِكِ.[3]

ولمَّا صَار الوَلِيدُ بنُ عبْدِ المَلِكِ خليفةً في سَنَةِ (86هـ)، نَصَّبَ الحَجَّاجُ قُتيْبَةَ بنَ مُسْلمٍ البَاهليَّ على وِلايَة خُرَاسَان، ولم يَكُنْ أحَدٌ مِن العُمَّال العَرَبِ الذِينَ جَاؤوا قبْلَه لحُكْم هذا الإقليم بِقَدْرِ ظُلمِه، وغَدْرِهِ، ونَكْثِه للعَهْد مع النَّاس! ولم يَكُنْ له نظِيرٌ، إذ تَعدَّى على أصْحَاب الأديَان، وخَرَبَ المَعَابِد، وحَرَقَ آثَار الفِرَق، وأجْبَرَهُم على الدُّخُول في الإسْلام، ولم يَأتِ أحدٌ بعده يُشبهُهُ، وأسَرَ الكثِيرَ مِن رجَالِ الدِّين، وحِينما شَنَّ حمْلةً على مَدينة بُخَارى في سَنَة (87هـ) وتَصَالحَ مع أهْلهَا ثُمَّ نقضُوا العَهد، سيْطَر عَليهَا بِالقوَّةِ، واستَحْوَذ على الآنيَة وأصْنَام الذَّهَب والفضَّة[4]، وأمَرَ بالاستِحْوَاذ على المَاء. وفي سَنَة (90هـ) تحَالفَ مَلِكُ الطَّالقَان مع نَيْزَكَ طَرخَانَ ضِدَّه، فحَضَر قتيبَةُ بنفسِه، وأشَاع القتْلَ في هَذه المَدينَة، وصَلَبَ القَتْلى على طُول أربعةِ فرَاسخ متوازين،[5] ومِن أنموذجات أعمَال قتيبةَ الأخْرى الغدرُ بـ نيزك بعد أنْ مَنَحَه الأمَان، فقَتَله مع سبعِمئة نَفرٍ

(1) أجبر الحجَّاج المُسْلِمِين الجدد على إعطاء جزية غير المُسْلِمين (الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1306).

(2) الجزء الحَادي عشر، أنساب الأشَراف، ص336ـ 337.

(3) المصدر ذاته، ص342.

(4) الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1188.

(5) المصدر ذاته، ص1207.

مِن أعوانِه.[1]

وقَدْ أمَرَ الحَجَّاج قتيْبَة بمُحَاربَة أهل (كشَّ) ونهرِ(نَخْشَبَ) وأنْ يسحَق (كشَّ) ويُسيطِر على (نَخْشَبَ).[2] وفي سَنَة (93هـ) فتَحَ سمَرقَنْد، وتصَالَحَ مع أهْلهَا،[3] ولم يعمل ببُنُود الصُّلْح، لِذَلِكَ فَإنَّه حِين دَخَلَ المدينَة غَدَرَ بهم، وخَرَبَ بيُوتَ النِّيرَان، واسْتَولى على حِلْيَة الأصْنَام، وجَمَعَهَا وأضْرَمَ النَّار فيهَا، فسمَّاه الفُرْسُ (الملعون) لأنَّه غدَرَ بأهْل خَوارِزمَ وسَمَرقَنْدْ.[4] ويبدُو ـ مِنْ حَيْثُ ـ الظّاهرُ أنَّ خيَانة قتيْبَة وغدرَه بمُلوك وعُظمَاء خُرَاسَانَ، كانَا بدَعْوَةٍ وتحْريضٍ مِن الحَجَّاج.[5]

وبَسَطَ العَربُ في زَمَان قتيبَة نفُوذَهم على مَا وَرَاء النَّهر فَأُمِّنَتْ الطُّرُقُ، واستَقرَّ المُهَاجرُونَ العربُ في بلادِ مَا وَرَاء النَّهر، ودَخَلَ الفُرْسُ في أعمَال الخِدمَة، حَيْثُ إنَّ جُزءاً مِن نَجاحَاتِ قُتيبَة مرهُونةٌ بأعمَالِهِم ومُسَاعدَتِهم، إذ شَكَّلوا قِسماً مِن الجَيشِ الإيرَانيِّ، وكانَ عددُهم سبعَة آلافٍ، وترَأسهُم حَيَّانُ الإيرَانيُّ.[6]

---

(1) المصدر ذاته، ص1218ـ 1225.

(2) المصدر ذاته، ص1229.

(3) فتَح سمرقند في البدء سعيدُ بن عثمَان. البلاذريّ، ص411.

(4) الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1246؛ البلاذريّ، ص421ـ 422.

(5) م.ن، القسم الثّاني، ص1300.

(6) حَيان المعروف بـ نبطيّ (لأنّ في لغته لكنةً. الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1291، ابن اسفنديَار ترجمة برَاون، ص107) وكان من موالي الدّيلم بن مصقلة بن هبيرة، وذكر ابن اسفنديَار أنّ كنيته أبو يعمر (يُلحظ المصدر السّابق، وكذلك الطّبريّ القسم الثّاني، ص1291و ص1330) والبلاذريّ (فتوح، ص337). عَادى أبو يعمر حَيان العربَ، وقَالَ لأصحَابه: إنّ العرب لا يقاتلون من أجل الدّين وإنّما يقاتلون من أجل

وعلى الرَّغْم مِن ازديَادِ مَبَالِغ الخَرَاج وأمْوَال الصُّلح في الأقَالِيم الإيرَانيَّة، إلّا أنّ الحَجَّاج كان يعزل عمّاله بشكلٍ دائم بحجَّة قلَّة أموَال الخَرَاج والصُّلْح؛[1] وَكذَلِكَ تمكَّنَ ولاة هَذه الأقَالِيم مِن أنْ يجمَعوا الأموالَ لأنفسِهم، وإذا كانَ هذا الأمْرَ قد بَدأ مع بدايَة العصر الثَّاني فقد أصْبَح فيمَا بعد عَادةً، وتكرَّر مع أكثَر من والٍ، إذ يصبحُون مِن أصحَاب الثَّروَة الفَاحشَةِ، ثمَّ يَأتي الوَالي الَّلاحق أو الخليفة، فينتزعهَا منهم تحتَ وطأةِ التَّعذيبِ.[2] وكان مِن ضِمن الأموال التي حَصَلَ عليْها عُبَيْدُ الله بنُ زيَادٍ سَنةَ (54هـ) في خُرَاسَان ومَا ورَاء النَّهرِ لنفسِه أربعة آلَافِ عبدٍ، ومن ذَلِكَ مَا اسْتحوَذ عليه سَعيدُ بنُ عثمَانَ سَنةَ (56هـ) خِلالَ بضْعةِ أشْهُرٍ مِنْ ولايتِه، ويظهَر هَذا مِن خلال عمَلِ أوَّلِ عَاملٍ في ذَلِكَ العصْرِ! فقد اسْتولى محمَّد بنُ القاسِم عَامِلُ الحجَّاج بنِ يوسفَ في المولتانِ مِن معبدٍ على أربعينَ بهَار ذَهَبٍ،[3] وغَزا قتيبةُ بنُ مُسْلم فَرغَانَةَ وخَوَارزْمَ وأسَرَ مئة ألفِ رجلٍ وامرَأةٍ لم يكنْ بينهنَّ عجوزٌ.[4]

أمَّنَ قُتيبةُ أهْلَ بيكندَ، وأُمِّرَ علَيهم الوَرقَاءَ بنَ النَّصر البَاهليَّ، وكان داخلَ بيكندَ رجُلٌ لهُ بنتَان جميلتَان، أخرَجهمَا ورقاءُ بنُ نَصرٍ، فقَالَ الرَّجلُ مُكْنِياً: «بيكندُ مدينةٌ كبيرةٌ. فلم يُجبهُ ورقَاءُ، فَوَثَبَ

أنفسهم، (الطّبريّ، ص129، ص1412) ونقل الطّبريّ في حوادث سنة 102 (1430ـ32) أنّ سعيداً قد سمّ خذينة، ولكن جاء في فقرة أخرى أنّه كان في سنة مئةٍ وتسعٍ حَيّاً، أي في حكومة أشرس (الطّبريّ ص1505).

(1) تاريخ سِيْستَان، ص120.

(2) أيضاً ص121.

(3) ابن خرداذبة مسالك الممَالك، النَّص ص56 ترجمة ص38.

(4) المقدسّي، كتاب البدء، ج 6، ص 37؛ ترجمة ص39. ويُقَال: إنّ هذا العدد مبالغٌ فيه لكنّه قد يشير إلى الحقيقة.

الرَّجلُ وطَعَنَ ورقاءَ بسِكِّينٍ في سُرَّته ولكِنَّهَا لم تكن قاضِيَةً ولم يُقتلْ فلمَّا بلغ قتيبةَ الخَبرُ، عَادَ وقَتَل مَن كان في بيكندَ مِن أهل الحَرب جميعاً واسْترَقَّ مَن بقي منْهم، بحَيْثُ لم يبقَ في بيكند أحَدٌ، وخُرِّبَتْ،... ولَمَّا فَتحَ قتيبَةُ بيكندَ، وجَدَ في معبَدِ الأصْنَام صَنَماً مِن الفضَّة يَزِنُ أربعَة آلاف درْهَمٍ، ووجَدَ أوانيَ فضِّيَّةً فَاسْتولَى علَيهَا، وعَادَ ومَعَه مئَةٌ وخمسَون ألفَ مثقَالٍ...».[1]

وأوْرَدَ محمَّدٌ بنُ جعفرٍ مؤلِّف تاريخ بُخَارى: «كان أهلُ بُخَارى في كُلِّ مَرَّة يُسْلمُون ثمّ يعودُون فيرتدُّون ويكْفُرُون،[2] وقد حَارَب قتيبةُ هَذِه المَرَّة الرَّابعة واسْتوْلَى على المدِينةِ، وأظْهَرَ الإسْلامَ بعْدَ عنَاءٍ كبيرٍ وغَرَسَه في قُلوبِهم، وشدَّد عليهِم بِالطُّرُقِ كافَّةً، فكانوا يَقبَلون الإسْلامَ في الظَّاهِر ويعبُدُون الأصْنَام في البَاطِن؛ فرَأى قتيبَةُ مِن الصَّوابِ أنْ يَأمر أهْلَ بُخَارى بأن يعطُوا نِصْفَ بيوتِهِم للعَربَ، ليقِيمُوا معَهُم ويَطَّلعُوا على أحوَالهم، فيظلُّوا مُسْلِمِين بالضَّرُورة، فَأظهَرَ الإسْلام بِهذِهِ الطَّريقَة، وألْزَمَهُم بأحكام الشَّريعَة، وبنى المسْجِدَ، وأزَال آثارَ الكُفْرِ وَرَسْمَ المَجُوسِيَّة، وكان يبذل في ذَلِكَ جَهداً عظيماً، ويعَاقِب كلَّ مَنْ قصَّر في أحكام الشَّريعَة، وبَنَى المسْجِدَ الجامِعَ داخِلَ حِصْنِ بُخَارى وذلِكَ في سَنةِ أربع وتسعِينَ وأمَر النَّاس بأدَاء صَلاة الجُمُعة.[3] وقد كان ذَلِكَ المَوضعُ بيْتَ أصْنَام «فَأمر أهلَ بُخَارى بأن يجتمِعُوا هنَاك كُلَّ يوم جُمُعةٍ وقَالَ لهم: إنّ كُلَّ من يَأتي

(1) تاريخ بخَارى، النّرشخيّ، ص43.

(2) فتَح بُخَارى أوّلًا سعيد بن عثمان بن عفَان و دخل هذه المدينة. البلاذريّ، ص411.

(3) وقرَأ مسيحِيّو إيرَان كذلك في العهد السَّاسَانِي الصّلاة بالفَارسيّة (القاموس الإسلاميّ، بارتولد، ص7).

إلى صَلاة الجُمُعة أعطِيهِ دِرهَمَين. وكان أهْل بُخَارى في أوَّل الإسْلام يقْرَؤُون اَلقرْآن في الصَّلاة بالفَارسيَّة، ولم يكُونُوا يستطِيعُون تَعلُّمَ العربِيَّة... وكانَ الفُقرَاءُ يَرغَبُونَ في الحُصُول على هَذينِ الدِّرهَمَين، ولَكِنَّ الأغْنيَاء في قُصُورِهم لم يكُونُوا رَاغبينَ؛ وفِي يوم جُمُعةٍ ذَهَبَ المُسْلمونَ إلى أبْوابِ تِلكَ القُصُور، وَدَعَوْهُم إلى صَلاةِ الجُمُعَة وألَحُّوا علَيْهم، فكَانُوا (أي الأغنيَاءُ) يضْربُونَهم بالحِجَارَة مِنْ أَسْطُح القُصور، ودَارَت الحرْبُ، وتَغلَّب المُسْلمُون، واقتَلعوا أبْوابِ قصُورِهِم و جاؤوا بهَا، إلى قتَيْبَة، وكان كلُّ شَخصٍ منْهم قد نقَشَ على باب قصْره صُورَة صَنَمِه، فلمَّا اتَّسَعَ المسْجدُ الجامِعُ استَخدَمُوا تِلْكَ الأبْوابَ فيْه، وكشَطُوا وجوه بَقيَّتِهَا وأقَامُوهَا».[1]

ومع هَذا الذي لحِظنَاهُ، فَإِنَّه يجبُ عَدَمُ فَهْم أنَّ ابنَ قتَيْبَةٍ وأَعوانَه كانُوا يميلُون إلى إدْخَال السُّكَّان المحَلِّيِّين إلى الإسْلام بالإكْراه، وإنَّمَا هَدَفُه كانَ على العَكْسِ مِنْ ذَلِكَ. ولم يتَمَكَّن أحَدٌ حَتَّى زمَانِ قتيْبَةَ[2] مِن الذَّهَابِ إلى خُرَاسَانَ عن طَريقِ جرجانَ، وكان الذَّهَابُ عن طَريقِ فَارسَ وكَرمَان، وقَدْ فَتَحَ يزيدُ أوَّلاً دهسْتانَ، وغنم كثيرَاً مِن الكنُوزِ والأسَرَى، بعدَمَا قتَلَ العَديْدَ، ثمَّ دَخَلَ طبرستانَ، واقتَرَح الصُّلح على الأصْبَهْبَذ فرحَانَ فرضِيَ، وَدَفَعَ كلَّ مَا أرَاده، لكنَّ يزيدَ لم يقْبَل. وبعد الاضْطرَابات المُتَعدِّدة لأهل جرجان، خَافَ يزيدُ أنْ يضَيِّقوا عليْه ويقْطَعُوا الطُّرق، فتصَالَحَ مع أصْبَهبَذ أصْفهَانَ على سبعِمِئِة ألفِ درْهَمٍ وأمتِعةٍ كثِيرةٍ، وكانت المَنطِقَة قبْل ذَلِكَ قد

(1) تاريخ بخَارى، ص 46ـ 47، ويلحظ البلاذريّ، ص420.

(2) كان لقتيبة علاقةٌ وطيدةٌ مع أصبهبذ طبرستان (تاريخ طبرستان)، ابن اسفنديَار، ص105 من ترجمة برَاون.

صَالَحَت على مِئتَي ألفِ درْهمٍ.[1]

ثمَّ ثارَ بعدَ ذَلِكَ أهلُ جُرجَان على عَامِلِ يزيدٍ فقَتَلوه غِيْلَةً، مع أرْبَعةِ آلافِ شخْصٍ تعاهَدوا مَعَه، فَأقسم يزيدُ على أنَّه إذا مَا ظَفِر بجُرجَانَ أنْ يقتُل بمِقْدَار العَدَد مِن أهْل تِلْكَ المدِينَة، ويفتحَ بِدَمِهِم طَريقاً إلى المِطْحَنَةِ، ويُحضِّر الخُبزَ فيهَا بدَمِهِم، ويَأكُلَه!. وبعْدَ سبْعَةِ أشْهرٍ مِنْ محاصَرة الثَّائِرينَ، تغلَّبَ عليْهِم، وأشَاعَ القَتْلَ بيْنَهم وفَاءً لِعَهْدِهِ،[2] وغَنِم مِنْ تلك الحرْبِ عشْرينَ مليونَاً وقِيْلَ: ثلاثين مليونَ درهم،[3] وأصْبَح عُمَر بنُ عبدِ العزِيزِ في سَنَة (99هـ) خَليفةً، وبَقِيَ في الخِلافَة حَتَّى رَجَبٍ مِنْ سَنَة (101هـ)، وعلى الرَّغْم مِن أَنَّهُ لم يمْتَلِكْ سيَاسَةً سَديدَةً في المُلْكِ لكنَّه عُرِفَ بالتَّقوى والوَرَع والتِزَام أحْكَام الشَّريْعَة، وعَرَفَت المُدُن الإيرَانيَّة التي كانت تَحْتَ السِّيَادةِ العَربيَّة الهُدوء والعَدْلَ في هَذِهِ المُدَّةِ القَصيْرة، إذ إنَّهُ لَمَّا عِلِم عمَرُ أنَّ بضْعَةَ آلافٍ مِنْ أهْل الذِّمَّةِ في خُرَاسَانَ قد دَخَلُوا في الإسْلام؛ لكِنَّهم ظلُّوا مُجبَرِيْن على دَفْعِ الجِزْيَة، كَتَبَ إلى عَامِله الجَرَّاح بنِ عبدِ الله الحِكَميِّ: ارْفَع الجِزْيَة عَنْ كلِّ مَن يصَلِّي. فَفَعَلَ الجَرَّاح ذَلِكَ،

(1) الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1320ـ 133، تاريخ طبرستان، ابن اسفنديَار (ترجمة براون، ص 105ـ 108)، وهذا مخَالفٌ بشكلٍ كاملٍ لرواية الطّبريّ.

(2) وُجدت مَماثَلةٌ لهذا العمل حتّى قبل عبد الله بن عَامرٍ بن كريز في اصطخر بعد ثورة أهلهَا (فَارس نَامه ـ بالفَارسيّة)، ابن البلخيّ، ص116.

(3) الطّبريّ، ص30 ـ 334، ويُقَال: إنّ هذا المبلغ ليس بصحِيح، فمن أجل تعظيم عمل يزيد والاطمئنَان الى أنّ سليمان بن عبد الملك سوف لا يقبل الملك منه، كتب إلى الخليفة، وكذلك عندمَا رَأى كاتب يزيد أنّ عَاقبة الكذب هو السّوء وذكر له أسباب مشقته من أجل يزيد في زمَان عمر بن عبد العزيز.

فَاعتَنَقَ النَّاس الإسْلام، أمَّا الأفرَادُ الذين كَانُوا يسْتفِيدُون مِنْ جِبَايَة الجِزْيَة، فَقَدْ قَالوا للجَرَّاح: إنَّ النَّاسَ اعتنَقُوا الإسْلامَ مِنْ أجْلِ عَدَم دَفْعِ الجِزْيَة، فيَجِبُ أن تنْظُر هَل إنَّهم مختُونُون أم لا، فكتب الجرَّاح إلى عمر بهذا الرَّأي، فَأجَابَه: إنَّ الله أرسَل محَمَّداً داعِيَاً ولم يبْعَثْه خَاتِنَاً. ثمَّ عَزَلَ الجرَّاح؛ وكان الجَرَّاح العَاملَ الوحِيدَ الذِي لم تكن بعهدته أموالٌ وثروةٌ، لكنَّه تعصَّب في خُرَاسَان وقال: إنَّ رجُلاً واحِداً مِن أهلي وقومي أفضَلُ مِن مِئَة رجُلٍ سِواه! وكان قد كَتَبَ إلى عمَر: إنَّ أهْل خُرَاسَانَ سوْفَ لا يعْرفُون معْنىً للخُضُوع بغَيْر السَّيفِ والسَّوْط.[1] لكنَّ عمَرَ لم يَقْبَل كَلامَه، وأوصَاه بالعدْل فيهم والإحسانِ إليهم، ثمَّ بَعَثَ عبدَ الرَّحمن بنَ نُعَيْم إلى ولايَة خُرَاسَانَ خلفَاً للجرَّاح وكَتَبَ إليه: لا تهْدم كنِيسَةً ولاً بِيعَةً، ولا بيتَ نَارٍ تصالِحُهُم عليه، ولا تُحدِثَنَّ كنِيَسةً ولا بيْتَ نَارٍ.[2]

وكان مِن المُحتَمَل جِدَّاً بعْد موتِ عمَرَ سَعْيُ عمَّالِ خُرَاسَانَ إلى عَدَم العَمَل بقرَارَاته السَّابقَة في زيَادَة الخرَاج، ولم تكُن إجرَاءاتُ عمرَ عمليَّةً وذَلِكَ لقِصَر مُدَّة خِلافته، ومقاوَمَةِ عمَّالِه، لكنَّه نبَّه وشَخَّصَ العوامِلَ المؤدِّيَة إلى عَدَم تطَوُّر الإسْلام المتَمثِّلَة بمبدأ عَدَم المسَاواةِ بيْن المُسْلِمِين والعَرَبِ وغيرِهم، وكانَت الأسْرة الأمَويَّة بحَاجَةٍ إلى الإصْلاح، إلَّا أنَّه لم يَعرف جيِّداً الطَّريق إليه. وعلى الرَّغْم مِن هَذا فَإنَّ مُدَّة خِلافَتِه القصِيرة خَلَّفتْ نتائجَ مهمَّةً بعد موتِه، وقَدْ شَكَّل ظَاهِرةً فَرِيْدةً، فقد نَبَّهت أعمالُه الحسَنَة التي توافق تعَالِيم الإسْلام معظَمَ النَّاس إلى عُيُوب وتجَاوزَات الخُلفَاء السَّابِقِين له، وأظْهَر

(1) الطَّبريّ، القسم الثّاني، ص1355.

(2) يُرَاجع تتمّة سيرته في الطَّبريّ، القسم الثّاني، ص (1371 ـ 1372)

مقاوَمَةً للأعمَالِ غير المَحْمُودة للأجْيَال، كمَا سَاهم بقُوَّةٍ في عَمَلِه مع العَلوِيِّين في إعَادَة تفكِيرِهم للوُصُول إلى الخِلافَة؛ وعَدَّ بَعْضٌ مِن المؤرِّخين أنَّ شُروع الدَّعْوَة العبَّاسِيَّة كان في السَّنةِ الثَّانيَة مِن حُكْمِه، وقد ورَدَ في إحْدَى فِقرَات كتاب الإمَامَة والسّيَاسَة المنسُوبِ لأبي محمَّدٍ عبدِ الله بنِ مُسْلم بن قتيبَةَ المُتَوَفَّى في سَنةِ (270هـ): وقد جَاءَ عن عُمَرَ بنِ عَبدِ العَزيز أنَّه مِن غير المُفْتَرَض انتخَابُ خَليفةٍ مِن بنِي أمَيَّةَ، بل إنَّه رَغِبَ في أن يكُون انتِخَابُ الخَليفَة مِن أفضَلِ النَّاسِ مع وجُود طُلَّاب لهَا مِن الأمَويِّين، وآلِ عبدِ منَافٍ، من آلِ هَاشم، ومِن آلِ تيم وعَديٍّ؛ ويظهَر هَذا في أنَّهُ لم يضَيِّق على العَلويِّين، ورَفَعَ اللَّعْن عنْهم، ومَنَحَهُم الفرصَة للدَّعوَة إلى أنْفُسِهم، ولِذَلِكَ فقَدْ قَالَ فيه كثيرٌ مِن النَّاس: إنَّه المهديُّ.[1]

أرْسَل هشَامُ بنُ عبدِ المَلِك (105ـ 125) في سَنَةِ مئةٍ وتسعٍ أشْرَسَ بنَ عبدِ الله السُّلميَّ إلى خُرَاسَان، وتواصَل مَعَه في الأمور الصَّغيرة والكَبِيرةَ، فهلَّل النَّاس وفَرِحُوا عندمَا دَخَل خُرَاسَان. وفي سَنةِ مئةٍ وعشْرٍ، دعَا أهْلَ الذِّمَّة في سَمرقَند ومَا ورَاء النَّهرِ إلى الإسْلام مُقابل رفْع الجِزْيَة عنهم، وقام بذلِكَ أبُو الصَّيدَاء مع المُتَرجِم الفَارسيِّ وبعْضٍ مِن الأشْخَاصِ الآخَرينَ، فذَهَبَ إلى سَمَرقند، ودَعَا أهْلَ المدِينَة وأطرَافَهَا إلى الإسْلام مقابِل الشُّرطِ المذْكُور، فدَخَل جمْعٌ غفِيرٌ في الإسْلام.

كان (غُورَك أخشيد) والدَّهَاقِنَة يمِيلونَ إلى المُحَافَظَة على أصُولِهِم الشَّريْفة، فَقَدْ لحِظُوا أنَّ الذين دَخَلُوا في الإسلام أصبَحُوا يمثِّلونَ خطرَاً عليهم، فكَتَبُوا إلى أشْرَسَ بقبُولِ نقْصِ الجِزْيَة، وأنَّ

(1) ص91 (طبع مصر)11331.

النَّاس قَدْ أظْهَروا الإسْلامَ مِن أجْلِ رَفَاه العَيْشِ وعَدَم دَفْع الجِزْيَة. فكَتَبَ أشْرسَ بهَذا إلى عَامِلِه الذي كان في سمَرقَندَ، وأمَرَه بجِبَايَة الجِزْيَة مِن الأشْخَاصِ الذِين اعتَنقُوا الإسْلامَ وأقَامُوا الفَرَائضَ وقرَؤوا سورةً مِن القرْآن فقط؛ فجَبَى العَاملُ أبو الصَّيداءِ الجِزْيَة من المُسْلِمِين حَدِيثي الإسْلام، وَكَتَبَ إلى أشْرسَ: إنَّ النَّاس قد أسْلمُوا وبَنَوْا المسَاجِد، فلا يَصِحُّ أخْذُ الجِزْيَة منْهُم. وعلى أثَر إصْرَار الدَّهَاقنَة المكْرُور، كَتَبَ أشْرسُ إلى عُمَّاله: اجْبُوا الخَرَاج مِمَّن كنتُم تأخذونَه منْه. فَأعَادوا الجِزْيَة على مَن أسْلم، فَامتَنَع أهْل السَّغدِ عن الدَّفْع، وثَاروا، فدَعَاهم أبو الصَّيدَاء وأعوانُه إلى الإسْلام، ولم يَقبلْ إجْرَاءَ أشْرَسَ المتَعلِّقَ بالمُقاوِمين، وتَشَدَّد العُمَّال في جِبَايَة الجِزْيَة، وضَيَّقوا على الإيرَانيِّين وأهَانُوهم، وطَلَبُوا الجِزْيَة مِن المُسْلِمِين الضُّعفَاء، فحَدَثَ تمرُّدٌ عَامٌّ، وثَارَ أهْل إقليم سَغدٍ، وَتَلَقَّوْا العَوْن مِن التُّرْكِ، فجَاؤوا إلى السَّغد، وكان مَعَهُم كِسْرَى بنُ فيروزَ بنِ يَزْدُگرْدَ، ولم يَبْقَ في سَنة (110هـ) بِيَدِ العَربِ غيرُ سَمرقَنْد والدَّبُّوسيَّة فقَط. وسَيْطَرَ العَربَ ثانيَةً على بُخَارَى في سَنَة (111هـ)، وعُزلَ أشْرَسُ عن حُكُومَة خُرَاسَانَ، وحَلَّ مَكَانَه جُنيدٌ بنُ عبدِ الرَّحمَن المَدنيُّ، واشْتبَكَ العَربُ في سَنَة (112هـ) اشْتباكاً شدِيدَاً مَعَ خَاقانِ التُّرْك، والتَحقَ أخشيد السَّغدِ وفريقٌ مِن جيشِ الوَالي العَربيِّ بخَاقَان أيضاً، ونجَى الوالي مع أتبَاعِه بصُعوبَةٍ باسْتثْنَاء مَن كانَ في مَدينتيْ سمَرقَنْد وبُخَارَى، وظَلَّتْ معظَمُ بلاد السَّغدِ بيَدِ الأترَاك،[1] وعَادَت الأمُورُ بعْد سَنَةٍ إلى طَبِيعتِهَا.

(1) الطَّبريّ، القسم الثّاني، ص1527 ـ 1553 و1591؛ تركستان بارتولد، ص189 ـ 190؛ فتوحَات العرب في آسيَا الوسطى ص75 ـ 76.

خَرَجَ الحَارثُ بنُ سرْيجٍ في سَنةِ (115هـ) وكانَ مِنَ المُرجِئة،[1] ودَعَا إلى كتَابِ الله وسُنَّة النَّبيِّ، ووَعَدَ بأن يحترَمَ أهْلَ الذِّمَّة عندمَا يظفَر، وألّا يَأخذ الجِزْيَة مِنَ المُسْلمين. وقدْ سَاهَمَ هَذا في شُيُوع الصُّلح والهُدُوء فيمَا ورَاء النَّهْر، وغلَبَةِ النُّفُوذ العَرَبيِّ، ومَحَبَّةِ الطَّبقَة الدُّنْيَا للحَارثِ مقارنَةً بـ (نصْر) وضَعُفَت قدْرَة المُلَّاكِ المحَلِّيِّين، ولم يرضَ الزُّعَمَاءُ بذَلِكَ، وظَلُّوا متوجِّسِين وخَائفِينَ على نُفُوذِهِم في المسْتقبَل، فهُم لا يَزالُون يحَافِظُون على نُفوذِهِم على الطَّبَقَاتِ الدُّنيَا وعِنْدَهُم الأمَلُ في بَقائِه.

سَيْطَر الحَارثُ على قسْمٍ كبيرٍ مِنْ خُرَاسَانَ، ولم يَعُد لعَاصِم بنِ عبدِ الله الذِي كان واليَ خُرَاسَانَ نفُوذٌ على خُرَاسَانَ الشَّرقيَّةِ،[2] وعَزَلَ الخليفةُ في سَنَة (117هـ) عَاصِماً، وولَّى مَرَّةً أخرى أسدَ بنَ عبدِ الله على خُرَاسَانَ، واقتَتَل مع الحَارثِ وأصحَابِه، وقد أخَذَ تمرُّد الحَارثِ ضِدَّ الأمَويِّين في تِلْكَ الأثنَاء صِبغةً سيَاسيَّةً، وكان أتباعُه مِن الذين يثُورُون على الأمَويِّين، ويقَاومُون ظُلمهَم وجَورَهم،[3] وقَدْ ظفِرَ أسَدُ بالحَارثِ فَتوجَّه إلى تخَارستَان، والتحَقَ بخَاقَان التّرْكِ، وسَعى أسَدُ إلى دفْعِه؛ وبعْد طولِ نزَاعٍ تَغلّب أسدُ أخيرَاً، وذَهَبَ الأتْرَاكُ إلى (أشروسنة)، ولم يَمضِ وقْتٌ طَويلٌ حتَّى قُتِلَ خَاقانُ بيَدِ (كُورصُول) مَلِكِ تُركُش، وبقِيَ الحَارثُ حَيَّاً حَتَّى سَنَة (128هـ)، وتنَازَعَ مع الوُلاة، وقد فتَح عملُه الطَّريقَ لتَقَدُّم أبي مُسْلمٍ ومُعَارِضِي الأمَويِّين، لكنَّ أسَداً تُوُفِّيَ في سَنَة (120هـ) وحَلَّ مكانَهُ

(1) م.ن القسم الثّاني،1575.

(2) م.نت، القسم الثّاني، ص1591 ، و ص1569؛ تركستان، بارتولد ص190.

(3) الطّبريّ،1582، كب، ص77.

نصْرُ. ويُذكَر أنَّ أَسَداً كان محبُوباً مِن قِبَلِ الدَّهَاقِنَة «وَحَكَوْا أنَّه كان رَجُلاً صَالحَاً كريمَاً، وكان يتطَلَّع إلى موَاسَاة الأسُر الكبيرةِ القَديمةِ، ويُحْسِنُ رعَايَة الأصَلاء، سَواءٌ مِن العَربِ أم مِن العَجَم».[1] ولَمَّا فرَّ (سامَانُ خداة) جدُّهُم، أيّ جدُّ آلِ سامَانَ مِن بلْخ وجَاءَ أسَدُ إلى مَروَ، أكْرَمَه وحَمَاه وقَهَر أعدَاءَه، وأعَاد إليه بَلْخَ، وآمَنَ سَامَانُ خداه على يَديْه؛[2] وكانت نظرتُه في ذَلِكَ انتخَابَ مدِينَةٍ قدِيمَةٍ مَكانَاً للحُكْم، وكَان مقَامُ والِي خُرَاسَانَ بالنِّسْبَة إليْه مصْدرَ تشْجِيعٍ لأهْل تخَارسْتان، لاسِيَّما أنَّ مهمَّة الإشْرَاف على البِنَاء أُوكِلَت إلى برمَكَ رئيسِ رجَال ديْنِ المعبدِ القدِيم، وقَدْ كان لأسَدٍ غَرَضٌ آخَر، إذ كان ذَلِكَ المقَام قريباً مِن مركزِ الاضْطرَاباتِ في خُرَاسَانَ الشَّرقيَّة،[3] فَاتَّبعَه الكثيرُ مَن المُسْلِمِين الجُدُد وأهْلِ الذِّمَّة، وكان أكثَرُ أصْحَابِه مِن الإيرَانيِّين.

سَيطَرَ الحَارثُ على قِسْم كبِيرٍ مِن خُرَاسَانَ، ولم يَعُدْ للعَاصِم بنِ عبدِ الله الذِي كان واليَ خُرَاسَانَ نفُوذٌ على خُرَاسَان الشَّرقِيَّة، وشَعرَ نَصْرُ سَيَّار بَأنَّهُ مَازَالَ قُربَ أسَدِ بنِ عبدِ الله، فيَجبُ لذَلِكَ التَّوافقُ مع السُّكَّانَ المَحلِّيِّين، وكان هوَ أوَّلَ والٍ عَربيٍّ على مَا ورَاءَ النَّهر، وعَرَفَ أنَّ الحُكومَة بحَاجَةٍ إلى مُسَانَدةِ الطَّبَقَةِ الثّالثَةِ وطَبَقَةِ الأشرَافِ، وكانت أهمِّيَّة هَاتينِ الطَّبَقتينِ فيمَا ورَاء النَّهْرِ مُتأتِّيَةً مِنْ سَابِقتِهَا التي تمْتدُّ لِقرُونٍ، وهي أقدمُ مِنَ المَنَاطِق الأخرى.[4]

(1) الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1583؛ تاريخ بخَارى، ص57.

(2) تاريخ بخَارى، ص57.

(3) كب، ص80 ـ 81، الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1490، ص1591، وكذلك فلهَاوزن، الدّولة العربيّة وسقوطهَا، ص456.

(4) كب، ص92.

وعمُرَت خُرَاسَانُ في زمَنِ نَصرٍ، فقَد أصلَحَ النِّظَامَ المَاليَّ وطُرق وصُولِه، ويَتَّضِحُ مِن خُطبَتِه إلى مَروَان بَعْدَ عَودَتِه مِنْ حَربِ مَا ورَاء النَّهرِ، أنَّ الكثِيرَ منَ الإيرَانيِّين، كانوا على الدِّينِ القَدِيم، ولا يَدفعُون الجِزْيَة، وَحُمِّلَتْ مبَالغُ جزيَتِهم على المُسْلِمِين تَحتَ عُنوَان الخَرَاجِ. ويُقَالُ: إنَّ هَذا العمَل صَار في حُكومَةِ مُسلم بنِ سعيدٍ في سَنَة (105هـ) الذي كان واليه بهرَامَ سِيس، وكان هَذا مُدَافِعاً عن الزَّرَدَشْتيِّين، فعفَاهُم مِنَ الجِزْيَة، وجَبَى مَبَالِغَهُم مِن المُسْلِمِين على هيئَة خَرَاجٍ، وأصْلحَ نَصرٌ ذَلِكَ مِن خِلالِ حِمَايَةِ هؤلاءِ مِن المُسْلِمِينَ العَربِ، فقَسَمَ خَرَاجَ ثَلاثَةِ آلافِ مُسْلِمٍ على خِلافِ القاعِدَةِ، حَيْثُ قَسَمَه على ثَمَانِينَ ألفِ شَخصٍ مِنْ غيرِ المُسْلمينَ، هم الذين أُعْفُوا مِن الجِزْيَة.[1]

لجَأ نصرُ السَّعديُّ في سَنَة (123هـ) إلى مَلِكِ التُّرْكِ مَرَّةً أخْرى بعْدَمَا وجَّه إليْهِ الدَّعْوةَ، وقَبِلَ بالشُّروط التي اقتَرَحَهَا، لأنَّه كانَ يميلُ إلى الصُّلحِ، ويَعلمُ قوَّةَ مخَالِفيه، و لذَلِكَ لم يعْتَرِضْ على الأشْخَاص المُرتدِّين عَن الإسْلام إلى دينِهِم القَدِيم، وَسَألَه ولاةُ خُرَاسَانَ شُروطاً أنكرهَا، مِنهَا ألَّا يعَاقِبَ مَنْ كان مُسْلِماً ثمَّ ارتَدَّ عن الإسْلام، وألَّا يتَجَاوَز عنهم في دَيْنِ أحَدٍ مِنَ النَّاس، ولا يُؤخَذُون بقُبالِه مِنْ بيتِ المَال، ولا يُؤخَذ أسَرَاءُ المُسْلِمِينَ مِنْ أيْديْهِم إلَّا بقضِيَّةِ قاضٍ وشُهودٍ عُدُولٍ.[2] وقد أفَادَ الدُّعَاةُ العبَّاسِيُّون مِن وجُودِ المَشَاعِر الدَّاعِيَة إلى الإصْلاح في الدَّعوَة وَسَعَوْا إلى جَذبِ النَّاس إلى الهَاشِميِّين، وكانت

---

(1) الطّبريّ، القسم الثّاني، ص9ـ 1688، ويُرَاجع كتاب ملحوظات حول السّيطرة العربيّة. تأليف فَان فلوتن.

(2) الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1717.

الحَربُ الأهْليَّة بين القبائِل العرَبيَّة في الأقَالِيم مِن عَوامِلِ ضَعْفِ حُكُومَةِ الأمَوِيِّين، ومُمَهِّدةً لثَورَة الأهلِ الذِين كانوا مسْتعدِّينَ للثَّورَة قبْلَ عشْرينَ سَنةً، وكانَ لقتلِ يحْيَى بنِ زيْدٍ في خُرَاسَانَ تأثيرُهُ السَّيِّئُ على أهْل خُرَاسَانَ، وكان خَليفَة المُسْلِمِينَ يقضِي أوقاتَهُ في التَّرَفِ واللَّعِبِ، فكَانت عَاقبَةُ ذَلِكَ ثَورةً شَعبِيَّةً! ولم يقبَل النَّاس ضَعفَ رَأيه وعَدَمَ اعتنَائِه بالأمُور الدِّينِيَّة، واتَّهَمُوه بالزَّنْدَقَة ثمَّ قَتَلوه. ويُذكَر أنَّ أعمَالَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ لا تَزَال عَالَقةً في الذِّهن، وقَد اضطَرَبَت الأوضَاع كُثيرَاً بعد موتِه، ولم يَكُن قتلُ الوليدِ ببَعِيدٍ مِنْ حَيْثُ الشَّبَهُ بقتْلِ عثمَانَ وعواقبِه الوَخِيمَة، فقَدْ ظَهَرَ الخِلافُ بيْن أفرَادِ الأسْرةِ الأمَوِيَّة، وازْدَادَت مُنَافسَة القبَائِل لاسِيَّما في خُرَاسَانَ. ومع سَعي نصْرِ بنِ سيَّارٍ إلى إنْهَاء الاختلاف بإبعَادِ الحَربِ عن نَتَائِج ذَلِكَ، لكِنَّه أخفقَ في النِّهَايَة.

وتَجمَّع الشِّيعَة في العِرَاق في سَنَة (126هـ) وذَلِكَ في عَهْد عبدِ الله بنِ معَاويَة، واشْتَعَلَت فيهَا الحَرْبُ مع عَامِل العِرَاقِ عبدِ الله بنِ عمَرَ بنِ عبدِ العزيز، وتوجَّه إلى إيرَانَ الخَوارجُ مَن العِرَاقِ وبَعْضٍ مِن الأقَالِيم الإيرَانيَّة مثْلِ سِيْستَانَ.[1]

أرْسَلَ إبرَاهيمُ بنُ محمّدٍ الإمَامُ في سَنَة (128هـ) أبا مُسْلمٍ إلى خُرَاسَانَ وعَهِدَ إليه بوظِيفةِ الدَّعْوة، وكان اسمُ أبي مُسْلمٍ عند دُخُولِه في الإسْلام عَبدَ الرَّحمنِ بنَ مُسْلمٍ[2] بحسَبِ قولِ

(1) تاريخ سِيْستَان، ص133.

(2) ويلحظ على اسمه بارتولد، تركستان، ص1193، وتاريخ سِيْستَان ص134. وورد كذلك أنّه إبرَاهيم بن عثمَان مع كنية أبي إسحَاق المقدسيّ، ج 1 ص92.

حمْزَة الأَصْفهَانيِّ (ونداد هرمز)، واسمُ أبيه (بهزادانُ)، وقَدْ غيَّرَ إبرَاهيمُ بنُ محمَّدٍ الإمَامُ اسمَه، فسمَّاه عبدَ الرَّحمَن،[1] وكان مِن أهْل أصْفهَانَ[2] مِن قريَةِ فَاتِق القَريبَة مِن كَرْجٍ،[3] وكانَ قصِيرَ القامَة، أسْمَرَ اللَّونِ، دَقيقَ البشَرة، حُلوَ المَنْظَرِ، طَوِيلَ الظَّهْر، قَصيرَ السَّاق؛ كمَا كانَ قليلَ الرَّحْمَة، قاسِيَ القلبِ، سَوطُه سيفُه! لم يُرَ ضَاحِكاً ولا مُمَازحَاً، تأتِيه الفتُوحُ العِظَام، فلا يُعرَفُ بِشْرُهُ في وجْهِهِ، ويُنْكَبُ النَّكبَة العظيمَة فلا يُرَى مُكتَئِباً لها، ولا يَتوانَى في عُقُوبَة أحَدٍ مهْمَا كان قريبَاً أو بعِيداً؛[4] وكان قَدْ دَخَلَ في خِدمَة أسْرَة العُجليِّينَ ثمَّ التَحَق بعْدَ ذَلِكَ بإبرَاهيمَ الإمَام، فَأرسَلَه في سَنَة (128هـ) إلى خُرَاسَانَ. وطلَبَ منه حِينمَا يشخص (شكند) أن يعْدْمَ كُلَّ مَن يتكلمُ بتلك اللُّغة، ويظْهرُ هذا جيِّداً أنَّ اعتمَاده وسَنَدَه كان الإيرَانيِّين فقط، لاسِيَّما أهلِ خُرَاسَان.[5] ولُقِّبَ أبو مُسْلمٍ أميرَ آلِ محمَّدٍ[6] وانجَذَبَ

(1) إرشاد الأريب، ج 5، ص200.

(2) جامع التّواريخ f.74b، يقول ابن خلّكان في ترجمته أبا مسلمٍ قَالَ له: إبرَاهيم الإمَام غيرّ اسمك. وسمَاه عبد الرّحمن.

(3) المصدر ذاته، f.5b وفي بعضٍ من المصَادر فَائق (انظر، معجم البلدان، ج 4، ص 215).

(4) مجمل التّواريخ (نقلًا عن المدائنيّ) F213b، ونقل المقدسّي الفقرَات ذاتهَا في كتاب (البدء والتّاريخ، ج6، ص93) من دون ذكر الاسم، وكذلك ابن خلّكان مع إيرَاد المصدر في ترجمة أبي مسلم.

(5) الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1937، 1974، والقسم الثّالث، 257، وكتاب الإمَامة والسّيَاسة، المنسوب إلى ابن قتيبة، ص113؛ مجلّة الجمعيّة الملكيّة الآسيويّة، سنة 1932.

(6) ومَا يؤيّدُ عملَ أبي مسلم الحسنَ مع الإيرَانيّين ومحَاولتَه جذبهم هو الواقعة التي عفَا فيهَا عن ثلاثينً أسيرَاً خوارزميَّاً، ص1970 (وكان هذا الموضع نَاقصَاً أُكمل من ابن الأثير).

نحوَه الدَّهَاقنّة والمُزارعون،[1] وكان معظَمُ المنضمِّين إليه مِن أهْل قُرى خُرَاسَانَ مِن الفرس[2] وتحوَّل قسْمٌ مِن الدَّهَاقنة في عهده مِن الزَّرَدَشْتيَّة إلى الإسْلام، وكان ذَلِكَ على أثَر وعُود الدُّعَاة في إحقّاقِ الحقِّ والعدلِ ودفْعِ الظُّلم، وذَلِكَ بعد انتهَاء حكْمِ الأمويِّين. وظاهرٌ أنَّ الفِرقَ المُخَالفةَ للزَّردشتيَّةِ قد أعَانتْ أبا مُسْلمٍ؛ وكان الخرميُّون منهم. ولم تمْنَحْ الأوضّاعُ المضْطربَةُ في خُرَاسَانَ الفرصَةَ إلى نصْرٍ في القضَاءِ عليه وعلى أتباعه.

رَفَعَ أبو مُسْلمٍ رَايَة العصْيَان في أواخِر شَهر رَمضانَ سَنَة (129هـ) وذلِكَ في قريَة (رفيدنج) وهي مِنْ توَابع مَروَ، وأعْلَنَ عَن أفُولِ السُّلالَة الأُمَويَّة وقِيَام الدَّولَة الهَاشِميَّة، وأحسَّتْ القبَائلُ العَربيَّةُ بالخَطَر، فألقت خِلافَاتِهَا جانِبَاً واتَّحَدَت ضِدَّ العبَّاسِيِّين، ولأنَّهُم لم يَرغبُوا في أن يكونَ أحَدُهم رئيسَاً علَيْهم، فقَدْ نَصَّبُوا مُقاتِلَ بنَ حَيَّانَ الإيرَانيَّ الذي كان رئيسَ الكَتيبَة العَسْكريَّة الإيرَانيَّة، ولكنَّ هَذا الفِعْل لم يُصْلِح شَيئاً! ففي سَنَة (130هـ) أُجبِر نصْرُ بنُ سيَّارٍ على تَرْكِ خُرَاسَانَ، ولقِيَ مَصْرَعَه في ساوةَ سَنَةَ (131هـ)، وتحاربَ جيشُ خُرَاسَان بزَعَامَة قحطبَة في سَنَة (132هـ) مع جَيْشِ الأمَويِّين مَطلَع السَّنَةِ المذْكورَة في كَربُلاءَ، فغُلِبَ الأمَويُّون، وبَايَعوا في الكوفَة عبدَ الله بنَ محمَّدٍ.

وانكَسَرَ الجيشُ الآخَرُ للخَليفةِ الأمَويِّ بجَانِبِ نهْر الزَّابِ، وقَدْ كان دَفعَه قحطَبَةُ إلى هنَاك، وانهَزَمَ الجيْشُ الذِي كان يقُودُه الخَليفَة بنفْسه إلى جانِبِ الزَّابِ الكبِير في معْرَكةٍ مع جَيْشِ خُرَاسَانَ،

(1) الطّبريّ، ص1954ـ 19955.

(2) ابن أبي طيفور، رَاجع فَان فلوتن، ص67.

وكانت هَذِهِ المَعْرَكَة التي وَقَعَت في الحَادي عَشَر مِن جُمَادى الآخرة سَنَة (132هـ) الفيْصَلَ في نهَايَة الدَّولَة الأمَويَّة.

ويُمْكِنُ القولُ: إنَّه مُنْذُ الفتح العَربيِّ لإيرَانَ حَتَّى تشكِيل الدَّول شبْهِ المسْتَقلَّة في هَذِهِ البِلاد... فَإنّ الدَّولة الأمَويَّة اسْتمرّتْ لُمدّة قَرنٍ (40–132)، وكانَت هَذِهِ السنين بالنِّسْبَة للإيرَانيِّين عَهْدَ شَقاءٍ وانتظِارٍ. وكمَا لحِظنَا، فَإنَّ مجموعَاتٍ كثِيرَةً مِن الإيرَانيِّين، لاسِيَّما في العِرَاق قد دَخَلَت في الإسْلام، وكان يَحدُوها الأملُ بعد قَبُولِها هذا الدِّين بأن تصْلح أحوالُها الاجْتمَاعيَّةُ، ويصْبِحَ أفْرادُها مسَاوينَ للعَربِ، وربَّما كانت أعمَالُ الخُلفَاءِ الرَّاشِدِين العَادلةُ مِن أسبابِ ظُهورِ هَذه الأفكار. وممَّا لا شَكَّ فيه أنَّ لحْظَ هذهِ الأفعَالِ كانَ عَامِلاً قويّاً في قَبُول هذه المَجمُوعَاتِ للإسْلام وتصْدِيقِه.(1)

لكنَّ الأوضَاعَ تَغيَّرَت بسُرْعةٍ، وشَاعَت بيْنَ القبَائِل العَربيَّة عَقائِدُ وعَادَاتُ وأفكار مَا قَبْلَ الإسْلام، وازدَادتْ الفَواصِلُ بيْن المعتَنِقِين حديثاً للإسْلام وبيْن العَربِ بشْكلٍ تدْريجِيٍّ، فَقَدْ أخذَ العَربُ الجِزْيَة مِنَ المُسْلِمِينَ الجُدُدِ على الرَّغْم مِنْ اعتنَاقِهم الإسْلام! ولم تُرَاعَ أصُول المسَاواةِ الاجتمَاعِيَّة، ولَم يُكن الدُّخُول في الإسْلام في هذا العَهْدِ بذاتِ السُّرعَة التي كانت أيَّام الفَتحِ الأُولى، فحِينمَا يصْبحُ الشَّخصُ مُسْلماً، فهو ليس بذَلِكَ الإخْلاصِ والمَيْل السَّابق! وزيَادةً على ذلِكَ فإنَّ سَبَبَ ضعْف انتِشَار الإسْلام بيْن أفرَاد الطَّبقَة الثَّالثَة، هو اصْطِدامُه بمَنَافع أصْحَابهَا، فقد كانت رجَالاتُ هَذِهِ

(1) لاسيّماَ أنّه قد حرم الكثير من الوصول إلى المنَاصب والمرَاتب الرّفيعة في إيرَان قبل الإسلام بسبب وجود النّظام الطّبقيّ. وكان من النّتائج المهمَّة عند ظهور الإسلام ونشره في إيرَان إزالةُ الفكر الطبقيّ.

الطَّبَقَة مِن أصْحَاب المنَاصِب في عصْر السَّاسَانِيِّين، أو إنَّهُم كانُوا مِن زعمَاء القُرى، وكانت تُوكَلُ إليْهم إدَارَةُ هَذِهِ المُدُن التي تُحْكَمُ بالتَّوارُث، فكَان لهُم أثَرٌ كبيرٌ في بِنيَة النِّظَام الإدَاريِّ، وكانُوا هم مُمثِّلي الدَّولَة تُجَاه القُرَويِّين، وكَانَ عَمَلهُم الأهمُّ جَمْعَ الأمْوَال، يُساعِدُهُم في ذَلِكَ قدرَتُهم الكبيرةُ في مَعْرِفَة المَنَاطِق والنَّاس؛ وكانَت الدَّولَة تعتَمِدُ عليْهم بشَكْلٍ رَئيسٍ في سَدِّ تَرَفِ البَلاطِ والمَصْرُوفَاتِ الكبيرة للحُرُوبِ. إذ إنَّه على الرَّغْم مِن فَتْح العَرَبِ لهذِه البِلادِ إلَّا أنَّهم لم يعُودُوا يسْتطِيعُون جِبَايَة الأمْوَال بِذَاتِ القُوَّةِ التي كانَ السَّاسَانِيّون يجبُون بهَا سَابقاً، لذَلِكَ فَقَدْ تَركُوا الأمْرَ للدَّهَاقِنَة، وتحَالَفُوا مَعَهم[1]

وقَدْ حَفِظَ الدَّهَاقِنةُ ورُؤسَاء القُرى قُوَّتَهم مع بدايَة الفَتْحِ العَربِيِّ في المَنَاطِق التي كانُوا يعِيشُون فِيهَا، ودَافعُوا عن مناطِقِهم المَاليَّةِ ومكَانَتِهم الاجْتمَاعِيَّة، واعتَنَق أَكْثَرُهم الإسْلام، وارتَبَطُوا بوُلاة العَرَبِ، وعُهِدَ إليْهم أخْذُ الجِزْيَة والخَرَاج مع الجُبَاة وتسْليمُهَا، وكانت لهُم مَنَافعُ مِن هَذا العَمَلِ مع إبْقَاءِ سيْطَرتِهم على الرَّعَايَا التَّابعِين لهم، وكانت فَائِدَة العَرَبِ أنَّهُم أصْبَحُوا مسْؤولِين أمَام الحُكومَة مِن دُون مَتَاعِبَ في الأمُور المَاليَّة، لاسِيَّما أنَّ العَرَبَ لم يَكونُوا مُزارعِين،[2] وليس لهم اطِّلاعٌ واسِعٌ على أمورِ الزِّرَاعَة. وأصْبَح الدَّهَاقِنَة بذَلِكَ أصْحَاب نُفُوذٍ وثَرْوةٍ، ومَثَّلوا الوَاسِطَة

(1) إيرَان في العصر السَّاسَانِّي، ص107، ترجمة، ص68.

(2) لاسيّما الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1485، حديث عبد الله بن زيَاد أمير العِرَاق مع سيَاف بن شريق اليشكريّ، وقول عبد الله: إنّ الدّهَاقنة في جباية الأموال أكثر بصرَاً، وأكثر من رأف في التّعامل، وكذلك أيسر في المطالبة من العرب. الطّبريّ، القسم الثّاني، الصفحة1470، (ويظهر أنّ خَالد بن عبد الله القسريّ لم يمنح ولاية الخَرَاج إلى العرب). الطّبريّ، القسم الثّاني الصفحة995، ويقول الحجّاج: ليس لديّ رغبةٌ في زيَادة عمل الخَرَاج.

بيْن العُمَّال العَربِ والمُزارِعِين (الطَّبقة الثّالثَة)، وكان مِن نتائِج إسْلام هَذِهِ الطَّبَقَة أنْ قَلَّتْ قُدرَةُ سيْطَرَة الدَّهَاقِنة ومَنَافِعُهم؛ لأنَّ الدِّينَ الإسْلاميَّ دِيْنُ الشُّورَى والمسَاواة، ولِذَلِكَ لم يكن هنَاكَ نفْعٌ للدَّهَاقِنَة في اعْتنَاق الطَّبقَة الثَّالثَة الإسْلامَ! فقَدْ نَظَرَ الدَّهَاقِنةُ إلى أنفسِهم أنَّهم مِن كبَار المُلَّاكِ، وكان ذَلِكَ في بَعْضٍ مِن الأحْيَانِ حَائِلاً دونَ نشْر الإسْلام.

وتُؤيِّد المُطالَبَةُ الوارِدةُ عند النَّرشخيِّ في كتابِه هذا القولَ: «خرج في أيَّام أسدِ بنِ عبدِ الله القَسْريِّ[1] رجُلٌ دعَا أهْل بُخَارَى إلى الإيمَانِ، وكان أهْل بُخَارَى في الأَكْثَر أهْل ذِمَّةٍ ويَدفعُون الجِزْيَة، فَأجابَه قَومٌ وأسْلَمُوا، وكان طغشادة[2] مَلِكَ بُخَارَى، فغَضِبَ لأنَّه كان في أسْرِ كافِرٍ، فكَتَبَ إلى أميْر خُرَاسَانَ أسدِ بنِ عبدِ الله كتاباً يقُول فيه: إنَّه ظهَر ببُخَارَى رجُلٌ يثِيْرُ علينَا الوِلايَةَ، وَجَعَلَ قوماً يخرُجُون علينَا، ويقُولُون: إنَّنَا أسلَمْنا وهم كاذِبُون، أسلَمُوا بلسَانِهم، وهم مشغُولُون بأمرهم؛ إنَّ هَؤلاءِ القَومَ كانُوا في المسْجدِ يقُولُون جمِيعَاً بصَوتٍ عَالٍ: أشْهدُ ألّا إله إلّا اللهُ وأشْهدُ أنَّ محمَّداً عبْدُه ورسولُه. ويصيحُون: وامحمَّداه واممَّداه، وكان بخَارخداة (طغشادة) يضْرِبُ أعنَاقَهم ولم يكُن أحَدٌ يجْرُؤ على الكَلام فيشْفعَ لهُم في ذاكَ

(1) في المتن: القشيريّ، والصّواب القسريّ.

(2) كان طغشاد بخَار اخداه، أي خَاتون معَاصَراً لعبيد الله بن زيَادٍ، وسعيد بنِ عثمَان، والي خرَاسان (فتوح البلدان، ص411ـ 410، الطّبريّ، القسم الثّاني، ص 1ذ69، واسم طغشادة قتيبة، قتله أبو مسلم بجريرة تحَالفه مع شريك بن شيخ. تاريخ بخَارى، ص 10. وكان أخَ طغَشاده باسم (بنيَات بخَارَاخداه) وهو معَاصرٌ للمقنّع، ومتحَالفٌ مع أتباعه المبيّضة. وبعد القضاء على المقنَّع قتله العرب غيلةً، لعمله مع المبيّضة في قصر (فرخشة) (تاريخ بخَارى، الصّفحة ذاتهَا)، وبعد ذَلِكَ لم يكن لملوك بُخَارى أهمّيّةٌ.

(أي الكُفر) في شَرِّهِم، ويثِيرُون الوِلايَة والمُلْكَ بهذِه الحُجَّة، ولا يُؤدُّون الخَرَاج.[1] لهذا كَتَبَ أسَدُ بنُ عبدِ الله إلى عَامِلِه[2] شَريكِ بنِ حُرَيْثٍ، وأمَرَه بأن يقبِضَ على هَؤلاءِ القَوم ويُسْلِمَهُم لمَلِكِ بُخَارَى ليفْعَلَ بهم مَا يشَاءُ. ورُوي: حَتَّى ضَرَبَ أعْنَاقَ أربَعِمِئَة شَخْصٍ، وصَلَبَهُم، واسترَقَّ الباقِينَ باسم أسدِ بنِ عبدِ الله، وأرسَلَهُم إليْه بخُرَاسَانَ».[3]

وقلّما أظْهَرَ الأمَويُّون تعصُّباً في الأمْور الدِّينيّة، إذ إنَّ المعْرُوفَ تسَاهُلُ مُعَاويَة وتعَامُلُه الحَسَن مع المَسيحِيِّين، ومعلومٌ كذلِكَ أنَّه كان للأخْطَل الشَّاعر المسِيحِيِّ شَأنٌ ومَقَامٌ في بَلاط عبدِ الملِكِ، وكان لهَذا الأمْر أمْثلَةٌ بيْن الخُلفَاءِ الأمَويِّين. ولكِنَّ مُعَامَلَة خُلفَاءِ هذه الدَّولَة لم تكن مَبْنيَّةً على سِيَاسةٍ صَادقةٍ واحْتِرَامٍ وَاقِعيٍّ، والذِي يُؤيِّد ذَلِكَ نَزْوَةُ الوَليد بنِ عبدِ المَلِكِ العَابِرةُ في تخْرِيْبِه بِيعَة بَعْدَ سمَاع صوْتَ نَاقوسِهَا![4] ومِمَّا ضَاعَفَ الأمْرَ تصَرُّفَاتُ العُمَّالِ السَّيِّئةُ التي أدَّتْ في النِّهَايَة إلى سَلْبِ الطُّمَأنينة والأمَانِ مِنْ أصْحَاب الدِّيَانَاتِ الأخْرى، وكان هَذا باعِثاً على الثَّوْرَة والتَّمَرُّد، وازْدَاد في المُحصِّلة التَّضْييق على العَرَب؛ ولم يكُن الإيرَانيُّونَ عنْصرَاً محرِّكاً في حرَكَة الخَوارِج والمختارِ وفتْنَةِ عبدِ الرَّحمَن الأشعثِ فحَسْبُ، وإنَّمَا كانُوا وَقوداً لتِلْكَ الثَّوْرَات، حَيْثُ شاركُوا في أكْثَرهَا مشَارَكةً فَاعِلةً، وكانوا مِن المُؤيِّدين لفِكْرَة التَّمرُّد والعِصْيَان، وقَدْ سَاهَموا في تهيئةِ

(1) الصّحِيح في ضوء سيَاق الجملة (عَامل).
(2) تاريخ بخَارى، ص58.
(3) المسعوديّ،ج5، ص381.
(4) عَامل هي الأصحّ بنَاءً على سيَاق الجملة.

الأرضِيَّة الَّلازمَة لأفُول الدَّولة الأمَويَّة وتأسيْس الدَّولَة العبَّاسِيَّة ذاتِ السُّلالَة الشَّرقيَّة الخُرَاسَانيَّة،(1) ولم تكن النَّتيجَة حَاسِمةً في هَذِهِ الحَرَكَات.

لم يكن الوضْعُ الدِّينيُّ في إيرَانَ في هذا العَهْدِ على منْوالٍ واحِدٍ، فقَدْ كان للإسْلام في بعْضٍ مِنَ الأقَالِيم نفُوذٌ كبيْرٌ، بيْنَمَا كان قليلاً في بعْضِهَا الآخَرِ، حَيْثُ كانَ الدِّينُ الإسْلامِيِّ أكثَرَ شُيوعَاً في الأقَالِيم الغَربيَّة والمركزيَّة الإِيرَانيَّةِ، مثلِ أذربيجَان وكردستان وخوزستان، بينَمَا لم يصل تلك المرْحَلة في إقليم فَارسَ الذي يُعدُّ معقلَ الرِّوايَات الدِّينيَّة والرُّسُوم والآداب الإِيرَانيَّة الزَّرَدَشْتيَّة.(2) و لم يكن حَال المُسْلِمِين جيِّداً في كرمَان،(3) إذ كان الخَوارجُ في هذا الإقليم كثِيريْن، كذلِكَ الحَال في سِيْستَانَ التي كانت أحدَ مواطنِ حِفظ الرِّوايَات الإِيرَانيَّة القدِيمةِ.

وقد أحرَزَ الإسْلامُ مَوْطِئ قدمٍ له في خُرَاسَانَ في الوقت

(1) البيرونّي، الآثار الباقية، ص213؛ الجاحظ، البيَان والتّبيين، ج3، ص206؛ برَاون، تاريخ الأدب الفَارسيّ، ج1، ص247.

(2) كانت لفَارس أبنيةٌ وقلاعٌ حصينةٌ يُلحظ فيهَا الآثار الدِّينيّة والتّاريخيّة التي تعود إلى إيرَان القديمة، وكانت بعضٌ من هذه القلاع منيعةً، ففتحهَا العرب بالحِيلة، وعدد هذه الأبنية في فَارس كثيرٌ، ومن تلك قلعة (كيج در) في منطقة أركان، التي يعرفهَا الزَّرَدَشْتيون بـ (بادكزار) وكان لهم فيهَا مسكنٌ وكانت هذه القلعة محصّنةً. رَاجع المسالك والممَالك، الإصطخريّ، ص118، و ص150؛ والمسالك والممَالك ابن حوقل، ص 189؛ ومعجم البلدان، ج 4، ص164، مَادّة (قلعة الحصن).

(3) كانت هذه الولاية على طريق العِرَاق ـ خرَاسان، وكان الدّين الإسلاميّ قد تغلغل فيهَا، لكن بقي أهل بعضٍ من النّواحِي على دينهم القديم، ولم يَدْخُل الإسلام إلى غابات الجبال والمنَاطق الباردة إلّا في العصر العباسيّ. وفي الحقيقة إنَّ الصّفَاريّين هم الذين أدخلوا الإسلام إليهَا (ابن حوقل 221).

الذي كان فيه التَّنَافسُ شديداً بينه وبين الزَّرَدَشْتيَّة والبوذيَّة في قسْمِه الشِّمَالِيِّ وفيمَا ورَاء النّهر،[1] وظلَّتْ المنَاطِقُ والأقَاليمُ الواقعة على جانبِ بحرِ الخَزرِ بعيدةً عن السَّيطَرة بسببِ الوضْعِ الجَغرَافيِّ ووعُورةِ الجبَالِ مِن طَريقِ الجَنوب، ولم يكن بِالإمكَانِ للعَرَبِ غيرِ المعتادِين على السَّير والحَرْبِ عبر الغَاباتِ الكَثيفة، والشِّعَاب الجبليَّة المتعرِّجَة، والوديَانِ الضَّيقَة،[2] وكانت تلكَ مشْكِلةً حقِيقيّةً، فَإذا حَدَثَ وامتدُّوا في بعْضٍ مِن الأحْيَانِ فَقَدْ كانت تَحدُثُ منَاوشَاتٌ مع أهلِ المنَاطِقِ، ولكنَّهَا لم تكُن دائمَةً.

وكان هذا الإقليمُ ـ مقارنَةً بالأقَالِيم الإِيرَانيَّة الأخْرى ـ الأكثر تأخُّرَاً في نشر تعَاليم الإسْلام والتَّقَالَيد العربيَّة في هذا العَهْدِ الذي هو موْضِعُ نَظَرنَا،[3] وظلَّ أصبَهبَذُ طبرستان وحُكَّام الدَّيلم على الدِّينِ الزَّرَدَشْتيِّ، وكانوا مسْتقِلِّينَ في حُكْمِهِم. وانْتَشَر الإسْلام في الأقَالِيم الإِيرَانيَّة على وجْهِ العُمُومِ بيْن سُكَّان الحَضَر، فيمَا حَافَظَ سُكَّانُ القُرى على دِيْنِ أجْدَادِهم، وقَدْ اشتَغَل سُكَّان المُدُنِ بالصِّنَاعَات والحِرَفِ مع العنَاصِر التي كانت على الدِّيْنِ الزَّرَدَشْتيِّ إذ تعَاطَى الدِّيْنُ الجَديْدُ معهم بإيجَابيَّةٍ.

(1) رَاجع حول الحسّ الوطنيّ في خرَاسان، الملحمة الإِيرَانيّة القوميّة، تأليف نولدكه ص61 ـ 62.

(2) رَاجع تاريخ طبرستان، ص33؛ مَازندرَان واستراباد، تأليف رَابينو، ص3 ـ 4، ص 8 وترجمة تاريخ طبرستان، وجرجان، وبلاد الدّيلم.

(3) للاطّلاع تفصيلًا على حروب أهل طبرستان، وجرجان وبلاد الدّيلم، رَاجع فتوح البلدان، البلاذريّ، ص334 ـ 339؛ وترجمة تاريخ طبرستان، ص98ـ 100؛ الملوك المجهولون، ج 1، ص 11 ـ 20؛ والسّيطرة الدّيلميّة، تأليف منيورسكي، ص5؛ وبلدان الخلافة الشّرقيّة، تأليف لسترنج، ص369؛ ومجتبى مينوى. المَازيَاراً ص5–6.

«3ـ العَصْرُ الثَّالِثُ: العَبَّاسِيُّ»

كانت جهودُ الإيرَانيِّين أقوى سَبَبٍ لِمَجِيء العبَّاسِيِّين إلى الحُكْم، وقد اعترف الخَليفَةُ المنصورُ بذَلِكَ في إحْدَى خُطَبِه: «أهْلَ خُرَاسَانَ، أنتُم شِيعَتُنَا وأنْصارُنَا، وأهْلُ دعوتِنَا، ولو بَايعْتُم غيرَنَا، لم تبَايِعُوا خيْرَاً مِنَّا»[1] ... وبسَبَبِ خُروجِهم: «فنَفَوْنَا عن البِلادِ فصِرنَا مَرَّةً بالطَّائِف، ومَرَّةً بالشَّام، ومَرَّةً بالسَّرَاة،[2] حَتَّى ابتعثكم الله لنَا شِيعَةً وأنصارَاً، فَأحْيا اللهُ شَرَفَنَا وأعَزَّنَا بكم يَا أهْل خُرَاسَانَ، ودَفَعَ بحقِّكُم أهْلَ البَاطِلِ وأظْهر لنَا حَقَّنَا، وأصَار إلَيْنَا أمْرَنَا ومِيرَاثَنَا من نبِيِّنَا».[3]

أوْجَدَ اسْتقرَارُ هَذِهِ الدَّولَة مَرحلَةً جَديدَةً للإيرَانيِّين، لاسِيَّما في العَصْرِ الثَّالث مِن دولَة العَرَبِ، فَقَدْ صَلُحَت الأوضَاعُ الاجتِماعِيَّة في إيرَانَ، ومَهَّدَ اطِّلاعُ الخُلفَاء العَبَّاسِيِّين الأوائلِ على دَوْرِ الإيرَانيِّينَ في تأسِيسِ الدَّولَة وإدرَاكُهم لأثَرهم في بِنَاء قواعِدِهَا لإظْهَار الحَاجَة إلى تَكريمِهِم وتَقْرِيْبِهم، إذ قَلَّ بذَلِكَ تحْقيْر العَرَبِ لهُم، وحَازُوا على نُفوذٍ في بَلاطِ الخُلفَاء، فبيْنَما لم تُمْنَح قِيَادَةُ الجَيْش إلَّا قَليلاً في العَصْر الأُمَويِّ إلى الأجانِبِ؛ إذا بهَا في هذا العَهْدِ أكْثرُ سُهولَةً! وانتُخِب الوُلاة[4] والجُبَاة مِنْ بيْن العَرَبِ والفُرْسِ على حَدٍّ سَواءٍ، وَقَلَّدَتْ

---

(1) أشاعت هذه الخطبة عدم ارتيَاح من أهل خرَاسان.

(2) كورةٌ في دمشق وموضعٌ في مكّةً.

(3) المسعوديّ، ج6، ص203 ـ 207؛ الطّبريّ، القسم الثّالث ص430ـ432.

(4) ووصل الموالي كذلك في العهد الأمويّ إلى الحكم، هذا مَا يظهره حديث معَاوية مع الزّهريّ. مقدّمة تاريخ الحضارة الإسلاميّة، خدا بخش،ج1، ص 27ـ 28.

النُّظُمُ الإِدَارِيَّةُ النِّظَامَ السَّاسَانِيَّ، ولَمَ يخْلُ البَلاطُ العبَّاسِيُّ مِن شَبَهٍ للبَلاطِ السَّاسَانِيِّ،[1] فَقَدْ كان بَعْضٌ مِن القُضَاة والكُتَّابِ،[2] وبَعْضٌ مِن النُّدمَاء وحُجَّابُ الخَلِيفَةِ مِن الفُرسِ،[3] ووَجَدَ الفَنَّانُون الإِيرَانيُّونَ طريقَهُم إلى البَلاطِ مِن خِلالِ الموسِيقَى، والشِّعْرِ، والأَلْحَانِ، والأنْغَام؛ وكان المُنَجِّمونَ والأَطبَّاءُ الفُرْسُ موضِعَ تَوجُّهِ وعِنَايَة الخِلافَة، وقَدْ ظَهَرَ المُؤرِّخُونَ والنَّحَاة، ورُواةُ الحَديثِ مِن أهلِ فَارسَ بوضُوحٍ، وتشبَّه الخُلَفاءُ العبَّاسيُّون الأوائلُ بالفُرسِ في لِباسِهِم.

وقَدْ بدَأتْ جماعةٌ مِن المَوالي والمُسْلِمِينَ في العَصْر الأمَويِّ في الوَاقعَ بتَداوُل المُصْطَلح على تسميَة الشُّعُوبيَّة، بالاستنَاد إلى آيَاتِ القرْآن والحدِيثِ، وأعمَالِ الخُلفَاء الرَّاشِدِين (باستثنَاءِ عثمَان)، وكانت غايَتُهم تحقيقَ المسَاواةِ بيْن المُسْلِمين،[4] لكنَّ الحُرِّيَّةَ لم تكُن متحَقِّقَةً لنشر عقَائِدهم أو الدِّفَاع عنْهَا، وقَدْ أثَار ذَلِكَ غَضَبَ الخَلِيفَة والعمَّال، وأبعَدَ هشَامُ بنُ عبدِ الملكِ إسمَاعيلَ بنَ يسارٍ النَّسائِيَّ المُتوفَّى سَنَة (101هـ) حِينَما أنشدَ شِعرَاً في مدْحِ أجدَادِه.

وقد اكتَسَبَت هذه الجَمَاعةُ بعْدَ تأسِيسِ الدَّولَة العبَّاسيَّة قوَّةً،

(1) رَاجع أعمَال أبي العبّاس السّفَاح مع حَاجبه، المسعوديّ، مروج الذّهب، ج 6 ن ص121.

(2) المسعوديّ، ج 6، ص203 ـ 207؛ الطّبريّ، القسم الثّالث، ص430ـ432.

(3) فضّل المنصور الفرس وأهلِ خرَاسان على العرب. تاريخ الخلفَاء، طبع مصر، 105، وكان سبب ذَلِكَ عنده غلامٌ عربيٌّ قد طرده من خدمته (الطّبريّ، القسم الثّالث، ص439).

(4) رَاجع علاقة الخوارج بالشّعوبيّة، مقدّمة كتاب الحضارة الإسلاميّة، تأليف بخش، ص26.

وتَجاوَزَت رؤيةُ عدَدٍ منْهم حدَّ الاعتدَال، فعَمِلُوا على الضِّدِّ مِن عمَل العَربِ في العصْر الأمَويِّ، واعتَقَد العديدُ مِن هؤلاءِ، لاسِيَّما الإيرَانيِّين برجحَانِ الأقْوام غيْرِ العَربيَّة في مَجَال الأدَب والثَّقافَة، وظَهرَت نِزاعَاتٌ مُخْتَلفَةٌ للشُّعُوبيَّة مع العنْصِر العَربيِّ والمُدافِعينَ عن ذَلِكَ، وأخَذَت أشْكَالاً مُخْتَلفَةً أدبيَّةً وعلميَّةً وسيَاسيَّةً ودينيَّةً، ولا تَرتبِطُ هَذِهِ المَجَالات ـ سوَى الدِّينيَّة منهَا ـ بموضُوع دِرَاسَتنَا، لِذَلِكَ فسَوْفَ نتنَاوَل بعْضَاً مِنَ الفِقرَات المتَعلِّقة بِالصِّنْف الأخِير فقط:

لقد انشَغَلَ هؤلاءِ بذكْرِ مثَالِبِ العَربِ ونَشْرِ الأخبَار المضَادَّة لهُم، ولم ينْتَهِ التَّعَصُّبُ المَذْكُور عنْد هَذا الحَدِّ، فَقَدْ تنَاوَل قسْمٌ منْهُم كُلَّ شَيءٍ منسُوبٍ للعَرَبِ، حَتَى دينَ الإسْلام، والقرْآنَ الذِي قارَنُوه بالكِتَابِ الإيرَانيِّ في العَهْد السَّاسَانِيِّ. ويقولُ الأصْمعيُّ حوْلَ البَرَامِكَة: «إذا قرَأت قُربَهم آيَةً مِن القرْآن قَالُوا مُقابِل ذَلِكَ شَيئاً مِن مَروكَ» وأوجَدُوا فكرة الهجُوم على القرْآن ودِيْنِ الإسْلام.

يقولُ الجَاحِظُ: شَكُّوا في الإسْلام، أو إنَّهُم ارتَدُّوا عن هذا الدِّينِ وقبِلُوا تعلِيمَاتِ الشُّعُوبيَّة، وفي البَدء عَادَوا العَرَبَ ثمّ الدّين الإسْلاميِّ الذي ظَهَرَ وسَطَ العَربِ».[1] وبيَّن الزَّمخشريُّ في دِيْبَاجة تفسِيرِه كتَابَهُ أنّ طبِيعَة الله مُزجَت بحُبِّ العَربِ، وعُجَنتْ على مُعَادَاة الشُّعُوبيَّة، وعَدَّ البغْداديُّ الشُّعُوبيَّة واحِدةً مِنَ الفِرَق التي تُروِّجُ مَذهَبَ البَاطِنيَّة، ويقولُ: إنَّهُم اعتقَدُوا بفضْلِ العَجَم على العَربِ، وعنْدُهم أمَلٌ في عَودَة المُلْكِ إلى إيرَانَ.[2]

---

(1) تاريخ الوزرَاء والكتّاب، ص252.

(2) كتاب الحَيوان، ج 7 ن ص 68، ضحى الإسلام، ج 1، ص60.

ونَشَرَ القرَامِطَة عَقَائِدَهم في جَنوبِ إيرَانَ في آخِر القَرْن الثَّالِث، وكانت أصُولُهم مِن الشُّعُوبيَّة، ويقُولُون: لأنَّ العَربَ قتَلوا الحسَينَ لم يضَعْهُم الله مُحلَّ لُطْفِه، بلْ إنَّه فضَّلَ الفُرْسَ لأنَّهم دَافَعُوا عن حَقِّ الإمَامَة.[1]

ويُظْهِرُ هَذا الصِّرَاعُ بيْن الشُّعُوبيَّة والعَربِ، أنَّ العَربَ لم يَنْسَوا فِكْرَ السِّيَادة والأفضَليَّة لأنْفُسِهم، أنّ الإيرَانيِّين أنَاسٌ مغلُوبُون، فعَدُّوهُم في مَرتَبةٍ أدْنى، وبِحَسَبِ قولِ صاحِبِ الأغَانِي في حُضُور هَارُون الرَّشيدِ فَإنَّ ابنَ الجَامعِ قدْ شَتَمَ إسْحَاقَ المَوْصِليَّ فذَهَبَ إسْحَاقُ إلَى خَازم بنِ خُزَيْمَةَ، فقَبِلَ مُوالاتَه وَنَسَبَهُ للعَربِ،[2] والَّلافِتُ للنَّظَر أنَّه حَتَّى بعد انتسَابِه إلى العَربِ، لم يتَخلَّصْ مِن الهِجَاء والسُّخْرِيَة.[3]

مَال الخُلفَاء العبَّاسِيُّون في البَدْء مَيْلاً كَثيرَاً نحْو الإيرَانِيِّين، وأوْصَوْا وُلاتَهم بصَرْفِ أمْوالهِم مِن أجْل الإيرَانيِّين وأن تُبذَل دِمَاؤهُم للغَرَض ذاتِه، لكِنْ في الوَاقِعِ لم يُوَفَّ هؤلاءِ الإيرَانيُّونَ حَقَّهُم كمَا فَعَلَ المنصُور عنْدمَا قَتَلَ أبَا مُسْلمٍ،[4] وكذَلِكَ هَارُونُ الرَّشيدُ عندمَا أعْدَمَ البَرَامكَةَ وحَبَسَ بعْضَهم بعْد تِلْكَ الخِدْمَاتِ؛ ولم يتَمكَّنْ الخُلفَاءُ فيمَا يتعلَّق بأعمَالِ الإدارَة والحُكُومَة مِن صرْفِ النَّظَر عن العُنْصُر العَربيِّ بالمُطْلَق، فَأوكلوا إليْهم الأعْمَالَ وأرسَلُوهُم إلى إدَارَة الأقَاليم في فَارسَ، ولم يكُن عَمَلُ هَؤلاءِ مُرْضِياً دَائمَاً، إذ

(1) إسهَامَات في تاريخ الحضارة الإسلاميّة، ص39.

(2) الأغاني، ج 5، ص56.

(3) م.ن، ج 16، ص149.

(4) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص444.

ظَهَرَت ثَورَاتٌ دِينيَّةٌ وسيَاسِيَّةٌ في الأقَالِيم الإِيرَانيَّةِ باستِمْرَارٍ، ولم يَرْضَ القسْمُ الأعْظَمُ مِن أهْل إيرَانَ بالتَّغيير، وبَقَوْا مُخَالِفِين للعَربِ، ولم يتَوانَ بَعْضٌ مِن ولاةِ وجُباةِ هَارونَ الرَّشيدِ في التَّعدِّي على النَّاس. ومِمَّا لا شَكَّ فيه أنَّ واحِدةً مِن عِلَلِ تمَرُّد أهْل خُرَاسَانَ في آخِر خِلافَة هَارونَ وثَورةِ أقَالِيمِ مَا وراءَ النَّهْر واتِّصَالهم بـ (رَافعِ بنِ ليثٍ) (بداية التَّمرد 190هـ)... كانت نتيجةَ مظَالِمِ عليٍّ بنِ عيسَى بنِ مَاهَانَ في خُرَاسَانَ.[1]

كان الخَليفةُ رَاضِياً عمَّا أظهَرَه عليُّ بنُ عيسَى مِن طاعَةٍ، حَيْثُ كان يفْعَلُ كُلَّ شَيءٍ يرغَبُ به في خُرَاسَانَ، إذ قَبَضَ على الأشْرَافِ والعظَمَاءِ، وأخَذَ أمْوَالَهم، واسْتَخَفَّ بهم، وكان كُلُّ شَخْصٍ ينْوي العِلاجَ ويطْلُبُ رفْعَ الظَّلْم يُتَّهمُ بالإلحَادِ ومعَادَاة الإسْلام، والكُفْرِ، لِذَلِكَ كانُوا يلعَنُونَه.[2]

ولمَّا عَلِمَ الرَّشِيدُ أنَّ ثَوْرَة أهْل خُرَاسَانَ كانت بِفِعْل تعدِّيَات عَليٍّ بنِ عيسَى، عَزَلَهُ وصَادَرَ أموالَهُ، وأحْضَرَه إلى جَنْبِهِ، وكان مَعَه ثَمَانين مليون درهم، وحُمِلَتْ خَزَائِنُه على ظَهْر ألفٍ وخَمسِمِئة بعِيرٍ،[3] وكذَلِكَ ثورةُ حمزةَ بنِ آذرَاك الإيرَانيُّ الذي كان خَارجيَّاً، وقد نَصَّبَ نفْسَه في عَام (181هـ) أميراً للمُؤمِنِينَ، وسَيْطَرَ على قِسْمٍ مِنْ خُرَاسَانَ، وحَكَمَ بقوَّةٍ سَجَسْتَانَ وكَرمَانَ، وفَارسَ، وكُلَّ شَرْقِ إيرَانَ تقريباً حَتَّى سَنَة (213هـ)، وادَّعى أنَّه مِن نَسْلِ طَهمَاسَبَ البَطَلِ الأسْطُوريِّ الإيرَانيِّ وغَلَبَ عيسَى بنَ عليٍّ، وتوجَّه في سَنَة

(1) رَاجع حول قتل أبي مسلم كتاب البيَان والتّبيين، الجاحظ، ج2، ص55.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص714 ـ 715.

(3) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص713 ـ 733.

(178هـ) إلى نَيْسَابُور، ثمَّ جَاء في سَنةِ (188هـ) إلى خُرَاسَانَ، وتَقاتَل مع عيسَى بنِ عليٍّ في سِيْستَانَ، وهَزَمَه، ثمَّ ذَهَبَ حمْزَة إلى خُرَاسَانَ ودَخَلَ معَه عيسَى في حَرْبٍ، فجَاء حمْزَةُ إلى سِيْستَانَ فَأغار على خُرَاسَانَ وكَرمَانَ وفَارسَ، وَقَتَلَ كُلَّ عمَّال هذه النَّواحِي الثَّلاث، واستحْوَذَ عليْهَا، ولم يَأخذ دِرهَماً، أو قِيرَاطَاً مِن خُرَاسَانَ وسِيْسْتَانَ وكرمَانَ، بل حَضَرَهَا هَارونُ بنَفْسِه، ثمَّ ذَهَبَ عيسَى مِنَ الرِّيِّ إلى خُرَاسَانَ لحَرْبِ حمْزةَ، واجْتَمعَ مع حمْزةَ ثَلاثَةُ آلافِ فَارسٍ، فَأرسَلَ خمَسَمِئةٍ إلى كُلِّ نَاحِيةٍ مِنَ النَّواحِي، ولم يُقِمْ يوماً في مَكانٍ، ولمَّا وَصَلَ الخَبَر إلى الرِّيِّ بأنَّه صَار مع جيشِ الرُّوم، رَجَع هَارُون إلى بَغدادَ.[1]

كان حَمْزَةُ قَدْ أرْسَلَ كتَائبَ جيشِه إلى الأطْرَاف، وقَالَ لهم: لا تسْمَحُوا لعُمَّال الخَلِيفَة بالجَوْرِ، ولم يَجْبِ لِنَفْسِه شَيْئاً مِن سِيْسْتَان ولا مِن النَّاسِ، ولم ينَصِّبْ شَخْصَاً يَأخذ شَيْئاً منْهم، وتَعَامَل مَعَهُم بلطْفٍ، وبقيَ أهلُ سِيستَانَ في حُكومَتِه آمِنِيْنَ، ولمَّا أخَذَ عَمَلُ حمْزَةُ في سجِنَانَ يقْوى ويَنْتَشر، بَعَثَ هَارُون إليْه في سَنَة (193هـ) رسَالةً مِنْ جرجَان، دَعَاه فيهَا إلى طَاعَة كتَابِ الله وسُنَّةِ الرَّسُولِ، ومَنَحَه الأمَانَ بشرْطِ مُثُولِه أمَامَه، فَأجابَه: أنَا نفسِي أدْعُو النَّاسَ إلى كتَاب الله، وحرْبِي مع عمَّالِكَ ليْس مِن أجْل الاسْتِيلاءِ والرَّغبَة في الدُّنيَا الفَانيَة واللَّهْث ورَاءَهَا، وإنَّما محاربةُ الأعمَالِ السَّيِّئة وسَفكِ الدِّمَاءِ ونهْبِ المَال والغِلظَةِ.[2]

---

(1) تاريخ سِيْستَان، ص160.

(2) حُفظت تفَاصيل تمرّد حمزة في تاريخ سِيْستَان، وهذا يشكّل أفضل أقسام الكتاب، والرّسالتان المذكورتان مهمَّتان للغاية، ولم توجدا في مصدرٍ آخر بهذا الحفظ الكامل، انظر الصّفحَات، 156ـ 180، و ص203، من

ومِن الأمْثِلةِ الأخْرى لِتِلْكَ الأعمَالِ غير المُستَحْسَنة، تعَامَل معنُ بنُ زائدةَ مع مروَانَ بنِ أبي حفْصَة، حَيْثُ وَهَبَه ألفَ دينَارٍ عن كلِّ بيْت شِعْرٍ!.

وزيَادةً على الاضْطرَابَات التي حدَثَت في أقَاليم إيرَانَ التي كان سَبَبَهَا العُمَّالُ الوُلاة والجُبَاة، فَإنَّ هنَالِكَ عوامِلَ أخْرى مُؤثِّرةً في الثَّورَاتِ والتَّمَرُّدات في إيرَان، حَيْثُ تنَازعَ الخُلفَاءُ الأمَويُّون مع مجموعَاتٍ مُنَاوِئةٍ، مثْلِ الخَوارجِ، والشِّيعَة، والمُسْلِمِينَ الجُدُدِ، وأهْلِ الذِّمَّة. ولم تكُن أيّةُ واحِدةٍ مِنْ هَذِه المَجمُوعَاتِ بشَكلٍ قاطِعٍ رَاضِيَةً عنْد تشكيْل الدَّوْلة العبَّاسِيَّة، فَقَدْ تكَرَّرَ اضْطرَابُ الخَوارج منْذُ تأسِيسِهَا، وتَبنّتْ أعْدادٌ غفِيرَةٌ مِن الإيرَانيِّين، لاسِيَّما في جَنوبُ غربِ إيرَانَ هذا المَوقِفَ.

وقَدْ أشَرْنَا إلى سَابقَة تمَرُّد حمْزَةَ، إذ لم تضْمَحِلَّ سَيطَرةُ هَذِهِ الفِرقَة في سِيْستَانَ والأقَالَيم الجَنوبيَّة مِن إيرَانَ بعْد موْتِهِ في سَنَة (213هـ)،[1] وإنَّمَا اسْتمَرَّ حُكْمُهَا حَتَّى عهْد يَعقُوبَ بنِ ليْثٍ الصَّفَاريِّ في سِيْستَان، وعَمَدَ أفْرَادُهَا إلى الكَرِّ والفَرِّ في أقَالِيم إيرَانَ

التّاريخ المذكور؛ وابن الأثير في حوادث سنة 177هـ؛ والبغداديّ في كتاب (تتمّة لتاريخ سِيْستَان) الصفحَات 76 ـ 80؛ وكذلك المقدسيّ كتاب البدء والتّاريخ. ج 6، ص102وبعدها؛ والطّبرسيّ، القسم الثّالث، ص 638 و650.

(1) جاء في سنة (213هـ) إلى سبزوار وأشاع القتل في قصبة بيهق (حَاشية نَاشر كتاب سِيْستَان المكان ذاته) وفي هذه السّنة حَرَمَ أتْباعَه من دخول أحمد بن خَالد إلى سِيْستَان، وتحَاربوا معه ونفوه إلى خرَاسان، وتوفّي حمزة في هذه السّنة، وعلى قول أبي سعيدٍ عبد الحِي مؤلّف زين الأخبار (ص5) قتل حمزة في سنة (213هـ)، بعد الحرب الطّويلة بينه وبين طلحة، ولم يبيّن في هذا الكتاب كيفيّة قتله.

الجَنوبِيَّة، وفَقَدُوا قدْرتَهم السِّيَاسيَّة بعْد ظُهُور يعقُوبَ فَقَط، ولَكِنَّهم عَاشُوا في تِلْكَ البِلَاد، وظَلُّوا على عقِيدتِهم.(1)

وعَضَدَ العَلويُّون أيضاً عَمَلَ العبَّاسِيّين، إلّا أنَّ المَنْصُور رَأى أنَّهُم قد تجَرَّؤوا وطمِعُوا بالخِلَافَة،(2) وقد كانَتْ الدَّعْوَةُ في المُحَصِّلة باسمِ بنِي هَاشِم (العَلويِّين)، وقَدْ تعَاوَن العبَّاسِيُّون مَعَهم، ووَصَلوا عن طَريقِهم إلى الحُكْم، لكِنَّهم لم يحفَظُوا حَقَّهم، وعَدَّ العَلويُّون ذَلِكَ غصْباً لحَقِّهم، وبَدَأ النِّزاع بين هَذين الخَصمَين منْذُ تأسِيسِ الدَّولَة العبَّاسِيَّة، وتمَّتْ مضَايقةُ العَلويِّين ومُلاحَقَتُهم بالشَّكلِ الذي فَاقَ مضَايَقة الأمَويِّين.(3) و لِذَلِكَ فَقَدْ التحَقَ الأشْخَاصُ النَّاقِمونَ على العبَّاسيِّينَ وعمَّالِهم بكُلِّ عَمَلٍ يُحقِّقُ لهُم الطُّمَأنينة والرَّفَاه،(4)

(1) رَاجع حول تمرّد الخوارج في سِيْستَان في العصر العباسّي. تاريخ سِيْستَان ص140 (في عَام 141هـ) و ص 145 (في عَام 152هـ) و ص 146ـ 147، و ص 148 و ص 149، و ص 153، و ص 156؛ بشاري المقدسيّ ص 469، و ص306. يقول المسعوديّ في مروج الذّهب ج 5 ص 440 هـ: وسكن الخوارج في سِيْستَان وفَارس وكرمَان وأذربيجان النّواحِي الجبليّة.

(2) مروج الذّهب، ج 6، ص206.

(3) انظر الطّبريّ، القسم الثّالث، ص172، و ص178ـ 89، و ص183، و184؛ أنساب الأشرَاف، البلاذريّ، طبعة بيت المقدس، الجزء الخَامس، ص 110 ـ 111؛ المسعوديّ، مروج الذّهب، ج 6، ص 189 ـ 202.

(4) إضافة إلى وصول العبّاسيّين إلى الحكم في هذا العهد تشكّل إيرَان مرّةً أخرى معقلاً للمعَارضة العربيّة، فجاء الإسمَاعيليّون إلى خرَاسان، ومنَاطق مَا ورَاء النّهر، وأقام محمّد بن إسمَاعيل في الرّيّ وبعد ذَلِكَ تسمّت باب محمّد آباد مَاوند باسمه، ثمّ ذهب إلى الشّام، ووصل ابن محمّدٍ إلى قندهَار وأقام على الحدود مع الهند، ودعَا إلى مذهبه، انظر الجوينيّ: ج3، ص 148 ـ 149.

فدَعَا قسْمٌ منْهُم النَّاس إلى خِلافَة آلِ عليٍّ ومُبَايعتِهِم،[1] فيمَا تَذَمَّر القِسْم الآخَر مِن السَّيْطَرة العَربيَّة الكَاملَة، وانشَغلوا في مخَالَفَة العَربِ والدَّولةِ العبَّاسِيَّة، وكان الفُرْسُ المُقرَّبُون مِن البَلاطِ العَبَّاسِيِّ قد أسْهمُوا في إدارَة الدَّولَة، وقد أفَادَ العبَّاسِيُّون مِن جهُودِ هؤلاءِ الذين كانُوا مِن الطَّبَقة الأولى والثَّانيَة، فيمَا لم يحْدُث تغيِيرٌ كبيرٌ في أحْوالِ الطَّبَقَة الثَّالثَة التي لم يَدْخُل أفرَادُهَا في الإسْلام بعْدُ؛ ولَم يظْهَر لعَمَلهِم أيُّ أثَرٍ. أمَّا الحَرَكاتُ الدِّينيَّةُ التي ظَهَرت بعْدَ هذا الوقْتِ، فَقَدْ كان أكْثَرُ أفرَادِهَا مِن أبنَاءِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ المَحْرُومَة، وكان انتشَار الإسْلام في هَذِهِ الفِئَة قليلاً، وذَلِكَ لأسْبَابٍ نفْسِيَّةٍ واجْتمَاعيَّةٍ، وكان عَددٌ غفِيرٌ منهم ـ حَتَّى هَذا الوقْتِ ـ في الأقَاليم الإيرَانيَّة لم يعتَنِقُوا الإسْلامَ، وحَتَّى في بَعْضٍ مِن المَنَاطِقِ، فَإنَّ هَذا الدِّينَ قد حَقَّق نفُوذاً في العَصْر العَبَّاسِيِّ لأسْبابٍ مخْتَلفةٍ.

كمَا لحِظْنَا سَابقاً، فَإنَّ الزَّرَدَشْتيَّة كانت منْتَشِرَةً في الأقَاليم السَّاحِليَّة لبَحر الخَزَر، لاسِيَّما طَبرسْتانَ، وجَيلانَ، والدَّيلمِ، إذ كان أصْبَهبَذُ وأمرَاءُ هَذِه المَنطِقَة على الزَّرَدَشْتيَّة[2]. وقد طَلَبَ أصْبهبذُ مَازندرَان في أيَّام مَروانَ بنِ محمَّدٍ كامِلَ مبْلغِ الصُّلح دَفعِةً واحِدةً، فَأرسل عَاملَه أبَا العبَّاس إلى طَبرسْتَان، وجَدَّد العَهْد مع الأصْبَهبَذ، لكنَّ الحَال لم يستَمِرَّ،[3] إذ تُوِّج المنصُورُ في سَنَة (137هـ) وتُوِّج

(1) انظر الطّبريّ، القسم الثّالث، ص507، سيرة وأعمَال داود بن طهمَان، إلى يعقوب الذي كان زيديًّا ويتّصل نسباً بالحسين بن عليّ.

(2) وكان في حكم طبرستان سنة 132هـ وهي السّنة الأولى لحكم العباسيّين فرخَان من أسرِة نوخرَا وخورشيد بن داذ هرمز من أسرة دابويه ومهر مردان بن سرخَاب من أسرة باوند وكان جميع هؤلاء زَرَدَشْتيّين من مَازندرَان واسترباد رَايتو ص (134 ـ 135).

(3) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص338.

طَاهرُ بعْد موْتِ فَرَخَانَ مِن أَسْرَة سُوفرَا ووَصَلَت أَصْبَهبَذيَّة طَبرستَانَ إلى ابْنِه ونْدَادَ.[1]

ونَشِبَ في سَنَة (137هـ) خِلافٌ بين الخَليفَة والأَصْبَهبَذِ خُورشِيد بنِ داذ بزرمهر مِن أَسْرةِ دابَويْه[2] على أَمْوالِ أَبي مُسْلم التي أَرْسَل الأَصْبَهبَذ سَابقاً جُزءاً مِنهَا، مَا ولَّد خِلافَاً بيْن الخَليفةِ والأَصْبَهبَذ. وعِنْدمَا ثَارَ عبْدُ الجَبَّار بنُ عبدِ الرَّحمَن حَاكِمُ خُرَاسَان على الخَليفَة في سَنَة (141هـ) سَنَحَت الفُرصَة للأَصْبَهبَذ بنقْضِ العَهد، وأَعْطَى أوامِرَهُ بِقَتْلِ جميْع المُسْلِمِينَ في بِلادِه؛ فَكَتَبَ أبو جَعفَر بعْد سَماعِه هَذا الخَبَرَ إلى المَهْديِّ الذِي كان في الرِّيِّ: أَرْسِلْ جَيْشَاً إلى طَبَرسْتَانَ!. وكان خَازمُ بنُ خُزيْمَةَ التَّميمِيُّ، ورَوْحُ بنُ الحَاتَم المُهلَّبيُّ مَعَه، (مرزُوقُ أبُو الخَصِيبِ) مع جيْشٍ إلى طَبَرسْتَانَ، واشْتبَكا مع الأَصْبَهْبَذِ مُدَّةً، ولم يُحْسِمْ الأَمْرُ لأَحَدٍ، واسْتمَرَّ الحَالُ لبَعْضٍ مِن الوَقْتِ، فَأرسَلَ أَبُو جَعفرٍ عُمَرَ بنَ العَلاءِ الذِي كانَ عَارفَاً بأَرضِ طَبرسْتَانَ، فَحَضَر مِن طَرَفِ آمُلٍ، وَتحَارَبَ مع الحَاكِمِ السَّابقِ لتِلْكَ المَدينَة وقَتَلَه، ولم يكنْ العُظَماءُ والنّجباءُ[3] رَاضِين عن حُكُومَة الأَصْبَهبَذ، بل كانُوا سَاخِطِينَ عليْه، وذَلِكَ بسَبَبِ تعَامُله القَاسِي معَهُم.

ثمَّ إنَّ الأَصْبَهبَذ واجَه بعْد ذَلِكَ مصَاعِبَ نِتيجَة انتشَار الإسْلامِ

(1) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص120، كانت حكومة هذه الأسرة في أطرَاف آمل وجبل قارن.

(2) ذَلِكَ موافقٌ لرؤية حمزة الأصفهَانّي، ص235.

(3) يُقَال إنّه من أجل حفظ مقامه تقرّب من العرب، وقد أحضر ذَلِكَ الأصبهبذ، وقد شوهد هذا الفعل من المَازيَار فيمَا بعد.

واعْتنَاقِه مِن قِبَل بَعْضٍ مِن العُظَمَاء والنُّجَبَاء، فَأودع أقرباءَه وأمْوَالَهُ فِي قلعَةِ (الطَّاق)، ثمَّ ارتَحَل إلى جَيْلانَ، مِن أجْل طَلَبِ مَعُونَة النَّاس، لكنَّ المُسْلِمِينَ احتَالُوا في فَتْح القَلعةِ[1] فَدَخلُوهَا وقتَلُوا كُلَّ مَن وجَدُوهُ فِيهَا، وأسَروا الأطْفَالَ والنِّسَاء، وحَالَمَا سَمِعَ الأصْبَهبَذ هَذا الخَبَرَ، احتَسَى السُّمَّ ومَاتَ، فَنَجَت طَبَرستَانُ مِن ويْلاتِ الحَربِ، وفُتِحَتْ في سَنَة (143هـ).[2]

وكان أبو الخصِيْبِ مَرزُوقُ أوَّلَ مَن وَلِيَ طَبَرسْتَانَ، واعْتَنَقَ أهْل آمُلٍ الإسْلامَ علَى المَذهَبِ المَالِكيِّ، ثمَّ اتَّبعُوا المَذْهَبَ الشِّيعِيِّ في عصْر الدَّاعِي الكبِير[3] ودَخَل جمَاعَةٌ مِن مدِينَة سَاري في الإسْلام، وكانَ أوَّلُ مسْجدٍ بنِيَ في طَبرسْتَان مسْجدَ سَاري الكبيرَ الذِي بُنِي بأمرٍ مِن أبي الخَصِيبِ مرَزوقٍ سعديٍّ، لكنَّ العَربَ والمُسْلِمِينَ لم يطْمَئِنُّوا ـ حَتَّى ذَلِكَ الوَقتِ ـ في طَبرسْتَانَ، وقَدْ صَار خَازمُ بنُ خُزَيمَة التَّميميُّ في سَنَة (143هـ ـ 144هـ) واليَ طَبرستَانَ؛ فبَنَى المَنَاظِر،[4] ثمَّ حَلَّ مكانَه رَوْحُ بنُ حَاتمٍ، وذَلِكَ سَنَة (144ـ 145هـ) وقد عُرفِ بالظُّلم والتَّجَاوز.

(1) كان مرزوق أبو الخصيب الشّخص الذِي عمل بالحِيلة من أجل فتح القلعة (البلاذريّ، فتوح البلدان، ص (338 ـ 339) وتمَاثل خدعته خدعة بهرَام كور مع أعدائه كمَا وردت في كتاب التّاج للجاحظ ص 178 ومن المؤّكد أنّ الرّوايتين ليس لهمَا واقعٌ تاريخيٌّ.

(2) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص338، الطّبريّ، القسم الثّالث، ص 136 ـ 137، 139، هنَاكَ تنَاقضٌ مَا بين رواية الطّبريّ وابن اسفنديَار في بعضٍ من المطالب (ص117 ـ 122) وربّمَا لا يكون ذَلِكَ من دون قصدٍ، ويذكر حمزة الأصفهَانيّ أنّ طبرستان فُتحت في 144هـ، التّاريخ، ص339.

(3) رَابينو، مَازندرَان، واسترباد، ص34.

(4) للاطّلاع على (المنَاظر) وعدد الحصون، تُنظر الترّجمة الانكليزيّة لتاريخ اسفنديَار، ص122ـ123.

واشْتكى سُكَّان جبَل أوميدوار ـ في حدُودِ سَنَة (160هـ) ـ[1] إلى (ونداد هرمز) مِن ظُلْم وتَعدِّي جُبَاة الخَليفَة، ووَعَدُوه بأنَّه إذا مَا قَام بمعَاقبَة العَامِل فَإنَّهم سيناصِرونَه، وسَيَتحرَّر بذَلِكَ مِن مضَايقَة العَرَبِ، ويَعُودُ إلى امْتيَازَات أسْلافِهِ، وبعْد طلَبِ رَأي الأَصْبَهبَذِ شروينَ مَلِكِ الجِبَال وَنَظَرِ مسمغان ولاش (المُقيم فيمَا بين النَّهرين)، توافَقُوا على ذَلِكَ وحَدَّدوا يومَاً للثَّورَة، وأبْلغَ كلَّ المَناطِقِ في هَذا اليَوْم أنْ يثُور كُلُّ أهْل طَبَرسْتانَ على العَربِ، وأنْ يقتُلُوا جُبَاةَ الخَليفَةِ جمِيعَهم وكُلَّ مَن دَخَلَ في الإسْلام، وكان أهْلُ خُرَاسَان مُتَّفقِين على هَذا، حَتَّى إنَّ النِّسَاء اللَّائِي تَزوَّجْن مِن العَربِ، لاسِيَّما كبارِ القَوْمِ منْهُم، قد أخْرَجَنَهُم مِن بيوتِهِنَّ وقُتلُوا على وجْهٍ لم يُلحَظْ

---

(1) على وفق رواية الطّبريّ كان سعيد بن دعلج على طبرستان في سنة (162هـ) (القسم الثّاني ص 494) وعُزل سعيد في سنة (163هـ) عنهَا وحلّ مكانه عمر بن العلاء (ص 500) وعلى قول الطّبريّ أيضاً في سنة (166هـ) ذهب موسى الهَادي إلى كركان (ص517) وفي روايةٍ أخرى ص (518 ـ 519) حضر موسى الهَادي مع جيشٍ مجهّزٍ في سنة (167هـ) من أجل محَاربة ونداهرمز وسيروين، وعلى أيَّة حَالٍ تمرَّدت طبرستان في السّنين الواقعة بين (163 ـ 167هـ). يذكر ابن اسفنديَار: عندمَا كان سعيد بن دعلج حَاكمَاً لمدّة عَامين وثلاثة أشهر تمّ عزله وحلّ محلّه عمر بن العلاء وحكم هذا سنةً واحدةً، وحدث في عهده زلزال طبرستان، وأفتى أحمد بن حنبل في بغداد بوجوب أخذ أموالٍ كثيرةٍ زيَادةً على الزّكاة من أهل طبرستان؛ لأنّ هذه الأرض لا تعمل بالصّلح مع المسلمين، وإنّمَا يجب أخذ ذَلِكَ بالعنوة، واظهر يحيى بن مخنَاف تعَامل جيدا مع النَاس بعد عمر بن العلاء، لكنّ هذا عُزل (بعد مدّةٍ وجيزةٍ) وحلّ مكانه عبد الحميد سفرودي، فضيّق على النَاس، من أجل جباية الخرَاج، وأموالٍ جديدةٍ، وصَادف في هذه الأثنَاء أنْ حدث تمرّد وانداد هرمز (ص 125) (ترجمة تاريخ طبرستان) ولكنّ الطّبريّ يقول: في سنة (167هـ) عُزل يحْيى الجرشيّ وأعوانُه من هذه المنَاطق وولي عمر بن العلاء (520 كذا= =المترجم) لذَلِكَ فمن المحتمل أن يكون هنَاك اختلافٌ في هذين المصدرين، فلم يورد الطّبريّ اسم الولاة من 163ـ 167.

بعْدَهَا في طَبرسْتَانَ العَربُ والمُسْلمُونَ!.

وجَاء خَالدُ البَرمَكيُّ وأتبَاعُه إلى الرِّيِّ بأمْر الخَليفَة، ولكِنَّه عنْدمَا سَمعَ تِلْكَ الأَخبَارَ أرْسَلَ رسُولاً إلى الخَليفَة لإعِلامِه،[1] فَأرسل المَهدِيُّ بدْءاً مِن هَذِه السَّنةِ حَتَّى سَنَة (167هـ) عَدَداً مِن القُوَّاد والحَمْلاتِ إلى طَبرسْتَانَ، فقُتِلَ بَعْضٌ مِن هَؤلاءِ القُوَّاد، وكان بعْضٌ منهم قد انْكَسَرَ مع جيشِه قبْلَ الحَربِ، وأرْسَلَ مِن كَركَان بأمْر الخَليفَة ابنَهُ موسَى مع جَيشٍ عَرمْرَم لِقتَال وُنْدَادَ هرمز، وشرْديْنَ، صَاحِبَيْ طَبَرسْتانَ، وبَعَثَ مُوسَى الجيُوشَ بقيَادَة يزيدِ بنِ مزْيدَ إليْهِم، فحَاصَرَهُم؛[2] وأمَدَّهُم المهْديُّ في سَنَة (168هـ) بسَعيدٍ الحَرْثيِّ مع أربَعينَ ألفِ رجُلٍ إلى طَبرسْتَانَ،[3] ولكنَّ وُندادَ هرمز، أخذَ الأمَانَ مِن موسَى، وحَضَر إليْه، فَأمر موسَى يزيدَ وأتباعَه بترْكِ جبَال وُندادَ لأصْحَابه.

وصَار مُوسَى الهَادِي في هَذا الوَقْتِ الخَليفَة، فَأحضَر مَعَه إلى بغْدادَ هرمز، فوَصَلَ خبرٌ إلى هنَاكَ بأنَّ سبانَ أخَا وُندادَ هرمز، كان قد قَطَّعَ جسَدَ بهرَام فيروزَ الذي اعتَنَقَ الإسْلامَ على يدِ الخَليفَة، فَأرَاد الخليفَةُ جزاءَ قَتْلِ أَحَدِ المُسْلِمِينَ أن يقتُل ونداد هرمز، لكنَّ الأخيرَ عَاهَدَ الخَليفَة إذا مَا أرسَلَه إلى طَبرسْتَانَ على أنْ يبعَثَ أخَاه أو رَأسَه إلى الخَليفَة، فَأيَّدَه النُّدمَاء في ذلَكَ، فَاقتَنَع الخَليفَة؛ وعنْدَمَا

(1) المَازيَار، تأليف مينوي، ص 5 ـ 6؛ ابن اسفنديَار، تاريخ طبرستان، 81، ص126ـ 132.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص519؛ وتاريخ ملوك الأرض والأنبيَاء، ص220 (طبعة أوربا).

(3) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص521.

وَصَلَ وُندادُ هرمزُ إلى طَبرسْتَانَ تظَاهَرَ بأَنَّهُ يتعَقَّبُ أخَاه، لكِنَّه أرْسَل إليْه رسَالةً يخبرُه فيهَا: أنَّه كلَّمَا اقترَبَ منه أنْ يختَفيَ، وبَقِيَ هَذا الحَالُ طَويلاً إلى أنْ تُوُفِّي الهَادِي، وَنُصِّبَ هَارونُ خَليفةً في سَنَة (170هـ) [1]

واشْترَطَ وُندَادُ هرمزُ والأصْبهبَذُ شروينُ على أسْرةِ باونْدانه أنَّهُ عنْدمَا يُتَوَفَّى مُسْلِمٌ في أرْضِهِم ألَّا يُدفَنَ فيهَا،[2] وحِينَمَا وَصَلَ هَارونُ في سَنَة (189هـ) إلى الرِّيِّ، حَضَرَ مَعَه سَعيدُ الحَرَشِيُّ مع أربعِمئةِ فرْدٍ مِن أفذاذِ طَبَرسْتانَ، وقَدْ اعتَنَقُوا الإسْلامَ على يدِ الخَليفَة.[3]

ووَجَدَ الإسْلامُ طَريقَه إلى طَبرسْتانَ في زمَن المَازيَار (بنكارن بنونداد هرمز).[4] لكِنَّ المَازيَار الذي اعتَنَقَ الإسْلام بدَعْوةٍ مِن المَأْمُونِ، لم يكن عنْدَه ميْلٌ حقِيقيٌّ نحْوَ هَذا الدِّيْنِ، وإنَّمَا كان مِن مخَالِفيْه! وقَدْ مَنَحَه المَأمُونُ في سَنَة (218 هـ) حُكومَة كابُلٍ وسَهلِ طَبَرسْتانَ، لكنَّه ألقَى بعددٍ مِن مشَاهِير المُسْلِمِينَ في السِّجنِ، وضَيَّقَ علَيْهم، حَتَّى تُوُفِّيَ بعْضُهم تحْتَ القيْدِ في السِّجنِ، ومَاتَ آخَرُون بسَببَ التَّعذِيبِ،[5] ثمَّ ثَار المَازيَار في عهْد المعْتَصِم وعصَاه، فَأرسَل هَذا الأخِيرُ جيْشَاً إلى طَبرسْتانَ فَأسَرَ المَازيَارَ، وأوْدَعَه السِّجنَ ثمَّ قتَلَه هنَاك في سَنَة (225هـ).[6]

(1) المَازيَار، تأليف منيويّ، ص9 ـ 10.

(2) يتّضح من هذا القدرُ الذِي يَخالف فيه الإسلام الزَّرَدَشْتيّة، ابن اسفنديَار، ترجمة ص141 – 140.

(3) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص705.

(4) حول ألقاب المَازيَار، رَاجع كتاب البلدان، اليعقوبّي، ص77.

(5) منيوي، المَازيَار، ص22.

(6) يذكر الطّبريّ أنّ المعتصم أمر بضرب المَازيَار في دار العَامّة أربعمئةٍ وخمسين

ويَظهَرُ مِن دِراسَة المَصَادِرِ المَتوافِرة أنَّه كانَ للمَازيَار تعلُّقٌ شَديدٌ بآدابِ وشَعَائِر الدِّيْنِ القَديم؛ فكانَ بسببِ ذَلِكَ سَيِّئاً مع العَربِ ودِينِهم، فسَعَى إلى محْوِ آثارِهم، وَفَسْحِ المَجَالِ للزَّرَدَشْتِيِّيْنَ بعْدمَا ضَيَّق على المُسْلِمِينَ وخَرَبَ مَسَاجِدَهُم، وأزَالَ آثَارَ الإسْلام.[1] وفي سَنَة (240هـ) أرسَلَ الخَلِيفَةُ أحَدَ أقاربه إلى الأصْبَهبَذ (كارن بنِ شهريَار) مَلِكَ الجِبالِ، وطَلبَ منْه تَرْكَ الزَّرَدَشْتِيَّةِ واعتنَاقَ الإسْلام، فقَبِلَ الأصْبَهبَذ هَذا طلَبَه، وأسْلَمَ.[2]

لجَأ المقرَّبونَ مِن الإمَام الثَّامِن وأنصَارُه (153ـ 203هـ) بعدَ رحِيلِهِ إلى الدَّيلم وطَبَرسْتانَ، وكذَلِكَ فقَدْ لجَأ إليْهمَا العَلويُّونَ مِن الحِجَاز والشَّام والعِرَاق،[3] ولمَّا قاسَى أهْلُ طَبَرسْتانَ مِن ظُلم محمَّدٍ بنِ أوسٍ عَاملِ الخَليفَة في سَنَة (250هـ)، بايَعُوا الحَسَنَ بنَ زيدٍ العَلويَّ،[4] وطَلَبَ هَذا العَونَ مِن الدَّيَالَمة، فجَاؤوه بالمَدَد، فتَقوَّى

سوطاً، فطلب المَازيَار المَاء، فَأعطوه ، لكنّه مَات في حِينهَا، القسم الثّالث، ص1303 (سنة 1225) وفيهَا وجّه عبد الإله بن طاهر إلى المَازيَار، فخرج إسحَاق بن إبرَاهيم إلى الدّسكرة، فَأدخله سامرَاء في شوّال وأمره بحملةٍ على الفيل. ويذكر محمّد بن عبد الملك الزّيَات: فَأبى مَازيَار أن يركب الفيل فَأُدخل على بغلٍ... فجلس المعتصم في دار العَامّة لخمس ليَالٍ خلون من ذي القِعدة، وأمر فجمع بينه وبين الأفشين، وقد كان الأفشين حُبس قبل ذَلِكَ بيوم فَأقرّ المَازيَار بأنّ الأفشين كان يكاتبه ويحثّه على الخلاف والعصيَان، فَأمَر بردّ الأفشين إلى محبسه وبضرب المَازيَار أربع مئةٍ وخمسين سوطاً وطلب مَاءً فسُقي فمَات من ساعته.

(1) تاريخ طبرستان، وكذلك ترجمة برَاون، لكنّ المَازيَار في البدء بنى المساجد في طبرستان (مَازندرَان وطبرستان) ص45.

(2) ترجمة تاريخ طبرستان، 157.

(3) رَابينو، مَازندرَان واسترَاباد، ص11.

(4) المعروف بالدّاعي الكبير هو الحسن بن زيد بن محمّدٍ بن إسمَاعيل بن الحسن بن زيدٍ بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالبٍ، وحكم في طبرستان من سنة

أَصْبهبَذ وأشْرَافُ طَبرسْتانَ على آمُل، وقبِل أهْلهَا رئاسَته،[1] وشَاع في هَذه المَنطِقَة ـ كَرهَاً أو طوعَاً ـ المذْهَبُ الشِّيْعِيُّ،[2] وكان نفُوذُه في بِلادِ الدَّيلَم حَتَّى ذَلِكَ الوَقتِ أَقَلَّ منه في طَبرسْتانَ وجَرجَان، لأنَّ الخُلفَاءَ الأَمَويِّينَ والعبَّاسِيِّين لم يُوفَّقُوا أبداً في فَتْح تِلْكَ المنطِقةِ، وقَدْ حكَمَ الدَّيَالَمَة أنفُسَهم بأنفُسِهم، إلّا أنَّ الدِّيْنَ الإسْلاميَّ قد انتَشَر بفَضْل دعْوةِ العَلويِّينَ، إذ كان يحْيَى بنُ عبدِ الله العَلوِّيُّ قد لجَأ في سَنَة (175هـ) إلى بِلادِ الدَّيلمِ، وشَرَعَ مِن هنَاكَ بالدَّعوَة، وصَار صَاحبَ نفُوذٍ وقوَّةٍ.[3]

ويَذكُر المسْعوديُّ عن أهْل الدَّيلمِ وَجيْلَانَ أنَّ قسْمَاً منْهم حَتّى القَرنِ الثَّالثِ كان مِن الزَّرَدَشْتِيِّيْنَ، وكان بعْضُهُم الآخَر مِن المشْركِين، واسْتقرَّ الحسَنُ بنُ عليٍّ الحسَينيُّ[4] المعْرُوفُ بـ(الأطروش) في سِنيِّ القرنِ الثَّالثِ الهجْريِّ مُدَّةً في الدَّيلم وجَيْلانَ، وعُرفَ بعلمِه واطِّلاعِه على الآرَاء والفِرقِ، فدَعَا أهْلَ الدَّيلم وجَيلانَ إلى الإسْلام، فقَبِل الكثيرُ منْهُم دعْوَتَه، وبقِيَ على الشِّرْكِ قلِيلٌ مِن الذين سكَنُوا الجِبَالَ والقِلاعَ والشِّعَابَ والمَناطق القصَبيَّة، وقَدْ بنى نَاصر الكبيرُ

(250هـ) حتّى (270هـ) وهي سنة وفَاته (يُلحظ هَامش فَاتح العَالم) ج 3، ص (307 ـ 309).

(1) ترجمة تاريخ طبرستان، ص (162ـ 165).

(2) لكن حتّى النّصف الثّاني من القرن الرّابع الهجريّ كان أكثر أهل طبرستان زَرَدَشْتيّين، حدود العَالم، ص 86.

(3) الملوك المجهولون (بالفَارسيّة)، ج 1، ص (20 ـ 21)، هذا المؤلّف أفضل تأليفٍ حول الدّيلم في القرون الإسلاميّة الأولى زيَادةً عن رسالة مينو رسكي: سيطرة الدّيَالمة.

(4) هو أبو محمّد الحسن بن علّي.

المسَاجدِ في بلاد الدَّيلم.[1] «ولأنَّه كان زيدياً عُدَّ أحدُ علماءِ ومؤلِّفي هذا المذهب» ودعَا إليْه عشر سِنين، ولم يكن عندَه عمَلٌ غيرُ هذا؛ وقد نَفَرتْ الدَّيَالِمة مِن الدَّين الإسْلاميِّ بفعلِ الاختِلاطِ الكبيرِ مع العَلويِّين، إذ وَصلَتْ الكثير مِن الفكر والمعتقدَات إليهم، وتَطوَّرَتْ بذلِكَ دعوة النَّاصر. ويذكر ابنُ الأثير في حوادث سَنَة (310هـ) أنَّ أهل المنَاطقِ مِن جيلان باتِّجاه النَّهر الأبيض وحتَّى آمل، قد انضمُّوا إلى دعوة النَّاصر.[2]

وكمَا مرَّ سَابقاً في خُرَاسَان، لاسِيَّما مَا ورَاء النَّهر فَإنَّ الكثير مِن النَّاس في العصر الأمويِّ، اعتنقوا الإسلام مُجبَرين، أو لمنَافِعَ مَادِّيَّة، وحِين ارتفعَتْ هذه الأسْبابُ، رجَعُوا إلى ديْنِهم القَديْم، إذ لَم يكُن النَّاس الذين أسلَمُوا في إقليم السَّغد آمِنِين على أرواحِهم مِن الخَطَر، وكانوا بسَبَب ذَلِكَ في بَعْضٍ مِن الأحْيَان، يحملون السِّلاح معهم.[3]

واعتنق قسمٌ مِن الإيرَانيِّين الإسْلام في بداية الدَّولَة العبَّاسِيَّة، كمَا إنَّ المَأمونُ أرسَلَ في آخر سنيِّ إقامَته في خُرَاسَان جيْشَاً إلى مَا ورَاء النَّهْر، وأخضَع بعْضَاً مِن المُلُوك غيرِ الخَاضِعينَ له، كمَا إنَّهُ أغرَاهُم وشَجَّعهم في بَعْضٍ مِن الأحْيَانِ على اعتنَاق الإسلام، فكانَ للإسلام في عصَرِه موقِعٌ كبِيرٌ في هذه المَناطِق، كمَا كان يقبَل أبنَاءَ المَوالِي في العَمَلِ الإدَاريِّ ويُكْرِمُهُم، ويُعِزُّهم، وانتشَر الإسلامُ في عَهْدِ المُعتَصِم بشَكلٍ أكثرَ في تِلكَ البِلادِ، وتَرَسَّخ الإسلام فيْهَا حَتَّى

(1) المسعوديّ، مروج الذّهب، ج 8، ص 279 ـ 280، و ج 9 ص 5 ـ 4.

(2) الملوك المجهولون (بالفَارسيّة)، ج 1، ص32. كانت لدعوة النَاصر نتائج مهمَّة لتطوّر الأوضاع السّيَاسيّة في المَمالك الإسلاميّة مع ظهور البويهيّين.

(3) تاريخ بخَارى، ص50.

إنَّ ملوكَ هذه البِلادِ صَاروا مِن المُسْلِمينَ، وكان قُوَّادُ جيْشه مِن أهَلِ السَّغد وفَرغَانَةَ، بل إنَّهُم قاتَلوا الأتْرَاكَ غيرَ المُسْلِمِين.(1)

لا يُمكِن التَّعرُّف بشَكلٍ كافٍ على سببِ صَمْتِ المُؤرِّخِين عن موضُوعِ نشْر الإسلام في عمُوم أقَالِيم إيرَان! لأنَّ نفُوذ الإسلام في هَذه البِلادِ كان قلِيلاً في العصْر الأمَويِّ، ثمَّ تزايَد في العصْر العَبَّاسِيِّ، ولكنَّنَا نعلَم بشَكلٍ مطَمْئِنٍ وثابِتٍ أنَّه حتَّى القَرْن الرَّابع الهجْريِّ كانت جُمُوعٌ كبِيرةٌ مِن الإيرَانيِّين، قد بقيت على دين أهورَامزرَا، وأقَامُوا العديدَ مِن بُيوتِ النِّيرَانِ في القُرى والمُدن، ووضَعُوا الكثِيرَ مِن الكُتُبِ باللُّغَة البَهْلَوِيَّة، ووَصَلَ العَديدُ مِن الهرَابذة، والمُوابِذَة، إلى بَلاطِ الخُلفَاء، واشْتدَّ التَّضْييق والتَّعَصُّبُ على أهْل الأديَان الأخْرى منْذ أواخِرِ القَرْنِ الرَّابع الهِجْريِّ وبعْدَه، فَضَعُفت بذلِكَ الزَّرَدَشْتيَّة وتُركت بشكلٍ تدريجيٍّ.

«رَابعَاً: واقع الدِّيَانَات الإيرانيَّة القديمة في القُرُون الإسْلاميَّة الأولى»

سنكون مضطرِّين إلى البَحْثِ في بعْضٍ مِن مُؤلَّفَاتِ القَرْنِ الرَّابع والخَامِسِ الهجْرِيَّين، لنجْمَعَ منهَا القطَع المُتعلِّقة بالأمور الدِّينيَّة للإيرَانيِّين وذَلِكَ بسَبَب نُدرَة المَعلومَاتِ عن الحَياة الدِّينيَّة الإيرَانيَّة، وهدفنَا مِن ذَلِكَ أن نَعلمَ مَا قدْر القوَّة التي كان يملِكهَا الدِّين الإيرَانيُّ القدِيمُ، والفِرقَ المتشَعِّبةَ منه في القَرنَيْن الثَّاني والثَّالثِ الهجْرِيَّين، ومِن البَدَاهَة أن تكونَ كِتابَة مُؤلِّفي القَرْنين الأوَّل والثَّاني حوْلَ الرُّسُوم والآدابِ الدِّينيَّةِ الإيرَانيَّة الزَّرَدَشْتيَّة أفضَلَ وأكثر اشْتمالاً مِن كُتَّاب القَرنين الرَّابع والخَامس.

(1) فتوح البلدان، البلاذريّ، ص430 ـ 431.

وليسَ لدينَا مَعلومَاتٌ دقِيقةٌ عن الأنشِطَة الدِّينيَّة والأدبيَّة للمُوابِذة الزَّرَدَشْتيِّين ومنزلتِهِم الاجتماعيَّة في القرنين الأوَّل والثَّاني الهجْريَّين، وكَذَلِكَ ليس في أيْدينَا شَيءٌ عَن مقرِّ المُوابِذَة.

وممَّا يُشار إليه أنَّه وَرَدَ في تاريخ سِيسْتَان خَبرٌ عن فتْحِ هذا الإقلِيمِ في عهْدِ عثمَانَ بنِ موبذ المُوابِذَة، يَرشَحُ منه أنَّ هَذا المُوبِذ كان مُقيماً في هَذا الإقلِيم،[1] وتمَّ يوماً في مجلِسِ يحْيى بنِ خَالدٍ بنِ برمَكٍ بحْثُ مطْلَبٍ حَوْلَ العِشْق، وكان قد حَضَرَ عَددٌ مِن المُتكلِّمِين المُسْلِمِين ومِن أصحَاب الآرَاء والنِّحَلِ، وكان بينَهُم مُوبذُ وقَاضِي الزَّرَدَشْتيِّين، وقد أظْهَرَ رَأياً حَوْلَ العِشْق، ومِن المُمكِن أن يكُون هَذا المُوبِذ عظِيمَ المُوابِذَة، وربَّما يمكِن مِن هذه القِصَّة التَّعرُّف على روح التَّسَامُح التي تعَامَلَ البرَامِكةُ بمُوجَبهَا مع رجَالِ الدِّين الزَّرَدَشْتيِّين.[2]

وازدَادتْ معْلومَاتنَا في القَرْنِ الثّالثِ حَوْلَ رجَال الدِّين والأدَب البَهْلَوِيِّ، ولمَّا كان المَأمُونُ معروفَاً بمَيْلِهِ نحو الفِكرِ الحُرِّ وطَلَبِ العِلمِ، وإجْرَاء المُنَاظرَات والمُباحَثَات الدِّينيَّة، فقد وَرَد أنَّ أحدَ زعَماء المُوابِذَة الزَّرَدَشْتيِّين المعْروفِ بـ (اتور فرن بغ) ـ وهو جامع كتاب دينكرد – قد تنَاظر مع (أباليش) وهو شخصٌ مِن المرتدِّين عن الدِّين الإيرَانيِّ (كجستك أباليش طبعة :A.Barthelemy).

وحِينما كان المَأمُونُ في خُرَاسَان تحدَّث مع موبذ المُوابِذَة في هذا الإقليم وكان معه حِينهَا حسينُ بنُ عمرَ الرَّستميُّ الذي هو

---

(1) تاريخ سِيسْتَان، ص81.

(2) المسعوديّ، مروج الذّهب، ج 6، ص 375 ـ 376.

مِن كبَار قوَّاده، فسأل موبذ موبذان عن النُّوروز والمهرجَان في بيتِ ذي الرِّئاسَتين فضْلِ بنِ سهلٍ،[1] فَأخْبَرَه عن سَببِ هذين العيدَين وسَببِ تسْميتهمَا،[2] وقَدْ أهدى موبذُ موبذان في زمَان (المتوكِّل على الله) زجَاجَة عطرٍ صَغيرةً إلى الخَليفة، وبهذا تمكَّن مِن إيصَال شَيءٍ ولو صَغيرَاً إلى البَلاط، وإذا أخذنَا بعين الاهتمَام حدَّةَ مِزاج وتعصُّبَ شخصيَّة المتوكِّل فَإنَّ هذا الأمرَ يستحقُ الَّلحظ![3] لاسِيَّما أنَّ المتوكِّل قد دعَا أيضَاً موبذاً مِن فَارسَ ليسأله عن وقت جباية الخَرَاج في العصْر السَّاسَانِيِّ،[4] فبيَّن له السَّنين ومقاديرهَا واحتيَاجاتهَا إلى ان تكون من السنوات كبيسة، لذَلِكَ أمَرَ المتوكِّلُ بإصلاح وقت النُّوروز وإثباته،[5] ويُذكر أنَّه قَالَ للموبذ في محرَّم سَنَةَ (234هـ): إنِّي لا أحِيد عن رسوم فَارسَ. وكان يوجد في النِّصف الأوَّل مِن القرن الثَّالث (يودان يم) ابن شابور أكبر علمَاء الدِّين في الإقليم الجَنوبيِّ لإيرَان،[6] كمَا كان (هيربدخداى) كبير الهرَابذة،(مَانوشكر بن يودان يم) موجوداً في فَارسَ وكرمَان، وذَلِكَ في سَنَة (250) مِن التَّاريخ اليَزْدُگَرْديِّ (267 هـ/ 918م)؛ وهو صَاحبُ مؤلَّفَاتٍ في الأدبيَّات الدِّينيَّة البَهْلَوِيَّة، وكان رجُلاً معتَدلاً وعَارفَاً بمُقتضَيَات السِّيَاسة، وعَالمَاً بوظيفته،[7] وكان أخوه الأصغر

(1) أسلم الفضل بن سهلٍ في سنة 190 هـ على يد المأمون، الطّبريّ، القسم الثّالث، ص709.

(2) معجم البلدان، ج 1، ص 669، مَادّة بطيحة.

(3) المسعوديّ، مروج الذّهب، ج 7، ص229.

(4) الفهرست، ص305، ورَاجع النّسخة الأخرى.

(5) البيرونّي، الآثار الباقية، ص31 ـ 32.

(6) المقدمة المجلّد الثّاني، ترجمة المتون البَهْلَوِيّة، بجهود وست، ص111

(7) م.ن: ج 2، ص71.

(زادسبرم) رجلَ دينٍ في سيركان (سرجان)، وقد كان أقام قبل ذَلِكَ في سرخس والقسم الشِّمَالِيِّ الشَّرقيِّ لخُرَاسَان، وبقيت أعدادٌ غفيرةٌ مِن الإيرَانيِّين على الدِّين الزَّردشتيِّ حتَّى أواخر القَرْن الثّالث مع تنَاقص نفوذ المُوابِذَة بعد أفول الأسْرة السَّاسَانِيَّة التي كانت حَامِيةً للدِّين الزَّرَدَشْتيِّ، فكانت للزَّرَدَشْتِيِّيْنَ قوَّةٌ لا بأس فيها على الرَّغْم مِن فقدانهم لمقامهم السِّيَاسِيِّ، إذ ظلَّت الزَّرَدَشْتيَّة حَامِيةً للرِّوايَات والشَّعَائر القوميَّة، ولم تَكِلَّ معنويَّاتهم ولم تَضْعُف، لاسِيَّما موبذ المُوابِذَةِ الذي يُعَدُّ رئيسَ الدِّين وحَافظَه. وفي الحقيقة فَإنّه عنْدمَا اضْمحلَّ منصِبُ المَلك، ولم يبْقَ الأشْرَافُ على قوَّتهم السَّابقةِ، أصبحَ موبَذ المُوابِذَة الرَّئيسَ الحَقِيقيَّ للإيرَانيِّين الزَّرَدَشْتيِّين، وكان موقُعُه الدِّينيُّ المعْنويُّ محتَرَمَاً في آخر القَرْنِ الثّالثِ، وعُهِدَتْ إليه قَضيَّة حلِّ المسَائل الدِّينيَّة.

والذي يجبُ الانتبَاهُ إليْه بِعنَايَةٍ، أنَّه لا يُلحَظُ البتَّة في أيٍّ مِن الحَرَكاتِ التي اشتَرَكَ فيهَا الإيرَانيُّون ضدَّ العَرب أنَّ أحَداً مِن المُوابِذَةِ الزَّرَدَشْتيِّين كانَ له مُشَارَكةٌ، وأنَّه لا يمكِن حشْرُ حركَةِ به آفريد وسِنبْاد في هَذه الحَرَكَات، لكن لا يجبُ أن يُفهَم أنَّ هَذه الفِئَة قد عَزَفَت بشَكل كامِلٍ عن مُسانَدةِ مُعَارِضِي دولَة العَربِ وتَقوِيَتِهم. وعِنْدمَا يتحَدَّثُ المؤلِّفُون المسْلمُون عن حَرَكةٍ مَا وأحْوالِهَا، فَإنَّ الأهمِّيَّة تكمُن في الحَديثِ عن عمَّالِ الحُكُومةِ، فهم قَليْلاً مَا يتكلّمُون عن الأسبابِ الفِعليَّة لِذلِكِ، فهم يَتركُون الطَّريقَة التّاريخيَّة في تعقُّبِ تَطوِّر الأمُور السِّيَاسيَّة والدِّينيَّة والاجْتماعيَّة.

«1ـ التُّرَاثُ البَهْلَوِيُّ»

كان الزَّرَدَشْتيُّون والُموابذَةُ قد أظْهروا في القَرْنِ الثَّالِث نشَاطاتٍ تثِيرُ الَّلحْظ والاهْتِمام، حَيْثُ تُوضِّح كُتُبُهم العَديدَ مِن الجُزئيَّات الدِّينيَّة والعَقائد الزَّردشتيَّة، وتظهر حَال الزَّرَدَشْتيِّين وقوَّة دينهم وفِكَرَهُم في أيَّامٍ كانت فِيهَا الزَّرَدَشْتيَّة وقوَّتهَا وفِكَرُهَا تمرُّ بمرْحَلَة انحِطاطٍ، لكنْ حتَّى ذَلِكَ الوقتِ كان لهَا وُجُودٌ في إيرَان، وكان يَعْتَنقهَا جَمْعٌ كبيرٌ مِن الإيرَانيِّين. وسَنَتَنَاولُ هنَا ذِكْرَ جُمْلةٍ مِن المُؤَلَّفَات الدِّينيَّة لهذا العَصْر.

1ـ دينكرت: كان (إتوربغ ابن فرخ زاد) هو الذي شَرَعَ بجَمْع هذا الكِتَاب، حَيْثُ يُعَدُّ واحِداً مِن زُعَماء المُوابِذَة الزَّرَدَشْتيِّين، ثمَّ أُكْمِلَ على يد خَليفَتِه (أتوربات بن هي ميت/ Hemed). و اتوربغ هو الشَّخْصُ نفْسُه الذي تباحَثَ وتجَادَل مع (أباليش) في حَضْرة الخَليفةِ المَأمُونِ (833 ـ 813م)، ويُعَدُّ أتوربات جامِعُ دينكرت الشَّخْصَ نفْسَه الذي ذُكِرَ في كتاب البذهش الفصْل 33 الفقرة 11، والمُعَاصِر كذلِكِ لـ (زاد سبرم) أخِي منوجهر الذي عَاشَ في أواخِر القَرْنِ التَّاسِع، وبِنَاءً على ذلِكِ، فَإنَّ جَمْعَ دينكرت يرجِعُ إلى القَرْنِ التَّاسِع المِيلاديِّ.[1]

2ـ دادستان دينك: يبْدُو هَذا العُنْوانُ جَديْداً إلى حَدٍّ مَا! إذ فيْه اثنَانِ وتِسْعُون سُؤالاً وجَوابَاً مُتَعلِّقاً بالأمُور الدِّينيَّة، ففي رسَالَةٍ يَسْبقُ تأليفُهَا سَنَة (881 م ـ 267هـ) مُوجَّهةٍ مِن (ميترو خُورشيد بن أتورومهَان) إلى منُوجهر (هربذ الهرَابذة) تحْمِل تَسَاؤلاتُ

(1) المقدّمة، ج 4، ص32، 33.

للزَّرَدَشْتيِّين، وأجَابَ منُوجَهر عنها... فَائدةٌ كبيرةٌ لمعْرِفَة بَعْضٍ مِن المَسَائل في ذَلِكَ العصْر بالنِّسْبة إلى قسْم كَبيرٍ مِن الزَّرَدَشْتيِّين، إذ أظْهَرَ منُوجَهر عِلماً وفِطْنةً ودِرَايةً عَاليَةً، فَحَاز بذلِكِ على مَرتَبةٍ رفِيعَةٍ في عصْره، ويبْدُو أنَّه أشَاعَ رُوحَ التَّسَاهُل إزاءَ الأخْطَاءِ والزَّلَلِ مِن أجْلِ حِفْظِ بيضَة وامتِيَازاتِ رجَالَ الدِّين المُوالين.[1]

3ـ شكند كمَانبك ويجار: هذا اسمُ مصَنَّفٍ جَدَليٍّ اسمُ مؤلِّفه (مردان فرخ بن أهورمزددات)، وموضُوعُه الأصْليِّ إظهَارُ الاخْتلافِ العمِيقِ بين الصَّالِحِ والطَّالِحِ، لاسِيَّما أنّ الأديَانَ الأخْرى تَرُدُّ الصَّالحَ والطَّالِحَ إلى إلَهٍ واحِدٍ، وتَنْسُبُ الصَّالِح إلى الرَّديء، وكان جَهْدُ المُؤلِّف فيه مقصُوراً على إثباتِ بطْلانِ وعَدَم صِحَّة عقائِد الأديَانِ الأخْرى مثْلِ اليَهُوديَّة والمَسِيْحِيَّة والمَانويَّة،[2] وقَدْ ألَّفَ هذا الكِتابُ في أواخِر القَرْن التَّاسِع الميلاديِّ.[3]

4ـ مختارَات زادسبرم: كُتِبَ في القَرْنِ الثَّالث الهجْريِّ (268 / 267)، التَّاسِع المِيلاديِّ (811م). ومطالبُ قسْمِهِ الأوَّل هِي المطَالبُ ذاتُها التي تناوَلهَا بندهش مع قَصَصٍ أخْرى متَعلِّقةٍ بـ زَرَدَشْتَ وأسْرتِه، فيمَا تناول قسْمُه الثَّاني تكوُّن الإنسَان مَا عَدا الجِسم والحَياةِ والرُّوحِ، وتنَاولَ القسْمُ الثَّالِثُ تجديدَ العَالَم، فيمَا لم يكْتَملْ قسمُه الأخِيرُ، وزَاد سبرم أخَا منُوجهر الذي مرَّ ذِكْرُه.[4]

(1) م.ن، ج 2، وست، ص22، 24.

(2) ستتنَاول لاحقاً الحديث عن المَانويّة.

(3) المقدّمة، الجزء الثّالث (المتون البَهْلَوِيّة) ص25، 27.

(4) المقدّمة، المجلّد الأوّل للمتون البَهْلَوِيّة (باللّغة الإنكليزيّة)، ص71 ـ 711.

5ـ مَاديكان كوزستك أباليش: تنَاظر أباليش في حُضُور المَأمُونِ مع (اذر فرن بغ بن فرخ زاد) ويُعدُّ الشَّخْصَ نفسه الذي جمع (دينكرت)، وقد دارَت هذه المُناظرةُ في بغداد، ويرجِعُ تأليفُ هذه الرِّسَالة إلى بِدايَة القَرْن الثَّالِث.[1]

ونكتفي بِذِكْر المُؤلَّفَاتِ الآنِفةِ وأسْمَائهَا، وسيتَّضح منهَا بصُورةٍ مباشِرةٍ وغيرِ مباشِرةٍ وضْعُ الدِّينِ الزَّرَدَشْتيِّ في القَرْنِ الثَّالث الهِجْريِّ، أي: بعْد قرْنينِ مِن فتْحِ العَربِ، حَيْثُ كان الدِّين الزَّرَدَشْتيِّ حتَّى ذَلِكَ الوقْتِ قويّاً، وكان عَدَدٌ كبِيرٌ مِن الرَّسَائل والمؤلَّفَات البَهْلَوِيَّة المفقُودة اليومَ موجُوداً، وكانت شيرَازُ وسِيركانُ وكرمَانُ والرِّيُّ وسرخسُ في ذَلِكَ الوَقتِ مِن مَرَاكِز الدِّين القدِيمَة؛ كمَا تُظْهِرُ الكُتُبُ الثَّلاثُ الجَهدَ الكبيرَ للهرَابذة في فَارسَ وكرمَانَ،[2] فقد كان لرئيسِ شِيرَازَ الدِّينيِّ الحَقُّ في النَّظَر في المَسَائلَ الدِّينيَّة في فَارسَ وكرمَانَ وجَنوبَ إيرَان، وهو بمنزلة القِسِّ الذي يُعطِي أوامِره لرِجَال الدِّين الكِبَار في فَارسَ وكرمَانَ، وكانَ معروفَاً كزَعيم دِينِيٍّ، وكان لدَى كُلِّ الزُّعَمَاء الزَّرَدَشْتيِّين حَتَّى ذَلِكَ الوقتِ عَادَةُ المحَافَظةُ على مبْدَأ الفُروسِيَّة العسْكريَّة، وحِينمَا يهرَم كبِيْرُ رجَالِ الدِّينِ، يمْنَحُ صَلاحِياتِه الدُّنيويَّة إلى هيئةٍ مُكوَّنَةٍ مِن أربعةِ علمَاءَ يتشَاوُرون فيمَا بينَهم.[3]

ويُظهِر بَقاءُ العَديدِ مِن الكُتُبِ المُقدَّسَةِ الزَّرَدَشْتِيَّة في القُرونِ

(1) وست مقدّمة المتون البَهْلَوِيّة، ص1.

(2) للاطّلاع على محتويَات هذه الرّسائل الثّلاث يُنظر: مقدّمة المجلّد الثّاني، من المتون البَهْلَوِيّة، ص1.

(3) المقدّمة، الجزء الثّاني، المتون البَهْلَوِيّة، ص711.

الثَّلاثة الأولى مِن الحكم العَربِيِّ أنَّ العَرَبَ ليسوا مسؤولين بصُورةٍ مباشِرةٍ عن فُقدانهَا، لكن حِينَ وَقَعَ الزَّرَدَشْتيُّون تحْت وطأةِ التَّضِييقِ وتغيِّرِ الدِّينِ، أصْبَحُوا أقلِّيَّةً، ثمَّ وَقَعُوا تحْتَ حكُومَةِ التَّتار الوَحشيَّة، لذَلِكَ لم تَعُدْ تِلك الآدَابُ موضِعَ التِزام يَوْمِيٍّ، وربَّما يتَعلّق أكْثَرُ أسبابِ ضَيَاعِ تِلك المؤلَّفَات بعَدَم تجدِيْد نُسَخهَا، لا إتْلافِهَا مِن قِبَلِ الفَاتِحِينَ، فَقَدْ بقِيَتْ بَعْضُ مَن النُّسَخ الوَرَقِيَّة لأكثرَ مِن خمْسِة أو سِتَّة قُرونٍ.[1]

ويُزادُ على ذَلِكَ أنَّ نَشْرَ المُؤلَّفَات مِن قِبَلِ الزَّرَدَشْتيِّين كان مؤثِّرَاً في اسْتِمرَار الدِّين الزَّرَدَشْتيِّ ومَانِعَاً إلى حدٍّ كبيرٍ مِن زَوالِه، وكان نَقْلُ الكُتُبِ البَهْلَوِيَّة إلى العربيَّة أحَدَ العَوامِلِ المحرِّكَة في تقْوِيَة الرُّوحِ الوَطنيَّة والدِّينيَّة بين الإيرَانيِّين على وجْهِ العُمُوم، وتَعلَّقتْ تَرجُمَاتُ داذبه بن كشنسب المعروفِ بـ (أبي محمَّدٍ عبدِ الله بنِ المقفَّع) وهُوَ مِن أهل مَدينةِ جور.[2] وقَدْ ارتبَطَت تَرجمَاتُهم إلى حَدٍّ كَبيرٍ بكتُب الحَرَكَةِ الشُّعُوبِيَّة مِن أجْلِ مُقابَلة ادِّعَاء العَربِ الذين عَدُّوا

(1) مقدّمة وست ج4 المتون البَهْلَوِيّة، ص1.

(2) شرع ابن المقفّع قبل ذَلِكَ بترجمة بعضٍ من الكتب الأدبيّة والتّاريخيّة الإيرَانيّة، لاسِيَّما المتعلقِ منهَا بالملوك وسيرهم، إذ نقلهَا من البَهْلَوِيّة إلى العربيّة من أجل هشام بن عبد الملك (105 – 125هـ) وقد لحظ المسعوديّ هذا الكتاب بالقرب من أحد أشرَاف إيرَان في اصطخر سنة (303هـ) (التّنبيه والإشرَاف، ص107 – 106) ترجمة كارَادوو، ص150؛ إيرَان في العصر السَّاسَانِيّ ص (61–62) التّرجمة ص (32–33). وحول كتاب سير الملوك الذي قرَأه مروان الثّاني، رَاجع مروج الذّهب، ج6، ص64؛ وحول ابن المقفّع رَاجع رسالة السَّيِّد عبَّاسٍ إقبال الأشتيَانيّ التي نُشرت في سنة (1305) شمسي، كمَا أنّه كتب رسالةً مفصّلةً عن الزّندقة، وأضافهَا إلى تلك الرِّسالة. وقد شاهدتُهَا ولم تُنشر حتّى الآن.

أنْفُسَهم في الخَطابَة والعِلْمِ والشِّعْرِ أفضلَ الأقْوام،[1] وفَضَّلوا أنْفسَهُم بالحَسَبِ والنَّسَبِ، وافتَخَرُوا بالشَّجَاعَة، وقَالُوا: إنَّ العَربَ لم يرزحُوا تحْت العُبودِيَّة.

إنَّ الغرضَ الرَّئيس مِن نقْل هَذِه الكُتُبُ هو إظْهَار مَرْتَبَةِ الإيرَانيِّين في الأدبِ والتَّاريخ والحِكْمَة، وإبرَازُ عَظَمَةَ وجَلالِ المُلُوكِ السِّيَاسيِّيْنَ وتدِبيرِهم المُلْكَ. كمَا إنَّ شيوعَ هَذِه الكُتُبُ، يُساهِم في نَشْرِ أسَاليبِ الكِتابَة والصَّنْعَة الأدبيَّة بين المُسْلِمِين العَرَبِ، فلمَّا رَغِبَ الشُّعَرَاءُ في الابتِكَارِ بأسَالِيبِهم والتّجْدِيد والتَّحَرُّر مِن الأسَاليب القَديمَة، كانَتْ ـ مِن دُون شَكٍّ عَوْنَاً لَهم،[2] والشَّيءُ الواجِبُ لَحْظُهُ هو أنّ أسْلوبَ تبويْبِ الكُتُبِ العِلمِيَّة مِثلِ النَّحوِ قد تمَّ اقْتبَاسُه مِن البَهْلَوِيَّة، لأنّ أَكْثَر مُصَنِّفِي كُتُبِ الُّلغةِ العَربيَّة هم مِن الفُرْسِ و لِذَلِكَ فَقَدْ وظَّفُوا أسَاليب لُغتِهم القدِيمَةِ في الُّلغَة العَربيَّةِ الجَديدَة.[3] ويُلحَظ أنَّ الألفَاظَ الفَارسِيَّة أخذتْ تتَسَرَّبُ إلى الأشْعَار العَربِيَّة، حَيْثُ يُشاهَد هَذا على سبيل المِثَال في كِتَاب البَيَان

(1) ادّعى ابن قتيبة الإيرَانّي (أبو محمّدٍ عبد الله بن مسلم بن قتيبة البجلّي) في كتابه (تفضيل العرب على العجم)، أنّ العرب أعلَم النَاس بمطالع الكواكب ومساقطِهَا، غير أنّ البيرونيّ يذكر «لا أدري أجهل أم تجاهل مَا عليه الزّارعون والكُرَّاء في كلّ موضع وبقعةٍ من علم ابتداء الأعمَال وغيرهَا، ومعرفة الأوقات وغيرهَا على مثل ذلك...» الآثار الباقية، ص (238 – 249).

(2) يُسأل العتابّي من قِبل أحد أصحَابه: لَمَاذا تصنّف بالفَارسيّة؟ فيجيبه: أيوجد أجزلُ في غير الفَارسيّة؟ البلاغة منَا والمعَاني منكم. (كتاب بغداد، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور. ج 6= =ص157–156) (طبعة لايبزك) ويُعرف من هذا لَمَاذا هذا الولع بالكتب الفَارسيّة.(H.Keller).

(3) مجلّة فرهنكستان (بالفَارسيّة)، بحث هَمائي في الأعداد الأوّل والثّاني والثّالث.

والتَّبيِينِ للجَاحِظ، ومِن أشْهر الكُتُبِ التي تُرجِمَتْ (خداي نَامه) الذي نَقَلَهُ ابنُ المقفَّع إلى العَربيَّة.[1]

«كان انتِشَارُ ترجَمَةِ خداي نَامَه في بدايَة الدَّولَة العبَّاسِيَّة – التي هي في الوَاقِعِ دولَةٌ إيرَانيَّةٌ– مِن قِبَلِ ابنِ المُقفَّع، وظُهورُ كتابِ سيرِ مُلُوكِ إيرَانَ بجُمَلٍ بليغَةٍ... موضِعَ تقدِيرٍ مِن قِبَلِ الخَليفَةِ والبَلاطِ والعُمَّالِ، وكان هذا الكِتَابُ مَثَارَ عنَايَةٍ مِن العَامَّة مَثَلُهُ كمَثْلُ كتاب كليلة ودِمْنة لابنِ المُقفَّع، فَقَدْ تمَّ تناوَلَه بالتَّهذِيبِ والتَّرْجَمَة والتَّلخِيصِ، وقَدْ بَلَغَتْ ذُروةُ ذَلِكَ في المُدَّة المَحصُورَة بين المَأمُونِ والمُتوكِّل».

وظَهَرَ بعْد ذَلِكَ مُترجِمُون آخَرُونَ مِن أمْثالِ أحْمَدَ بنِ يحْيى البَلاذريّ وإسْحَاقَ بنِ يزيدَ ومحمَّدٍ بنِ الجَهْمِ البَرْمَكِيِّ، وهشَامِ بنِ القاسِمِ الأصفهَانيِّ، ومُوسَى بنِ عيسَى الكِسْرويِّ، وزاذويهَ بنِ شَاهَويهَ الأصْفهَانيِّ، ومحمَّدٍ بنِ بهرَامَ بنِ مطيَارَ الأصْفهَانيِّ، وبهرَامَ بنِ مردانشاهَ مُوبِذِ مَدِينَةِ شَابورَ في فَارسَ، وبَهرَامَ الهَرَوِيِّ المَجُوسيِّ. فقد نَقَلَ كلُّ واحِدٍ مِن هَؤلاءِ إلى العَربيَّة كتَابَاً في تاريخ إيرَان القَديم، أو شيئاً مِن ذَلِكَ، وقَدْ زادَ بَعْضٌ منهم على ذَلِكَ سِيَرَ المُلُوك، كمَا هو الحَالُ في بَهرَامَ بنِ مَردنشاهَ، مُوبِذِ مدينة شَابورَ الذي عَاشَ في أواخِر القَرْنِ الثَّالِثِ الهِجرِيِّ، والذي امتَلَكَ عَدَداً مِن نُسخ (خداي نَامه).[2] وأصْلَحَ موسى بنُ عيسَى الكِسرويُّ ـ بزعمه ـ

(1) رَاجع حول هذا الكتاب (حَماسة إيرَان الوطنيّة)، تأليف نولدكه (بالألمَانيّة)؛ كذلك إيرَان في عصر السَّاسَانِيّين لآرثر كرستنسن، ص53– 56 والتّرجمة، ص27–29؛ وتاريخ إيرَان الأدبيّ، تأليف، ادوارد بروان، ج 1.

(2) حمزة الأصفهَانّي، ص19.

تَوَارِيْخَ مُلُوكِ العَجَمِ! فقَدْ قَابَلَ عَدَداً مِن النُّسَخ – مِن أجْلِ هَذا العَمَلِ ـ ببَعْضٍ مِن النُّسَخ الأخْرى،[1] ووضَعَ حمزَةُ الأصْفهَانيُّ على يَده ثمَانَ نُسَخٍ مِن سِيَرَ المُلُوكِ بنُقُولٍ مُختَلِفةٍ،[2] فَقَدْ جَمَعَهَا ونَظَمَهَا قبْلَ القرْن الرَّابع.

أسْهَمَ هذا الأمْرُ في تَوفِير مَادَّةٍ غَنيَّةٍ للشُّعُوبيِّين وَالزَّنَادِقَة والشُّعَرَاء والأُدبَاء الإيْرَانيِّين، الذين افتخروا بإيرَانيَّتهم، أو تَشَبَّهوا بآداب الفُرسِ، وألهَمَتْ بعْضَهم في النَّظم و النَّثر لِمَا فيهَا مِن أسمَاء الأبْطالِ والقَصَصِ والحِكايَات الإيرَانيَّة، فَإذا مَا طَالعَ المَرْءُ دَوَاوينَ وأشْعَار أبي نَوَّاس، وأبي العتَاهيَة، وأبي عمر، وكلثوم بنِ عمرو العتابيِّ، وصَالحِ بنِ عبد القدُّوس، وبشَّارِ بن بردٍ، ومهيَارَ؛ فسيَلحَظ أثرَ المترجِمِين مِن البَهْلَوِيَّة إلى العَربيَّة أمثالَ عبدِ الله بنِ المقفَّع في نشْر الفِكَرِ الشُّعوبيَّة والزَّندَقة، وَحِكَم وأمثَالِ الفُرْسِ، والقَصَصِ والرِّوايَاتِ القوميَّةَ الإيرَانيَّةَ بين المُسْلِمِين.[3]

وقد نقل ابنُ المقفَّع مِن البَهْلَوِيَّة إلى العَربيَّة غيرَ كتابِ خداى نَامه كُتُباً تاريخيَّةً وأدبيَّةً أخْرى مِثلَ كتابِ سكسيرَان، أو عظمَاء سكستان،[4] وكتابِ البيكَار،[5] وكتَابِ كليلة ودِمنة، وكتَاب (آئين نَامة)، وكتَابِ مروك،[6] وكتَابِ الكارنَامج (أعمَال) أنوشروان،

(1) المصدر ذاته.

(2) المصدر ذاته.

(3) عبّاس إقبال، رسالةٌ حول عبد الله بن المقفّع، ص77ـ 78.

(4) رَاجع كتاب (الكيَانيّون)، آرثر كريستنسن (بالفرنسيّة)، ص143؛ ومروج الذّهب، ج 2، ص118.

(5) الكيَانيّون، ص143 ـ 144؛ ومروج الذّهب، ج 2، ص43.

(6) أو(مزدك).

وكتَابِ التَّاج، و كتَابِ الأدبِ الكبير، وكتَابِ الأدبِ الصَّغير،[1] وكتابِ اليَتِيمَة في الرَّسائل، ورسَالةِ تنسر.[2] ونُقلت كذلِكَ كُتُبٌ أخْرى إلى العَربيَّة في الأدبِ والأخْبَار والسِّيَر، كان مِن جُمْلتهَا كِتابُ بهرَام جوبين، ورستم واسفنديَار الذي ترجَمَه جَبَلَةُ بنُ سالم، وكِتابٌ لهرَاسب الذي ترجَمَه عليُّ بنُ عبَيْدَة الرَّيحَانيُّ،[3] وكتابُ دارَا أو الصَّنم الذَّهَب،[4] وكِتابُ بهرَام ونرسي، وكتابُ (شهر برَاز مع أبرويز)، وكتَابُ أعمَال أردشير (كارنَامة أردشير).[5]

ومِن الواضِح أنَّ مقصَدنَا هنَا ليس ذِكْرَ الكُتُبِ البَهْلَوِيَّة التي تُرجِمَتْ إلى العَربيَّة. وإنَّما الإشارةُ لِمَا كان لِنَشْرِهَا مِن آثارٍ ونتائجَ كبيرةٍ بين العَرَبِ، وعلى عُمُومِ الإيرَانيِّين! ولا نقولُ إنَّ هَذه التَّرجمَاتِ كانت مُوجِبَةً لإحيَاء ذِكْرِ مَاضِي الإيرَانيِّين القديم؛ لأنَّ الإيرَانيِّين في الأصْل لم يَنْسَوْا مَاضيَهم، غير أنَّهَا صَارت وسِيلةً لتقوِيَة وتعزيزِ العَاطِفة القوْمِيَّة، وتَحْرِيكِ جمَاعَاتٍ منهم ضِدَّ العَرَبِ،[6] وكان

(1) طُبع هذان الكتابان في القاهرة.

(2) الفهرست، ص118، 305؛ ورَاجع الكتاب الأخير (كتاب اليتيمة)؛ ورَاجع الكتب المنطقيّة في كتاب طبقات الأمم، صَاعد الأندلسيّ، ص49؛ والفهرست ص242؛ وكتاب إقبال ص56 ومَا بعده.

(3) الفهرست ص119، والكيَانيّون، ص144.

(4) الكيَانيّون، ص151.

(5) الرّسالة الأخيرة موجودةٌ بالبَهْلَويّة، ونُقلت إلى العربيّة في باب الرّسائل والعهود، والمواعظ والحكم، والنّصَائح، رَاجع الفهرست، ابن النّديم، ص315.

(6) قرَاءة الخطّ البَهْلَوِيّ مقارنةً بالعربيّ أكثر إشكاليّةً، ويُعدّ هذا أحد أسباب انتشار الخطّ العربيّ، وإلى حدٍّ مَا أجبروا الإيرَانيّين على تعلّم اللّغة العربيّة، وكانت من عوامل توجّههم إلى نقل الكتب البَهْلَويّة إلى العربيّة، خشية ضيَاعهَا، إلّا أنّ هذا قد ساهم في زوال الكتب البَهْلَوِيّة، وكان هنَاك فَارقٌ

الدَّهَاقنة الفُرسُ الوسَاطَةَ بيْن مُمثِّلي الدَّولَة العَربيَّة وبيْن عَامَّة الإيرَانيِّين، لإمساكِهم بزمَام الأمُورِ والحَلِّ والعَقْد.

وعلى الرَّغْم مِن اعتنَاقِ أَكْثَرِهم الدِّينَ الإسْلامِيِّ إلّا أنَّهم لم يَصْرِفُوا نَظَرَهُم بالكُلِّيَّة عن الرِّوايَات القَوْميَّة، واحتَفَظُوا بمُؤلَّفَات أسلافِهم وكتَاباتِهم، وشَكَّل الدَّهَاقِنَةُ ـ وهم وَرَثَةُ المَملَكَة بعد المُوابِذة ـ مجَامِعَ مِن العلمَاء، ولَدَينَا العَديدُ مِن الشَّواهِدِ التي تُثْبِتُ دورَ هذه الفِئةِ في حِفْظِ التُّرَاثِ الأدَبِيِّ والعِلمِيِّ للحضَارة الإيرَانيَّة،[1] وقد استقى مِنْهُم الخُلفَاءُ والأمَرَاءُ العَربُ الحِكْمَة، ونَهَلُوا مِن عِلْمِهِم.[2] وبَقِيَ الخَطُّ البَهْلَوِيُّ واللُّغَة الفَارسيَّة مُتَداوَلَيْنِ مِن الفَتحِ العَربيِّ حتَّى القَرْنِ الرَّابع الهجرّيِّ، بوسَاطّة الأشْخَاصِ الذين هم رُؤسَاءُ وحُمَاةُ الدَّين الزَّرَدَشْتيِّ في المَرتَبَة الأولى، ويَأتِي في المَرتَبَة الثَّانية: الدَّهَاقِنةُ الذين كان لهُم الدَّورُ الكَبيرُ في ذلِك، وكانت منْزِلَتُهم في تنَازُلٍ تدرِيجِيٍّ حَتَّى وَجَّهَ هجومُ المغولِ آخرَ ضَرْبَةٍ لهُم.[3]

قليلٌ في انتشار اللّغة الفَارسيّة فيمَا ورَاء النّهر واللّغة البَهْلَويّة في مركز إيرَان، ومن ثمّ فُقدت التّرَاجم في القرون التّالية بسبب التّعصّب الشّديد للعوامّ والخواصّ وتطاول الزّمَان والكوارث التّاريخيّة وقصور الإيرَانيّين وغفلتهم.

(1) تاريخ سِيْستَان، ص106، مقدّمة الشّاهنَامه القديمة، ص24، ص44، وأشار الفردوسيّ دومَا إلى الدّهَاقنة. ورَاجع أيضاً التّرجمة الإنكليزيّة ملحمة إيرَان القوميّة، تأليف نولدكه، ص23، الهَامش الأوّل.

(2) تاريخ سِيْستَان، المكان ذاته، (أرسل عبد العزيز عبد الله بن عَامر بن كريز إلى سِيْستَان، يعني الحَارث بن عبد الله قنَاع، والي عبد الله بن الزّبير في خرَاسان وسِيْستَان) وكان رجلاً عَالمَاً ومحبّاً لأهل العلم، ويوماً عندمَا حضر إلى قرية رستم بن مهر هرمز المَجُوسيّ، وعرف أنّه متكلّم سِيْستَان وحكيمُهَا ذكر أنّ الدّهَاقنة هم أهل الحكمة.

(3) نقل فخر الدّين سعد الكركانّي في منتصف القرن الخَامس الهجريّ قصّة

«2ـ الآدَاب والرُّسُوم الإِيرَانيَّة»

لم تُتَرَكْ الآدابُ والرُّسومُ الإِيرَانيَّة دَفعَةً واحِدةً بعدَ الفَتْح العَربِيِّ، وإنَّمَا استَمرَّ الكَثيرُ منْهَا، حَتَّى إنَّ قِسمَاً مِنهَا ظَلَّ مُتداوَلاً عند النَّاسِ حَتَّى بعد السَّيطَرَة الأجنَبيَّة، ولَيس هَذا مجالَ ذكْرِ جميع الآدَابِ والرُّسُومِ، وإنَّما الهَدَف الإشَارةُ إليهَا؛ وأحَدُ أقْدَم تِلكَ الآدابِ مَا تَعَلَّق بالأعْيَادِ الإِيرَانيَّة، التي كان أهمَّهَا عِيدُ النُّورُوز، وعِيدُ المَهرجَان، وعِيدُ (سده)، و عِيدُ بهْمَن. وكان عِيدُ النُّورُوز ولا يَزَالُ الأهَمَّ مِن بينِها،[1] وبَقِيَ مسْتمِرّاً، وظَلَّ مُلازِمَاً للإيرَانيِّين حتَّى بعد السَّيْطَرَة العَربِيَّة، ويَبدُو أنَّ بعْضَاً مِن الرُّسُوم المُتَعلِّقَة بالبَلاط السَّاسَانِيِّ والمُلوكِ، قد تُركَتْ بسببِ انقرَاضِ الدَّولَة السَّاسَانِيَّة، ولكِنَّ الخُلَفاء الأمَويِّين أرْجعُوهَا مَرَّةً أخْرى طَمَعاً في الحُصُول على هَدايَا النُّورُوز. وكان أوَّلُ شخصٍ أعَادَ رسُوم النُّورُوز في الإسلام الحجَّاجَ بنَ يوسفٍ الثَّقفيُّ، وأوَّلُ شَخْصٍ رفعهَا عُمرُ بنُ عبد العزيز الخَليفَة الأمَويُّ الشَّهيرُ.[2]

وقد أظْهَرَ الخُلفَاء في العَصْرِ العبَّاسِيِّ عِنَايةً بالرُّسُوم والآدَابِ

ويس ورَامين من الّلغة البَهْلَويّة إلى الفَارسيّة، وظاهرٌ نقل زَرَدَشْت بن بهرَام بن بز كتابين همَا (زَرَدَشْت نَامه) و (ارداويرَان نَامه). رَاجع بحث ملك الشّعرَاء بهَار (بالفَارسيّة)، مجلّة مهر، السَّنة الثّانية، ص (499 ـ 504)؛ وفهرست المخطوطات الزَّرَدَشْتيّة لكتب المكتبة الوطنيّة في باريس، تأليف بلوشة ص80 و ص102.

(1) للاطّلاع مفصّلًا على هذا العيد انظر مجلّة كاوه السّنة الأولى الدّورة القديمة (بالفَارسيّة)، العددان الخَامس والسّادس؛ مجلّة الشّرق، السّنة الأولى، ص (197ـ 211)؛ ومجلّة مهر (بالفَارسيّة)، السّنة الثّانية، الأعداد الأوّل والثّاني، والرَّابع.

(2) بلوغ الأرب، ج 1، ص 387، طبعة بغداد نقلًا عن مجلّة مهر السّنة الثّانية، ص376.

الإِيرَانيَّة، فَاكتَسَبَ عِيدُ النُّورُوز بذلِكِ عَظَمَةً واهْتِمَاماً، فَأَحْيَوا تلك الرُّسُوم، ونَظَمَ العَديدُ مِن الشُّعَرَاء العَربِ في هَذا العِيدِ والأعيَاد الأخْرى قصَائِدَ، وصَنَّفَ حمْزةُ بنُ الحسَن الأصْفهَانيُّ - الذي يُعَدُّ مِن الشُّعُوبيِّين - رسَالةً باسم (الأشعَار السَّائرة في النَّيروز والمَهرجَان)،[1] ونَظَمَ أكابِرُ الشُّعَرَاء نَثْراً ونَظْماً وتهَانيَ في ذَلِكَ إلى الخُلفَاء،[2] وأضَافَ الأمَرَاءُ الطَّاهِريُّونَ في خُرَاسَان إلى هذه المَرَاسِم؛[3] ويَظْهَرُ عن طَريقِ الرِّوايَاتِ الواصِلةِ إلَيْنَا مِنَ القَرْنِ الثَّالثِ، أنَّ هذا العِيد كانَ عظِيماً، وشَاعَ فيه عند النَّاس تقديمُ الهَدَايَا إلى الأمَرَاءِ.[4]

أمَّا عِيدُ المَهرجَان (مهركَان) الذي أُطْلِقَ عليه اسمُ مهر،[5] فَقَدْ شَاعَ بين النَّاسِ في العصْرِ الإسلاميِّ حَتَّى مَا قَبْلَ هُجُومِ المَغُول،[6] وكان هَذا العِيْدُ في بَلاطِ الخُلفَاء الأمَويِّين مِثْلَ عِيد النُّورُوز، يُهدَى فيه للخُلفَاءِ الذَّهَبُ والفِضَّة وأشيَاءُ قيِّمةٌ ونَفِيسَةٌ، وقد سَاهَمَ الحكَّامُ العَرَبُ في الأقَالِيم في إحْيَاء هذه المَرَاسم لمَنَافِعِهِم، وصَار

(1) الآثار الباقية، ص1.

(2) الجاحظ ، المحَاسن والأضداد، ص241، و ص243.

(3) الجاحظ، كتاب (التّاج في أخلاق الملوك)، ص146-150. ويُعدُّ هذا الكتاب مصدرَاً جيّداً للتَّفصيل في هدايَا النّوروز والمهرجان.

(4) رَاجع حول رسوم هذا العيد (نوروزنَامه) (بالفَارسيّة) المنسوب إلى عمر الخيَّام النّيسابوريّ الذِي نشره مجتبى مينويّ (طبعة طهرَان،1312).

(5) رَاجع أبحَاث ذبيح الله صفَا، مجلّة مهر(بالفَارسيّة)، السّنة الأولى، الأعداد من السّابع إلى الثّاني عشر. وقد أشارت المصَادر إليه.

(6) بقي التّقويم في القرون الإسلاميّة الوسطى على هيئته القديمة، فَأفَادوا منه في كتابة الرّسائل في طبرستان خلال القرن الثّالث، فكتب به المَازيَار وأشار إلى الشّهر الإيرَانيّ. الطّبريّ، القسم الثّالث، ص127؛ وذكر حمزة الأصفهَانيّ هذه الوقائع في كتاب (تاريخ سنيّ ملوك الأرض).

أمْرَاً مُعْتَاداً؛ فمَثَلاً قَدَّمَ الدَّهَاقنةُ الأشْرَافُ الفُرْسُ في بَلْخ الهَدايَا إلى أسدٍ بن عبدِ الله والي خُرَاسَان، وكانَ الأهَمَّ فيهَا هديَّةُ دِهْقَانِ هَرَاتٍ الذي امْتَدَحَ أسَداً بِخُطْبَةٍ وأشَادَ بحكومَتِه، وتحَدَّثَ عن شَجَاعَتِه وكَرَمِه، ثمَّ وَهَبَه الهَدايَا.[1]

ونَالَ عيد المَهرجَان أهَمِّيَّةً عَظِيمَةً في العَصْر العَبَّاسِيِّ، وظَلَّ بعد ذَلِكَ بالأهَمِّيَّة ذَاتِهَا في البَلاطِ السَّامَانيِّ (الغزنويِّ)، ويَشْهَدُ على ذَلِكَ قَصَائدُ الشُّعَرَاء في القَرنَينِ الرَّابعِ والخَامِسِ، وقَدْ أسْهَمَ هَذا في حِفْظِ الرُّسُومِ وتَجْدِيدِهَا، وبَقَاءِ الإيرَانيِّين على اتِّصَالٍ مسْتَمِرٍّ بماضِيهم القَديم. وعلى الرَّغْم مِن أنَّ مَيْلَ الأمَرَاءِ العَرَبِ نحو إحْياءِ الرُّسُوم الإِيرَانيَّة هو لمصَالِحِهِم، إلَّا أنَّه سَاهَم بطَرِيقٍ غير مُباشِرٍ في تقويَة تِلك الرُّسُوم.

«3- بيوتُ النَّار»

انتَشَرَت بيُوتٌ للنّيرَان في إيرَانَ كلِّهَا، غيرَ أنَّ ثلاثةً مِنهَا امتَلَكَت خصُوصِيَّةً وقدْسِيَّةً مميَّزتين. فَالأوَّل: (آذرفرينغ)،[2] والثَّاني: (أذركشب)، والثّالث: (أذر برزبن مهر)؛ فَالأولى كانت نَارَ المُوابِذَة، والثَّانيَة نَارُ المُحَارِبِينَ والمُلُوك، والثّالثة نَارُ الأشْرَاف والنُّبَلَاء.[3]

(1) الطّبريّ، القسم الثّاني، ص (1635- 1637).

(2) ورد هذا الاسم على شكل (نَار حزداد) وأيضاً باسم Bereziz a vang بحث بلوشه، مجلّة تاريخ الأديَان (بالفَارسيّة)، ص 48، سنة 1898؛ (انظر: إيرَان في عصر السَّاسَانِيّين. ص 141، ص2، و ص154، التّرجمة ص 106).

(3) وفق الكتب البَهْلَوِيّة فَإنّ هذه النّيرَان الثلاثة تتّقد من دون حطبٍ ولا

وقَدْ أُطْلَقَ على (آذر فريننغ) أيضاً اسم (اذرجمشيد)، وكان يَقَعُ في أواخِرِ العَصْر السَّاسَانِيِّ في كَاريَان،[1] ولَمَّا سيْطَر العَرَبُ على فَارسَ خَافَ الزَّرَدَشْتيُّون أن يُطْفِئ العَرَبُ نَارَه، فتركوا بعْضَهُ بالكَاريَان ونَقَلُوا بعْضَه الآخرَ إلى نَسَا، لتَبقَى نِيرَانُ أحَدِهِمَا إنْ أُطْفِئَتْ الأخْرى،[2] ولم يكن خوفُ الزَّرَدَشْتيِّين في الحَقيقَة مِن دونِ سَبَبٍ، فَقَدْ لحظْنَا سَابِقاً كيف أنَّ هَذه النَّار قد أُطْفِئَت. حَيْثُ يُذكَر أنَّهُ تَمَّ إطفَاؤهَا في عهدِ زيَادٍ بنِ أبِيْه، ولَكِنَّهم أوقَدُوهَا في هَذا المَكَان مَرَّةً أخْرى، وأقَامُوا بيتَ نَارٍ، وحَمَلُوا مِن هَذا البَيْتِ نَارَاً إلى أمكَنةٍ مُخْتَلفَةٍ،[3] وسُمِّيَ بَيْتُ النَّار هَذا بـ(آذر خوي) (نَار خوى) بِحَسَبِ قولِ المسْعُودِيِّ.

تقَعُ آذر كَشنب بِحَسَبِ وصْفِ المُؤرِّخِينَ المُسْلِمِين في نَاحِيَة الشِّيزِ التي كانَتْ قَصَبَتُهَا أوْرْمِيَة، ولَكنْ لا يُعْرَفُ على وَجْهِ الدِّقَّة مَوضِعُ هذه المَدِيْنَة! وعلى أيَّة حَالٍ، فقَدْ كَانت بَيْتَ نَارٍ قَائِمةٍ ومُتَّقدةٍ حَتَّى أوَاسِطِ القَرْن الرَّابع، وقَدْ كَتَبَ عَنهَا أبو دُلَفٍ مُسْعِرُ بنُ مُهلهلٍ عِنْدَ سَفَرِهِ إلى بُخَارَى في أوَاسِطِ القَرنِ الرَّابع الهِجْريِّ: «في الشِّيز بيتُ نَارٍ عَظِيمُ الشَّأنِ عِنْدَهم، منهَا تُذْكَى نيرَان المَجُوسِ مِن المَشْرِقِ إلى المَغْربِ، وعلى رَأسِ قبَّته هِلالُ فِضَّةٍ، وهو طِلَّسْمَةٌ! وقد

ينطفئ لهبهَا. بحث بلوشه، مجلّة تاريخ الأديَان، السّنة التّاسعة عشرة، 1898م، ص48.

(1) الكاريَان، مدينةٌ من دار كرد لَها قلعةٌ منيعةٌ جدّاً، وفيهَا بيت للنَّار معظّمٌ. (حدود العَالم، ص179).

(2) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص246 (أُلف في حدود290)؛ ومروج الذّهب، ج4، ص76.

(3) البشاريّ المقدسّي، ص427؛ معجم البلدان، ج4، ص134؛ ابن حوقل، ص189؛ المسعوديّ، مروج الذّهب، ج4، ص76.

حَاوَلَ قَلْعَه خَلْقٌ مِن الأمَرَاء فلم يَقدُرُوا؛ ومِن عجائِبِ هَذا البَيْتِ أنَّهم كَانُوا يُوقِدُون فيه مُنْذُ سبعِمِئة سَنَةٍ فَلا يُوجَدُ فيه رَمَادٌ البَتَّة، ولا يَنْقَطِعُ عنْه الوَقُوْدُ سَاعةً مِن الزَّمَان، وَقَدْ بَنَى هَذه المَدِينَة هُرْمُزُ بنُ خسرُو شِيرينُ بنُ بهرَام بكِلْسٍ وحَجَرٍ، وعِنْدَ هذا البَيْتِ أسْطوانَاتٌ شَاهِقةٌ وَأبنِيَةٌ عظِيمَةٌ هَائِلَةٌ».[1] ويذكُر المسْعوديُّ: «وفي الشِّيزِ حَتَّى هَذا الوَقتِ آثَارٌ عجِيبَةٌ مِنَ البُنيَانِ والصُّور بأنوَاعِ الأصبَاغِ العَجيبةِ مِن صورِ الأفلَاكِ والنُّجُوم والعَالَم ومَا فيه مِن بَرٍّ وبَحرٍ عَامرٍ ومَعدِنٍ وخَرَاب ونبَاتٍ وحَيوَانٍ وغير ذَلِكَ مِن العَجَائبِ، ولهُم فيهَا بيتُ نَارٍ معظَّمٌ عِند سَائرِ طبقَاتِ الفرسِ يُقَالُ: إنَّه «آذر خش»، و» آذر» أحدُ أسمَاء النَّار بالفَارسيَّة، والخشُّ بِمَعنَى الطَّيِّبِ».[2]

وتَقَعُ (آذر برزين مهر) في أعَالِي جَبَلِ ريوند، وهِيَ مِن مُدُن أبرشهر،[3] وتُنسَبُ هذه النَّار إلى زَرَدَشْتَ.[4]

كان في مُعظَم المُدُنِ والقُرى الإِيرَانيَّة بيُوتُ نيرَانٍ قائمةٌ، وكان

(1) المتن منقولٌ من ترجمة وتفسير اليشتات (بالفَارسيّة) ص251؛ معجم البلدان، يَاقوت الحمويّ، ج2، ص355. وقدّم بور داود في تلك التّرجمة والتّفسير بحثاً مفصَّلاً حول هذه النَّار ومكانِهَا.

(2) التّنبيه والإشَراف، ص95، ترجمة كارَا دوو، ص137؛ وإيرَان في العصر السَّاسَانِيّ ص161 ترجمة، ص108؛ آذوخشن اسم آخر لـ آذر كشنب،الكيَانيّون، آرثر كريستين، ص95 ـ 96.

(3) يُطلق (برشهر) على مكانٍ في خرَاسان عموماً وعلى نيسابور على وجه خَاصٍّ.

(4) ابن الفقيه، ص46، وكانت بعد الثّلاث النِّيرَان المذكورة نَارُ بهرَام ذاتَ أهمّيّة، ولكن ليس لهذه النَّار بيت نَارٍ محدّد، ولكنّهَا عُظّمت في أمكنةٍ مختلفةٍ، ولم تفقد قيمتهَا عند الفتح الإسلاميّ (رَاجع تاريخ النّيرَان المقدّسة في الدّين الزَّرَدَشْتيّ تأليف a.Paglidro (Oriental Studies Oxford 1933) p.381.

لبَعْضِهَا قَدْرٌ كَبيرٌ وأهمِّيَّةٌ عظِيمةٌ عِند الزَّرَدَشْتيِّين، ففي إقليم فَارسَ الذي عُدَّ مَعْقِلَ المُلوكِ السَّاسَانِيِّين، وُجِدَت ـ على وَجْه الخَصُوصُ ـ خِلالَ القَرْنِ الرَّابع الهِجْرِيِّ بيوتُ نِيرَانٍ كَثِيرةٌ، إذ يَذكُر الإصْطخريُّ أنَّه باسْتثنَاء أمْكنةٍ محدُودةٍ ، فَإنَّ نواحِي ومُدُنَ فَارسَ، لم تَكُن تخْلُو مِن بيْتِ نَارٍ، وأشَارَ إلى أنَّ حِفْظهَا ليْس بالسَّهلِ لكَثْرتهَا. وبُيوتُ النِّيرَان التي أحْصَاهَا هذا المؤلِّف هي:

بيتُ نَار كاريَان، بيتُ نَار خُره (قريةٌ من كُوَرِ شابور) يُنسَبُ تأسيسُهَا إلى دارَا بنِ دارَا، وَيُقْسِمُ الزَّرَدَشْتيُّون بهَا عند حَلفِهِم؛ بيتُ نَارٍ بالقربِ مِن بِرْكَة جَورٍ باسم بارين؛[1] بيتُ نَارٍ في بابِ شابورَ؛ يُعرَفُ بـ (شبرخشين)؛ بيتُ نَارٍ أخْرى في بابِ شابُورَ محَاذٍ لِبَابِ ساسانَ، يُعرَفُ بـ (قبَّة كاوس)؛[2] بيتُ نَارٍ في كازرون مَوْسُومٌ بـ (جفته)؛ بيتُ نَارٍ أخْرى في المَوْضِع ذاتِه باسْم (كل آذر) أي وَرْدُ النَّار؛ بيتُ نَارٍ في شيرَاز باسْم (كاريَان)؛[3] بيتُ نَارٍ آخر في المدِينَة ذاتهَا باسْم هرمز، ويَقَعُ في شِمَالَ شيرَازَ على بُعْدِ ميلٍ مِن هذه المَدينَة في قرية (بريكان)؛ بيتُ نَارٍ يُعرَفُ باسم مسوبان.[4]

يذكُر المسْعُوديُّ أنَّ في إقليم فَارسَ في مدينَةِ أرجان بيتَ نَارٍ، وكذَلِكَ في نَسا، ويشيرُ المؤلِّفُ نفسُه إلى بيتِ نَارٍ في إصْطخرَ في

---

(1) المسعوديّ، ج4، ص 78، وتوجد خرَائب بيت النَار هذا في فيروز آباد على فَاصلة ساعةٍ واحدةٍ عن طريق هذه المدينة بالقرب من العين. آثار البلاد، القزوينيّ، ص121.

(2) عند ابن حوقل، ص189 كاوشيد، وفي نسخة كاوشير.

(3) ابن حوقل، كارستان (المكان ذاته).

(4) الإصطخريّ، ص100، و ص 118.

عهْدِه (333هـ) قَدْ خُرِّبَ، وَحَمَلَ بعد ذَلِكَ اسم مسْجدِ سليمان،[1] وكذلِكَ بيتُ نَارٍ باسْم (بارنوا)[2] ويُنسبُ إلى أردَشيرَ.[3] ووُجِدَتْ في قرى أنديجان بيُوتُ نِيرَانٍ أيضاً،[4] ففي جَبَل كوشيد بيتُ نَارٍ عند انتهَاء أرضِ فَارسَ وابتداءِ نَاحِيَةِ أصْفهَانَ، تُنسَبُ إلى كيخسرو، و يُعرَفُ بـ (نَار كوشيد).[5] وَوَرَدَ اسمُ بيتِ النَّار ذاتُه في مرُوجِ الذَّهب على هيْئَة (كوسجة)، وضَبَطَهَا الشّهرسْتانيُّ في المِلل والنِّحَل على شَكلِ كُوَيْسَةٍ، ويُظنُّ أنَّ اقْتبَاس مطَالِبِ هَذا المؤلَّف حَوْل بيُوتِ النِّيرَان هو مِن المسعُوديِّ.[6] وعلى حدِّ قول المسعُوديِّ، كان على ثلاثَة فَرَاسخَ مِن أصفهَانَ على جبلٍ بيتُ نَار متَّقدةٍ حتَّى زمَانِه وكان الزَّرَدَشْتيُّون قد عظَّمُوهَا، ويُقَالَ: إنَّه بيت نَار كوشيدا نفسِه[7]

وكان في (مَاربين أصفهَان) وهي مِن قُرى أصْفهَانَ بيتٌ منسُوبٌ إلى بهْمَن، بقيَتْ النَّار فيه مُوقَدةً حَتَّى زمَان ابن رستة،[8] ويُشِيرُ حمْزةُ الأصْفهَانيُّ إلى أنَّه في قريَة (انَارباذ)[9] مِن كُوَرِ أصفهَان

(1) المسعوديّ، المصدر ذاته؛ وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد، تصنيف زكريَّا بن محمّد بن محمود القزوينيّ، ص99.

(2) رَاجع الإصطخريّ، ص118.

(3) المسعوديّ، مروج الذّهب، ج4، ص72 ـ 81.

(4) بلدان الخلافة الشرّقيّة، ص271.

(5) حمزة الأصفهَانّي، ص36؛ نزهة القلوب، ص199. سمّيت في عهد هذا المؤلّف بـ (ديركوشيد).

(6) المسعوديّ، مروج الذّهب، ج4، ص74؛ والشّهرستانّي، ص197.

(7) م.ن، المروج، ج4، ص47؛ كذلك الشّهرستانّي، ص431.

(8) ابن خرداذبة، ص20، ترجمة، ص 16؛ ابن رسته، ص153.

(9) أنَار في كتاب ابن خرداذبة (ص20) وآبار في الأعلاق النّفيسة، وأنَارباذ في معجم البلدان.

قريةً باسم ممنور، كان فيهَا بيتُ نَارٍ بنَاه كشتاسب، وقَدْ أُوقفَتْ أرَاضٍ مِن القَرية عليه،[1] ولكنْ لا يُعرفُ هل أنَّ بيتَ النَّار هذا كان قائمَاً في زمَان المؤلِّف أم خَرِبَاً، كمَا يذكُر حمزةُ الأصْفهَانيُّ أنَّ بهْمَن أنشَأ في يومٍ واحِدٍ ثلاثَة بيوتِ نيرَانٍ في أصفهَان، الأوَّل: بيتُ نَار مدينَة أردشيرَ التي تَقَعُ في قلعة (مَاربين)،[2] والثَّاني: بيتُ نَار مهرَاردشير في قرية أردستان،[3] ويَذْكُرُ المؤلِّف نفسُه أنَّ شَابورَ أنشَأَ بيتَ نَارٍ باسم سروش آذرَان[4] في قريَة جَرْوَانَ.[5]

كانت سَجسْتانُ في القُرُون الإسْلاميَّة الأولى مِن أقَالِيم إيرَانَ التي ظَلَّ الدِّينُ الزَّرَدَشْتيُّ ثابتاً فيهَا، فهي في تارِيخ إيرَانَ الدِّينيَّ مثلُ أذربيجَانَ لهَا مكَانةٌ منِيعَةٌ، إذ تُعَدُّ أرضُهَا موْطنَ الكيَانيِّين الأوَّل، ومِن دون شكٍّ، لم تكن سِيسْتَان في القديم بهذا الخَرَابِ وقلَّةِ السُّكَّان الذي عليه اليوم، إذ إنَّ لِبُحَيْرةِ هَامون في الدَّين الزَّرَدَشْتيِّ مكانَةً كبيرَةً وأهمَّيَّةً واضِحَةً؛ لأنَّه سيظْهر مِنهَا في المسْتقْبل أبنَاءُ النَّبيِّ زَرَدَشْتَ الثَّلاثةُ الذين تكون المُدَّة الفَاصِلة بين ظهور أحَدِهم عن ظُهور الآخَرِ ألفَ سنةٍ، والذين أسمَاؤهُم على التَّرتيب: هوشيدر، هوشيدرمَاه، وسوشيَانت؛ وعند ظُهور الابنِ الأخير (سوشيَانت)، ينكسر جيش أهريمن المَارد.[6] وفي قرية كركوية بيتُ نَارٍ يُنسَبُ تأسِيسُه إلى كيخسرو المَلك الكيَانِيِّ.

(1) تاريخ سنيّ ملوك الأرض، ص37.
(2) يظهر أنّه ذات البيت الذي حمل اسم قلعة مَاربين.
(3) تاريخ ملوك الأرض، ص38.
(4) تاريخ سنيّ ملوك الفرس، ص53.
(5) ظاهراً على قول المسعوديّ جروان (المروج)، الترّجمة ، ج6 ، ص58.
(6) ترجمة وتفسير يشتا، بورداود، ص298 ـ 302.

استَقَى تَاريخُ سِيْستَان المؤلَّفُ في حُدُود سَنَة (445هـ) معلومَاتِه في هذا البَابِ مِن كتاب كرشاسب أبي المؤيَّد البَلخيِّ، وهو وَاحدٌ مِن كتَابَين (تحَدَّثا مفَصَّلاً حول نَار كروكوية) ويُعرفُ مِن ذَلِكَ أنَّه حَتَّى عَصْر مؤلِّفه، أي أواسِط القَرْنِ الخَامسِ، قد كان في سِيْستَان الكثيرُ مِن المُغَان والعلمَاءِ والمتكلِّمين الزَّرَدَشْتيِّيْنَ.[1] ويَذْكُرُ مؤلَّفُ تاريخ سِيْستَان: «وفي هذا المكَان الذي هو الآنَ بيتُ نَار كركويست (كذا) كان مَعْبَدُ كرشاسب، ثمَّ إنَّ كيخسرو أقامَ بيتَ النَّار ذلَكَ، ويقُول المَجُوسُ: إنَّهَا نَارُ كرشاسب التي أظهر فيهَا حُجتَّه».[2]

ووُجدتُ في خُرَاسَان بيوتُ نيرَانٍ كثيرةٌ عظَّمهَا الزَّرَدَشْتيُّون في القُرُون الإسلامِيَّة الأولى، كان مِن جُمْلتهَا بيتُ نَارٍ كانَ في طوسٍ، وبيتُ نَارٍ في بُخَارى باسْم (سورة)،[3] وآخر باسم (كوادان)،[4] وبيتٌ في زوزن مِن تَوابعِ نيسَابُور[5] وبيتُ نَارٍ في السَّغد[6] وبيتُ نَارٍ

(1) مقدّمة تاريخ سِيْستَان، بقلم نَاشره، ص11. كان أبو المؤيّد البلخيّ المعَاصر لأبي القاسم نوح بن منصورٍ ثامنَ الملوك السّاسانيّين وقد حكم من 266 إلى 287هـ. رَاجِع مجلة الشّرق العدد الثّالث، الدّورة الأولى، شهر اسفند، الصّفحَات 129 ومَا بعدهَا.

(2) نقل المؤلّف في هذا الباب نشيداً جميلًا، تاريخ سِيْستَان، ص (35 ـ 37)، وتعليق نَاشره، وكذلك رَاجع معجم البلدان، ج 4، ص263، مَادّة كركويه، والملحوظ أنّ يَاقوتاً كان في ضبط هذا الاسم أقرب إلى الاسم الإيرَانيّ.

(3) المسعوديّ والشّهرستانّي (المكان ذاته).

(4) معجم البلدان، أسفل اسم زوزن.

(5) المسعوديّ، (المصدر ذاته، ص73) في كتاب الشّهرستانّي(برسون) آثار البلاد؛ القزوينيّ، ص (163 ـ 164) وقد تحدّث بتفصيلٍ عن كركويه وبيت نَارهَا.

(6) الآثار الباقية، ص2356.

في إقليم (ترشيز)،[1] وبيتُ نَارٍ باسم جريش.[2]

وقد كان معْظمُ سكَّان الأقَالِيم السَّاحليَّة لِبَحْر الخَزَر وحُكَّامُهُم مِن الزَّرَدَشْتيِّين، ومِن المؤَّكد أنَّه كانت فيهَا بيوتُ نيرَانٍ في القَرْنِ الثّالث،[3] لكن لا نَعرف مَكانهَا على وجْهِ الدِّقَّة.

وكان في جَنوبِ كردُسْتان في مدِينَة اليشتر بيتُ نَارٍ معْروفٌ باسْم (آذرخشن)؛[4] وكذَلِكَ في قرْيَة (آذرين)؛ كان بيتُ نَارٍ باسْم (آخْرين)، وقَدْ عظَّمَهُ الزَّرَدَشْتيُّون.[5]

وكان في قَزوِينَ زمَانَ اليَعقُوبيِّ بيوتُ نيرَانٍ مُتعدِّدةٌ،[6] ووُجدَتْ أيضاً بيُوتُ نِيرَانٍ في أذَربيجَان وآرَان.[7]

وكان في مدينة شوشتر (تستر) أيضَاً بيتُ نَارٍ ذَهَبَ الحَلَّاج إليه وَ زَارَه.[8] وبنَى كِسْرَى أبرويز في قرية (باريمن) ـ وهي مِن قُرى كَرمَان – بيتُ نَارٍ أُوقِفَ له القُرى القريبةُ منه.[9]

(1) حمد الله المستوفي، نزهة القلوب، ص143.

(2) مروج الذّهب، المسعوديّ، المكان ذاته، في الملل والنّحل ضُبطت جرير، والقرَاءة الصّحِيحة لهذا الاسم غير معروفةٍ.

(3) رَاجع حوله تاريخ طبرستان، ج4، ص86.

(4) نزهة القلوب، ص107، لحظنَا كذلك آذرخش أيضاً أحد أسماَء آذر كشب، ولا نعرف هل من الممكن الظَّنُّ أنّ آذر خشن محرّفٌ من آذر جشن، وهو مختصَر آذر جشنب أو آذر كشنب.

(5) الأعلاق النّفيسة، ص165.

(6) كتاب البلدان، ص271.

(7) المسعوديّ، المروج، ج 4، ص86.

(8) (شهَادة الحلاّج ص92 ـ ؛93 وآثار البلاد، القزوينيّ، ص111).

(9) حمزة، ص61.

وبُنِيَ في قريَة (قرطَهان) مِن قُرى آبخَاز بيتُ نَارٍ بأمر (آزرمين دخت)[1]. وأُقيمَت خَارجَ إيرَان في العَصْر الإسلاميِّ بيوتُ نيرَانٍ، فَقَدْ كانَ إلى جانِبِ خَليجِ القسطَنطِينيَّة بيتُ نَارٍ يُنسبَ بِنَاؤه إلى شَابورَ بنِ أردشير، وقَدْ خُرِبَ في عَصْر الخَليفةِ المَهديِّ.[2]

وكانت في العِرَاقِ كذلِكَ بيوتُ نِيرَانٍ، وكان واحِدٌ مِنهَا بالقُرْب مِن بغْداد في استِنيَا (إحدى قُرى الكوفَة)، بَنَتْهُ (بورَان دخت) ابنَةُ كِسْرَى بَرويز،[3] ووُجِدَتْ في الهِندِ والسِّندِ والصِّينِ أيضاً[4] بيوتُ نِيرَان.[5]

«4. الزَّنْدَقَةُ والزَّنَادِقَةُ»

كما لحِظنَا سَابقاً، لم يكنْ لإيرَانَ وَحْدةٌ دِينيَّةٌ قبْلَ الفتْحِ العَربيِّ، فَقَدْ ظَهَرتْ فيهَا أدْيَانٌ مُسْتقلَّةٌ مِثْلُ المَسِيْحِيَّةِ والبُوذيَّة، وفِرَقٌ مَذهبيَّةٌ زَرَدَشْتيَّةٌ متعدِّدةٌ، كان أهمَّهَا المَانويَّة والمزْدكيَّة، ولم يَمْنَحْ مُوابِذة الدَّولَة السَّاسَانِيِّة ـ وهم أصْحَابُ القُدرَة والدِّين الرَّسْميِّ ـ المجَالَ للمخَالِفِين في نشْر آرَائِهِم، إذ حِينَما يُعرَفُ شَخصٌ مَا بأنّه مِن أتْبَاع إحْدَى العقائِدِ المَذكُورة، فَإنّه يصْبِحُ في خَطَرٍ، ووَجَبَ عليْه

(1) () م.ن ص62.

(2) () المسعوديّ، مروج الذّهب، المكان ذاته؛ التّنبيه والإشراف، ص139؛ والشّهرستانيّ، المكان ذاته.

(3) () ضُبطت في الملل والنّحل (اسفينيَا).

(4) () سمّى المسعوديّ بيت نَارٍ باسم كنجدة، وكان قد نسب بنَاءه إلى سيَاوخش بن كيكاوس، حِينَ كان في الصّين (ج4، ص74).

(5) () المسعوديّ، المروج، ج4، ص86؛ الشّهرستانّي، المصدر ذاته؛ فكرة المهدويّة عند فرق المعَارضة، تأليف أوكار بلوشه، ص42.

إمَّا أنْ يُضْمِرَ معتَقَدَه ولا يعْلِنَ عنْه، أو أنْ يُغادرَ موطِنَهُ إلى الأمْكِنَةِ القاصِيَة، أو يَرحَلَ إلى البُلدَان الأخْرى، فَقَدْ أصْبَحَ تعذِيبُ وقَتْلُ غير أتبَاعِهَا عَامَّاً ومُروِّعَاً بعْد القَضَاء على مؤسِّسِي هَذهِ الأدْيَان! وشاعَتْ المَذَابِحُ، فَأينَما وُجِدَ مخَالِفو الدِّينِ الرَّسْميِّ تَعرَّضُوا للقَتْل، وذَلِكَ كما حَدَثَ في قَتْلِ أتباعِ مَاني ومَزدك، وهو الأمْرُ الذي زادَ التَّعَصُّبَ وسَطوَةَ المُوابِذَة؛ لكنَّ ذَلِكَ لم يُنْهِ البِدْعَة بشَكلٍ كامِلٍ، لاسِيَّما المَانويَّة فَقَدْ أظْهَرَ مُريدُو مَاني بعْد قَتْلِهِ صَبْرَاً وجَلَداً عجِيبَيْن، فَقَدْ شُوهِدَت آثارُه بعد ألفِ سَنةٍ في آسْيَا الوسْطَى والمَغْرِبِ الأقْصَى، وبعْدَ مُضيِّ نحْوِ مِن خَمسٍ وعشْرينَ سنةً مِن مقْتَل المَانويِّين في إيرَان، ارتَحَلَ قِسمٌ مِنهم إلى آسْيَا الصُّغْرى، واجتَهدَوا في التَّبشِير بدِينِهم في شِمَال أفريقيَّا وأوْروبَّا، وانْهَمَكُوا في ذَلِكَ على الرَّغْم ممَّا صَدَرَ مِن أحْكامٍ ضِدَّهُم في الإمبرَاطُوريَّة الرُّومَانيَّة مِن بَعْضٍ مِن الأباطرة مثْلِ ديوكسين (300هـ) وقسطَنطِين، ومع ذَلِكَ فَقَدْ كان لهذا الدِّينِ أثرٌ بيْن طَبَقَةِ النُّبلاء والعَامَّة.[1] وقد نَجَحُوا على وجْه الخَصُوص في أفْريقيَّا؛ لأنَّ التَّضيِيق فيهَا على العقَائد وأصْحَاب البِدَع كان أقَلَّ، حَيْثُ تُظْهِرُ رسَائل (اكوستينوس) الأحوالَ العَامَّة للمَانويِّين في شِمَال أفْريقيَّا، كما ظَهَرَت فِرقَةٌ مَانويَّةٌ شَرقيَّةٌ مِن أتباع (بول) مِن أهْل (Samosat) في بِلاد البلغار، ونَفَذَتْ عقائِدُه مع مُرُور الوَقْت إلى وادِي الدَّانُوب في إيطَاليَا، وانتشَرَتْ في القَرْن الحَادِي عشَر في جَنوبِ فِرنسَا، ولُقِّبَ أتبَاعُ هذه الطَّريقة بـ كاتار (Cathares) بمَعْنَى (المُتَّقون)، وقد قَالَوا بوُجُود صِرَاعٍ في العَهْدِ العتيقِ بين

(1) () نشر دين مَاني في إمبَراطوريّة الرّوم (كان 1909) (المَانويّون الغربيّون ومكتشفَات تورفَان) ص34 تأليف فَالك (مجلّة الجمعيّة الملكيّة الآسيويّة) سنة1911، ص95 ـ 169.

الشَّيطَان (أهريمن) أو النَّفْسِ الأمَّارة (Sensualite) وبين المسِيح (الله)، واستَبْدَلَتْ هَذه الفِرقةُ الزَّواجَ بالزُّهْد، وكان أتْباعُهَا لا يتنَاوَلُون الَّلحْم مَا عَدا السَّمك، وعُرفُوا بأخلاقِهِم المعْتَدِلةِ، ووُجِدَ لهم في فِرنسا أتبَاعٌ كُثُرٌ؛ وأسَّسوا لهم في تولوز وآلبي (Albi) مطرَانيَّتين، ومِن هنَا أُطلقَ اسمُ (آلبي جوا) على هذه الفِرْقَة، وقد سَعَى (سن برنَار) إلى هِدايَتِهم، وحِينمَا لم يُوفَّق أصْدَرَ (اينوسان الثَّالث) في سَنَة (1208م) فَتْوى الجِهَادِ ضِدَّهم، فَاستَمرَّ التَّخريْبُ والحَرقُ والإغَارةُ على هَذه النَّواحِي للمُدَّة مِن سَنَة (1209م) إلى سِنةِ (1229م)، وقد أُسِرَ عددٌ مِن الخَواصِّ والعَوَامِّ وقُتلَ بعْضٌ منهم وأُحْرقَ، وتَلقَّت الحَضَارةُ في هَذه المَنطِقَةِ ضَربَةً لم تُجبَر إلَّا بعد ثَلاثَة قُرونٍ.[1]

ولكنَّ الدِّين الجَديدِ لم يضْمَحلَّ نِهَائيَّاً في إيرَانَ، لاسِيَّما في بَابلَ التي كانت مركِزَ الدِّينِ، حَيْثُ وُجِدَ في طَيْسَفُونَ الكثيرُ مِن المَانويِّين وهذا مماثل تقريبا للمجْزَرَة التي أوقَعهَا كِسْرَى الأوّل (أنوشروان) بالمزدكيِّين، إذ لم يكُن يظْفَر بِواحِدٍ منهم إلَّا قَتَله.[2] ولكن في النتيجة فرَّ قسْمٌ مِن المَانويِّين بسَببِ التَّضْييق عليْهِم إلى آسْيَا الوسْطَى، ولمَّا لم تكُن للمُوابذة الزَّرَدَشْتيِّين قدرةٌ مثلُ التي في مركِزِ الدَّولَة، فَقَدْ انتَشَرتْ أديَانٌ مخْتَلفةٌ في تِلكَ المَنَاطِق، وانسَجَم المَانويُّون نِسبيَّاً مع تِلك الحُرِّيَّة، واجْتَهَدُوا في نَشْرِ عَقَائِدِهم، وصَارَت المَانويَّة عَامِلاً

(1) كرستنسن، إيرَان في العصر السَّاسَانِّي، ص196 ـ 197، التَرّجمة، ص1217 ـ 128.

(2) Solomon Reinach; Orpheus Historier henerak des Beligions(Leon Fonnier) P.430K 431K Paris 1928...

مُؤَثِّرَاً في الحَيَاةِ الدِّينيَّة في وَسَط آسيَا وشَرقهَا.[1]

كان وجُودُ المؤلَّفَات المَانويَّة بين السَّغديِّين في القَرْنِ السَّابعِ شَاهداً على رَوَاج وقُوَّةِ هذا الدِّينِ في آسْيَا الوسْطَى،[2] ولقَد انفَصَلَ تدْريجيَّاً الاتِّصالُ بين المَانويِّين الشَّرقيِّين والغَربيِّين؛ فتحرَّرُوا بذلِكِ تَحَرُّرَاً نِهَائيَّاً مِن سُلطَة الرَّئيسِ الأعلى في بَابِلَ؛ وقَدْ أفَادُوا مِن التَّرجَمَات باللّغَة البَهْلَوِيَّة (الجَنوبيَّة الغربيَّة) لأنَّ اللُّغة السِّريَانيَّة التي أُلِّفتْ بهَا الكُتُبُ الدِّينيَّة، لم تكن مفْهُومةً في الشَّرق، لكنَّ قدْرَاً كَبيرَاً مِن المُتُون الدِّينيَّة، لاسِيَّما الأنَاشِيدِ والأشْعَارِ الدِّينيَّة... كان قد وَصَلَ عن طَرِيْق مكتشَفَات وتنقيباتِ تورفَان، وهي باللَّهجة واللُّغة الشِّمَاليَّتين، وقد بقيت قطعةٌ منهَا تحْوي فِهْرَسَاً للأشعَار المُبْكِرَةِ مرتَّبةً على حروف الهجاء.

وبعد الشُّروع في ترجمَةِ المُتُون الدِّينيَّة، نُقلت إلى اللُّغة السَّغديَّة، ومِن ثَمَّ إلى اللّغة التُّركيَّة القديمة، وتزامَنَ مع ذَلِكَ في القَرْنِ الثَّامن تأسيسُ مملكةِ شعب (أويقور) ذات الأصول التُّركيَّة في أسيَا الوسطى، حَيْثُ كان أويقور الذي عَاش أواخرَ القَرْنِ الثَّامِن قد اعْتَنَق المَانويَّة، ولقَّب نفسَه بـ (فيض مَاني). وممَّا يُلحظ على جميع القِطَعِ التُورفَانيّة وجودُ كلِّ اللُّغَاتِ البَهْلَوِيَّة الجَنوبيَّة الغَربيَّة والشِّمَاليَّة واللُّغة السَّغديَّة والتُّركيَّة التي بَدَأَت مع هَذا الـ (خَان).

وكمَا ذكَرنَا آنفَاً فَإنَّ الدِّين المَانويَّ في آسيَا الوسْطى، قد انْسَجَمَ مع المحِيط البوذيِّ، إذ أفَاد الوُعَّاظُ مِن الإصلاحَات الدِّينيَّة البُوذيَّة،

(1) ملحوظات على الدّين المَانويّ، ويليم جاكسون (بالإنكليزيّة)، ص160 ـ 161.

(2) م.ن، تأليف ويليَام جاكسون ص5.

فنَقَلُوا القَصَصَ البُوذيَّة، كَمَا أَفَاد مَانَوِيُّو الغَرْبِ مِن أمثال العَهد الجَدِيْد وَحِكَمِهِ.

ووَصَل الدِّين المَانويُّ حتَّى الصِّين، ولو لم يكن كَذلِكَ لَمَا وَصَلت إلينَا آثارُه التي تعودُ إلى القَرْنِ السَّابعَ عَشَرَ.[1] ولقد عَاشَ المَانَويُّون في بُحْبُوحَةٍ بعد أفُول الدَّولَة السَّاسَانِيَّة والضَّعف النِّسبيِّ الذي أصَاب الدِّين الزَّرَدَشْتيَّ في إيرَان وآسْيَا الوسْطى. وعلى الرَّغْم مِن عدَم امتِلاكِنَا وثَائقَ تتَحدَّث عن فعَاليَاتهم في القُرُون الإسلاميَّة الأولى، فَإنَّ مِن الواضِح أنَّ قسْمَاً كبيرَاً مِن المَانويِّين والدُّعَاة ـ لأسْبابٍ مختلفةٍ ـ عَاد إلى إيرَان،[2] ولمَّا كانت مدينَةُ بابِلَ تُمَثِّل مَقَرَّ الحُكْم في نَظَر مَانِي، وكلُّ شيءٍ يجب أن يرتَبِطَ بهَا، كَمَا أشَار إلى ذَلِكَ في كتَاب شابوركان ـ[3] إلّا أنّ سَيْطَرَةَ العَرَب على العِرَاق كان للمَانويِّين بمنزلة الفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ.

لم يكن للمُسْلمين تَوجُّهٌ خَاصٌّ نحْوَ المَانويِّين مُنْذُ بَدْءِ الفَتح العَربِيِّ وحَتَّى أواسِط حُكْم الأمَويِّين؛ لأنَّهم حتَّى ذَلِكَ الوقْت، لم يكُن لهُم أهمِّيَّةٌ تُذكَر، ولم يُميِّز المُسْلمُون بينَهُم وبينَ باقِي الزَّرَدَشْتيِّين، ولا تُوجَد أخْبارٌ مُفَصَّلَةٌ عن أحْوالِهم في ذَلِكَ الوقْتِ، وهي إنْ ذُكِرَتْ فَإنَّهَا مُتَفَرِّقةٌ وغيرُ متَّصِلةٍ. وكانت رئَاسَتُهُم في عهد خلافَة الوليدِ بنِ

---

(1) ملحوظات على الدّين المَانويّ، جاكسون، ص6.

(2) فهرست ابن النّديم، ص337.

(3) تاريخ الأديَان، سودر بلوم (بالفرنسيّة) ص393 ـ 394، قد عينّ (سيس) (SIS) آو سيسن (SISIN) خليفةً له « ومن ثمَّ أقام خلفَاؤه من بعده في بابل (الفهرست) ص334، فصَار شخصٌ باسم (Imnaos رئيساً بعد طلب (سيس). إيرَان فى العصر السَّاسَانيّ، ص195، التّرجمة،129.

عبدِ المَلِكِ،[1] ووِلايَة خَالدٍ بنِ عبدِ الله القَسْريِّ لـ (مهر) وشخصٍ اسمه (زاد هرمز)، التَحقَ بهِم، وبَقِيَ معَهُم وقْتاً، وَبَعْدَ لَحْظِهِ أشْيَاء لم يَسْتَسِغْهَا، تَركَهم وانْفَصَل عنهم، وأرَاد أن يلتَحقَ بـ (دينَاوريَان) (المتديِّنون) وهي فِرْقَةٌ مِن المَانويِّين، عَاشتْ فيهَا وراء النَّهر، فَوَفَدَ المَدَائنَ لهذا الغَرَضِ، والتَقَى مع كاتِبِ الحَجَّاجِ بنِ يوسفَ الذي كانَ عندَه مَالٌ وفيرٌ، فَأخْبَرَه عن حَالِه وسبَبِ انفصَالِه عن الآخَرين وسببِ ذَهَابِه إلى خُرَاسَان، فَألْطَفَ إليه وقَالَ له: «إنِّي سَأبْني لك بيْعَةً في مُسْتَقرِّ الخَليفَة» ووَعَدَه بتوفِير أيِّ شَيءٍ يطلُبُهُ، فَظَلَّ زادهرمز قُرْبَه، وأنْشَأَ لَه بِيعَة،[2] فكَتَبَ (زادهرمز) إلى (دينَاوريَان)، يطْلُبُ منْهم رئِيسَاً لهَا يسْتقرُّ فيهَا، فَأجابَه الِدينَاورَان بعَدَم جَوازِ الرِّئاسَة في غير بابِلَ! فترَأَّسَهَا زادهرمز بنفْسِه وانشَغَلَ بعَمَلِه فيهَا، وعِنْدَمَا حَضَرتْه الوفَاةُ طَلَبَ أتبَاعُهُ منه أن يعَيِّن رئيسَاً عليْهم، فقَدَّم مقْلاصَ الذي اطْمَأنَّ إليْه، وعند ذَلِكَ صَار المَانويُّون على قسْميْن، قِسْم كانَ مِن أتباع مُهْر، وقِسْم مِن مريدي مِقلاصَ، وقَدْ خَالَف هَذا الأخِيرُ العديدَ مِن الأمُور الدِّينيَّة، مِنهَا ارتِبَاطُه بسُنَّةِ المَانَويِّين، حَتَّى جاءَ أبو هِلالٍ الدَّيجوريُّ مِن أفريقيَّا، فَآلتْ إليْه الرِّئاسَة، وقَدْ كانَ ذَلِكَ في أيَّام أبِي جَعْفرٍ المنصُورِ، وطَلَبَ أبو هِلالٍ مِن المقلاصِيِّين الإعرَاضَ عن البِدَعِ، فقَبِل بذَلِكَ قِسْمٌ منْهم، ودَعَا رجُلٌ من المقلاصيِّين اسْمُهُ بزرمهر (بزرك مهر) جمَاعَةً منْهُم إلى نفْسِه، فَأحْدَثَ أشْيَاءَ

(1) هذا الخبر ورد في فهرست ابن النّديم، ولكنّ خَالداً لم يكن عَاملَ العِرَاق أيَام الوليد، وتولّى زمَان هشام بن عبد الملك في شوّال سنة (105هـ)، وأقام في واسط، وبقي فيهَا حتّى جمَادى الأوّل، وهلك في المحرّم من عَام (126هـ)، على أثر زجر يوسف بن عمر الثّقفيّ.

(2) نعلم أنّ كاتب الحجّاج بن يوسف هو (زادان فروخ)، وحلّ مكانه ابن مردانشاه بعد قتله (فتوح البلدان، ص301 ـ 300).

حَتَّى وَصَلَتْ الرِّئاسَة إلى أبي سَعيدٍ رجا[1] الذي أرْجَع المَانويِّين إلى رَأي (مهر) وخَالَفَهُم رجُلٌ منهم معْروفٌ بـ (يزدان بخت) في خِلافَة المَأمُونِ، ومَالتْ إليه فئةٌ ومَنَحَهُ المَأمُونُ الأمَانَ حِين كانَ في الرِّيِّ، وطَلَبَ منه المُتكلِّمُون المُناظرة مَعَه فَأجَابَهم. وسنَتناول هذا الموضُوعَ فيما بعد بالتَّفصيل.

ومِن الأمُور التي أشْكَلَ فيهَا أتبَاع مِقلاصَ على المُهريَّة، أنَّهُم زعَمُوا أنَّ خَالِداً القَسْريَّ حَمَلَ مُهْرَاً على بَغلةٍ وخَتَمَه بخَاتم فضَّةٍ، وخَلَعَ عليه ثوبَ حَريرٍ. وكان رَئيسُ المَقالَصَة في أيَّام المَأمُونِ والمعْتَصِم أبَا عليٍّ سَعيد، ثمَّ كاتبَه نصرَ بنَ هُرْمُزَ السَّمرقَنديُّ،[2] وكان المَقَالَصَة يجيزون للدَّاخِليْن في مذْهَبِهم أشْيَاء محْظُورَةً في الدِّينِ، كما إنَّهم كانُوا يخَالِطُون السَّلاطِين ويَتَنَاوَلُون معَهُم الطَّعَام، وكانَ مِن رُؤسَائهم أبو الحَسنِ الدِّمَشقيُّ.[3]

ولم تنْعَقِدْ رئاسَة الفِرقَة المَانَويَّة لبِلادِ إيرَان ومَا ورَاءَ النَّهرِ في بادِئ الأمْرِ في منَاطِقَ أخْرى، لكنْ نلحَظُ بعد أنْ انفَصَلَ المَانويُّون الغَربيُّون عَن الشَّرقيِّين أنَّ الرَّئيس صَار يذهَبُ حَيْثُما اطمَأنَّ.

(1) يقول ابن النّديم في الفهرست الصّفحة 38: من رؤساء المَانويّين في الدَّولة العبَّاسيَّة أبو يحْيى، وأبو عليٍّ سعيدٌ وأبو عليٍّ رجاءُ، ويحتمل أنّه في المتن المذكور رجاء، وهو رجا، وقد عدّ ابن النّديم أبو يحْيى في المقدّمة من زعماء المَانويّين في الدَّولة العبّاسيّة، والذي يُستشفّ من الجملة التي ذكرت أبو هلال الدّيجوريّ أنّه أوّل رؤساء المَانويّة في العصر العبّاسيّ، والظّنّ الغالب أنّ أبا يحْيى محرّف الدّيجوريّ وأنّ رجاء خطأٌ، وأبو سعيدٍ رجا هو الأصحّ، كما يجب أن يُوضع أبو عليّ سعيدٍ بعد أبي سعيدٍ رجاء.

(2) نقل الشّهرستانّي قولَ أحد زعماَء المَانويّة باسم أبي سعيدٍ الذِي عَاش في سنة (271هـ). الملل والنّحل، ص192.

(3) الفهرست، ص334 ـ 335.

وشعر المُسْلمون تدْريجِيّاً في أواخِرِ العصْرِ الأمَويِّ بخُطُورَة المُعْتَقَدَات المَانَويَّة عليهم، كَمَا أخَافَت قُدرَتُهُم المُتَزَايِدَةُ الزَّرَدَشْتِيِّين، ولا يُستَبْعَدُ أن تكُون هنَاكَ يدٌ لهُم في التَّضْيِيق على المَانويِّين ومُلاحَقَتِهم، ولرُبَّمَا يكونُونَ قدْ أثارُوا الخُلفَاءَ عليْهِم. وأطْلَقَ المُسْلمُون على مَاني اسمَ زنْديْق، وقدْ ظَهَرَت في أصْلِ هَذه التَّسمِيَة آرَاءٌ مُتَضَاربَةٌ! إذ يَرَى بَعْضٌ مِن البَاحثِين أنَّهَا جاءَتْ مِن صَديقٍ، أو الإبْدال المَانويِّ، ورَأى بَعْضٌ آخرُ أنَّ أصْل الكلمة زِنْديْك، ثمَّ صَارت بالعَربيَّة على صِيغَة (زنديق)،[1] فيمَا رَأى بعْضٌ ثالثٌ أنَّ الكَلمَة البَهْلَوِيّة (زنديك) هي صِفةٌ بمعنَى الزِّندِ أو التَّفسِيرِ، ويمكُن أنْ يُرجَّحَ هَذا الرَّأيُ اعتمَاداً على نَصِّ الأفسْتا، فَقَدْ كانَ للمَانويِّين اهتمَامٌ في تَأويْلِ كُتُبِ الدِّيَانَاتِ الأخْرى بمَا يُوافِقُ فِكرَهم. ويبدُو هَذا بنَظَرنَا أنَّه الأَرْجَحُ.[2]

وعلى أيَّة حَالٍ، فَإنَّ الثَّابتَ هو أنَّ هَذهِ الكلِمَة المَذكُورة قَدْ وَصَلتْ مِن الإيرَانيِّين إلى العَربِ، ثمَّ أخَذَهَا المُسْلمون في العِرَاق،[3] واستُعْمِلَت في البَدْءِ بحَقِّ المَانويِّين فقط، واشْتَمَلَت في بَعْضٍ مِن الأحْيَانِ على المَزدكيِّين بسبَبِ التَّرَابطِ العَقَائديِّ بين الفِرقَتين؛ إلَّا أنَّهَا أصْبَحَتْ تَدريجِيّاً تحْمِلُ معنىً عَامّاً، هو الكَافرُ أو الرَّافِضِيُّ، أو المخَالفُ للدِّينِ الرَّسْميِّ. وقد شَكَّلَ هَذا الاختِلافُ عَقَبَةً

(1) بوان ((Bevan الذي نقل قولَه ادوارد برَاون في تاريخ الأدب الإيرَانّي، ج1، ص160ـ 159.

(2) رَاجع مروج الذّهب، ج2، ص167ـ 168؛ وفكرة المهدويّة في الفرق المنَاوئة للسّنّة، تأليف بلوشه، ص139ـ 140؛ دائرة المعَارف الإسلاميّة، مَادّة زنديق.

(3) البدء والتّاريخ، ج3، ص157.

كَبيرَةً في تشْخيصِ الزَّنَادقَةِ الحَقيقيِّينَ، أي المَانويِّين، وتتبُّع أصُولِهِم وعَقَائِدِهِم، لاسِيَّما أنَّ بَعْضَاً مِن المُؤلِّفِين لم يُميِّزُوا شيْئاً بيْن الزَّنَادقة وجُزءٍ مِن آرَائهم. وإذا كانِ هَذا الأمْرُ قد جَاء بسلْبيَّاتٍ، فَإنَّه مِن جِهةٍ أخْرى، أظْهَرَ جيِّداً الفِرَقَ التي كان لهَا نفُوذٌ وسَطْوةٌ عنْد شُيوعِ المُجادَلات الدِّينيَّة التي أسْهَمَتْ في تطوُّر عِلْم الكَلام الإسلاميِّ، وبذلِكَ لا يمْكِنُ إطْلاقُ كلمَة زنْديقٍ على مُخَالِفِي أصُولِ الدِّيَانة الإسْلامِيَّة فقَط، إذ لم يكُن المَانويُّون في نظر المُسْلِمِينَ ملحِدِينَ وأتباعَ نبيٍّ كاذبٍ فقط، وإنَّما عُدُّوْا مُخَالِفِينَ للمُجْتَمَع وأعْدَاءً للدَّولة![1] و لِذَلِكَ لم يتورَّع المُسْلمُون عن حبْسِهِم وقَتْلِهِم، لاسِيَّما في العصْرِ العبَّاسِيِّ الذي هو زَمَنُ تشكُّلِ العَقَائِد الدِّينيَّة وثَبَاتِهَا.

وكان الأشْخَاصُ الذينَ أُطْلِقَ عليْهِم زنَادقةً في العصْر الأمَويِّ مَحْدودِينَ إلى حدٍّ بَعِيدٍ، وكان منهُم عبدُ الصَّمد بنُ عبد الأعْلى مُؤدِّبُ الوليدِ بنِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ، وقد حَمَلَ الوَليدَ على الشَّرَابِ والاسْتخفَاف بالدِّين،[2] غيْرَ أنّه لا يْمكِن مِن هذا المُختَصَر الحُكْمُ على الوَليدِ بأنَّه كان مَانويَّاً، لعَدَم وجُودِ دلِيلٍ في أيْدينَا يُثبتُ ذلِكَ.

وكان الآخَرُ الجَعدَ بنَ درهمٍ مؤدِّبَ مَروانَ الفَرَسِ، أو مَرَوَانَ الحِمَارَ، أو مَروانَ الجَعديَّ، إذ صَار مؤدِّبَ مَروانَ لمَّا كان واليَ الجزيْرة، وكان الجَعدُ بنُ درهمٍ مولى سويدٍ بنِ غَفلةٍ، ثمَّ صَار مُؤدِّبَ أبنَاءِ مرْوان؛ وكان الجَعدُ مِنْ شيوخِ المعْتَزلَة، واعتَقَدَ بخَلقِ القُرْآن والقَدَر، ولِذَلِكَ أُطلِقَ عليْه وصْفُ زنديقٍ، فَطَلَبَه الخَليفَةُ هشَامٌ وحَجَرَ عليه، ثمَّ أرسَله إلى خَالدٍ بنِ عبدِ الله القسْريِّ والي العِرَاق،

(1) الدّين المَانويّ، بركيه، ص6.

(2) الأغاني، ج2، ص239.

وأمَرَه بقَتْله، فَقَتَلَه.[1]

وليس بينَ أيدينَا دَليلٌ قَاطعٌ يُثبِتُ أنَّ الجَعدَ كان زنْديقاً أو مَانويَّاً، وتَحتَمِلُ هذه التُّهمَةُ بعْداً سيَاسيَّاً له ولَمروانَ، وقَدْ اشتركَ الجَعد بن درهم في القَول بالقَدَرِ مع معبدٍ بنِ عبدِ الله الجُهنيِّ،[2] فجَعَلَه مُخَالفو القَدَريَّة زنْديقاً، وتُرجْم في أوائلِ الدَّولَة العبَّاسِيَّة الكَثيرُ مِن المُؤلَّفَاتِ المَانَويَّة إلى العَربيَّة، وكان عْبد الله بنُ المقفَّع مِن أبرَزِ مترَجِمِي هَذهِ الكُتُبِ.[3]

كان مَاني كَمَا نعلمُ واحِداً مِن أهمِّ مُدَّعي النُّبوَّة، ففي الوقْتِ الذي اهْتمَّ فيه بالتَّبشِير والدِّعَاية والوَعْظِ الدِّينيِّ، اهتمَّ أيضاً بتصْنيفِ الكُتُبِ؛ ويُعَدُّ إحصَاء ابنِ النَّديم والبَيْرَونيِّ واليعقوبيِّ وسائرِ مؤلِّفي الشَّرقِ والغَربِ لكُتُبِه ورسَائِله[4] دليلاً على فعَاليَة يرَاعِه وكتابَاتِه.[5]

كان الدِّينُ المَانويُّ ديناً أدبيَّاً، بمعْنَى أنَّ رجَال الدِّين في هذه

(1) الطّبريّ، القسم الثّاني، ص1733، و ص1769؛ الفهرست، ص337، 338، كتاب البدء والتّاريخ، ج6، ص54؛ كتاب التّاج، الجاحظ، هامش صفحة 106 ـ 107، زيَادةً عن المصَادر الأخرى التي أخبرت عن ذلك.

(2) حول معبد، رَاجع كتاب المعَارف، ابن قتيبة، ص244، ومعبد أوّل شخصٍ تحدّث عن القدر، وتلاه غيلان الدّمشقيّ.

(3) الفرق للبغداديّ؛ وكتاب شرح العيون، تأليف ابن نباتة، ص159؛ والأغاني، ج 18، ص123، و ج 21، ص87؛ وأنساب السّمعَانيّ؛ ص131؛ المسعوديّ، مروج الذّهب، ج 8، ص293.

(4) رَاجع كتاب الفَاريك المهمّ، الخطوط المَانويّة، ج2، وإيرَان في عصر السَّاسَانِيّين ص (193 ـ 194) ـ التّرجمة ـ ص (128 ـ 129).

(5) ابن النّديم، ص (336ـ 337)؛ البيرونّي، الآثار الباقية، ص130؛ اليعقوبيّ، التّاريخ، ج1، ص <كذا المترجم>

الشَّريعَة، اعتَمَدُوا كتابَة الرَّسَائلِ والكُتُبِ عند المُنَاظرة أو المُجادلَة في المَسَائِلِ الدِّينيَّة مع أتْباعِ الدِّيَانَاتِ الأُخْرى، أو مَا قامُوا بتأْلِيفِه لأتْباعِهِم. وقَدْ شَاع هَذا الأَمْرُ بين أوسَاط الدُّعَاة المَانويِّين العَرب السَّهْلين، وقَد أثْبتَت ذَلِكَ مُكْتَشَفَاتُ الوَثَائق المَانَويَّة في آسْيَا الوسْطى، حَيْثُ أظْهَرَت شُيوعَ هذا الأمْر بين المَانَويِّين الشَّرقيِّين، ويظْهَر أنَّ تِلكَ الكُتُبِ – كمَا وَرَدَ في كتاب الحَيَوان ـ كانتْ مُزخْرَفَةً ومُزيَّنَةً، وتَحْوي على كاغِدٍ مُذهَّبٍ وأبْيَض، وأنَّهَا خُطَّت بموادَّ كيميَاويَّةٍ برَّاقةٍ وخطٍّ حَسَنٍ جَذَّابٍ،[1] وكان هذا الأمْرُ مقصُوداً مِن قِبَلِهِم، فكانت هذه الكتب المزيَّنة تُظْهِرُ للعِيَانِ إلهِ النُّورِ وإلهِ الظُّلمَة؛ ويُظْهِرُ هذا الأسْلوبُ قصَّةَ (أرتنك مَاني)[2] وسَاهَمَ هذا الأمرُ في اقتنَاء النَّاسِ لتلك الكُتُبِ وحِفْظِهَا.

وكان لنَشْرِ هَذهِ المُصَنَّفَات أثَرٌ على المُسْلِمِينَ في أيَّام العَبَّاسِيِّين، حَيْثُ دَخَلَ قسمٌ منهم في دين مَاني، ووَقَعَ قسْمٌ آخرُ في الشَّكِّ والرِّيبَة مِن الدِّين الإسلاميِّ، ولكنْ لم يضيَّق على هذه الفِرقِ في زَمَنِ الخليفَة المَنصُور وذَلِكَ بشَهَادة المُؤلَّفَات الإسْلاميَّة،[3] إذ يُذكر أنَّ

---

(1) كتاب الحَيوان، ج1، ص28؛ فون كريمر، ص 102 ـ 104؛ كتاب إقبال، ص7 ـ 8.

(2) جوامع الحكايَات، عوني، Supple. Pers .906F 249b.، ونقل العوفيّ مطلباً رَأى فيه أنّ مقتله وغيبته كانت في سنةٍ واحدةٍ، والذي سينتقل فيمَا بعد إلى (به آفريد) بصورٍ مماثلةٍ ويقول عوفيّ: إنّ (ارتنك مَاني) حتّى ذَلِكَ الوقت (أوائل القرن السّابع) جوامع الحكايَات في حدود 1625 بقيت في خزائن ملوك الصّين.

(3) لسوء الحظّ كان الشرّوع بهذه الفرقة. رَاجع الطّبريّ، القسم الثّالث، ص422، وقد حشر أبو جعفر المنصور، محمّد بن أبي العبَّاس مع الزّنَادقة من أجل صرف أنظار النَّاس.

طَبيبَ الخَليفةِ (خصب) كان قد أظْهَرَ النَّصْرَانيَّة، ويُقَالُ: إنَّه كان زنْدِيقاً،[1] وكذلِكَ كاتِبُه يزيدُ بنُ الفَيْضِ الذي عُرِفَ بزنْدَقَتِه، لكنَّ التَّضْييقَ على الزَّنَادقة وَقَعَ في زمَنِ المَهْديِّ.[2] ولم يكنْ المَانويُّون حتَّى ذَلِكَ الوَقْتِ مِن أصْحَابِ النُّفوذِ الكبيرِ، ولم تَلْقَ كُتُبُهُم رَوَاجاً كَبيرَاً، كما نعْلَمُ أنَّ قَتْلَ ابنِ المقفَّعِ لم يكن لأسْبابٍ دينيَّةٍ.[3]

أسَّسَ المهْديُّ بنُ المنصُور إدَارةً خَاصَّةً لحبس الزَّنَادقة، وأسْنَدَ رئاسَتهَا إلى شخْصٍ باسْم (صاحب الزَّنَادقة) أو عَارِفِ الزَّنَادقة، وعَيَّن جمَاعَةً مِن العلماء السُّنَّة لتَأليف الكُتُبِ المنَاقِضَة للمَانويِّين، فيمَا اشْتَغَل بَعْضٌ مِن علماءِ المَانَويَّة بنقْضِ هَذهِ الكُتُبِ![4] كما يجِبُ في الوَقْتِ ذاتِه التَّوجُّهَ نحْو فلسَفَة الحُكومَة العبَّاسِيَّة لمعرفَةِ رؤْيَتِهَا والاطِّلَاع على تضْييقِ الخَليفَة العَبَّاسِيِّ المَهْديِّ وعِقابِه المَانَويِّين.

«لم يكُنْ قيَامُ الدَّولَة العبَّاسِيَّة ثورةً سيَاسِيَّةً فقط، وإنَّما كان لهَا أبعَادٌ دينيَّةٌ على العَكْسِ مِن الدَّولة الأمَويَّة التي كانت دُنيَويَّةً، فَقَدْ اسْتَنَدُوا إلى تقلِيْدِ البَاديَة العَربيَّة المُجاوِرَةِ لهم في دمَشْقَ. لكنَّ العَبَّاسِيِّين ادَّعَوْا أنَّ خِلافَتَهُم مِن الله! وأسَّسُوا الدَّولَة على

(1) الطّبريّ القسم الثّالث، ص23ـ 422، رَاجع حول حياته ابن أبي أصيبعة، كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1، ص148؛ والأغاني، ج3، ص (11 ـ 12)، و ص (99 ـ 100)، لكن يظهر أنّ خصيباً لم يكن متطبّباً مَانويَّاً، إنّما أشار إليه الطّبريّ أنّه من المعطّلة (يعني من دون دينٍ) لأنّ أخلاقه كما هو مذكورٌ في الطّبريّ لا تتشابه مع أخلاق المَانويّين.

(2) الجهشيَاريّ، ص182؛ والطّبريّ القسم الثّالث، ص520؛ الأغاني ج 16، ص149.

(3) للاطّلاع تفصيلًا رَاجع تاريخ الوزرَاء والكتّاب، الجهشاريّ، ص110 ـ 119؛ وكتاب حَياة ابن المقفّع، تأليف عبَّاس إقبال.

(4) الفهرست، ص338.

وَفْقِ الأصُولِ السِّيَاسيَّة والدِّينيَّة، واسْتعَانُوا بأسَاليبِ المُلُوكِ السَّاسَانِيِّين، فلم تَكُنْ ألقَابُهُم بـ (شيخ العَرَبِ) وإنَّما تمثَّلوا بمُلُوك إيرَان، وأسْنَدُوا قدرتَهُم على الحَقِّ الإلَهِيِّ كَمَا في الدَّولة السَّاسَانيِّة التي اتَّكأتْ على هَذا المَبْدَأ، إذْ أسَّسُوا حُكُومَتَهم على حَقِّ الوِرَاثةِ المطْلَقة للنُّبوَّة، والعبَّاسِيُّون مثلُ السَّاسَانِيِّين! فهُم أرَادوا إحْيَاء الدِّين الحَقيقيِّ الذي تَأثَّر وانتكَس، لذَلِكَ فَقَدْ كان حُكْمُهُم حُكماً دِينيَّاً، ولم يَكُونُوا رُؤسَاءَ دُنيويِّين فقط، بل زُعمَاءَ دينٍ أيضاً، فعَدُّوا أنْفسَهم مِثلَ السَّاسَانِيِّين خُلفَاءَ عن الله وأصْحَابَ حُكومَةٍ دينيَّةٍ (Etat)، نصَّبوا على رَأسِهَا خُلفَاءَ النَّبيِّ (خليفة الله)... وَحَلَّتْ ظَاهِرِيَّاً عقِيدةُ (Confessionnel) كأساسٍ للإدَارة الحُكُوميَّة بوصْفهَا رَكيزةً للمُلك الإسْلاميِّ... فيمَا عَاملَ الأمَويُّون الثَّائرين ضِدَّهم بحَقَارةٍ كبيرةٍ؛ وتَبنَّى الخُلفَاءُ العبَّاسِيُّون منذ أوائِلِ حُكْمِهِم فِكْرَةَ (dogme) فَسَعَوْا لحِفْظِ التَّقَالَيدِ في الدَّولَة، وصِيَاغَةِ العَقائِد المُتعلِّقةِ بالمسائِلِ الدِّينيَّة، وعَمَدُوا إلى ذَلِكَ منذ البَدءِ، وسَعَى بَعْضٌ مِن المتَعصِّبين مِثلُ المَأمُونِ في قَبولهَا، وتَعقَّبوا المُخَالفينَ".[1]

والخلاصَة أنَّه على الرَّغْم مِن وصُولِ العَديدِ مِن الأفكار الحَسَنة مِن السَّاسَانِيِّين إلى العبَّاسِيِّين، لكنْ يجبُ القولُ: إنَّ مِن بينِ أهمِّ أسبَابِ أفُولِ الدَّولةِ السَّاسَانيَّة الرَّبطَ مَا بين الدِّينِ الزَّردشتيِّ والدَّولةِ أو السِّيَاسة، فَقَدْ اقتبَسُوا هَذهِ الطَّريقَة، ولكنْ إذا تصَوَّرْنَا أنَّ ذَلِكَ كان العَامِلَ الوحِيدَ المُحرِّكَ لقتْلِ ومُلاحَقَة المُخَالِفين للإسلام، فَإنَّ منظُورَنَا لبَلاطِ الخُلفَاءِ سَيَكون قاصِرَاً، ونلْحَظُ

(1) الدّين الإسلاميّ والطّريقة الإيرانيّة، جولد زيهر (بالإنكليزيّة) (في مجلّة تاريخ الأديَان، سنة 22، ج 44، السّنة 1901، ص 5 ـ 8؛ كذلك المؤلّف نفسه (الشّريعة وقانون الإسلام) ص40.

فِي كثِيرٍ مِن المَوارد التي قُتل فيهَا الأشْخَاصُ بجرمِ الزَّندَقَة والتي حَمَلَتْ ظَاهِريَّاً صِفَةَ الحِفَاظِ على الشَّعَائر والشَّرَائع الدِّينيَّة... أنَّهَا قد استَبْطَنَتْ دوافِعَ شخصِيَّةً، فَقَدْ قُتلَ ابنُ المَقفَّع مِن قِبَل سُفيَانَ بنِ معَاويةَ بنِ زيدٍ بنِ المهلَّب بذَريعَةٍ دِينيَّةٍ، لكنَّ السَّببَ الوَاقِعيَّ يكمُن في خصُومةِ المنصُور والعِداءِ الشَّخْصيِّ الواقِعِ بينه وبيْن سفيَانٍ![1] وكذلِكَ قتل محمَّدُ بنُ سليمان لعبد الكَريْم بنِ أبي العوجاءِ بحُجَّة الزَّندقة، لكنَّ الاحْتمال الأقْوى لِذَلِكَ هو الأغرَاضُ الشَّخصِيَّةُ؛[2] كذَلِكَ بشَّارُ الذي مَدَحَ الخَليفةَ المَهْديَّ سِنينَ طُوالاً، لكنْ عندَما هَجَا يَعقوبَ بنَ داودَ وزيرَه، ووَصَلَ ذَلِكَ إلى المَهْديِّ، أَمَرَ الخليفَةُ حمدويهَ صَاحبَ الزَّنَادقة بأنْ يضْربَه بالسِّيَاط حتَّى المَوْتِ،[3] وكانَتْ الأسْبابُ السِّيَاسيَّة والشَّخصِيَّة أيضاً الذَّريعةَ في قَتْلِ أبي عبيدِ الله معَاويةَ بنِ عبيدِ الله وزيرِ المَهْديِّ وكاتبِه،[4] وسُجِنَ أبو نوَّاس الحَسَنُ بنُ هَانئ بِأمرِ محمَّدٍ بنِ هَارون بحُجَّة الزَّندقَةِ حِين تعرَّض بِشِعْرِهِ للخَليفَة.[5]

وهنَاك عَدَدٌ مِن الأشْخَاص الذين لم يَكونُوا مَانويِّين، اتُّهموا لأسْبابٍ دينيَّةٍ وسيَاسيَّةٍ وأدبيَّةٍ، وكانتْ تهمَةُ الزَّندقَةِ وسِيلَةً نَاجِحَةً

(1) الجهشيَاريّ، ص110، وبعد.

(2) ابن الأثير، ج6، ص 3 ـ 4.

(3) الأغاني، الطّبعة الجديدة، ج3، ص250، ص247، ويقول في هذا المجلس ذاته: إنّ المهديّ سلّمه إلى عبد الجبار صَاحب الزّنَادقة، انظر: الصّفحَات الخَاصّة بـ بشّار. يقول البغداديّ: إنّ المهديّ أمر بإغرَاق بشّار في دجلة. الفرق بين الفرق).

(4) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص490 ـ 517؛ تجارب السّلف، ص123ـ 125.

(5) م.ن، القسم الثّالث، ص4 ـ 973.

وُظِّفت ضدَّ الخُصَوم.

وكَمَا ذُكِر آنفاً، فَإِنَّ التَّضْييقَ على الزَّنَادقة، قد بَدأ على وجْه الخَصُوصِ مع عَصْر الخَليفةِ المَهْديِّ، إذ يَذْكُرُ الطَّبَرِيُّ أنَّ المَهْديَّ لَمَّا وَصَلَ إلى حَلَبَ سَنَة (163هـ) بَعَثَ إلى عبْد الجَبّار المُحْتَسِبِ لجَلْبِ الزَّنَادقَةِ إلى هَذهِ المَنطِقَة، فَأحْضَرَهُم إلى المَهْديِّ وهُو بمرجِ دابقٍ، فَصَلَبَ المهْديُّ بعْضَهُم، وأتى على كُتُبِهِم فَقَطَّعَهَا بالسَّكاكِين.[1]

وسُجنَ بدعْوى الزَّندَقَة سَنَة (166هـ) كلٌّ مِن داودَ بنِ روحِ بنِ حَاتَمٍ، وإسمَاعيلُ بنُ سليمَانَ بنِ مجالدٍ، ومحمَّدٌ بنُ أبي أيُّوبٍ المَكِّيُّ، ومحمَّدٌ بنُ طيفورَ؛ فقد أقرَّ هَؤلاءِ بالزَّندَقَةِ، ولكنَّ المهديَّ أجْبَرِهُم على التَّوبَة مِن أجْل إخْلاء سَبيلِهِم، وَأَرْسَلَ إلَى دَاودَ بنِ رَوحٍ مِن قِبَلِ أبيْهِ الذِي كَانَ عَامِلَ البَصرَة مَن يؤدِّبُه،[2] وقُتلَ في السَّنةَ ذاتهَا بشَّارُ بنُ بُردٍ،[3] وَهَمَّ المَهْديُّ في العَام ذاتِهِ بطَلَبِ الزَّنَادِقَة،[4] وألقَى القبْضَ على يَزيدَ بنِ الفَيضِ وأجْبَرَه على الاعْتِرَاف بالزَّندَقَةِ ثمَّ ألقَاهُ

---

(1) م.ن، القسم الثّالث، ص9 ـ 498.

(2) م.ن، القسم الثّالث، ص517، الجهشيَاريّ، ص180.

(3) ابن الأثير، ج9، ص50، الأغاني، ج3، ص247، ويُلحظ كذلك الطّبعة الجديدة، ص250، وحَياة بشّار وأحواله في الصّفحَات130 ـ 131.

(4) الجهشاريّ، ص187، الأغاني، ج3، ترجمة بشّار بن بُرد، كان في سنة (166هـ)، حمدويه صَاحب الزّنَادقة، وعلى قول ابن الأثير (ج6، ص50، كان متولّي أمر الزّنَادقة الكلوذانيّ، وعلى قول الطّبريّ (القسم الثّالث، ص520) كان عمر الكلوذانيّ رئيساً سنة (167هـ)، لكن وعلى قول هذين المؤرِّخين إنّه في سنة (168هـ)، وعند موت عمر الكلوذانيّ، أصبح محمّد بن عيسى بن حمدويه صَاحبَ الزّنَادقة، فقتل جمعَاً كثيرَاً (ج 6، ص53)؛ والطّبريّ القسم الثّالث، ص521. وعلى قول يَاقوتٍ الحمويّ في معجم البلدان، ج 4، ص310، كلواذ طوسج بالقرب من بغداد.

فِي السَّجنِ، لكنَّهُ فرَّ ولم يتمكّن مِن الإمْسَاك به[1] وأُحْضِرَ فِي هذه السَّنَة إلى المهديِّ أيضاً وضَّاحُ الشُّرَوِيُّ وعبدُ الله بنُ أبي عُبَيْدِ الله، فَأَقرَّا بالزَّندَقَةِ، فَأَمَرَ المَهْدِيُّ بقَتْلِهِمَا، فقُتِلا ودُفنَا، لكنْ ليسَ على القِبْلَة![2].

واقتفى الهَادي أثرَ أبيه المَهْديِّ بعد مَوْتِهِ، لاسِيَّما أنَّ المَهْديَّ أوصَى ابنَه في هَذا البابِ،[3] ولمَّا وَصَلَ الهَادي إلى الخِلافَة ضَيَّقَ على هَؤلاءِ، وقَتَل قِسْمَاً منْهُم، وكانَ مِن جُمْلَتِهِم يَزدانُ بنُ بَاذان،[4] كاتبُ يقطِينَ بنِ موسى، وابنُهُ عليٌّ، الذي كان مِن أهْلِ النَّهرَوَان،[5] فَإنّه حِينَما ذَهَبَ للحَجِّ وشَاهَدَ النَّاس وَقْتَ الطَّوافِ قَالَ لهم:[6] هَؤلاءِ القومُ أَشْبَهُ بِالدَّوَابِّ التي تَدُوسُ البيْدَرَ في الحُقولِ! فَأنشَد عُلاءُ بنُ الحدَّاد في هذا الأمْرِ:

أيَــا أمــينَ الـبَــدر في خَلْقِه وَوَارثَ الـكَـعْـبَـة والمِـنْـبر

مَا تَـرَى في رَجُـلٍ كَـافــــــرٍ يْشَــبِّه الكَــــعبَةَ بالبَيــدَر

(1) ابن الأثير، ج 6، ص50؛ الجهشيَاريّ، ص182؛ والأغاني، ج16، ص149؛ والطّبريّ، القسم الثّالث، ص520.

(2) الجهشيَاريّ، ص187

(3) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص588، تظهر من هذه الفقرة أخلاق المَانويّين وآرَاؤهم.

(4) تظهر القرَاءة الصّحِيحة لهذه الكلمة في كتاب البدء والتّاريخ.

(5) كذلك الطّبريّ وهو الأصحّ، لكن سقط عند ابن الأثير (ج 6، ص60،) اسم ابن يزدان بن باذان وحلّ مكانه عليّ بن يقطين، وهذا غير صحِيح، وفي كتاب البدء والتّاريخ ازدايَادار،= =ووردت (يزدان داد)، ترجمة مخطوطة الطّبريّ المختصرة، وضُبطت بـ(يزدان بن باذان) في التّرجمة الفرنسيّة.

(6) وكماَ ظهر فيماَ بعد، فَإنّ هذا الشّخص من شدّة الخوف ذهب إلى الحجّ.

****

وأنشَدَ مرَّةً أخْرى:

قَدْ مَــاتَ مَاني مُنذُ أعْصَـــار وَقَدْ بَـــــدا أزدٌ أيَـــا دار

حَجَّ إلى البَيْـــتِ أبو خَـــالدٍ مَخَافةً مِنَ القَتْـــلِ أو العَار

وَوَدَّ والله أبُــــو خَــــالدٍ لو كانَ بيْـــتُ الله في النَّار

لا يُقتَـــل الحَيّ في ديْنِـــه كُفرَاً ولا العُصْفُور في الدّار

وَلَيْسَ يُوذِيْ الفَارَ في حِجْرِهِ يَقُــــولُ رُوْحُ الله في الفَار

****

فَقَتَلهُ الهَادي وصَلَبَه، وسَقَطَتْ خشَبَة صَلبِه على زائرٍ مَاتَ مع حِمَاره(1).

وقتَلَ الهَادي في هذه السَّنة يَعقوبَ بنَ الفضْلِ، وهو مِن بني هَاشِمٍ، وكان المهدي قد أحْضَر في حَياة يعْقوبَ أحَدَ أبنَاءِ داودَ بنِ عليٍّ،(2) وطَلَبَ منه الاعْتِرَافَ بالزَّندَقَة، فقَالَ يعقُوبُ: أعْتَرِفُ بالزَّندَقَة بقُربِكَ، ولكنْ لا أُعلِنُ ذَلِكَ أمَامَ النَّاسِ، فقَالَ المَهْديُّ: إذا لم تُعلنْ فلَن أبقِيَ هَاشِميّاً إلَّا قتلْتُه، ثمَّ أوصَى ابنَه موسَى حِينَما يصِلُ إلى الخِلافَة: أن اقْتُلْ هَؤلاءِ بسُرعَةٍ. ثمَّ ألقَى بالاثنَين في السِّجنِ، فمَاتَ ولدُ داودَ بنِ عليٍّ في السِّجنِ بعْد موْتِ المهْديِّ، وظَلَّ يعقوبُ

(1) كتاب البدء والتّاريخ، ج6، ص100ـ 101؛ النّصّ، ص 98ـ 99؛ ترجمة الطّبريّ، القسم الثّالث، ص549.

(2) جاء في مختصر ترجمة الطّبريّ اسمه عبد الله F.429.

فِي السِّجنِ حتَّى صَار موسَى خليْفَةً، ورَحَلَ مِن جُرجَان إلى بغدَادَ، وعمِلَ بوصِيَّة أبيْه،[1] وحَمَلَتْ فَاطمةُ ابنَةُ يعقوبَ مِن أبِيهَا،[2] وفي حضور المهْديِّ أقرَّ هو وأمُّهُ بالزَّنْدقَة.

وعندمَا وَصَلَ هَارونُ الرَّشِيدُ إلى الخِلافَة، اقتفَى أثَر أسْلافِه،[3] ففي سَنَة (170هـ) مَنَحَ الأمَانَ لكلِّ مُختَفٍ مَا عَدا بَعْضٍ مِن الزَّنَادقَةِ، مِثْلِ يونُسَ بنِ فروةَ،[4] ويَزيدَ بنِ الفيضِ،[5] وقَتَلَ هَارونُ بذَريعةِ الزَّندقةِ في سَنَة (178هـ) أنسَ بنَ أبِي شيخٍ، الذي كان مِن مقرَّبِي البرَامِكة.[6]

ويتَّضِحُ مِن فِقرةٍ ورَدَت في تاريخ الطَّبَرِيِّ أنَّه في زمَنِ محمَّدٍ الأمِينِ أُفْرِدَ سِجْنٌ للزَّنَادقَة، ويُقَالُ: إنَّ هَذا السِّجنَ كان مَوجُوداً قبْلَه، ويظْهَرُ أنَّ الأشْخَاصَ الذين أُلقُوْا فيه لم يَنْجُ إلَّا قِلَّةٌ منهُم.[7]

ويُعَدُّ المَأمُونُ ـ مقَارنَةً بالخُلفَاء الآخَريْن ـ أكْثَرَ انفِتاحَاً وتَسَامُحَاً، لاسِيَّما في بَدْء خلافَتِه، إذ أظْهَر مع الزَّنَادقِة تشدُّداً و تَسَامحَاً دِينيَّاً في

(1) رَاجع للتّفصيل الطّبريّ، القسم الثّالث، ص (549 ـ 551).

(2) كان متوائمَاً مع الدّينين الزَّرَدَشْتيّ والمَانويّ، وكان للأب الحقّ في نكاح ابنته.

(3) الأغاني، ج3، ص134، الملحوظات المتعلّقة بتاريخ حضارة الإسلام، ترجمة خدابخش، ص106.

(4) رَاجع يونس بن أبي فروة، الأغاني، ج13، ص88، ص97.

(5) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص4 ـ 6.

(6) م.ن، القسم الثّالث، ص681؛ وكذلك الأغاني، ج21، ص108؛ وبعده كتاب المعَارف، ابن قتيبة، ص194.

(7) رَاجع شعر أبي نوّاس في الطّبريّ، القسم الثّالث، ص972؛ ديوانه، ص26؛ والطّبريّ، ص962.

الوقْتِ ذاتِه، فلدَينَا جمْلةُ شَواهدَ تبيِّن تهَاونَه معهُم، فقد مَنَح (يزدان بخت) رئيسَ المَانويِّين الأمَانَ، وقَدْ كانَ رجُلاً فصِيحَاً ومتَحدِّثاً، وقد أحضَرَه مِن الرَّيِّ، فَأفحَمَه المُتكلِّمُون بحضُور الخَليفة؛ فقَالَ له المَأمونُ: يَا (يزدان بخت) آمِنْ، قَالَ يزدانُ بخت: يَا أميرَ المُؤمِنينَ نصِيحَتك مسْموعَةٌ، وقولُك مقبُولٌ، لكِنَّك مِن الأشْخَاص الذين لا يُجبِرُون النَّاسَ على ترْك دينِهم، فَقَالَ له المَأمُونُ: أجَلْ، وأوْكَلَ إليْه مَن يحرُسُه خوفَاً عليْه مِن الغَوغَاء، وكان فصِيحَ اللِّسَان.[1]

أمَّا الفِقرَات التي فيهَا دلِيلٌ على اضْطِهَاد المَانويِّين، فهي مَا أورَدَه أبُو المعَالِي في باب إحْدى المُنَاظرَاتِ التي حدَثَتْ بحضُور الخليفَة في عصْر المَأمُونِ، الذي أصَرَّ على أنْ تتنَاظرَ كلُّ الأديَان في حضْرَتِه، حتَّى جَاءَ رجُلٌ كان على المَثْنويَّة، وتنَاظَرَ في أصُولِ دينِه، فطَلَبَ المَأمُونُ جمْعَ متكلِّمِي الإسْلام و فُقَهَائِه لمنَاظرَتِه، وحِينمَا شَرَعَ الرَّجل بالتَّحدَّث قَالَ: لنَلْحَظْ الخيرَ والشَّرَّ،[2] والنُّورَ والظُّلْمَةَ، الطَّيِّبَ والخَبيثَ، يجِبُ أن يكونَ صَانعُ هَذه الأضْدادِ آخرَ، سَواءٌ كانَ عَاقِلاً صَانع الحَسَنِ، وآخرَ صَانعُ القبيحِ، قَبِلْتُ. فنهَضَ أهْلُ المَجْلِسِ وصَاحُوا: إنَّ المُنَاظرَة مع هَذا الشَّخصِ لا تكونُ إلَّا بالسَّيفِ ـ فسَكَتَ المَأمُونُ لبعْضٍ من الوقْتِ، ثمَّ سَأَله: مَاذا يعْني الدِّينُ؟، فَأجَابَ: الدِّينُ فيه صَانعُ شيئينِ، الأوَّلُ صَانِعُ الخَيْرِ والثَّاني صَانِعُ الشَّرِّ، وكلُّ واحِدٍ يُظْهِرُ صُنْعَهُ وفِعْلَهُ، فحَيث يكونُ الخيرُ لا يوجَدُ الشَّرُّ، وحَيثُ يكونُ الشَّرُّ لا يوجَد الخيْر. فقَالَ المَأمُونُ: هل

(1) الفهرست، ص338، وظاهرَاً قد كتب في الرّدّ على النَّصارَى يزدان بخت، فقد أجاب جبرَائيل النَّصْرَانيّ (الآثار الباقيّة، البيرونيّ، ص208).

(2) والصّحِيح على مَا يبدو (عَالمَان كثيرَا الشّرّ والخير).

الاثنَانِ بأفعَالِهِمَا قادِرَان أو عَاجِزَان؟، فَأجَاب: إنَّ الاثنَين قادرَان على أفعَالِهِمَا، والصَّانُع في أيِّ وقتٍ ليْسَ بعَاجِزٍ. فقَالَ المَأمُونُ: لا يَظْهَرُ العَجْزُ أبَداً؟. قَالَ: وكيفَ يكونُ المعبودُ عَاجزاً؟. فقَالَ المَأمُونُ: الله أكبَرُ! يرجِعُ كلُّ شَيءٍ إلى صَانِعِ الخيْرِ وليس لصَانِعِ الشَّرِّ، أَوَ يُرِيدُ صَانعُ الشَّرِّ الذي يريدُهُ صَانعُ الخيْرِ؟ وهل بإرَادتِه أصبَحَ ذَلِكَ أم لا؟. قَالَ: لا واحدُ على الآخَر، وليس في يدِ أحدٍ. قَالَ المَأمُونُ: فَإذاً العجْزُ ظَاهرٌ في هذينِ الاثنَينِ، وليسَ العَجْزُ مِن الخَالق. فظَلَّ المَثنويُّ مُتحِيِّراً، فَأمَرَ المَأمُونُ عنْد ذَلِكَ بقَتْلِهِ، فَأثنَى الجميعُ على المَأمُونِ».[1]

وينْقُلُ المسْعودِيُّ أنَّ خَبَراً وَرَدَ إلى المَأمُونِ عن عَشَرةِ زنَادقةٍ مِن أهْل البصْرة، فَأمَرَ بحَمْلِ الشَّيخ والشَّابِّ منْهم إليْه، فحُمِلُوا إلى بغْدادَ مقيَّدِين، ولَمَّا امتَنَعُوا عن التَّوبَة والرُّجُوعِ عن دِيْنِ مَاني، أمَرَ بقَتْلِ العَشَرة جَمِيعِهِم.[2]

وعلى الرَّغْم مِن وُجُود هذه الحَالاتِ فقدْ نَالَ الزَّنَادقَةِ في زَمَنِ المَأمُونِ حرِّيَّةً أكثرُ مِمَّا كان في زَمَنِ الخُلفَاءِ الأربَعَةِ الذين قَبْلَهُ، بل تَشَبَّه بَعْضٌ مِن النَّاس بلِبَاسِ الزَّنَادقَةِ وقيَافَتِهم.

وكمَا لحِظنَا فَإنَّ كلمَة زنْديقٍ تحمِلُ معنيَين على الأقلِّ؛ فَالأوَّل: معْنَىً خَاصٌّ يحْمِلُ مقصُوداً مَانَويّاً صِرْفاً، والثَّاني: معَنَىً عَامٌّ يشْتَمِلُ على غيْر المُتديِّن أو المُشَكِّكِ أو المُتهكِّم أو غيرِ المكْتَرِثِ بشرَائِعِ الدِّينِ أو ذوي الاعْتقَاداتِ الضَّعِيفَة؛ ويبْدُو التَّمييْزُ أو الفصْلُ بينَ الصِّنفَين صَعْباً، وذَلِكَ بسَبَبِ الامتْزاجِ والتَّداخُلِ في بعْضٍ من الأحْيَانِ، أو

(1) بيَان الأديَان، طبعة طهرَان، ص18، ترجمة هَانري مَاسه، 37ـ 38، هوامش كريستنسين في العَالم الشّرقيّ، سنة1911، ص212، وبعد.

(2) مروج الذّهب، ج 57، ص16ـ 12.

تَعَصُّبِ المُؤلِّفين في أحْيَانٍ أخْرى.

وهدفنَا في هذا الباب إيرَاد ذِكْرٍ إجَماليٍّ لأهمِّ الأشخَاصِ الذين مثَّلوا القِسْم الأوَّل:

1ـ عبدُ الله بنُ المُقَفَّع:

اعتقَدَ بَعْضٌ مِن المؤلِّفين الإسْلاميِّين المُتأخِّرين بأنَّه زَرَدَشْتِيٌّ، غير أنَّ عبَّاس إقبال ردَّ هذا الخَطَأ في كتَابِه! وعدَّ ابنَ المقفَّع مِن الأشْخَاصِ الذين نَقَلُوا مِن البَهْلَوِيَّة إلى العَربيَّة آثار المَانويِّين وابنِ ديصَان ومرقُيون.[1]

وكان ابنُ المقفَّع عَامِلَ الخرَاجِ في أيَّام خِلافَة سُليمانَ بنِ عبدِ المَلكِ (96 ـ 99هـ)،[2] ومِن المُفتَرَضِ أنَّ عُمُرَهُ كان عشْرينَ سَنَةً على الأقلِّ، ولأنَّه كانَ حَيَّاً سَنَةَ (142هـ) فَإنَّه عَاشَ قرَابَة خمْسٍ وستِّين سَنةً، واعْتَنَقَ الإسْلامَ بعد سَنةِ (132هـ) على يد عيسَى بنِ عليٍّ؛ وبنَاءً على ذلِكَ، فَإنَّ عُمُرَهُ في ذَلِكَ الوَقتِ كان خَمسِينَ سَنةً، أي إنَّه لم يكُن مُسْلماً قبْلَ عشْر سِنينَ، ونحْن لا نَعرفُ شَيئاً عن الوقْتِ الذي نَقَلَ فيه الكُتُبَ المُتعلِّقَةَ بالدِّينِ المَانَويِّ إلى العَربيَّة، وهل كانَ بعْدَ اعتنَاقِه الإسْلامَ أمْ قَبْلَ؟. فمِن أجْلِ هَذا كُلِّه، فَإنَّ اتِّهامَه بالزَّندَقَةِ في أواخِر حَياتِهِ أمْرٌ يجِبُ الحَذرُ فيه. لكنْ مِن المُمكِنِ القَولُ: إنّه بعْد اعتِنَاقِهِ الإسْلامَ ظلَّ يمِيْلُ إلى دِيْنِهِ القَدِيْم، فلا يوجَدُ دلِيلٌ يشِيرُ إلى مَانَويَّته، كما إنَّ هَذا الحَذَرَ يجِبَ مرَاعَاتُه في إسْلامِهِ. وفي المُحَصِّلَة، إنَّ مِن الصُّعُوبَة إبْداءَ رَأيٍ قاطِعٍ حَوْلَ دیْنِ ابنِ المُقفَّع،

(1) مروج، ج 293،8.

(2) فتوح البلدان، ص464.

وقَدْ أورَدَ البَلعَميُّ في هَذا في ترجَمَة الطَّبريِّ فصْلاً حَوْلَ الزَّنَادقَةِ في أَيَّام الهَادِي، لا يُوجَدُ في تَاريخ الطَّبَرِيِّ. وقَدْ جَاء في هذا الفصْلِ أنَّ الزِّندِيقَ هو غيرُ المُتدِيِّن أو المَادِّيُّ أو الدَّهريُّ، وقد ذَكَرَ جُمْلَةً مِن كِبَارهِم ، مِثْلِ صَالحِ بن عبدِ القدُّوس، وعبدِ الله بنِ المُقفَّع، و(يزدان داد)،[1] وعبدِ الله بنِ أبي عبدِ الله وزيرِ المَهْديِّ، وعبدِ الله بنِ داودَ بنِ عليٍّ بن عبدِ الله بنِ العبَّاس، ويَعقوبَ بنِ الفضْلِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ زعيم بنِي هَاشِم؛ فقَالَ: «كان هَؤلاءِ مِن كِبَار الزَّنَادقَةِ. وقَالَوا: لا يوجَدُ شَيءٌ أكثَرُ إحْكَامَاً واسْتِقَامَةً مِثْلُ القُرْآن، فليسَ للمُسْلِمِينَ فَخْرٌ سِوى هَذا الكتَابِ، ومنْذُ الوقْتِ الذي ظَهَرَ فيه القُرْآنُ حَتَّى اليوم، وكُلُّ مَا يُقولُه الخُطَبَاءُ، والعُظَمَاءُ، والمُتكلِّمُونَ، والشُّعرَاءُ، والفُصُحَاءُ، وكُلُّ هَذه الأشْعَارِ، والخُطَبُ المَنظُومَةُ والمَنْشُورةُ، فإنَّ المَرْءَ منهم إذا لم يُوردْ آيةً مِن القُرْآن لِمَا قالَه... قَالُوا ليْس بصائِبٍ قُلْ لَّئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَاتُواْ بِمِثلِ هَٰذَا القُرءَانِ لَا يَاتُونَ بِمِثلِهِ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعض ظَهِيرا».[2]

واجتَمَعَ الزَّنَادقَةُ بعْد هَذا، وقَالَوا: يَجِبُ أن نبْتَدِعَ كِتَابَاً بمِثْل فصَاحَة القُرْآن وبَلاغَتِه ثمَّ نطْرَحُه على النَّاسِ حَتَّى يظْهَرَ لَهُم مِثْلَ الذي نَزَلَ على محمَّدٍ. وتبَايَعَ على ذَلِكَ أربَعَةٌ مِن كِبَارهِم، أوَّلُهُم عبدُ الله بنُ المُقفَّع، وثانِيْهِم صَالحُ بنُ عبْدِ القُدُّوسِ، وثَالثُهُم عبْدُ الله بنُ أبي عُبيْدِ الله الوزيرُ، ورَابعُهُم عبْدُ الله بنُ داودَ بن عَلِيٍّ. وكانَ هَؤلاءِ الأربَعةُ مِن فُصَحَاء العَالَمِ، وكان أفصَحَهُم عبدُ الله بنُ المُقفَّع، فتعَاهَدُوا على نَظْمِ ذَلِكَ وإتمَامِهِ، فَاجتَمَعُوا، ونَظَمَ ابنُ المُقفَّعِ ذَلِكَ

(1) ورد في ترجمة هرمَان زوتن برك (ج 4، ص449) يزدان بن باذان.

(2) سورة الإسَراء (17) الآية: 88.

لِوَحْدِهِ». [1]

ولا يُعرفُ أَسَاسُ هذا القَوْلِ، وهَذا القَدْرُ هُو الذي نعْلَمُهُ عن تدْوِينِ كِتَابٍ يُمَاثِلُ القُرْآن، وقَد نُسِبَ هَذا إلى أشْخَاصٍ آخَرينَ، ويُقَالُ: إنَّه كانَ لعَقيدَةِ المُعتزِلَة حَوْلَ خَلْقِ القُرْآن تَأثيرٌ في ظُهُور الأفكار المُشَارِ إليْه في كِتابٍ مُنَاقضٍ أو مُمَاثلٍ للقرْآن.

وقد ذَكَرَ ابنُ الرَّاونْديِّ في كِتابِ الزُّمُرُّد مُعجزاتِ إبرَاهيمَ وموسى وعيسَى ومحمَّدٍ وعدَّهَا خَوارقَ، وَوَصَفَ أصْحَابهَا بِأَنَّهم (سَحَرَةٌ ومُشَعوذُون في الأصُول محرِّفُون وظَاهرَاً مُخَرِّقُون)، وأنَّ القرْآن ليسَ كَلامَ شخْصٍ حَكِيم، ففيْه تنَاقضٌ وخَطَأٌ وكَلامٌ مُستَحِيلٌ! [2] كما ألَّفَ كِتابَ الدَّامِغِ للِيهُود، للرَّدِّ على كِتابِ المُسْلِمِينَ وتنْظِيْمِهِم. [3]

وألَّف ابنُ أبي العَوجَاء كتابَاً في معَارضَةِ القُرْآن، وكان هَذا الكتَابُ مَوجُوداً في خِزَانَة كُتُبِ الصَّاحبِ إسمَاعيلَ بن عبَّادٍ، وزيرِ كَافي الكفَاة مع كُتُبِ ابنِ الرَّاونديِّ وصَالحٍ بنِ عبْدِ القدُّوس. [4]

وكتب يونُس بنُ أبي فَرْوَة كِتابَاً في مَثَالِبِ العَربِ وعُيوبِ

(1) البلعميّ، ترجمة الطّبريّ (بالفَارسيّة)، f 428b– «مؤلّفٌ مجهولٌ التّواريخ، F21B – 220Bk وحمد الله مستوفي (تاريخ كزيدة، ص300 ـ 301 و ص802، ووردت هذه الرّواية في ترجمة هرمَان زوتن برك (ج4 ، ص447 ـ 453) وفي هذا الفصل بعضٌ من الإضافَات وفي الآخر نَاقصٌ مؤلّف تاريخ كزيدة وكان مرجعه كذلك تاريخ البلعميّ الذي اختصره في الخطأ.

(2) عبد الرّحمن خيَّاط، كتاب الانتظار، ص2 ـ 3، و ص173.

(3) عبَّاس إقبال حديث حول عبد الله بن المقفّع، ص15.

(4) إرشاد الأريب، ج 2، ص296.

الإسْلام بِزَعْمِه، أرسَلَه إلى مَلك الرُّومِ وأخَذَ منه المَالَ.[1]

وادَّعى بشَّارُ بنُ بُرْدٍ، أنّ أشْعَار حَمَادٍ ـ في نَظَرِهِ ـ أجْزَلُ مِن القُرْآن![2] ويُشير هَذا إلى أنّه منْذ بدايَة القَرْنِ الثَّالِث، انساقَ العَديدُ مِن الأفرَادِ إلى تَأليفِ أو نَظْمِ قُرْآنٍ، مِمَّا دعَا هَذا الجَاحظَ المُعتزليَّ في أحَدِ كُتُبِه إلى وصْفِ القُرْآن وتمْجِيْدِه؛[3] ويُقَالُ إنَّ غَرَضَهُ مِن هَذا التَّأليفِ لم يكن ذِكْرَ فَضَائلِ القُرْآن ومحَاسِنِه فقَط، وإنَّما كان هَدَفُه ردَّ أقوالِ المخَالِفِينَ وإظْهَارَ وَهَنِهَا وارتِباكِ مطَالِبِهَا.

ويتَّضِح في قول البَلعميِّ آثارُ وأمَارَاتُ وَضْعِ هَذا الخَبَر، فهُنَاكَ اخْتِلافٌ في عصْرِ الأشْخَاصِ الثَّلاثَة! لأنَّ ابنَ المُقفَّع المَعْروفَ بالزَّندَقَةِ، اتُّهِمَ بتَأليفِ كِتَابٍ يُمَاثِلُ القُرْآنَ، فلا ينْطَبِقُ ذَلِكَ الخَبَرُ مع عصْر ابنِ المُقفَّع، إذ إنَّ المَهديَّ قَتَلَ صَالحَاً بنَ عبدِ القدُّوس سَنَةَ (166هـ)، أي بعْد أربعِ وعشْرينَ سَنَةً مِن مَقْتَلِ ابنِ المُقفَّع، وكان عبدُ الله بنُ أبي عُبَيْدِ الله شَابَّاً يَافِعَاً عنْد مَوْتِ ابنِ المُقفَّع، وقَدْ قُتلَ في سَنةِ (166هـ)[4] كذَلِكَ فَإنَّ عبدَ الله بنَ داودَ بنِ عليٍّ مَاتَ في السِّجنِ بعدَ وفَاةِ المَهديِّ بقَليلٍ، وذَلِكَ سَنَةَ (169هـ) وقد كانَ صَغِيرَاً عنْدَ قَتْلِ ابنِ المُقفَّع، بل لعلَّه لم يُولد بعْد!. لِذَلِكَ فَإنَّه لا يُمكن القَوْلُ: إنَّه تواطأ مع ابنِ المقفَّع لتَأليفِ هَذا الكِتاب، ويتَّضِحُ مِن أقْوالِ البَلعَميِّ أيضَاً أنَّه شَخصِيَّةٌ خُرَافيَّةٌ. إذ يقول: إنَّ ابنَ المُقفَّع

(1) الأمَالي، ج1، ص90 حديثٌ حول عبد الله بن المقفّع، ص15؛ ضحى الإسلام، ج1، ص151.

(2) الأغاني، ج13، ص77.

(3) كتاب الانتصَار، ص 154 ـ 155.

(4) الجهشيَاريّ، ص178.

أمضَى في عمَلِه هَذا سِتَّةَ أشْهرٍ، وكانَ عَمَلُهُ حِمْلَ حِمَارٍ مِن الكَّاغد، لكنَّه لم يسْتَطِعْ أن يخْتَلق قُرْآناً.

ويتَّضِح مِن كلِّ ذَلِكَ أنَّ مِن المُسْتحِيلِ أن يكونَ الكتَابُ قد دُوِّنَ مِن قِبَلِ ابنِ المُقفَّع، بل إنَّ مِن المُسْتَبْعد أن يكونَ فكَّر بِذَلِك أصْلاً،[1] لكن ليسَ ببعيدٍ أنْ يكونَ شَخْصٌ آخَرُ اختلَقَ هَذا الأمْرَ وكَتَبَ عنه. وقدْ لقيَ ابنُ المُقفَّع حَتْفَه لِخُصُومَته الشَّخْصِيَّة مع المَنْصُور وسُفيَان عَامِلِ العِرَاق، وعلى حدِّ قوْلِ حمَّادٍ عجردَ: إنَّ لأبي أيُّوبَ سُليمَانَ المَوْرَيَانيِّ يَدَاً في قَتْلِهِ.[2]

2ـ أبو عمرو حمَّاد بن يحْيَى عجردُ:

كان حمَّادُ مَولىً لبنِي أُسْدٍ بنِ عَامرٍ، وقد وُلدَ في الكُوفَة، وامتَازَ بقريْحَةٍ شِعْريَّةٍ، وعَمِلَ كاتِباً ليَحْيَى بنِ مُعَمَّرٍ بنِ محمَّدٍ بن صَولٍ، ثمَّ كَاتِباً لعُقْبَةَ بنِ مُسْلمٍ في البَحْرَيْن،[3] وَقَدْ عُدَّ مِن أصْحَاب ابنِ المُقفَّع، إذ كانَ مِن جُمْلَةِ الأشْخَاصِ الذين ألَّفُوا في المَثنَويَّة كِتَاباً،

(1) ونُسب ذَلِكَ أيضاً إلى ابن المقفّع القاضي فيَّاض والباقلانّي، وهما من أئمّة الأشعريّة نقلاً عن مقدّمة رسائل البلغاء، ص9 «ملحوظات حول عبد الله بن المقفّع» ص 5.

(2) كتاب الوزرَاء والكتّاب، ص117، للاطّلاع على سيرة ابن المقفّع رَاجع كتاب إقبال ورسالته المطبوعة في هذا الباب، وكتاب الوزرَاء والكتّاب للجهشيَاريّ، الذي يُعدُّ أفضل من قدّم من تفَاصيل عنه (ص110ـ119) وفي الترّجمة (ص117) وكتبٍ أخرى قد وردت في= =هوامش رسالة إقبال من جملتهَا ابن خلّكان بابُ حَياة الحسين بن المنصور الحلّاج؛ وفهرست ابن النّديم، ص118؛ وطبقات الأمم، ص14، و ص49؛ آرَاء الهند للبيرونيّ، ص76.

(3) يبدو أنّه الشّخص نفسه الذي اشترك في حرب المقنَّع وأشار إليه بعضٌ من المؤلّفين بعقبة بن مسلمٍ.

وَعَدَّهُ بَعْضٌ مِن المُؤَلِّفين زنْدِيقاً،[1] فَأصبَحَ اسمُه مَكْرُوهَاً مُسْتقبَحَاً بين النَّاسِ،[2] وحُذِّر هَارونُ الرَّشيدُ في البَدْءِ مِن اصْطفَائِه لتَأدِيبِ محمَّدٍ الأمِينِ، ولكنَّ الاخْتيَار وَقعَ عليه في النِّهاية، وَقَدْ جَمَعَ أخْبَاره إسْحَاقُ بنُ إبرَاهيمَ المَوْصِلِيُّ.[3]

3ـ يحْيَى بن زيَادٍ الحَارثيُّ:

هو مِن الأشْخَاصِ الذين عُرفُوا بالزَّندَقَة، وعُدُّوا مِن أصْحَاب ابنِ المُقفَّع وحَمَّادٍ، وهو أيضَاً مِن الذين ألَّفوا في المَثنَويَّة.[4]

4ـ مُطيعُ بنُ إيَاسٍ اللَّيثيُّ الكِنَانيُّ:

هو واحِدٌ مِن أصْحَاب ابنِ المُقفَّع ومِن الذين ألَّفوا في المَثنَويَّة،[5] وكان مِن الشُّعَرَاء، وَقَدْ امتَحَنَ هَارُونُ الرَّشيدُ ابنتَه، فَاعْتَرفَتْ بِأنَّهَا قد تلقَّتْ تعْلِيمَاتِ المَانَويَّة وقرَأتْ كُتُبَهُم،[6]، وعَامَلَ المُطِيعَ كذلِكَ على أنَّهُ مِن أتبَاع المَانَويَّة العَرَبِ، وَقَدْ تُوُفِّيَ سَنَة (169هـ).[7]

(1) المسعوديّ، ج8، ص293.

(2) تاريخ ابن عساكر، ص424.

(3) ابن النّديم، ص141. راجع عن ترجمته كتاب الوزرَاء والكتّاب للجهشيَاريّ، ص117؛ ويَاقوت: إرشاد الأريب، ج4، ص123ـ 135؛ وتاريخ ابن عسا كر، ج4، ص123ـ 135؛ وتاريخ ابن عساكر، ج 4، ص424، ومَا بعدهَا؛ وابن خلّكان؛ والأغاني، ج12، ص73ـ 101؛ والطّبريّ، القسم الثّالث، ص422.

(4) المسعوديّ، مروج الذّهب، ج 8، ص293، عن ترجمته رَاجع الأغاني، ج 12، ص94 ـ 100، و ج 17، ص15، ومواضع أخرى.

(5) المسعوديّ، المصدر ذاته.

(6) الأغاني، ج12، ص98.

(7) ابن الأثير ج6، ص 64، عن ترجمته رَاجع الأغاني، ج 12، ص110 ـ 87؛ تاريخ الأدب العربيّ، نيكلسن، ص291.

5ـ بشَّار بنُ بُرْدٍ:

شاعرٌ مِن كبَار الشُّعرَاء، وُلد أعْمى، ويعُود أصْلُه إلى تخَارستان، وكان أجْدادُه في هَذه المَنطقَة مِن أهْل العِزَّة والشَّرَف؛ وظَهَرَ عليْه العِلْمُ بالآثَارِ والرِّوَايَاتِ الإِيرَانيَّة القدِيمَة، وعلى الرَّغْم مِن اشْتهَاره بالزَّنْدَقَة، لكِنْ لا يمكِن التَّثَبُّتُ مِن صِحَّة ذلِكَ.[1] وَقَدْ أشَار بَعْضٌ مِن المُؤلِّفينَ إلَى أنَّه اعتَقَدَ برجُوعِ الأمْواتِ إلى الدُّنيَا قبْل البَعْثِ، وعُدَّ مِن (الكَامليَّة) وهي فِرقَةٌ مِن الرَّوافِضِ أتبَاع أبي كامِلٍ، ويُقَالُ: إنَّ رَأيَ إبليسَ تقدِيمُ النَّار على الطِّينِ. ولا يُستَطَاع إثْبَاتُ مَانويَّته؛ ولم يُذكَر في مَوْردٍ مِن مَوارِد المَانويِّين مَنْحُ الأحَقِّيَّةِ لإبْليْسَ. والذي يبْدُو ـ مِن حَيْثُ الظَّاهرُ ـ أنَّ بشَّارَاً كان مِثْلَ أكثَر أبْنَاء عصْرِه الذين كانتْ عقَائدُهم خَلِيطاً مِن العنَاصِرِ الإسْلاميَّة والإِيرَانيَّة، وَقَدْ كان ذَلِكَ سَببَاً في شُهرتِه بالزَّندَقَةِ، إذْ لم تُمْحَ عنْه بعْد العَديدُ مِن الرَّواسِبِ العَقَائِديَّة القَديمَة، ولكنْ لا يمكِنُ القَولُ: إنَّه كانَ زنْديقاً بالمَعْنَى الدَّقيقِ. وَقَدْ عُدَّ مِن الشُّعَرَاء اللَّاذِعِين، فتَحَاشَى النَّاسُ لِسَانَه، لكنَّ لِسَانَه أوْدَى بحَياتِه! فقدْ هجا وزيرَ الخَليفَة يعقوبَ بنَ داودَ، فوَصَل هِجَاؤه هَذا إلى الخَليفَة المَهْديِّ، فَأَمَرَ بِأنْ يُضْرَبَ بالسِّيَاط حَتَّى المَوْتِ. ويَذْكُرُ صَاحِبُ الأغَانِي (ج3، طبعة مصر الجديدة) أنَّ المَهْديَّ أَمَرَ صَاحِبَ الزَّنَادِقَةِ عَبْدَ الجَبَّارِ بأن يضْرِبَ بَشَّارَاً فضَرَبَه حتَّى مَاتَ. ويقُول في موضِعِ آخَرَ(ج3 ص 250): عِنْدمَا حَضَرَ المَهْديُّ إلى البَصْرة، كان حَمدَوَيْه صَاحِبُ الزَّنَادِقَة مَعَه، فَأوكَلَ إليْه بَشَّارَاً وقَالَ له: اضْربْه حَتَّى يمُوتَ.[2]

---

(1) يقول ابن خلّكان: (ترجمة بشّار) نظرت في ديوان بشّار بن برد، وفتّشت فلم أجد دليلاً على زندقته.

(2) الفهرست، ص338؛ البغداديّ، ص255؛ البيرونّي، الآثار الباقية،

6ـ عبدُ الكريم بنُ أبي العَوجَاء:

يُقَالُ إنَّه تَظَاهَرَ بالإسْلام وأبْطَنَ المَانَويَّة، وَقَدْ اعتَقَدَ على وجْه الخَصوصِ بالأصْلَيْنِ الخيْرِ والشَّرِّ[1] حَتَّى ظنَّ بَعْضٌ مِن المَانَويِّين أنَّه نَبيٌّ.[2] كمَا اشْتُهِرَ بوضْعِهِ الحَديثَ، وَقَدْ اعترَفَ قبَيْل قتْلِه بأنَّه وَضَعَ أربعَةَ آلافِ حَديثٍ كَاذبٍ وأشَاعَهَا؛[3] وكان يقولُ بالتَّنَاسُخِ، وكان مِن أصْحَاب القَدَرِ فيمَا يتعلَّق ببابِ العَدْلِ والظُّلم. وتَحَذْلَقَ في تغْيِير أحْكَام الشَّريعَةِ، وحَبَسَه محمَّدُ بنُ سليمَانَ عَامِلُ الكُوفَة لزَنْدَقَتِه، ثمَّ قَتَله سَنَة (155هـ).[4] وألَّف ابنُ أبي العوجاءِ كتاباً في مُعَارضَة القُرْآن،[5] وتنَاظَرَ بحُضُور الإمَام جَعْفرٍ الصَّادِقِ في مسْألة ثوابِ الإنْسَانِ.[6]

7ـ أبو شاكرٍ الدِّيصانيِّ:

يُعَدُّ مِن الأشْخَاصِ الذين أظْهَرُوا الإسْلامَ وأبْطَنُوا عقيدة

ص67.

(1) كتاب البدء والتّاريخ، ج1، ص82.

(2) كتاب البدء والتّاريخ، ج3، ص8.

(3) أمَالي الشّيخ المرتضى، ج1، ص88 ـ 89، والصّفحة95؛ الطّبريّ، القسم الثّالث، ص375، ومَا بعدهَا؛ ابن الأثير، ج6، ص3.

(4) رَاجع حول ترجمته ابن الأثير، ج6، ص3ـ 4؛ كتاب البدء والتّاريخ، ج1، ص82؛ الفرق بين الفرق، البغداديّ، ص 6 ـ 255؛ الطّبريّ، القسم الثّالث، ص375ـ 376؛ أمَالي الشّيخ المرتضى، ج1، ص88 ـ 89، الصّفحَات 95ـ 96؛ ميزان الاعتدال، ج2، ص144؛ البيرونيّ، الآثار= =الباقية ص67ـ 68؛ وآرَاء الهند، ص132؛ والأغاني، ص24؛ الفهرست، ابن النّديم، ص338؛ سرح العيون، ابن نباتة، ص162.

(5) إرشاد الأريب، ج2، ص296.

(6) شهَادة الحلاّج، تأليف مَاسنيون (بالفرنسيّة)، ص617، الهَامش السّابع.

المَانَوِيَّة،[1] وظَنَّه بَعْضٌ مِن المَانويِّين نَبيَّاً، ويَبْدُو أنَّه لم يكُن كذلَكَ، وإنَّمَا كان مِن أتْباعِ ابنِ دَيْصَانَ، ثمَّ اعتَنَقَ الإسْلامَ.[2]

8ـ أبو أسامةَ والِبَةُ بنُ الحُبَابِ الأُسْدِيُّ:

كان لبَعْضٍ مِن الوقتِ نديمَ المَهديِّ، وهو شَاعرٌ أدِيبٌ، وَهَاجٍ مِن الظُّرفَاء، ورُبَّمَا كان هَذا سَبَباً لاتِّهَامِه بالزَّندَقَةِ.[3]

9ـ صالحُ بنُ عَبْدِ القُدُّوسِ:

مَوْلَى قبيلةِ أُزْدٍ، وَعَظَ في البصْرة ودمَشق؛ عَدُّوهُ مِن الزَّنَادقة، وكانَ مُتكلِّمَاً، وَنَظَمَ الشِّعْر، وَقَدْ ظَهَرَتْ في أشْعَاره العِزَّةُ، ولَم يمْدَحْ أحَداً. امْتَازتْ أشْعَارُه بأنَّهَا ذاتُ حكْمَةٍ، وفيهَا ذِكْرٌ لأسمَاءِ كثِيرِيْنَ مِن مُلوكِ وأبْطَال إيرَان؛ كَمَا امتَزَجَ فِيهَا الكَثيرُ مِن مَعَانِي الزَّنْدَقَةِ، ولِذَلِكَ فَقَدْ قدَّمَه أعوَانُه في الدِّفَاعِ عن مَذْهَبِهِم. ولَمَّا اتُّهِمَ بالزَّندَقَةِ، أحضَرَهُ المَهْديُّ، ونَاظَره، فعَجِبَ لعِلْمِهِ وأدَبِه وحَكْمَتِه الوَاسِعَةِ فَأخْلى سَبِيلَهُ، ثمَّ أرْجَعَهُ، وسَألَه: أليسَ أنتْ الذي قلْتَ الأشْعَار الفُلانيَّة؟ قَالَ: بَلى؛ فَأمَرَ بقَتْلِه. وبِحَسَبِ قَوْلٍ: إنَّ المَهْديَّ سَمِعَ تَعرُّضَه للنّبيِّ في أبيَاتٍ، فَأحْضَرَه وقَالَ له: أنتَ الذي قلْتَ هَذه الأبيَات؟ فَأنْكَر وقَالَ: لم أشْرِكْ أبَداً، أتُرِيْقُ دَمِي بمَحْضِ الشُّبَهَةِ؟! فقَالَ: أنْشِدْنِيْ قَصِيدَتَك. حَتَّى إذا وَصَلَ إلى «لا يَتْرُكُ الشَّيخُ أخْلاقَه» أَمَرَ بقَتْلِه. ويُقَالُ: إنَّه ضَرَبَه بسيْفِه فَجَعَلَه نصْفَيْن؛ وقد كان تنَاظَرَ

(1) الفهرست، ص338.

(2) كتاب البدء والتّاريخ، ج3، ص8، ضُبط في هذا الكتاب باسم ابن شاكر، وظاهرٌ أنّه خطأٌ. رَاجع كتاب الانتصَار للخيَّاط المعتزليّ، المقدّمة، ص55، والمتن، ص41 و142.

(3) الجهشيَاريّ، ص172؛ الأغاني، ج3، ص129، وبعده، ج12، ص81، و ص106 ـ 107، و ج13، ص78 ـ 88، و ج16، ص148 ـ 151.

مرَّةً مع أبي الهذيل العلَّاف. واشتُهِر صَالحُ بالزَّندقَة، لكنْ لا تُوجدُ إشَارَاتٌ في أشعَاره دالَّةٌ على الفسْقِ، كمَا لا تُوجَد دلائلُ قاطِعَةٌ على مَانويَّته، حتَّى إنَّه بعد قَتْلِه، سَعى بعْضٌ مِن الأشخَاص إلى تبرئته، فعدُّوه بريئاً.[1]

وكمَا لحِظنَا، فَإنَّ كُتُبِ الزَّندقَةِ انتشَرَتْ في بدايَة الدَّولَة العَبَّاسيَّة، وربَّمَا تعُود قوَّةُ الزَّنَادقَة وكَثرةُ أعدَادِهِم ـ على وجْه الخَصُوص ـ إلى هَذا الأمْر، وقد أشَار بعْضٌ مِن الكُتَّاب إلى التَّأثِير المُهمِّ لهذه الكُتُبِ على أذهَان النَّاس.[2] ولم يكن الأشخَاصُ الذين اعتنَقوا المَانَويَّة إيرَانيِّين فقط، وإنَّمَا كان فيهم عَربٌ حَتَّى مِن بني هَاشم! فقد دخل قسمٌ منهم في هذا الدِّين،[3] وقد مرَّ ذِكْرُهُم آنفَاً. ولم تكُن نتيْجَةُ الدِّعَايَة المَانَويَّة محْصُورةً في الذين اعتَنَقُوا المَانَويَّة، وإنَّمَا كان لِذَلِكَ دَخَلٌ في التَّشكِيكِ والإضْعَاف لِعَقائِدِ النَّاسِ، يعني أنَّ النَّاسَ الذين اعتنقُوا المَانويَّة، كان عنْدَهُم شُكوكٌ وظُنونٌ في اعتقادَاتِهِم الأولى، ولَعلَّ هَذا كان مِن بينِ العَوامِل التي تسَبَّبت في إطْلاق لفْظَة (زنديق) على غيْر المتديِّنين. أمَّا المَانويُّون الحقيقيُّون، فقد كانُوا أنَاسَاً وَرِعِينَ وزاهِدِين، وحَسَنِي الظَّاهر، وينَأَوْن عن العمَل غيْر الصَّالِح، ويؤمِنُون بفكْرة الآخِرَةِ والقِيَامة؛ ولا يَأكلُون اللَّحْم، وقَالُوا بعَدَم مزْج المَاء بالأصْلين النُّور والظُّلمة.[4] «فدينُهُم على وجْه الخَصُوص

(1) تاريخ ابن عساكر، الجزء السّادس، ص (371 ـ 376)؛ الأغاني ج 3، ص24؛ ومعجم الأدباء، ج4 ، ص (268 ـ 269)؛ وضحى الإسلام، ج2، ص44ـ 45؛ والفهرست ص163، و ص338.

(2) المسعوديّ، ج8، ص293؛ البيرونّي، كتاب آراء الهند، ص76.

(3) حول أسباب انتشار الدّين المَانويّ انظر: «فرَاتركومن» ملحوظات حول الدّين المَانويّ (ج1، ص53) .

(4) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص588، وعلى قول الطّبريّ إنّ هذا التّعريف

مَبنيٌّ على عبَادة الجَمَالِ والمَظَاهِر المخْتَلفَة، ولم يَمتَنِعُوا عن إظهَار تعلُّقِهم بكُلِّ شَيءٍ جميلٍ وحَسَنٍ، ولبِسُوا اللِّبَاس النَّظيْف، وعَطَّرُوا أجْسَادَهم ولبَاسَهم بالبُخُورِ والعُطُور، فكَانوا مَضْرِبَ المَثَل عند المُسْلِمِين في الطِّبَاع الحَسَنَة والإيثَار وإظْهَار الذَّوقِ والفَصاحَة والبَيَان».[1]

والمَانويُّون أنَاسٌ أهْل صُحبةٍ ووفَاءٍ ووُضُوحٍ، فلم يَقْبلُوا بالتَّقيَّة أو كِتْمَان عقِيدَتِهم أو الكَذبِ وإخفَاء العَقَائِدِ والآرَاءِ مع التَّظاهُر بخِلافِهَا، بل إنَّ ذَلِكَ يُعَدُّ معْصِيَةً في نَظَرِهِم، وقد لُحِظَ هَذا الأمْرُ في كَثيرٍ مِن المَوارد.[2] وعلى الرَّغْم مِن كَوْنِ هَذا عنْصُرَاً فَاعِلاً في تَثبيت أقْدَام أتْباعِهِم على هَذا الدِّين، إلَّا أنَّه كان عَامِلاً في التَّمْهِيد لمُضَايقَتِهم، كَمَا ساهَمَت عَاداتُهم في الطَّعَام وغيرِه مِن الأعْمَال الأخْرى في تشْخِيصِهم.[3] ولم تكُن تعَالِيم المَانويَّة مِن دُون تَأثيرٍ على مَسيْرة تطَوُّر البَحْثِ والجِدَال الدِّينيَّين بين الفِرقِ الإسْلامِيَّة، فَقَدْ تأثَّرتْ بعْضٌ مِنهَا بالمَانويَّة، لاسِيَّما المُعتَزلةِ، بصورة مباشِرةٍ أو غيْر مباشِرةٍ؛[4] وعَلى الرَّغْم مِن أنَّ عَصْر قوَّة الآرَاء المَانويَّة وَفَوْرَتهَا قد

حول المَانويّة وآرَائهَا من المهديّ، ولكن في بعضٍ من جزئيَات هذه الفقرة توجد أخطاءٌ.

(1) إقبال، رسالةٌ حول ابن المقفّع، ص7 ـ 8، ثمَار القلوب، الثّعَالبيّ، ص138 ـ 139.

(2) وذكرنَا آنفَاً اعترَاف عبد الله بن عبيد الله (الطّبريّ، القسم الثّالث) قصّة قتل الزّنديق في زمَان المَأمون، توافق قول المسعوديّ التي مرّ الحديث عنهَا، رَاجع الجهشيَاريّ، ص (178ـ 179) و ص182.

(3) رَاجع مَادّة المعتزلة في دائرة المعَارف الإسلاميّة.

(4) للاطّلاع على المسائل التي كانت مثار جدل في هذا العصر بين الزّنَادقة وسائر المذاهب الإسلاميّة والأئمّة: رَاجع كتاب الاحتجاج للطّبرسيّ

تزامَنَ مع ظُهور المُعتَزلَة، إلَّا أنَّ المُنَاظَرَاتِ التي انشَغَلَ بهَا الطَّرَفَان كانتْ باعِثاً على التَّطوّر الفِكْريِّ.

ولَقِيتْ أفكار المَانويَّة قَبُولاً كَبيرَاً عنْد بَعْضٍ مِن الفِرقِ الأخْرى وارْتَبَطَت بهَا؛ وكان في جُمْلَة هَؤلاءِ أبو عيسَى الوَرَّاق، وتلميذُه ابنُ الرَّاونديِّ، والنُّعمَانُ، وابنُ طَالوتَ، وهو مِن شيوخ ابنِ الرَّاونديِّ.[1] وربَّمَا يمثِّل تشْخيصُ مقْدَار نُفُوذ المَانَويِّين وأثَرِهم على المُعتَزِلة والفِرقِ الأخْرى إشْكاليَّةً تَخْرُجُ مِن اختصَاصِ مَطَالِبِ هَذه المُقَدَّمَة! لِذَلِكَ سنكْتَفي بذِكْرِ أسْمَاء كُتُبِ الرُّدود على آرَاء المَانويِّين حَتَّى القَرْنِ الرَّابع:[2]

كتاب الرَّدِّ على الزَّنَادقة، وكتاب الرَّدِّ على أصحَاب الاثنين،[3] لأبي محمَّدٍ هشام بن الحَكَم مَوْلى ابنِ شَيبانَ الكُوفيِّ المُتوفَّى سَنَة (199هـ) وهو مِن متكلِّمي الشّيعَة.

(المُتوفّى 548 هـ/ 1153م) (بالإنكليزيّة) ومع أنَّ بعضاً من تلك المنَاظرَات لم يكن لهَا واقعٌ تاريخيٌّ، لكنّهَا تُعدّ شاهداً على المسائل التي كانت محلّ نظرٍ في القرنين الثّالث والرّابع الهجريّ. رَاجع أيضاً مجلّة الدّرَاسات اليَهُوديّة (المجلّد التّاسع والتّسعين سنة 1935هـ) الصّفحَات (68 ـ 91) بقلم G Vojda لكن يجب الاعترَاف بأنّ (كتاب الاحتجاج) لم يورد كلمة زنديقٍ بمعنى مَانويٍّ، وإنّمَا بمعنى أصحَاب العقائد القديمة وأصحَاب الفكر المتحرّر.

(1) انتصَار خيَّاط (149ـ 150، 152، 142 و97 ، 155)؛ ومقدّمة النَّاشر، ص55 ـ 56.

(2) كان من أشهر المنَاظرين للمَانويّين هم: نظام المعتزلّي وأبو عفَان الرّقّيّ. رَاجع كتاب انتصَار خيَّاط، الصّفحَات 30ـ 34 ، و ص26، وحمل الجاحظ أيضاً في كتبه على الزّنَادقة.

(3) الفهرست، ص 175ـ 176.

كتاب الرَّدِّ على أصحَاب التَّنَاسخ والخرَّميَّة، لأبي عليٍّ محمَّدٍ بنِ عبدِ الوهَّاب الجُبائيِّ[1] المولودِ سَنَة (235هـ) والمُتَوَفَّى سَنَة (303هـ)، ولمَّا قَالَ المَانويُّون في بعْضٍ مِن المَواردِ بالتَّنَاسُخ، فَإنَّه لا يُستبْعَدُ أن يكُون في هذا الكِتابِ رَدٌّ لأقوالهِم.

كتاب الرَّدِّ على أصحَاب التَّنَاسخ، لأبي محمَّدٍ حسنِ بنِ موسى النَّوْبختيِّ، وليسَ ببَعيدٍ أنَّه ردٌّ على أقوالِ المَانويِّين في التَّنَاسُخ.[2]

كتاب الرَّدِّ على الزَّنَادقة، لأبي الرُّبيِّع محمَّدٍ بنِ الَّليث الخَطيبِ كاتبِ يحْيَى بنِ خَالدٍ، الذي أحْسَنَ البرَامكةُ إليه، وقد اتُّهم بالزَّندَقَة، ويبْدو أنَّ دافِع تأليفِ هذا الكتَاب إنَّما كان مِن أجلِ رفْع هذه التُّهمَة[3]

كتاب الرَّدِّ على الزَّنَادقة والجَهَمِيَّةِ، لأحمَدَ بنِ محمَّدٍ بنِ حنبلَ،[4] المَولُودِ في سَنَة (164هـ) والمُتَوَفَّى سَنَة (241هـ).

كتاب الرَّدِّ على موضوعَات سيس المَانويِّ، لأبي بكرٍ محمَّدٍ بنِ زكريَّا الرَّازيِّ، وهو في سبعة مباحِثَ.[5]

وقد ردَّ المسعوديُّ في كتاب (الإبانة في أصُول الدِّيَانة) على عقائِد مَاني ومُختلَفِ الفِرقِ المَثنَويَّة.

---

(1) التّنبيه والإشَراف، المسعوديّ، ص396.

(2) الفهرست، ص177.

(3) م.ن، ص120.

(4) طبعة استانبول1931، وملحق بروكلمَان، ص310.

(5) الفهرست، ص299، ابن أبي أصيبعة، ج1، ص351.

كتاب الرَّدِّ على الزِّنديق اللَّعين ابن المقفَّع، للإمَام ترجمَان الدِّين القَاسِم بنِ إبرَاهيمَ الحَسَنيِّ الرَّسِّيِّ المُتوَفَّى سَنَة (246هـ).[1] وقد صَنَّفه رَدَّاً على رسَالةٍ نُسبَتْ إلى عبدِ الله بنِ المُقفَّع. ولكنَّ إقبالاً بيَّن سَنَة (1926م) في رسالة «أحْوالُ عبدِ الله بنِ المقفَّع» بالفَارسِيَّة، أنَّ هذا الكتَابَ ليس للقَاسِم، ورَأى ذَلِكَ أيضاً المُستشْرق الإيطاليُّ كويدي،[2] حَيْثُ لم يلْحَظْ دَليلاً ثابتاً على نِسبةِ الرِّسالَة إلى ابن المُقفَّع.[3]

وكذلِكَ فَقَدْ كتب أبو عدنَان الرَّقيُّ مِن أصْحَاب إبرَاهيم النَّظَّام في التَّوَحِيد والرَّدِّ على الملحِدِين (المَانويِّين) وآرَائِهم. غيْر أنَّنَا لا نعلَمُ له كتَاباً بهَذا الخَصُوص! لكنَّ الذي يُعرَفُ مِن مضمُونَات الكُتُبِ الأخْرى، أنَّه تَباحَثَ مع المَانويِّين وجادَلَهُم؛ فَقَدْ جَادَلَهم في مسَائلِ الصِّدقِ والكَذبِ، ومسْألةِ امْتزاجِ المتَضَادَّيْن ومسْألةِ المَهَامَاتِ والقِفَارِ وقَطْعِ المَسَافَات، وتنَاهِي النُّور والظُّلْمَة، وكيفيَّة تبَايُنِهمَا.[4]

أمَّا الزَّنَادقة الذين انتصَروا لِدِينِهم وأيَّدُوه بمُصَنَّفَاتٍ نقَضُوا فيهَا كُتُبَ الكَلاميِّين، فكان مِن جُمْلَتِهِم:

ابنُ طَالوتَ، وأبو شَاكرٍ الدَّيْصَانيُّ، وحفيدُه، وابنُ الأعديِّ الحريزيُّ، ونعمَانُ، وعبدُ الكريمِ بنُ أبي العَوْجَاء، وصَالحُ بنُ عبدِ

(1) ملحق بروكلمَان، ص351.

(2) Guidi.

(3) رَاجع بحث أحوال عبد الله بن المقفّع، الهَامش، ص2.

(4) كتاب الانتصَار، ص26، و ص185.

القدُّوس،[1] وحمَّادُ عجْردُ، ويحْيى بنُ يزادَ، ومطيعُ بنُ إيَاس.[2]

وألَّفَ رُؤسَاءُ المَانويَّة كُتُباً ضِّدَّ الأدْيَان الأخْرى، وقَدْ كانَ مِن جمْلتِهم (يزدانُ بخت) الذي أَلَّف كِتَابَاً في الرَّدِّ على النَّصَارَى، وأجَابَه جِبرَائيلُ بنُ نوحٍ النَّصْرَانيُّ في كِتابٍ صَنَّفَه.[3] ويبْدُو أنَّ (يزدانَ بخت) هو رئيسُ المَانويَّة المقِيمِين في الرِّيِّ. وقَدْ أحْضَرَه المَأمُونُ إلى بغْداد، وتنَاظَرَ المُتكلِّمُون معه، فَعَرَضَ عليه المَأمُونُ اعتنَاقِ الإسْلام، فلَم يَقْبَلْ، فوضَعَه تحت حِمَايَته. وكذلِكَ تنَاظَرَ المَانويُّون مع الزَّرَدَشْتيِّين، ويُعتقَد في الغَالِبِ أنَّهُم صَنَّفوا كُتُباً في ذلِكَ، لكنْ لَم يصِلْ إليْنَا شَيءٌ مِنهَا.

وَقَدْ وُجِدَتْ في القَرْنِ الثّالثِ إشَارَاتٌ كَثيْرةٌ في الكُتُبِ الزَّرَدَشْتيَّة إلى المَانَويِّين،[4] مِنهَا رسَالةُ (شكند كمَانيك ويجار) في البَهْلَوِيَّة وهي تُثني على الدِّينِ الزَّرَدَشْتيِّ الرَّسْميِّ، وتشْتَمِلُ على مَبَاحِثَ دِينيَّةٍ تَعلَّقَ قسْمٌ منهَا بالمَانويِّين، ويعني عُنْوانُ الكِتَابِ (البيَانُ الذي يُزيلُ الشَّكَّ)، فَقَدْ احتوَتْ هَذه الرِّسَالةُ على رُدُودٍ إجْمَاليَّةٍ عن عقَائِد المَانَويَّة ومُؤلِّفهَا (مردانُ فرخٍ بنِ أهورمزددات).[5]

---

(1) كتاب الانتصَار، ص31ـ 34، و ص43ـ 45، في باب منَاظَرات المعتزلة مع المَانويّين والفرق الأخرى. رَاجع الكتاب ذاته، ص17، وكذلك مقدّمة النَاشر الفَاضل، ص57 ـ 59.

(2) المسعوديّ، مروج الذّهب، ج8، ص393.

(3) الآثار الباقية من القرون الخَالية، ص208.

(4) رَاجع فهرست المتون البَهْلَوِيّة، تأليف وست في سلسلة منشورَات الكتب الدِّينيّة الشّرقيّة (بالإنكليزيّة).

(5) رَاجع ملحوظات حول الدّين المَانويّ، تأليف، فرَانزكومن (بالإنكليزيّة)، ج1، ص60 (النّصف الثّاني من القرن التّاسع الميلاديّ).

وَقَدْ نشَرَ وسْت ويليَام جوكسن الفصْلَ المتعلِّق بالدِّين المَانويِّ مِن كِتَابِ (شكند كمَانيك ويجار) مع مَلحُوظَاتٍ مُتعلِّقةٍ بالدِّين المَانويِّ (ص 174ـ201). وموضوعُ الرِّسَالة بَيَانُ العَقيدَة الزَّرَدَشْتيَّة عن أصْلَيْ الخَيرِ والشَّرِّ، كمَا أورد عقَائِدِ أصْحَابِ الدِّيَانَاتِ الأخْرى، فكان المَانَويُّونَ مِن جُمْلتِهم؛ ويتكَوَّن الفَصْلُ المُتعلِّقُ بالمَانويِّينَ مِن قسْمَين، الأوَّلُ بيَانُ عَقائِدِهِم، والثَّاني الرَّدُّ عليْهِم.

«5ـ أعقاب المَانويَّة»

اضْطرَّ المَانويُّون مُجْبَرِيْنَ على تَرْكِ ديَارِهم تِلْكَ، لاسِيَّما في العِرَاقِ، حَتَّى مِن قبلِ أنْ يصِلْ التَّعَصُّبُ الدِّينِّي شِدَّته على الرَّغْم مِن كوْنِهِم جَمَاعَةً عَامَّةً مِن رعَايَا الدَّولَة الإسْلامِيَّة، واسْتَمرَّتْ هجْرتُهُم طُوالَ القَرْنِ الثّالثِ نتيْجَةً للضُّغُوطِ والتَّضيِيقِ عليْهِم مِن قِبَلِ مُخَالِفيهِم، وقَدْ حَدَثَتْ آخِرُ هجْرةٍ كَبيرةٍ لهُم زمَنَ خِلافَة المُقْتَدِر بالله (295ـ320هـ)، حَيْثُ تَوافَدُوا مِن البُلْدَان الغَربيَّة إلى مَركِزِ الخِلافَة إلى خُرَاسَانَ، فيمَا أضْمَرَ الأفْرَادُ الذين بَقَوْا في العِرَاقِ وأطْرَافِه عَقَائِدَهُم، وظَلُّوا ينْتَقِلُون مِن مكَانٍ إلى آخر،[1] وتَخفَّى بعْضُهُم في المُدُن الإسْلامِيَّة، إلى أنْ ظَهَرَتْ في أيَّام مُعِزِّ الدَّولَة البُويْهِيِّ (946ـ967) حرِّيَّةٌ أكثَرُ لهُم ولسَائِر الفِرقَ الدِّينيَّة، فَظَهَرُوا. وَقَدْ عَرَفَ ابنُ النَّديْم وحْدَه في بغْدادَ فقط ثلاثَمئةٍ منْهُم، لكنْ حَدَثَ مرَّةً أخْرى اضْطِهَادٌ وتضْيِيقٌ علَيْهِم.

ويَقولُ المُؤلِّف: إنَّه في وقْتِ تأليفِ الكِتَابِ قَبْلَ سَنَة (377هـ) التي كانت سَنَة وفَاتِه، لم يَعُدْ يُعرَفُ لهُم في بغْدادَ سِوى خَمْسَةِ أفْرَادٍ

(1) الفهرست، ص337.

وَقَدْ سُمُّوا ـ على حَدِّ قولِه ـ بـ (آجاري). وقد هَاجَرُوا ـ على وجْهِ الخَصُوصِ ـ إلى شِمَال شَرقِ إيرَان، وأطْرَافِ جَيْحُوْنَ؛ ويَذْكُرُ ابنُ النَّدِيم أنَّ خمسَمئة فَرْدٍ منْهُم تجمَّعُوا في سمَرقَندَا وأصْبَحَت أعمَالُهُم معْرُوفَةً، لِذا فَقَدْ همَّ صَاحبُ خُرَاسَان (ملِكُ السَّامَانيِّين) بقَتلِهِم! يذكُر المُؤلِّفُ أنَّ ملِك الصِّينِ، ويحْسَبُه (تغوز غوز) (Toguz – ghuz) أرسَلَ إليْه مِن تَركستانَ الصِّينِ شَرقَ كاشْغر: إنَّ في بلدِي مِن المُسْلِمِينَ أضْعَافَ مَا في بِلادِكَ مِن أهْل دِيْنِي، فَإنْ قتَلتَ واحِداً منْهُم أقتُلْ مجَامِيعَ منْهُم، وأخْرِبْ المَسَاجدَ، وسَأتَعقَّبُ المُسْلِمِينَ في سَائِرِ البِلادِ!. فَكَفَّ عنْهُم صَاحِبُ خُرَاسَانَ وأخَذَ منْهُم الجِزْيَة فقَط.[1] وعَاشَ المَانويُّون مَع أتْبَاع مَرقيُون في خُرَاسَانَ حَيَاةً عَلنيَّةً حَتَّى أوَاخِرِ القَرْنِ الرَّابع.[2] وكانتْ لهُم مسَاكِنُ في قُرى سمرقَند، والسَّغد، لاسِيَّما في (نوويكث)[3] ويذكُر البَيْرُونيِّ أنَّ أتْبَاع مَاني الذين بَقَوْا في الدِّيَار الإسْلامِيَّة لا يكَادُ يجمَعُهُم موْضِعٌ واحِدٌ، مَا عَدا الفِرقَة التي في سمَرقَند المَعرُوفةِ بِالصَّابئِينَ، وتَوزَّعَتْ المَانَويَّة خَارجَ ديَار الإسْلامِ في بِلادِ التُّرْكِ الشَّرْقيَّة، وعنْد أهْل الصِّين والتِّبت، وبَعْضٍ مِن مَناطِقِ الهُنودِ.[4] ويَظْهَرُ أنَّه حَتَّى وقْتِ تأليفِ

---

(1) الفهرست، ص337.

(2) المصدر ذاته، ص339، لا نستطيع القول: إنّ المَانويّين قد رغبوا بإعَادة الملكيّة الإيرَانيَّة اعتماداً على الدّين القديم، بسبب أنّهم لم يجدوا رَاحةً تحت حكم السَّاسَانِيّين، فليس عندهم ذكريَاتٌ سعيدةٌ عن تلك الحقبة، فكان مقصدهم نشرَ فكرهم، ومع ذَلِكَ فَإنّ بعضاً من فكرهم= =ذات الصّبغة العرفَانيّة تحوي ـ إلى حدٍّ مَا ـ على بعضٍ من المداخلات السّيَاسيّة، والملكيّة، يذكر قول حدود العَالم (تأليفه في372 هـ): إنّ أهل خَابو (الصحِيح Kua – Chou) التَبت كانوا على المَانويّة.

(3) الفِهرسْت، ص 337. .

(4) الآثار الباقية، ص209، رَاجع كذلك: حدود العَالم، ص66، وقد أُطلق

كتابِ المُؤلِّفِ نفْسِهِ (372 هـ) عَاشَ المَانَويُّون في سمَرقَندَ باطْمئِنَانٍ نتِيجَةَ الحِمَايَة السِّيَاسِيَّة لـ (تغوزاغوز)؛ ودَام انتِشَار الكُتُبِ المَانويَّة حَتَّى أواخِرِ القَرْنِ الرَّابع في الأقَالِيم الإسْلامِيَّة، ولم يكُن الحُصُولُ علَيهَا عسِيرَاً، كَمَا نلحَظ عنْد ابنِ النَّدِيم ومِن بعْده البَيْرُونيُّ اللَذَيْنِ أفَادا مِنهَا في مؤلَّفَاتِهَا.

«6ـ أعقابُ المزدكيَّة»

أمَّا عن وجُود أتبَاع مَزدكَ في إيرَان وخَارجَهَا، فَإنَّ مَعلُومَاتِنَا شَحِيحَةٌ للغَايَة! لاسِيَّمَا بعْد المجْزَرة العَظيمَة التي وَقَعَتْ في آخِر حُكُومَة قبَّاذَ، حَيْثُ لم يتْرُك الزَّرَدَشْتيُّون الفُرصَة لهَؤُلاءِ لبسْطِ نفُوذِهِم. ومَن بقِي منْهُم مُقِيمَاً في إيرَان، فَإنَّه اضْطرَّ إلى إخْفَاءِ عقِيدتِه، وفرَّ القِسْمُ الآخَر إلى البِلادِ النَّائِيَة عن مركزِ الدَّولَة.[1]

ويَذْكُرُ ابنُ قتَيْبَةَ أنَّ هَذا الدِّينَ انتَشَرَ خَارجَ إيرَان في أيَّام مَزدكَ، ففي تنَاوُلِهِ أديَانَ العَربِ في الجَاهِلِيَّة ذَكَرَ أنَّ تمِيمَاً تمجَّسَتْ في الجَاهِلِيَّة، وكان زُرَارَة بنُ عَدَسٍ التَّميميُّ وابنُهُ حَاجِبُ مِنَ المَجُوسِ، وأنّ زُرَارَة تَزوَّجَ مِن ابنتَه ثمَّ نَدِم. ومِن العَربِ المَجُوسِ الآخَرينَ الأقْرَعُ بنُ حَابِسٍ، وأبو سَوْدَ جَدِّ وكِيعِ بنِ حَسَّان.

وانتَشَرَت الزَّندَقَةُ (الدِّين المَانويِّ والمزدكيُّ) بين قُرَيْشٍ، وقَدْ أخَذُوهَا مِن الحِيرَةِ،[2] حَيْثُ يذْكُرُ اليَعقوبِيِّ أنَّ قوْمَاً مِن العَرَبِ

على المَانويّين(نغوشاك) وهو الأصحّ.

(1) سمَّاه كتاب الأنساب للسِّمعَانّي بـ (المزدكيّ) F.526a وجوامع الحكايَات وإضافَات النّسخ الخطيّة الفَارسيّة العدد F251a.

(2) كتاب المعَارف، ص299، وقد نقل هذه الفقرة ذاتها أبو علّي أحمد بن عمر بن رستة في كتاب الأعلاق النّفيسة (ص217) رَاجع كذلك بيَان الأديَان

دَخَلُوا في اليَهُوديَّة، ودَخَل بَعْضٌ منْهُم في النَّصْرَانيَّة، واعْتَنَقَ آخَرُون الزَّندقَة... واختَار حِجْرُ بنُ عمْروٍ الكِنْدِيُّ الزَّندقة.[1] ويقُولُ مُطَهَّرُ بنُ طَاهرٍ المَقدسِيُّ في باب أديَانِ الجَاهِليَّة: إنَّ تَمِيماً كانَت على المَزدَكيَّة والمَجُوسِيَّة[2] إذ يُذكَر أنَّ الحَارثَ بنَ عمْروٍ المعْصُوبِ بنِ حَجَرٍ آكِلِ المُرَارِ، قَدِمَ علَى قبَّاذَ، وآمَن بالمَزدكيَّة، فَمَلَّكه قبَّاذُ على العَرَبِ، ولَمَّا وَصَلَتْ المَلَكِيَّةُ إلى أنُوشروَان، أعَاد المُلْكَ إلى المُنْذِرِ بنِ امْرئِ القَيْسِ[3].

وَقَدْ اطْمَأنَّ المَزدكيّونَ عنْد الفَتْحِ العَربِيِّ، وانْشَغَلَ مُبشِّرُوهُم ودُعَاتُهُم هَذهِ المَرَّة بنشْرِ ديْنِهِم، فكَانَ أتْبَاعُهُم في معْظَم نَواحِي إيرَان، وَقَدْ أطْلَقَ عليهم الكُتَّابُ الإسْلاميُّونَ أسمَاءً مُخْتَلِفَةً مِثْلَ المَزدَكيِّين والخُرَّميِّين والمُحمِّرَة، أو أصحَابِ الرَّايَاتِ الحُمْرِ وأسماءً أخْرى غيرهَا. وسنُفَصِّل ذَلِكَ فيمَا بعد.

ولم يَصِلْ إلينَا شَيءٌ عَن كُتُبِ المَزدكيِّين قَبْلَ الإسْلام لكِنَّ أبَا عيسَى الوَرَّاق، محمَّدٌ بنُ هَارونٍ المُتوَفَّى سَنَة (247هـ)، أوْرَدَ تفصِيلاتٍ عَن عقَائِد المَزدَكيَّة وآرَائهَا في كِتَابه (المَقَالَات). وَقَدْ نَقَل الشّهرسْتانيّ في كِتَابِ المِللِ والنِّحَلِ عن هَذا العَالِمِ مَا تَعلَّقَ بدين مَاني

لأبي المعَالي محمّد (ص12) الذي نقل هذه الفقرة من أبي عيسى الورَّاق.

(1) التّاريخ، ج1، ص9ـ 98.

(2) كتاب البدء والتّاريخ، ج4، ص131، المتن.

(3) كتاب البدء والتّاريخ، ج3، ص168، المتن، الترّجمة، ص1717، وكذلك رَاجع كتاب الأغاني، ج8، ص64ـ 63، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض، لحمزة الأصفهَانيّ، ص57، لاسِيَّما ص106 ـ 107، و ص140، والثّعالبيّ، غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، ص683 وبعده، والعوفيّ F48a ونقود آرثر كرسيتنسن في حكومة قبّاذ والمزدكيّة، ص77ـ 79، و ص45، و ص172.

ومزدك؛ ذَلِكَ لأنَّ الوَرَّاقَ مِن المُتكلِّمِين العَارِفِينَ بالأدْيَان الإيرَانيَّة القَديمَة، وكانَ في البَدءِ على دِيْنِ المَجُوسِيَّة،[1] ومَعْلومَاتُه في هذا البَاب ذاتُ قيمَةٍ عَالِيةٍ، وتَشْتَمِلُ نُقُوْلُ الشّهرسْتانِيِّ حوْلَ الموضُوعِ على ثَلاثَةِ أقْسَامٍ؛ في القِسْمِ الأوَّلِ يَذْكُر المُؤلِّف أنَّه اقْتبَسَ مِن أبي عيسى الوَرَّاق، أمَّا في القِسْمِ الثَّاني فيَذْكُرُ (وحُكِي عنْه، ورُوِيَ عنْه) أو (قِيْلَ عنه)! ولا يُستَبْعَدُ أن تكُون هَاتَان الفِقرَتَان مُقْتبَسَتَيْنِ مِنْ كتَابِ المَقَالَاتِ للوَرَّاق أيْضَاً، فِيمَا يتَّضِحُ مِن القِسْمِ الثَّالثِ مِن منقُولاتِ الشَّهرسْتانيِّ، أنَّه اقتبَسهَا مِن مَصَادِرَ إيرَانيَّةٍ، بل فَارسِيَّةٍ، ولِذَلِكَ فليْس ببعِيدٍ أن يكُون للمَزدَكِيِّينَ قَبْلَ الإسْلامِ كُتُبٌ[2] قد انتَقَلَتْ إلى أعقابِهِم.[3]

ويَقُولُ المُسْتشْرِقُ المَعرُوفُ آرثر كريستسن في هَذا البَابِ: «لا نَعْلَمُ عن القِطَعِ التي نَقَلَهَا الشَّهرسْتانيُّ والمُؤلِّفُون الآخَرونَ مَا مصْدَرُهَا. وربَّمَا ارتَبطَتْ هَذه ببَعْضٍ مِن فِرَقِ العَصْرِ الإسْلامِيِّ التي اقْتَبَسَتْ آرَاءهَا مِن المزدكيِّين القُدامَى؛ غيْر أنَّ محْوَ الآثَارِ المَزدكِيَّة مِن قِبَلِ كِسْرَى أنوشروان صَعَّبَ الأمْر، لأنَّ المُصَنَّفَات العَربيَّة والفَارسِيَّة لم تُشِرْ إلى أيٍّ مِن كُتُبِ مزدَك، وربَّمَا تكُون الرَّسَائِل المُتعَلِّقَة بهَذَا الدِّين قَدْ انتَشَرتْ بشَكْلٍ مخْفِيٍّ بيْن أتْباعِه. ولكِنَّنَا مع كُلِّ

---

(1) الشّهرستانّي، الملل والنِّحل، ص188.

(2) نسب الخوارزميّ في مفَاتيح العلوم (طبعة فَان فلوتن، ص37– 38 وطبعة مصر، ص25–26) كتاباً إلى مزدك باسم الزَّند ومن دون شكٍّ فَإنَّ هذه الرِّواية خَاطئةٌ، ولكن لا يُستبعد أن يكون لمزدك كتابٌ في الأصل، فقد نُسِبَ إليه تفسير الزّند للأفستا (جوامع الحِكايَات للعوفيّ). (الإضافَات الفَارسيّة العدد906) f 250 b

(3) إنَّ وجود اسم كِسَرْي وموبذ المُوابذَة وهربذ الهَرابذة في العصر الإسلاميّ ليس له واقعيّةٌ تاريخيّةٌ وربّمَا هذه مَا تمّ اختلاقه.

هَذا لا نَمْلِكُ أدلَّةً ثابتةً عن المَزدَكِيَّة وَوَضْعِهَا بين المُجتَمَع في القُرونِ الإسْلاميَّة الأُولى، غيْر أنَّ المَقطَع الذي نَقَلَهُ الشّهْرسْتَانيُّ فيه الكَثيرُ مِن الأصَالة، فَقَدْ ذَكَرَ المَقَامَاتِ السَّاسَانِيَّة العَاليَة والاصْطِلاحَاتِ الدِّينيَّة البَهْلَوِيَّةَ بصُورةٍ جيِّدةٍ، وكلُّ ذَلِكَ يقوِّي الظَّنَّ بأنَّ للكِتابِ جذورَاً واقعيَّةً». [1]

أمَّا عن المَزدكيِّين الجُددِ أو الخُرَّميَّة، فمِن الثَّابِتِ أنَّ لهُم كُتُباً ومُؤلَّفَاتٍ، وهَذا مَا سيتَّضح فيمَا بعد.

وسَنتنَاولُ الآنَ في الصَّفحَاتِ القادِمَة واحِدَةً مِن المَسَائِل الدِّينيَّة المهمَّة التي أثَّرَتْ تَأثِيرَاً عَظِيمَاً على الثَّورَاتِ والحَركَاتِ الدِّينيَّةِ، ونَعْنِي مسْألةَ المَهْديِّ المَوعُودِ وظُهورِه، وعَلينَا أن نكُون في هذا البابِ أكْثرَ دِقَّةً وتَحَرُّزاً.

---

(1) حكومة قباذ ودين مزدك الاشتَراكيِّ، ص82.

الفصل الأوَّل

به آفريد

أوَّلاً: المصَادرُ وإشكاليَّاتُهَا

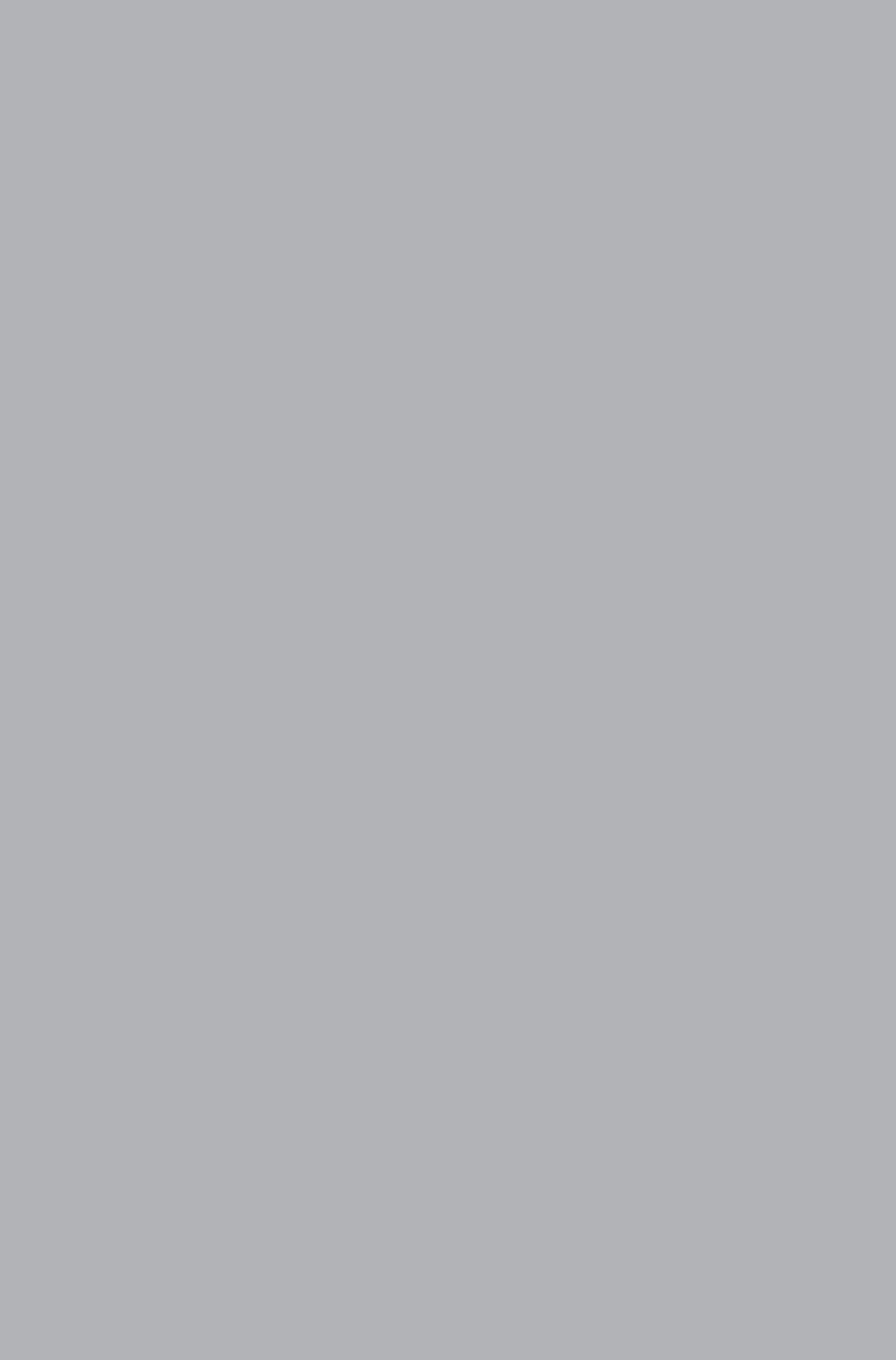
١ـــ المصَادرُ الأوَّليَّةُ.

٢ـ المرَاجعُ والدِّرَاساتُ الحديثةُ.

ثانياَ: أصولُ به آفريد.

ثالثاً: تعليَماتُ به آفريد وعقائدُه.

رَابعَاً: تطوُّرُ حركة به آفريد وأحوالهُا.



«أوّلاً: المصَادر وإشكاليّاتهَا»

ليست معْلومَاتُنَا وافِرةً عن الأحْوالِ الدِّينيَّة والرُّوحِيَّة للإيرَانيِّين في القُرُونِ الإسْلامِيَّة الأولى، إذ لا نعلَمُ على وَجْهِ الدِّقَّةِ مَدَى انتشَار الإسْلامِ ورسُوخِه بيْن النَّاس، ولا نسْبَةَ الذين اعْتَنَقُوا الدِّين الجَديدَ في مُقابِلِ الذين بَقَوْا على ديْنِهِم القَدِيم. كذَلِكَ فَإنَّ معْلومَاتِنَا نَاقِصَةٌ عن تفَاصِيلِ مُعَامَلة العُمَّالِ العَربِ للإيرَانِيِّين كمَا هو الحَالُ بالنِّسبَة للمَعلومَاتِ المتَعلِّقةِ بأحْوالِ رجَالِ الدِّينِ الزَّرَدَشْتيِّين وفعَاليَاتِهِم الدِّينيَّةِ والاجتمَاعِيَّةِ، ومَدَى تأثِيرِهِم ونفُوذِهِم على أتْباعِهِم؛ لأنَّه لم تصِلنَا وثيقَةٌ تاريْخِيَّةٌ باللُّغَة والخَطِّ الفَارسِيَّين الإسْلاميَّين حَتَّى مُنْتصَفِ القَرْنِ الثَّالثِ الهجري، كمَا إنَّ المَعلومَاتِ حَولَ هَذه المَطَالبِ قَليلةٌ جِدَّاً في الكُتُبِ الزَّرَدَشْتيَّة! لذَلِكَ فسَوْفَ تكُون المَصَادرُ العَربيَّةُ مَحَلَّ الاعتمَادِ الوحِيدِ للحُصُولِ على المَعلومَاتِ، حَيْثُ إنَّ المصَادرَ الفَارسيَّة المُتَأخِّرةَ في هَذا البَابِ، اعتَمَدَتْ على المُصَنَّفَاتِ العَربيَّة.[1]

(1) لعلّ أوّل الكتب الفَارسيَّة التي ترتبط بهدفنَا التَّرجمة الحرَّة للتّاريخ الكبير لأبي جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ المُتوفّى سنة (315هـ) إلّا أنّ أبا عليّ محمّداً بن عبد الله البلعميّ المُتوفّى في سنة (386هـ) الذي كان وزير المنصور بن نوح السّامَانيّ (350 ـ 366هـ) وأعطى لهذا الكتاب عنوان (تاريخ نَامه)، فأمر الأميرُ المذكورُ في سنة (352هـ) بترجمة الكتاب وتلخيصه إلى الفَارسيّة. ويُعدّ هذا الكتاب أقدمَ أنموذجات النّثر الفَارسيّ، وأوّلَ الوثائق الواصلة إلينَا عن تلك اللّغة. والكتاب الثّاني الذي وصل إلينَا وتعلّق مطلبُه بالغرض الحَاليّ كتاب (بيَان الأديَان في شرح الأديَان والمذاهب

ولا تمنَحُنَا المصَادرُ العَربيَّة في هَذا البَابَ معْلومَاتٍ عن الحرَكَاتِ الدِّينيَّةِ ووَقَائِع حَياةِ مدَّعِي النُّبوَّة، وإنَّ المُؤلّفينَ القَريبين مِن الوقَائِع المَذكُورَة، كانَ عدَدُهُم قَليْلاً وَقَدْ بحَثُوا في كَيفيَّة وقُوعِهَا، فتكَرَّرتْ بذَلِكَ المَعْلُومَاتُ في الكُتُبِ الَّلاحِقَةِ. ويُلحَظُ أنَّ أكثَرَ المُؤلِّفينَ الذين أوْرَدُوا في تَأليفَاتِهم أخْبَارَاً عن تِلْكَ الحَوادِثِ، لم يقْتَفُوا الأسْلوبَ الدِّقِيقَ في التَّدويْنِ التّاريْخِيِّ والنَّقدِ الدَّاخِلِيِّ، ولا يَسْتَطِيعُ القَارئُ عندَ مطَالَعَة الكُتُبِ المُتأَخِّرَةِ أن يحدِّد بشكلٍ قاطعٍ مَا إذا كان هذا المَنقُول أو ذاكَ مِن المؤلِّف نفسِه أم مِن المتقدِّمين!. كمَا إنَّ لَدينَا ـ إلى حدٍّ كبيرٍ ـ مَعلومَاتٍ أكثرَ وفرَةً حَوْلَ المُلوكِ، ورِجَالِ البَلاطِ، والأمَرَاء، والحمْلاتِ العسْكريَّة، وعَزْلِ الحُكَّامِ وتنْصِيبِهم، والانْكِسارَاتِ والانتِصَارَاتِ، والقَتْلِ والتَّخْريْب والغَارَات، وتغْيِيرِ الأُسَرِ المَلَكِيَّةِ، وظُهُور المُدَّعِين؛ كذَلِكَ فَإنَّ لِهذه المَوضُوعَات في مُصَنَّفَاتِ المُؤرِّخين أخبَارَاً أفضَلَ، لكنَّنَا نخْرُج ـ في الغالب ـ خَاليْ الوِفَاضِ مِن المَعلومَاتِ في الجَوانِبِ الاجْتِمَاعيَّة، والاقتصَادِيَّة، والثَّقَافِيَّة، والنُّظُم الإداريَّةِ والمَاليَّة!

الإسلاميّة والجاهليّة) تأليف أبي المَعَالي محمّدٍ الحسينيّ العلويّ، وقد ألّفه في سنة (485هـ)، وكانت أَكْثَر مطالبه مُستقاةً من المصَادر العربيّة. والكتاب الثّالث هو سير= =الملوك (سيَاسه نَامه) لخواجه نظام المُلك الذي على مَا يبدو ألّفه في سنة (485هـ) والكتاب الرَّابع (مجمل التّواريخ والقصص) الذي أُلّف سنة (520هـ) ويُعتقد بأنّ مؤلّفه من أهل عرَاق العجم، وعلى الظّنّ القويّ من أهل أسد آباد وأطرَافهَا، والكتاب الخَامس (جوامع الحكايَات ولوامع الحكايَات) لـ سديد الدّين محمّد العوفيّ، والذي ألّفه في حدود سنة (630هـ). والكتاب السّادس (تبصرة العوام في معرفة مقامَات الأنَام) المنسوب إلى السّيّد مرتضى بن الدّاعي الحسنيِّ الرَّازيّ، الذي ألّفه في حدود أوائل القرن السّابع الميلاديّ ـ ويُعدّ هذا الكتاب من أهمّ المصَادر الفَارسيّة فهو لم يؤلّف بشكلٍ مستقلٍ أو إنّه استقى معلومَاته عن طريق المشاهدة أو السَّمَاع، ولكنَّ أَكْثَر مطالبه كانت من المصَادر العربيّة.

إلّا أنَّه يمكِن بشَيءٍ مِن التَّمحِيصِ الدَّقيقِ إيجَادُ بَعْضٍ مِن المَعلومَات في هذا المَطلبِ التي دُوِّنتْ بصُورٍ مُتفرِّقةٍ! لأنَّ الحَياة الدَّاخِليَّة والخَاصَّة للنَّاس حِين تَأليفِ مِثْلِ هَذه المُصَنَّفَاتِ غيرُ مَعروفَةٍ لَدينَا. فَقَدْ جَاءتْ المَعلومَاتُ مُختَصَرةً في موْرِدِ الآرَاءِ الدِّينيَّة ومدَّعِي النُّبوَّة، بل إنَّهَا امتزَجَت في بَعْضٍ مِن الأحْيَان بالأخْطَاء والأخْبَار العَجِيبَة، ولم تكُن خَاليَةً مِن التَّعصُّب الدِّينيِّ؛ وإذا مَا أُضِيفَ هَذا إلى العَامِلِ السَّابق، يصْبِحُ عمَلُ الباحِث في غايَة الصُّعوبَة؛ زيَادةً على عدَم درَايَة النُّسَّاخِ الذين صَحَّفوا العَديْدَ مَن أسمَاء الأشخَاصِ والأمْكِنَة. وَقَدْ أصْبَح مِن العَسِير تحدُيدُهَا بسَبَبِ انْدِثَار العَديْد مِن القُرى والمُدُن، ونُدْرة المَصَادر؛ وهَكذا يظَلُّ الباحِثُ في تردُّدٍ وحَيرةٍ؛ ويبْقَى الأمَلُ الوحِيدُ في العُثور على المُؤلَّفَات المَفقُودة والاطِّلاعِ عليهَا مِن أجْل أن تضِيءَ لنَا طريقَ البَحْث.

ومع كلِّ ذلِكَ، فَإنَّه يجِب عدَمُ تصَوُّر أنَّ تدْوينَ أحْوالِ وآرَاء أصْحَابِ الفِرقِ وإجرَاءاتِهم السِّيَاسِيَّة كانت غائبةً بالكَاملِ عن نَظَرِ المُؤلِّفِينَ في القُرون الإسْلامِيَّة الأولى! فقد ألَّفتْ مجمُوعةٌ مِن كتَّاب ذَلِكَ العصْر كُتُباً مهَمَّةً في هذا المَطْلب. ولكنَّ الذي حَدَثَ، هو أنَّه بفِعْلِ التَّعصُّب الدِّينيِّ والمَذهبيِّ وعَدمِ اعتنَاءِ النَّاس بمُطَالَعتِهَا، والنَّظَر إليهَا بوصْفهَا كُتُباً للكُفْر والإلحَادِ، بل إنَّهَا في بَعْضٍ مِن الأحْيَان كانت تُتلفُ بمُجرَّد مُشاهَدَتهَا... كلُّ ذَلِكَ كان من الأسباب المهمة التي ساهمت في ضياعها.

أمَّا الكُتُبُ التي مِن الممْكِن أن تكُونَ محَلَّ عَونٍ في هَذا المطْلَب فهِي المُؤلَّفَاتُ التي تُسَمَّى كُتُبَ المَقَالَاتِ والآرَاءِ والدِّيَانَات، والتي تعْتَنِي بشَرْحِ الآرَاءِ والعَقَائِد الدِّينيَّة والفَلسفِيَّة للمَذاهبِ والفِرقِ

الإسْلامِيَّة وغيْر الإسْلامِيَّة المُختَلفَة، ومِن تلْكَ الكُتُبِ مَا قَام بنَقْلِهِ المَسْعُوديُّ في (التَّنبيهُ والإشْرَافُ)[1] والبَيْرونِيُّ في مُقدَّمَة (كتابُ الهند)[2] وآخَرُون، حتَّى أوَاخِر القَرْنِ الرَّابع، والتِي وَصَلَ عددُهَا إلى عشْرينَ كتَاباً، لكنَّ عَدَداً ضَئِيلاً منهَا قد انتَهى إليْنَا.

«1. المَصَادِرُ الأوَّليَّةُ»

مِن بين معْلومَاتنَا عن الحَرَكَاتِ الدِّينيَّة التي حَدَثَتْ في إيرَان في القَرْنينِ الأوَّلَيْن فَإنَّ مَا نَعْلَمُه عن حَرَكَة (به آفريد) هُو الأقَلُّ! والسّبَبُ في ذَلِكَ هو أنَّ الكُتُبَ التّاريخيَّةَ المعْرُوفَة وكُتُبَ المَقَالَات المَوجُودةَ فِعْليَّاً، إمَّا أنَّهَا لم تُشِرْ إليهَا بالكَامِل، أو أنَّهَا ألمَحَتْ باخْتِصَارٍ إلى اسْم وأحْوال (به آفريد).

إنَّ اسْم (به آفريد) مَذْكورٌ في المَصَادر التّاريْخيَّة، وأوَّل مَا يُلحظُ ورودُ اسْمِه في كتاب الفِهرسْت (ص351) لابن النَّدِيم (أبي الفَرج محمَّدِ بنِ إسْحَاقَ النَّديمِ المَعرُوفِ بابنِ أبي يعقوبَ الورَّاق البغْداديِّ) (298- 385هـ) الذي ألَّفه سَنةَ (377هـ)، ويَذْكُر ابنُ النَّديم عنه مَطَالب اقتبَسَهَا مِن كِتَابِ (الدَّولَةُ العبَّاسِيَّةُ) الذي ألَّفَه أبو إسْحَاق إبرَاهيمُ بنُ عبَّاسٍ بنِ محمَّدٍ الصُّوليُّ المولود في سَنَة (176هـ) والمُتَوَفَّى في سَنَة (243/ 792ـ 857 م). وبنَاءً على ذَلِكَ فَإنَّه يُعَدُّ تاريخيَّاً أقدمَ خبرٍ وَصَلَ إليْنَا؛ ولأنَّ (به آفريد) قُتِلَ في سَنَة (131هـ) فتكُون المدَّة الفَاصِلةُ بعْد قتْلِه مئَة عَامٍ على وجْه التَّقريبِ.

وأمَّا المَصَادر التي تناولَت عقَائدَ (به آفريد) وحَركَتَه بعْد ذَلِكَ

(1) طبعة ليدن، 395.

(2) طبعة لايبزك، ص4.

فهي على النَّحو الآتي:

الخَوارزميّ: أبو الرَّيحَان محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ يوسفَ الكاتبُ، صَنَّف كتابَه (مفَاتيح العُلوم) في حدُود سَنَة (370هـ/ 976م)

البَيْرونيُّ: أبو الرَّيحَان محمَّد بن أحمد المولود في سَنَة (362هـ)، والمُتوفَّى في سَنَة (440هـ) والذي ألّف كتاب (الآثارُ الباقيةُ في القرون الخَالية) بين العَامين (390ـ 391هـ).

الثَّعَالبيُّ: أبو منصور عبدُ المَلِك بنُ محمَّدٍ بنُ إسمَاعيلَ المَولودُ في سَنَة (350هـ/ 691م) والمُتوَفَّى في سَنَة (1038م/ 429هـ)، ألَّف كتابَ (غُررُ أخبارِ ملوك الفُرسِ وسِيَرِهم) مَا بين العَامَيْن (408 و412هـ/ 1017ـ 1021م).

الشّهرسْتانيّ: أبو الفتح محمَّدُ المَولُود في سَنَة (479هـ/ 1086م) والمُتّوَفَّى في سَنَة (548 هـ/ـ 1153م)، صنَّف كتاب (المِللُ والنِّحلُ) في سَنَة (521هـ).

العوفيُّ: سديدُ الدِّين محمَّدُ، ألَّف كتابه (جوامعُ الحِكايَات ولوامعُ الرِّوايَات) نحو سَنَة (630هـ).

شيخُ الدِّين خَوافيُّ: في كتابه (روضةُ الخلدِ المعْروف بـ خَارستان) والذي ألَّفَه في شوَّال سَنَة (733هـ).

مؤلِّفٌ مجهولٌ: صاحب كتاب (صوَرُ الأقَاليم) الذي ألَّفه سَنَة (748هـ) باسْم أمير مبارز الدِّين محمُّد (741ـ 760) وهو مِن أمرَاء آل المظفَّر.

ويوجد ـ زيَادةً على هذه المَصَادرـ إشَارَاتٌ مختَلِفَةٌ في الكتب الأخرى حول (به آفريد) أو مذهبه، سنشير إليْهَا في أمكِنَتِهَا.

«2ـ المرَاجع والدِّرَاسات الحديثة»

مِن المُؤلِّفين والمُحققِين المُحْدَثِيْنَ (زالمَان ـ C.Salemann)،[1] الذي نَشَرَ كتابَ (صورُ الأقَاليم الفَارسيَّة) وتوجَدُ فيه في الصَّفحَاتِ (500ـ501) قطْعَةٌ صَغِيرةٌ متَعلِقَةٌ بـ(به آفريد). ثمَّ كَتَبَ (هوتسما) بعدَه[2] بحْثاً حوْل (به آفريد)، وَقَدْ أَفَادَ مِن ابن النَّديم والخَوارزميِّ وصُورِ الأقَالِيم، ثمَّ نَشَرَ وتَرجَم القطْعَة المُتعلِّقَة؛ وكُتِبَ في دَائرَة المعَارف الإسْلاميَّة مقَالٌ لا يُعرف كاتبُه![3] ثمَّ إنَّ الأستاذ (برَاون) كَتَبَ فصْلاً ممْتعاً وجامِعاً حوْل الحَركَات الدِّينيَّة والسِّيَاسِيَّة في إيرَان، تحدّث فيه عن (به آفريد)، كمَا تَرْجَمَ إلى الإنْكلِيزيَّة الفِقرَةَ الخَاصَّة به من كتَاب (الآثار الباقية)،[4] ثمَّ نَشَرَ الأستاذ عبَّاس إقبال في العَددِ الثَّانِي مِن المجلَّد الأوَّل مِن مجَلَّة الاستِشرَاق مقَالَةً قيِّمةً حَوْلَ (أقدمُ آثار النَّثر الفَارسِيِّ المفقُودَة)، إذ تَرجمَ مَا كَتَبَهُ البَيْرونيُّ حَوْلَ (به آفريد) إلى الفَارسيَّة وأوْرَدَ مُختَصَراً لرواية مجد الخوافي في

(1) انظر: المخطوطات الآسيويّة، المَأخوذة من مجلّة المجمع العلميّ الإمبرَاطوريّ للعلوم سترَانسبورغ، المجلّد التّاسع، الكتاب الرَّابع، ص500ـ501.
Melanges asiatiques tires du Bulletin de Lacademie Lmpeiale des Sciences de St .Petersbourg tome IX (Livraison 4 Leipzig(1887

(2) .Th .Houtsma (W.Z.K.M.III PP.30-37.Wien 1889

(3) .(Encyclopedie de L Islam (pp 734- 5

(4) E.G.Brown; A Literary History of Persia Vol.I .pp.308-10 Cambridg 1929

كتابه (روضةُ الخلد)،[1] ونَقَلَ كذلِكَ الفِقْرَةَ الخَاصَّة به في كِتَابِ (صورُ الأقَالِيم).[2]

«ثانياً: أصولُ به آفريد»

نَقَلَ العُوفيّ مِن بين المَصَادر المتقدِّمة في (جوامعُ الحِكايَات) روايةَ البَيْرونِيِّ ذاتهَا، غير أنَّه حَذَفَ الفِقرةَ المُتعلِّقةَ بـ (به آفريد)، كمَا يُلحظ اخْتلافٌ قليلٌ مَا بين روَايَتَيْ الثَّعَالبيِّ والبَيْرونِيِّ، لكنَّهمَا متطَابقتَان في المَفْهُوم العَامِّ، مَاعدا بَعْضٍ مِن الفُروقَات ذاتِ الطَّابَع القَصَصِيِّ التي أُضِيفَت في روايَة الثَّعَالِبِيِّ. وَقَدْ أشَار المُؤلِّفُ إلى مصْدَره، فَذَكَر أنَّه سَمِعَ الرِّوايَة مِن شُيوخ نيْسابُور، وأنَّ منْهُم أبَا زكَرِيَّا يحْيَى بنَ إسمَاعيل، وهو بحسَبِ قول يَاقوتٍ الحَمَويِّ[3] مِن المُحْدَثِيْنَ،[4] ورُبَّمَا يُظْهِرُ لنَا ذِكْرُ هَذا المَرْجِع أنَّ الرِّوايَة كانَتْ شَائعةً حَوْل تعَالِيمِه الدِّينيَّة في مَكَانِ ولادَتِه بعد مقْتَل (به آفريد) بقَرْنَيْن ونصْفِ القرْنِ.

(1) توجد نسخةٌ من هذا الكتاب في المكتبة الوطنيّة في باريس تحت الرّقم Sup Pers. 1949 ولكنّهَا للأسف مختصرةٌ ونَاقصةٌ! إذ لا توجد فيهَا الرّواية المتعلّقة بـ (به آفريد) لذا فنحن مضطرّون إلى أن نستفيد من هذه النّسخة ومن مقَالَة إقبال.

(2) توجد ثلاث نسخ من هذا الكتاب في المتحف البريطانّي (فهرست ريو تحت الرّقم Add.23545، Add.77704، Or.1586).

(3) معجم البلدان، المجلّد الرَّابع، ص640، طبعة لايبزك.

(4) تعليق هوتسماَ.

وتعْنِي كلِمَةُ به آفريد[1] (الفرويدون)[2]- به آفريد بن فروردين - مِن أهْل زوزن[3] مِن قريَة سيرواند،[4] وهِي مِن قُرى

(1) الفهرست، ومفَاتيح العلوم، ص38 (طبعة ليدن) والبيرونّي، ص210 (طبعة لايبزك، ص344) ولكنّ العوفيّ سمّاه مَاهِ أفريد (Suppl.Pers 95 f 213b) F.336 a وهذا من المؤكّد أنّه خطأٌ؛ لأنّ كلّ المصَادر تطلق عليه به آفريد (F.336 a Suppl.Pers95) وهنَاك ذكرٌ للألبسة التي نُسجت في الصّين وتُنسب إلى به آفريد، وقيل: إنّ قميصه قد جُلب من= =الصّين. وفي النّسختين اللتين اعتمدهمَا زالَمان في صور الأقاليم كتب بهزاد المَجُوس وبه آفريد ولكلٍّ منهمَا معنىً خَاصّاً به، لكن في نسخة السّيّد إقبال أنّ بهزاد المَجُوس تحريفٌ عن به آفريد، وهمَا يُظهِرَان معنىً واحداً وعلى وفق ذَلِكَ يُظنّ أنّ مؤلّف صور الأقاليم في مصدره قد قرَأ في التّرجمة العربيّة به آفريد وترجمهَا إلى الفَارسيّة، لكنّ اسم به آفريد هو الشّائع بين الإيرَانيّين (يلحظ الطّبريّ القسم الأوّل ص 813، تاريخ سِيْستَان ص8).

(2) مفَاتيح العلوم (المكان ذاته) الآثار الباقية (المكان ذاته) وفي جوامع الحِكايَات به افريد بن فروردين (bSuppl.Pers95 f 213) Fravashis.

(3) البيرونّي والثّعَالبيّ. ولكن في فهرست ابن النّديم ضُبط هذا الموقع بأنّه (روي) وهو من توابع ابرشهر، وهو تحريف زوزن، وابرشهر اسم نيسابور، وزوزن كمَا يقول يَاقوتُ في معجم البلدان ج2 ص958 كورةٌ كبيرةٌ بين نيسابور وهرَات، وتُعدّ من أعمَال نيسابور، وكانت محَلّ الكثير من الأدباء والفقرَاء وأهل العلم؛ وعلى قول أبي الحسنِ البيهقيّ: زوزن قصبةٌ مفيدةٌ فيهَا بيت نَارٍ، وتحتوي على مئة وعشرين قريةً.

(4) يقول مجد خوافي (بحث إقبال، مجلّة الشرّق ،ع 2، ص97): «خرج في زمَان أبي مسلم رجلٌ من ولاية خواف، اسمه به آفريد من قريةٍ تُسمّى الآن به آفريد». وفي الكتب التي مؤلّفوهَا قريبون من زمَان به آفريد، مثل مفَاتيح العلوم والآثار الباقية التي لم تذكر مولده في سيرَاوند؛ لذا فإنّ قول مجد خوافي أكثرُ قبولاً، لأنّه عَاش بعده بقرونٍ. ويمكن الاعتقاد بأنّه في عهد مجد سُمّي به آفريد؛ لذَلِكَ فإنّ محلّ نشاط به آفريد لم يكن مكان ولادته كمَا يقول يَاقوت (ج2، ص11-910) وزاوه كُورة من كور نيسابور، ويقول أبو الحسن البيهقيّ: لهذا السّبب سُمّي زاوه. نزهة القلوب، طبعة ليدن154.

خوافَّ.[1] و لا تُوجَد لدَينَا مَعلومَاتٌ حَوْلَ ولادَتِه، وليْسَ أمرُ بحْثِ ذَلِكَ باليَسِير، و(به آفريد) ـ كمَا يصَرِّح معظَمُ المُؤلِّفيْن ـ كان زَرَدَشْتيَّاً، ويؤيِّدُ ذَلِكَ اسمُه واسمُ أبيه! ونحْن نعلم أنَّ قِسْمَاً كبِيرَاً مِن النَّاس في إيرَان مَا يزال وفيَّاً لدِينِه القَديم، ونلحظ ذَلِكَ في آثَار الدِّين الإيرَانيِّ القَديْم، إذ كانَت المَرَاسِم الدِّينيَّة حُرَّةً في كلِّ مكَانٍ، ويُوجَدُ في زوزن، وهي موْطِن (به آفريد) ـ بيتُ نَارٍ مهمٌّ جُلِبَ مِن أذربِيجَان،[2] ولمَّا وقَع إقليم خُرَاسَان تحْت حكُومَة العمَّال العَربِ مَثَلُهُ كمَثَلِ أكْثرِ الأقَالِيم الإيرَانيَّة الأخْرى، فَقَدْ توافَد العَربُ المُسْلمُون مع مُضِيِّ الوقْت على أرَاضي هذا الإقلِيم، واسْتقرُّوا فيهَا، وقامُوا بنشْر التَّعَالِيم الإسْلاميَّة، ويبدو أنَّ (به آفريد) لم يكن بعيداً عن التَّعاليم الإسْلامِيَّة، وسَوفَ نلحظُ تأثيرهَا عليه فيمَا بعْد؛ فَقَدْ وَرَدَ أنَّ لـ (به آفريد) كتَابَاً، وأنَّه كان له نصِيبٌ مِن العِلْم والثَّقافَة، والمعْرفَةِ للقرَاءةِ والكتابَة؛ وإذا صَحَّتْ قصَّة سَفَره إلى الصِّين، فَإنَّ مِن المؤكَّد أنَّه قَدْ شَاهَدَ أشيَاء كثِيرةً أفَاد منهَا.

ليس لدَينَا معْلومَاتٌ عن سيْرة وأخْلاق (به آفريد)، وقد نَتَجَ عن ذَلِكَ عدمُ معرفَتنَا لمقْدار قوَّةِ تمسُّكِه بدينِه وعَاطِفتِه نحوَه، ولأنَّه لم تصِلْ إليْنَا أيَّة كتَابةٍ بقلَمِه، أو قلَمِ مَن عَاصَرَه، فَإنَّ مِن الصُّعوبَة

(1) الخوارزميّ (المكان ذاته، ص38) والبيرونّي (المكان ذاته ص210) يذكر يَاقوتُ (ج2، ص486) أنّ خوافّ قصبةٌ كبيرةٌ من أعمَال نيسابور، ومتّصلةٌ من طرفٍ بخرَاسان وبوشنج من أعمَال هرَات، ومن طرفٍ آخر بزوزن، وهي تشتمل على مئتي قريةٍ وثلاث مدنٍ هي: سنجان وسيرواند وخرجرد. ويذكر حمد الله المستوفي (المكان ذاته) خوافّ ولايةٌ طولهَا 98 درجةً وتبعد 20 دقيقةً عن الجزر الخَالدات، وعرضهَا 35 درجةً، ومن توابعهَا قصبتا: سنجان وزوزن.

(2) يَاقوت، ج2، ص958.

تقدِيمَ رَأيٍ قاطِعٍ في ذلِكَ، بل إنّنَا لا نسْتطِيع حَتَّى القَول: هَل إنَّه صَادقٌ في ادِّعَائه مِثْلَ الأنبيَاء في حَالاتِهم الرُّوحِيَّة، أمْ إنَّ الأمْر اقتضَى في ذَلِكَ الوقْتِ موَافَقة مصْلحَةِ أتبَاعِه وأبنَاءِ جلدَتِه، وأنَّ ادِّعَاءه النُّبوَّة وتَشبُّثَهُ بالدِّين كان وسِيلةً لحرِّيَّة الإيرَانيِّين وحرِّيَّته الشّخصِيَّة؟! وبنَاءً على هذه الفِكْرة العَامَّة، وبَعْضٍ مِن الفِكَرِ الخَاصَّة مثلِ الطُّموح، والشُّهْرة، والتَّعصُّب الدِّينيِّ، فَإنَّ الذي يظْهرُ عنْد التَّدقِيق والتَّمحِيص، تواؤمُ حِياتَيْه الدِّينيَّةِ والعَاديَّة. ولعلَّنَا نستطيع القول: إنَّ عَاطفته الدِّينيَّة لم تكن قويَّةً، ولم تكن بعيدةً عن الحيَاة المَادِّيَّة. لكنْ مِن المُمكِنِ الاستِنبَاطُ مِنْ مجمُوعَة قرَائنَ أنَّ دَرَجَةَ لحْظِهِ كانَت قويَّةً، وأنَّه أفَاد مِن الظُّروفِ المُحِيطَة به؛ وهذا مَا اتَّضَح في حَرَكَتِه، فَقَدْ ظَهَرَت الفَوضَى في هذا الوَقتِ! حَيْثُ تنَازعُ عَاملِ خُرَاسَان نصرُ بن سَيَارٍ مع الحَارثِ بنِ سُرَيْجٍ المَقتُول في سَنَةَ (128هـ) مِن جِهَةٍ، وتنَازعُه مع جديعٍ بنِ عليٍّ الكَرْمَانِيِّ مِن جِهةٍ أخْرى.

وكان إبرَاهيم بنُ محمَّدٍ قد أرْسَلَ بعْضاً مِن دُعَاتِه إلى خُرَاسَان، فَالتَحَقَ بِه جَمْعٌ كبِيرٌ، وكانَ أبو مُسْلم في صَدَد إعْلانِ دعْوَتِه وذَلِكَ في رمَضَانَ سَنَة (129هـ). غيْر أنَّه لم يكُن الحَاكمَ الفعليَّ في خُرَاسَان، ويبْدو أنَّ (به آفريد) قد أفَاد مِن هذه الظُّرُوف أو ـ العوامل ـ مِن أجْلِ الشُّرُوع في دعْوَتِه؛ وَقَدْ كانَت شخْصَّيتُه مُثيرةً تركَت أثرَاً عند أتْبَاعِه، إذ اسْتمَرَّ مذهَبُهُ لقُرُونٍ بعْدَه، وإنَّ مِن الحَقِّ الذي يَجِبُ أن يُقَالَ، هو أنَّ أثَرَ أفعَالِه وأقوَالِه وأعمَالِه في مُعَاصِريه كان كبِيرَاً، زيَادةً على انتِشَار دعْوتِه بيْن أقرِبَائِه، ومُلاقَاتها تأيِيْداً في مَوْطِنِه.

وقد ادّعى النُّبوَّة قَبْلَ البَدْء بدعْوَتِه، وسَافرَ إلى الصِّينِ بقَصْدِ

التِّجَارة،[1] وربَّمَا كان بِقصْدٍ آخَرِ، حَيْثُ بقِي هنَاكَ سَبْعَ سِنيْن،[2] وَقَدَ جَلَبَ مَعَهُ مِن هنَاك قمِيصَاً ورِدَاءً مِن حَريرٍ أخضَرَ نَاعِمَيْنِ، ولكنَّه أخفَاهمَا.

ثمَّ «عَمَدَ إلى أكْبَاد الجِدَاء فَشَوَاهَا وَدَقَّهَا، وجَعَلهَا في خَرِيطةٍ، وإلى السُّكَّر وَلُبِّ الجَوْزِ فدَقَّهمَا، وجَعَلَهُمَا في أخرى وصَيَّر الخَريطَتَيْن وسَادتَيْن، وأخفَاهُمَا مع الثَّوبَيْن؛ ثمَّ تمَارَض، وَأَمَرَ، فبُنِي له نَاووسٌ مِن أحْسَنِ النَّواويسِ في خِرْقَةٍ، وقَالَ لامرَأته: إنِّي ميِّتٌ لا مَحَالة، فَاحْفَظِي وصِيَّتي واقضِي حَاجَتي، وكانَت مُحِبَّةً له مُشْفِقةً عليه، فقَالَت: ومَا وصِيَّتك؟ قَالَ: أنْ تنقلِينِي في فرَاشِي هذا مع الوِسادَتَيْن إلى نَاووسٍ، ولا تُفرِّقِي بيني وبينَهم، فقَالَت: نَعَم وكَرَامةٌ؛ فمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: أنْ تزُورينِي في النَّاووس كلَّ جُمُعَةٍ وَتَغْسِلِيْ وجْهَكِ عند مَصَبِّ المَطَر إليه، فَضَمِنَتْهَا له، ثمَّ تمَاوت، فَأقامت المَرْأة رسْم المَنَاحة فيه؛ ونقلتْه في فِرَاشِه ووسَادَتَيْه إلى النَّواويس. فكان يَتَقَوَّتُ مِن الأكباد يومَاً ومِن السُّكَّر واللَّوز يَومَاً، ويشْرَبُ مِن مَصَبِّ المَطَر وغُسَالةِ وجْه المَرْأة، وكان يُبقي على رَمَقِه بذلِكَ الطَّعَام والشَّرَاب، فلمَّا استكمَل النَّاووسُ سنةَ كاملةَ ترَصَّد وقْتَ اجْتمَاع النَّاسِ حَوْلَ نَاوُوسِه للحَصَاد، فقَام وقَدْ لَبِسَ القمِيصَ والرِّداءَ الأَخْضَرَيْن حتَّى رَأوه! فقَالَ: أيُّهَا النَّاس إنِّي (به آفريد) رسولُ الله إليْكُم».

وعلى وَفق رواية البَيْرونيِّ فَإنَّ (به آفريد) عنْدمَا رَجَعَ مِن الصِّين

(1) الثّعَالبّي (مقَالَة هوتسما، ص34).

(2) البيرونّي (210) العوفّي (Suppl.Persan 906 F251a) ومجد الخوفّي (مقَالَة عبَّاس المكان ذاته) ويُقَال: إنّه في البدء غاب سبع سنين، وذهب إلى الصّين، ولكنّه لا يذكر سبب سفره، والعدد سبعةٌ قابلٌ للَّحْظِ فيجب أن يكون ضمن رمزيّة الأعداد، وهو يحوي خصَائص العدد سبعةٍ.

حَمَل منْهَا قمِيصَاً أخْضَر، يَسَعُ مَطْويَّاً قبْضَةَ الإنسَان دِقَّةً ونُعُومَةً، وصَعِد إلى نَاووسٍ ليْلاً، ثمَّ نزَلَ منهَا بالغَدَاة، وبَصُر به رجلٌ حَرَّاثٌ يَكرُب أرضَاً له فَأَخْبَرَه بأنَّه كان في السَّمَاء مُذْ غَابَ عنهُم، وأنَّ الجَنَّة والنَّار عُرِضَتَا عليْه، وأنَّ الله أوْحَى إليْه، وألْبَسَهُ ذَلِكَ القمِيصَ، وأنْزَلَه إلى الأرْضِ في تلْك السَّاعة؛ فصَدَّقه الحَرَّاث، وأخْبَرَ النَّاسَ بأنَّه شَاهَدَه وهو ينْزِلُ مِن السَّمَاء، فتَبِعَه بذلِكَ خَلْقٌ كثِيرٌ مِن المَجُوس.[1]

ويَذْكُرُ مُجِيْدُ خوافِي أنَّ (به آفريد) «جَلَبَ مِن ظَرَائف الصِّينِ أشْيَاءَ كثيرةً، كان مِن جُمْلَتهَا قمِيصٌ أخْضَرُ قد ارتَدَاه ليْلةً، واخْتَفَى قُرْبَ جبَلٍ في إحْدَى القُرَى، ثمَّ رَجَعَ في الصَّباح الباكِرِ وهو مُرْتَدٍ لذَلِكَ القمِيصِ، فذَهَبَ إليه دِهْقَانٌ اسمُه خدَّادُ مِن قريةٍ قريبةٍ، فقَالَ له (به آفريد): إنَّ الله أوحَى إليَّ، وأرْسَلَ هذا القمِيْصَ مِن الجنَّة. فَاتَّبَعَهُ هذا الرَّجل بعد أنْ شَاهَدَ معجِزَتَه، كمَا اتَّبعَهُ خَلْقٌ كثِيرٌ».[2]

ويذْكُرُ صَاحبُ (صُورُ الأقَالِيم): «شَاهدتُ شخْصَاً في بدايَة خِلافَة بَنِي العبَّاسِ في خُرَاسَان قد ارتَفَع مِن منَارةٍ، ولم يكُنْ لهَا طَريقٌ، فتَحَيَّرَ النَّاسُ، كيْفَ صَعِد، وسَأَلُوه: هلْ أنْتَ شخْصٌ؟! فقَالَ: أنَا بهزادُ المَجُوسيُّ، وَقَدْ أتيْتُ مِن الله لدَعْوة النَّاسِ إلى دِينِ زَرَدَشْتَ. ومع مُضِيِّ الوقتِ، التَفَّ حَوْلَهُ ثلاثَةُ آلاف رَجُلٍ....».[3]

ويتَّضِحُ مِن هذه المَعلومَاتِ ـ على أيَّة حَالٍ ـ أنَّ (به آفريد)

(1) البيرونّي، الآثار الباقية، ص210.

(2) مقَالَة إقبال ذاتها، ص97- 98.

(3) مقَالَة زالمَان، ص500. ذكرت مقَالَة إقبال ألفين بدلًا من ثلاثة آلافٍ.

قد أعْلَنَ نُبوَّتَهُ، وأرَادَ الإفَادة مِن الأوضَاعِ المضْطربَة في خُرَاسَان، فقد كان النَّاسُ مُهيَّئِين للثَّورَة على العَرَب، ووَجَدُوا في ذَلِكَ وسِيلةً لتَجْدِيد الدِّين القدِيم. وَقَد اقتَفَى أثَرَه العَديْدُ مِن النَّاسِ بسَبَب قوَّةِ تأثِيرهِ العَاليَةِ، وانتَشَرَت حرَكَتُه، فَاعتنق دِينَه الكثِيرُ مِن أهْل زوزن، وقُرى خوافَّ، وأطرَافِ نيسابورَ، وأمكنةٍ أخْرى كثِيرةٍ، وأصْبَحَ عدَدُهم كبِيرَاً، وصَارَت لهُم رئَاسَةٌ، لكنْ لا يُعرَفُ على وجْه الدِّقَّةِ كثيرٌ مِن تفَاصيل حَياتِه الاجتِماعيَّة بعْد ادِّعَائِه النُّبوَّة. لكنَّ الذي يظْهَرُ منْذ البَدْء، أنَّهُ عنْدَمَا اضْطَرَبت أحوالُ خُرَاسَان لم يكنْ أمَامَه مَانعٌ، فَنَضَجَ بذلِكَ عمَلُه، وأصْبَح له أتْباعٌ كُثرٌ خلال عَاميْن! لكن يجِبُ عدَمُ الاعْتِقَاد بِأنَّ (به آفريد) لم يُوَاجِه المشْكِلاتِ، فمِن الثَّابت أنَّه قَدْ خَالَفَهُ جَمْعٌ مِن المُغَانِ الزَّرَدَشْتيِّين والمُسْلمِين، لكنْ يبْدو أنَّهُم لم يسْتَطِيعُوا الوُقوفَ في وجْهِ دعْوَتِه، وهَذا مُنَاظرٌ تقرِيباً لأمْر أبي مُسْلمٍ زعِيم عصْرِه.

ويَذْكُرُ المُؤرِّخُون والمَصَادرُ المُتقدِّمَة أنَّ ظُهُور (به آفريد) وخُروجَه، كانَا في مقتبَل تأسِيس الدَّولَة العَبَّاسِيَّة، وهذا يعْني أنَّه بعْد إعْلانِ أمْرِ الدَّعْوةِ العَبَّاسِيَّة في خُرَاسَان، وقَبْلَ ظُهورِ أبي العَبَّاس، قد أعْلَنَ عن نَفْسِهِ عنْد مجِيء أبي مُسْلم إلى خُرَاسَان، فنسْتَطِيعُ بذلِكَ القَولَ: إنَّ ظُهُور دعْوَتِهِ وقيَامَه بهذِهِ الأدْوار الكَبيرة، كان ـ على الأقلِّ ـ في المُدَّة المَحصُورة بين العَامَيْن (129هـ –131) لأنَّ أبا مُسْلم أظْهَرَ دعْوَتَه في رمَضَانَ مِن عَام (129هـ)، ونعْلَم أنَّه قد جَاءَ في عَامٍ (131هـ) بعْد قحْطَبَةَ الطَّائيِّ مِن كومش إلى الرَّيِّ، وأخْبرَ بذلِكَ أبا مُسْلِمٍ، فحَضَرَ مِن مَرْوَ إلى نيسابورَ.[1]

(1) تاريخ الطّبريّ، القسم الثّالث، ص3.

وبِنَاءً على حَرَكةِ وأعْمَال (به آفريد) ـ وإنْ لم يكُن الوضْعُ الاجْتِمَاعيُّ لخُرَاسَان بهذا الاضْطِرَاب الذي أحْدَثَتْه شخصَيَّةٌ قويَّةٌ مثلُ أبي مُسْلِمِ الخُرَاسَانيِّ، فَإنَّ مِن المُمكن القولُ: إنَّه بعْد بضْعِ سِنيْن، يمكِنُ أنْ تتَّخِذَ حَرَكَة (به آفريد) وضْعَاً آخر؛ ولكن لا يُعرف مدى قَبُولِ أهل القُرَى لدَعْوَته خِلالَ هَاتَيْن السَّنتَيْن، وهل أنَّ (به آفريد) ذَهَبَ إلى تِلْكَ المَنَاطِقِ بنفْسِهِ، و دَعَا أهْلهَا إلى حَرَكَتِه، أمْ أنَّه أرْسَلَ دُعَاتِه إليهم!. فقَد ذَكَرَ صَاحِبُ (صُورُ الأقَالِيم) أنَّ عَدَدَ أنصَارِهِ عنْد قَتْلِهِ الذي لا يُعْرفُ وقتُه بشكل دقيقٍ، كان ثلاثَةَ آلافِ شخْصٍ؛ إلَّا أنَّه لا يُمكنُ الاعتِمَادُ على كِتَابِه. وقَدْ وَرَدَ في مُعْظَم المَصَادر أنَّهُم أنَاسٌ كُثرٌ؛ فلابدَّ مِن وجُود كتَابٍ عنْه أو عن أتْباعِهِ مِن أجْلِ التَّعرُّف على تفَاصِيل تعَالِيم (به آفريد)؛ ففي مَصَادِرنَا إشَارةٌ إلى كِتَابٍ له، حَيْثُ صَرَّح البَيْرُونيُّ[1] بأنَّ «به آفريد صَنَعَ لأتْباعِه كتَاباً بالفَارِسيَّة»، ولكنَّ عبَارتَه غيرُ واضِحةٍ فيمَا إذا كانَ الكتَابُ بالعَرَبيَّة أم بالخَطِّ البَهْلَوِيِّ،[2] كمَا لانعْرِفُ هل أنَّ الكتَاب جَاءَ مشْتَمِلاً على عقَائِدِه وافكاره كلِّهَا؟!.

«ثالثاً: تعَاليمُ (به آفريد) وعقائدُه»

يمكِنُ بسُهُولةٍ إدرَاكُ حقيقَةِ تغلُّبِ الجَانبِ العَمليِّ فيهَا على الجَانِبِ النَّظَريِّ، فهُو مُوحِّدٌ، لكنْ لا نَعْرُف مَا الصِّفَاتُ التي أعْطَاهَا للخَالِق؟ ومَا طبيعَة العَلاقَة عنده بين المَخلوْق والخَالِق؟ ومَا رَأيُه حوْلَ أهريمن، ولا نَعْرفُ شَيْئاً عن اعتقادِهِ بيوم الجَزَاءِ

(1) الخوارزميّ (طبعة ليدن 38) البيرونّي (ص210) الشّهرستانّي (ص187 طبعة ليبزك).

(2) انظر مقَالَة إقبال (ص98).

والجَنَّة والنَّار، والقَابعِيْن فيهِمَا، ولا عَنْ اعتِقَادِه بطَرِيقَة وجُود الأرضِ والسَّمَاء والموجُوداتِ وسببِ ذلِكَ، وهل هِي حَادِثَةٌ أم أزلِيَّةٌ! وليْسَ لدَينَا كذلِكَ أيَّة معْلومَاتٍ تبَيِّن نظريَّته حَولَ تكَوُّن العَالَمِ،[1] والتَّقدِير الغَائيِّ له،[2] لأنَّ أكثَر تعَاليمِه متَعلِّقةٌ بالقَوانِين العَمَليَّة، والأوضَاع الاجْتمَاعِيَّة. كمَا إنَّنَا لا نَعرفُ ـ أخِيرَاً ـ مَا إذا كانَت العَقائِدُ الأخُرى لاسِيَّمَا الزَّرَدَشْتيَّةِ حَاضِرةً أم لا. وعلى الرَّغْم مِن أنَّ مَصَادرَنَا لم تشِرْ إلى هذا، فَإنَّه يمكِنُ ـ على وجْه الإجْمَال ـ احْتمَالُ وجُودِهَا، لكنَّ المؤرِّخين قَالُوا: إنَّه اطَّلع على نبوَّة زَرَدَشْتَ، وأنَّه خَالفَ بعْضَاً مِن عقائِد هذا النَّبِيِّ، كمَا إنَّ مصَادرنَا لا تَتكَلَّم عن تقبُّله الكامِلَ لهَا. وبذلِكَ تبقَى أسْئلةٌ كثِيرةٌ مِن دون جَوابٍ، مِنهَا: لَمَّا قَبلَ دِيْن زَرَدَشْتَ فلمَاذا خَالفَ بعْضَاً مِن تعَالِيمِه؟ وكيْفَ وفَّق بين قَبُولِ بعْضٍ مِن عقائِدِه ورَفْضِ الأخْرى؟ وهل عَدَّ نفْسَه نبيَّاً أفْضَلَ مِن زَرَدَشْتَ؟ أم أنَّ أتْباع زَرَدَشْت اتَّهمُوه بأنَّه حَرَفَ العقَائِدَ عن طَرِيقِهَا؟.

لكنْ يمكِنُ أنْ نعْرفَ مِن خِلال عقَائِدِه ومُقابَلتهَا بالدِّيْن الزَّرَدَشْتِيِّ مَا الأشْيَاء التي أدْخَلهَا على الدِّين، ثمَّ لم تكُن محَلَّ قبولِ المُغَان.[3] ويُشارُ إلى أنَّ المَعْروفَ في الدِّيْن الزَّرَدَشْتيِّ أنَّ ظُهُور الأنبِيَاء يقَعُ في أوقَاتٍ محُدَّدةٍ ويتبَع كيفيَّاتٍ خَاصَّةً «بحسَب الأصُول الفَارسيَّة، فَإنَّ عُمُرَ العَالَمَ اثنَا عشَر ألفَ سنةٍ، وأنَّ ظُهُور زَرَدَشْت إلى العَالَمَ بعد انتهَاءِ الألفِ التَّاسِعَة وفي نهَاية كلِّ ألفِ سَنةٍ مِن الثَّلاثة

---

(1) Cosmogonie.

(2) Eschatologie.

(3) ذكر هذا الأمر بشكلٍ صريحٍ عند البيرونّي والثّعَالبيّ، وواضحٌ هذا من كتاب مفَاتيح العلوم.

الآلافِ الباقيَّة (يعني في نهَايَة الألفِ العَاشِرة وفي نهَايَة الألف الحَادية عشْرة وفي نهَاية الألف الثَّانية عشْرة) التي مِن المُفتَرَض أن يَشيعَ فيهَا الفَسَادُ والشُّرُورُ والتَّهَاونُ في الدِّيْن، وعلى رَأس كلِّ ألفِ عَام سيظْهَرُ نَبيٌّ مِن أبنَاء زَرَدَشْت».[1] غيْرَ أنَّ ظُهُور (به آفريد) في حُدُود سَنَة (129هـ) لا يوافِقُ موْعِد ظُهُور زَرَدَشْتَ.[2]

ويذْكُرُ ابنُ النَّدِيم عنْه أنَّه تنبَّئ وأخَذَ يُخْبِرُ عن المُستَقْبَل، وأنَّه عَيَّن لأتْباعِه خمْسَ صَلواتٍ مِن دُون سُجُودٍ باتِّجَاه المَغرب بخِلافِ القِبْلَة. أمَّا البَيْرونيُّ[3] فيقول: «وَزَعَمَ أنَّه يُوحَى إليْه في السِّرِّ، وَفَرَضَ عَليهِم سبْعَ صَلَواتٍ: صَلاةً في توحِيد اللهّ، وصَلاةً في خَلْقِ السَّمَوات والأرْضِ، وصَلاةً في خَلْقِ الحَيَوانَاتِ وأرْزاقِهَا، وصَلاةً في المَوْتِ، وصَلاةً في البَعْثِ والحِسَابِ، وصَلاةً في دُخُول أهْلِ الجَنَّة والنَّار ومَا أُعِدَّ لهم، وصَلاةً في حَمْدِ أهْل الجَنَّة؛ وأمَرَهُم بالسُّجُود لعَيْنِ الشَّمسِ على رُكْبَةٍ واحِدةٍ، والتَّوجُّهِ شَطْرَهَا في الصَّلاة حَيْثُمَا كانَت». وقد أيدَّ قولَ البَيْرونيِّ الثَّعَالبيُّ[4] والشّهرسْتانيُّ.[5]

وهكذا يتَّضِحُ أنَّ (به آفريد) قد قَالَ بالوحْدانِيَّة، غيْر أنَّنَا لا نعْلمُ هل قَالَ بالصَّلاة الوحْدانيَّة؟ ومَا النِّسبَة بين الشَّمس وبيْن

(1) Darmesteter.
(نَامه تنسر) المجلّة الآسيويّة سنة 1894. وللتّفصيل رَاجع الفقرَات التي جمعهَا مجتبى مينوى في نَامه تنسر، طبع طهرَان،1311هجري شمسيّ ص 68-71.

(2) انظر هوامش نَامه تنسر، ص79-6.

(3) كذلك ص210.

(4) المقَالَة الآنفة، ص35.

(5) () المصدر ذاته، ص187. لحظنَا ذكر العدد سبعةٍ في السّابق.

الله، حَيْثُ حلَّت الشَّمسُ في المَقَام الأوَّل والأقْدَسِ عنْد الزَّرَدَشْتيِّين في أواخِر العصْر السَّاسَانِيِّ كَمَا تشِيْرُ إلى ذَلِكَ كتابَاتُ البِيزنطِيِّين والأرْمَنِ.[1]

ويظْهَرُ أنَّ تعَالِيم (به آفريد) المُتعَلِّقة بالشَّمسِ واحترَامِهَا في الدِّيْن الزَّرَدَشْتيِّ كانَت موجُودةً في الأدْعيَة والأذكَار الزَّرَدَشْتيَّة،[2] وأنَّ الصَّلوات التي أوصَى بهَا (به آفريد) سبْعةٌ، وأنَّه أنْقَصَ كثِيْراً منهَا، حَيْثُ يُتَضَرَّعُ في الدِّيْن الزَّرَدَشْتيِّ إلى الشَّمسِ ثلاثَ مَرَّاتٍ في اليَوم، فَالأُولى مع طُلوعها، والثَّانيَة مع وَقتِ الظُّهْر، والثَّالثةُ عند الغُروبِ؛ مع اختِلافٍ بيْنهَا[3]. ولا توجَدُ معْلومَاتٌ دقِيقةٌ لدَينَا حوْل تفَاصِيل كلِّ صَلاةٍ.

كان (به آفريد) في الأصْلِ مِن أهْل الزَّمْزَمَة وعَابِداً للنَّار ثمَّ تَرَكَ الزَّمزمَة، وأقلَعَ عن عبَادة النَّار ومَنَعَ الآخرينَ ذلِكَ،[4] وعُدَّت الزَّمزمَة مِن أبرز خِصَال الزَّرَدَشْتيِّين، حتَّى إنَّ المسْعُوديَّ سَمَّى الأفِسْتَا «كتاب الزَّمزمَة»،[5] كَمَا حَرَّم (به آفريد) الزَّواجَ مِن الأمِّ، والأخْتِ، والبِنْتِ،[6] وابنَةِ الأخِ،[7] وابنةِ الأخْتِ، والعَمَّةِ

(1) إيرَان في العصر السَّاسَانِّي، تأليف ارثر كريستسن، ص138-140 التّرجمة، ص90.

(2) للاطّلاع مفصّلًا على هذه الصّلوات يُنظرHenry (الدّين الفَارسّي) (بالإنكليزيّة) الصّفحَات 156-152.

(3) كذلك ص154، و ص109-110.

(4) الشّهرستانّي، المصدر ذاته، ص187.

(5) مروج الذّهب،ج2، ص124.

(6) البيرونّي والثّعَالبيّ والشّهرستانّي، الموضع ذاته.

(7) م.ن: والثّعَالبيّ، الموضع ذاته.

والخَالَةِ؛[1] في الوقتِ الذي لم يكُنْ الزَّواجُ بالمحَارم في الزَّرَدَشْتيَّة ممنُوعَاً فحَسْبُ، بل كان أمْرَاً مُستَحَبَّاً.

يقولُ كريستنسن: «بالاعْتمَادِ على الشَّواهِدِ المَوثُوقةِ المَوجُودةِ في المَصَادر الزَّرَدَشْتيَّة والمؤلَّفَات الأجْنبيَّة؛ وعلى الرَّغْم مِن نفْيِ بعْضٍ مِن الزَّرَدَشْتيِّين المُعَاصِرينَ الزَّواجَ بالمحَارمِ في إيرَان الزَّرَدَشْتيَّة ـ إذ عدُّوهَا اتِّصَالاً غيْرَ مشْرُوعٍ (inceste)... لكنَّ الحَقيقَةَ هي أنَّهُم نظَروا إلى ذَلِكَ على أنَّه عَمَلٌ مُقدَّسٌ وفيه أجْرٌ وثَوابٌ».[2] ويوصِي أردشيرُ في إحْدَى المُرَاسَلاتِ المَنْسوبَة إليْه أنَّه مِن أجْلِ تمتِينِ الرَّوابِطِ الأسَريَّةِ يجبُ الزَّواجُ بالأقَارِبِ.[3] ولَمَّا ظَهَرَ الإسْلامُ، كانَ الزَّواجُ بالمحَارم فيه مِن أكثَرِ الأمُورِ ازدِرَاءً ونَقْدَاً بل وحَتَّى نَفْرَةً؛ غير أنَّ التَّبرؤ منْه وإلغَاءَهُ لم يكونَا سهْلَيْن؛ لكِنَّهُم تَخلَّصُوا مِن هذه العَادةِ بشَكلٍ تدْريجِيٍّ. وكان هذا الأمرُ في القَرْنِ الأوَّلِ محَلَّ تبَاينٍ بيْن المُوابِذَة والمُغَانِ؛ ولابدَّ مِن أن يكُون هذا العَمَلُ قد بَدأ مع زَرَدَشْتيِّي نيسابُورَ وقُرَاهَا، وأنَّ (به آفريد) أخَذَ تعَالِيمَه الاجتمَاعيَّة منهَا.

وقرَّر (به آفريد) ألّا يتَجَاوَز صَدَاقُ المَرْأة أكثر من أربعمئة درهم، وأن يُترك شَعْرُ الرَّأسِ والبَدَن حتَّى يطُول. ويذكر البَيْرونيُّ عنْه أنَّه حَرَّمَ المُسْكِرَاتِ على أتبَاعِه؛ ويذكُر الشّهرسْتانيّ عنه أنَّ الشَّرَاب حَرَامٌ، ويقُول الثَّعَالبيُّ: إنَّه حَرَّم السُّكْرَ، وأكْلَ المَيْتهِ وقتْلَ الحَيَوان باسْتثنَاء الكبِير، وأمَرَ بإنفَاقِ الأمْوَال سَبْعَ مَرَّاتٍ في أحَدِ العَوائِدِ أو مرَّةً واحِدةً في العُمُر، وذَلِكَ مِن أجل إصْلاح الجُسور

(1) الثّعَالبيّ، الموضع ذاته.

(2) الموضع ذاته، ص320.

(3) المسعوديّ، مروج الذّهب، باريس، ص163.

والطُّرُق ومحطَّات القَوافِل، والإنفَاقِ على الذين أُصِيبُوا بعَاهَاتٍ، والتَّصدُّقِ على الفُقرَاء والمُحتاجِين إليهَا.

واختَلَفَتْ هذه الشَّرَائعُ مع الآدابِ الزَّرَدَشْتيَّة المعْروفَة اختِلافاً كثِيراً في ذَلِكَ الزَّمَان، وهي تُظْهِرُ بذلِكَ اجْتهَاد (به آفريد) وقدرَتَه! ولكِنْ يجبُ وضْعُ أمْرٍ آخرَ في الحُسْبان، إذ إنَّه بعد سيْطَرة العَربِ وتوَسُّعِ نُفُوذِ الدِّيْن الإسْلاميِّ في القَرْن الأوَّل، لم يَعُدْ كثِيرٌ مِن النَّاس مُتعلِّقِين بالزَّرَدَشْتيَّة، وغَلَبَ عليْهِم الشَّكُّ بشَكْلٍ تدْريجِيٍّ، فلم تعُدْ الأعمَالُ الدِّينيَّة الزَّردشتيَّة محَلَّ اهْتمَام؛ وليسَ ببَعيدٍ أنْ يكون (به آفريد) قد رَاعى حَاجَة النَّاسِ، فَإنَّه لمَّا شَعَرَ بأنَّ الحِفَاظَ على أصُول الدِّيْن في معْرِضِ خَطَرٍ، تَوجَّه إلى الإصْلاح لاسِيَّما أنَّ الأمْرَ مُمَهَّدٌ لاضْطرَاب رُوحِيَّة النَّاس مع شُيوع حَال الفوضَى والفِتْنَة وانعِدام النِّظَام!، ولم يكُن هو الشَّخصَ الوحِيدَ الذي عَزَمَ على الإصْلاح في ذَلِكَ العَصْر؛ فَقَدْ لحِظنَا كيف أنَّ عَدَداً مِن الزَّرَدَشْتيِّين قد عَمِلوا بذلِكَ مِن أجلِ الدِّفَاع عن دِيْنِهم ومُقاوَمَة المُسْلمِين، وأنَّ نَجَاح (به آفريد) في قُرى نيسَابورَ دلِيلٌ على أنَّ الظُّروفَ كانَت مُهيَّئةً لحَرَكةٍ اجتمَاعيَّةٍ.

وتُثير الأخْلاقُ في مَذْهب (به آفريد) الَّلحْظ! وَقَد وَصَلت إليْنَا غيرَ مُنَظَّمَةٍ، وهي في تكوين العَالَم أو الأخْلاقِ أو الإلهيَّاتِ، كمَا أنَّ قوانِيْنَه ليسَتْ نَظَرِيَّةً أو اسْتدْلالِيَّة، ولكنَّهَا عمَليَّةٌ واجْتمَاعِيَّةٌ، وأكثَرُ الإصْلاحَاتِ التي تُشاهَد في دِيْنِه قريبَةٌ مِن التَّعَالِيم الإسْلاميَّة، فَإنَّ مَنْعَ الزَّواج بالمحَارم، وتحْريمَ الشَّرَاب، والنَّهيَ عن أكْلِ المَيْتَة، والإنفَاقَ مِن المَال في أعمَال الخَير؛ كلُّهَا أمُورٌ تُتداوَل بين المُسْلمين، مَاعدا عبادَة النَّار والزَّمْزمَة التي هي موضِعُ ازدرَاء المُسْلمين. ولا

نكونُ بعيدِينَ عن الحَقيقَة إذا قلنَا: إنَّ أَكْثَر إصْلاحَاتِ (به آفريد) قد تأثَّرتْ بالدِّين الإسْلاميِّ، وأنَّ الإسْلام قد وَجَدَ طريقَه إليه بصُورةٍ غيْر مباشِرةٍ، وأنَّ حرَكَته في البَاطِنِ تُضْمِرُ تعلِيلاتٍ وأسْباباً اجتمَاعِيَّة.

«رَابعَاً: تطوُّر حرَكة (به آفريد) وأفولُهَا»

ازدادَ أتبَاع (به آفريد) ولم يسْتطِع المُسْلمونَ والمُغانُ الوقُوفَ في وجْهِه، ولم يسْتطِع عَاملُ نيسابور ـ إذا كان فيهَا عَاملٌ - أن يمنَعَ انتشَار تعَاليمِه، وحِينما جَاءَ أبو مُسْلم الخُرَاسَانيُّ إلى نيسَابور، جَاءه مخَالِفو (آفريد) واجتمَعَ به المُوابِذَة والهَرَابذة، وأعْلمُوه ببِدَعِهِا وقَالُوا له: إنَّه قد أفْسَدَ ديْنَكَ ودِيْنَنا[1] ورَغَّبوه في استمَالتِه إليهم. فَأرسَلَ إليه أبو مُسْلمٍ اثنَيْن مِن أصحَابه، همَا شبيبُ بنُ رواج المروذيُّ[2]

(1) ويُلحظ من هذه الفقرة أنّ الفكر الأصلّي لـ به آفريد كان يتألّف من الدّين الإسلاميّ والزَّرَدَشْتيّ. الآثار الباقية والغرر، والعوفيّ.

(2) مرجعنَا في هذا الموضوع ابن النّديم وقد ضبطه بـ «شبيب بن داح» ولكنّ اليعقوبيّ (الجزء الثّاني، ص440، طبعة هوتسما) أورده شبيب بن واج. وفي الطّبريّ (القسم الثّاني، المجلّد الثّالث، ص1959-1960) يذكر في حوادث سنة (129هـ) أنّه عندمَا تغلّب خَازم بن خزيمة بعث هذا الأخير، هو وعبدُ الله بنُ سعيد وشبيبُ بنُ واجٍ رسالةً إلى أبي مسلم. ولهذا فَإنَّ شبيب بن واج هو الأصحّ. ثمّ ذهب إلى بغداد وصَار صَاحبَ شرطة المنصور، وهو أحد الأربع الذين أخفَاهم في خيمةٍ قد ضربهَا، حتّى قتلهم أبو مسلم (الطّبريّ، القسم الأوّل، ص110- 115) وتقاتل شبيب نفسه في سنة (161هـ) من أجل الخليفة في الجِزْيَة مع عبد السّلام بن هَاشم اليشكريّ، وقتله في قنّسرين (الطّبريّ، القسم الثّالث، المجلّد الأوّل، ص161، وكتاب الكامل لابن الأثير، المجلّد السَّادس، ص38) وكتب الدّينوريُّ هذا الاسمَ خطأً (شبث) في كتاب (الأخبار الطّوال) وجاء في مروج الذّهب (ج6، ص181) شبيب بن رواح المروروذيّ.

وعبدُ الله بنُ سَعيدٍ،[1] فعَرَضُوا عليه الإسْلام، فَاعتَنَقَه، وقَبِل شعَار العبَّاسِيِّين، ولكنْ بعد أنْ عَاد مِن غَيْبَتِه، جاءَ عبدُ الله بنُ سعيدٍ مع جيشِه إلى زوزن وحَاصَر (به آفريد) في (باد غيس)، وأحْضَرَه إلى نيسْابور، فَأمَرَ أبو مُسْلمٍ بقَتْلِه، ثمَّ حَاصَر أتبَاعَه وقَضَى عليهِم في بابِ نيسْابور.

غير أنَّ حَادِثة القضَاء على (به آفريد) غيرُ مَعْلومَةٍ، ولا نعْرِفُ آخرَ حَياتِه، ولا أينَ أقَامَ، ولا مَاذا فَعَلَ قبالَة عبدِ الله بنِ سعيدٍ وجيشِه، ومَا رُدُودُ أفعَال أتْباعِه؟ ومَا إذا وقَعَت الحَربُ، ولا كم اسْتَمرَّتْ إنْ هي وقَعَت؛ ولا مَن اعتَقَلَهُ في جَبَل (باد غيس)، وهل جَاءَ بدَعْوةٍ فَأُلْقِي القبْضُ عليْه أم إنَّه فرَّ إلى هذِه النَّاحِيَة؟؛ وكذلِكَ لا يُعرفُ على وجْه الدِّقَّة كم قُتِلَ مِن أتبَاعِه؟. لكنَّ الذي نعْرِفُه هو أنَّ دِيْنَه لم يضْمَحِلَّ بعْد قتْلِه، إذ ظَلَّ أتبَاعُه قُروناً بعْدَه، ولكنَّنَا ـ للأسَف ـ لا نملكُ معْلومَاتٍ مُفصَّلةً عن هذا الدِّين. ويذكُر إبرَاهيمُ بنُ العَبَّاسِ الصُّوليُّ المُتوفَّى في سَنَة (243هـ) في كتاب الدَّولة العَبَّاسِيَّة أنَّه كان في عصْرِهِ جَماعَةٌ مِن النَّاس يعتقدون بِدِيْنِ (به آفريد).[2]

ويذكُر مُطَهَّرٌ بنُ طاهرٍ المقدسيُّ في كتاب (البدء والتّاريخ) الذي ألَّفَه في سَنَة (355هـ / 965م): «أقَرَّتْ طَائفةٌ مِن المَجُوس بنُبُوَّة به آفريد، ومعْنَى به آفريد الخَالِق».[3] ويذكُر في موضِع آخر: «إنِّي حَاجَّنِي رَجُلٌ مِن البهَافريديَّة، وهم صِنْفٌ مْن المَجُوس،

(1) جاء في الفهرست عبد الله بن سعيدٍ، وفي الطّبريّ إنّه من أنصَار أبي مسلمٍ (التّعليق السّابق).

(2) كتاب الفهرست، المصدر ذاته.

(3) النّصّ العربّي، الجزء الثّالث، ص 7.

أَطْلَبُهُم للخير وأَبْعَدُهُم عن الأذى في دفْنِنَا موتَانَا مَا نعنِي بذلِكَ؟ فَقَالَ: إنَّ الأرضَ مَلَكٌ و أَنْتُم تلقِمُونه المَوتى، فكيف تسْتَحسِنُون ذلِكَ»؟!.[1] وإذا كان هذا الرَّأيُ مُتعلِّقاً بنَبيِّ هذه الفِرقة، فَإنَّه يُظْهِرُ أنَّ (به آفريد) اعتَقَدَ بأنَّ في الأرض مَلَكاً، ولم يُجِزْ دفْنَ الأمْوات فيها وقد وافَق الزَّرَدشْتيّين بعَمَلِه هذا. كما يظهر مِن الفقرة أنَّه وُجِدَ في عَهْد المؤلِّف (القَرْن الرَّابع الهجريِّ) به آفريديّة، وكانوا يعيشُون في العَلَن، وتُوجَد عندهُم إمْكانَاتُ البحْثِ في المَسَائِل الدِّينيَّة مع أصْحَاب الأديَان الأُخْرى.

ويبدو أنَّ دين (به آفريد) قد انتشَرَ بعْد قتْلِه خَارجَ قُرى نيسَابور؛ لأنَّ صَاحبَ كتَاب (حدودُ العَالَم الجَغرَافيِّ) المُؤلَّف في سَنَة (372هـ) والذي صَنَّفه لأبِي الحَارثِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ فريغون حَاكمِ (الكوزكانيون) وَصَفَ محَلَّةً باسْم (بركدر) تقَعُ على شَاطئ نهر مرو. فيهَا قهندزُ حصِينٌ. وبهَا مَجُوسٌ يُدعَونَ البَهَافريديَّة».[2]

وبقَيَ البَهَافريديَّة إلى زمَان البَيْرونيِّ، حَيْثُ إنَّه عند تأليفِهِ كتابَ (الآثار الباقية) نحوَ سَنَة (390هـ) يذكُر عنهم: «وبقي أتبَاعُه المنسُوبونَ إليْه بالبَهَافريديّة، يديْنُون بمَا جَاء به، ويُعَادونَ الزَّمَازمَة مِن المَجُوس عَداوةً شَديدةً؛ ويزعُمون أنَّه أخبَرَهُم بأنَّه صَعِد إلى السَّماء على برذونٍ سمندٍ (حصَان) وأنَّه سينْزِلُ إليهم كما صَعِدَ، وينتقمُ مِن أعدَائِه».[3]

(1) الجزء الأوّل، ص172، النّصّ العربّي.

(2) حدود العَالم، طبع تهرَان، ضُبطت في معجم البلدان بركدز (انظر، ج31،2).

(3) طبق المصَادر فَإنّ مفهوم الرّجعة يعني أنّ شخصَاً محدّداً سيعود مرّةً أخرى،

ويذكُر الثَّعَالبيُّ في كتابِه عنهُم (408ـ 412هـ) «بقِيَ منْهم حتَّى الآن أقْسَامٌ هم بيْن الخَسْرويَّة والخُرَّميَّة». ويذكُر الشّهرسْتانيُّ في كتاب (المِلَلُ والنِّحل) (512هـ): «قَالَ أصحَابُه: إنَّه صَعِدَ إلى السَّمَاءِ على فَرَسٍ أصْفرَ، وسَيَهبِط في المُستقبَل القريْب وينتقِمُ مِن أعدائِه».[1] وننقل في باب مُعَامَلة المُسْلِمِين للبه أفريديِّين الفِقرَةَ الآتيَة التي أوْرَدهَا أبو المنصُور عبدُ القاهرِ بنُ طاهرٍ البغداديُّ المُتوفَّى في سَنَة (429 هـ/ 1038م) في كتاب (الفَرقُ بيْن الفِرق): «المَجُوس: إنَّهم أربَعُ فِرَقٍ زروانيَّةٌ[2] ومسخيَّةٌ وخرَّمدنيَّةٌ وبه أفريديَّةٌ. وذبَائحُ جَميعِهِم حَرَامٌ، وكذلِكَ نكَاحُ نسائِهِم حَرَامٌ، وَقَدْ أجْمَعَ الأوزاعيُّ والثَّوريُّ على جَواز قَبُول الجِزْيَة مِن الزَّورَانيَّة والمسْخيَّة منهم؛ وإنَّمَا اختلفوا في مقدار دِيَاتِهِم... أمَّا المزدكيَّة (في الأصل المركديَّة) مِن المَجُوس فلا يجُوز قَبول الجِزْيَة منهم؛ لأنَّهم

أو أنّه ميْتٌ سيُبعث من جديدٍ، وهذا الأمر معروفٌ من القدم عند العرب قبل الإسلام، وكانت هذه العقيدة معروفةً منذ بداية الإسلام عند بعضٍ من الأشخَاص المعروفين، فبعد موت النّبيّ محمّدٍ هدّد عمر بن الخطّاب كلّ شخصٍ يقول بموته، لكنّ أبا بكر الصّدّيق هو الذي حوّله عن هذه الفكرة. ومن الفرق التي قَالَت بهذا: السّبئيّة أصحَاب عبد الله بن سبأ، فقَالَوا: إنّ عليّاً بن أبي طالبٍ لم يمت، وإنّه سيبعث ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً، وعند قسم منهم عقيدة بأنّ الأموات سيرجعون إلى هذه الحَياة. (مقَالَات الأشعريّ،ج1، ص15، والتّنبيه والرّدّ من الملطيّ ص14) ويُحتمل أنّ أتباع به آفريد نتيجة لمجاورتهم المسلمين، قد تأثّروا بهذه الفكرة ونقلوهَا (رَاجع مقَالَة فريدلاند مجلّة الجمعيّة الأسيويّة الأمريكيّة، المجلّد التّاسع والعشرون سنة 1909 الصّفحَات 23ـ30).

(1) المصدر ذاته، ص187.

(2) حول الزّورَانيّة رَاجع: إيرَان في عصر السَّاسَانيّين، ص144 والتّرجمة بعده ص97.

فَارقُوا دِيْنَ المَجُوسالأصْليَّة[1] باستِبَاحَة المُحرَّمَات كلِّهَا، وبقولِهِم: إنَّ النَّاس شُركاء في الأموال والنِّساء وفي سَائر اللَّذات. وكذلِكَ البه أفريديَّة لا يجوز قَبولُ الجِزْيَة منهم وإنْ كانوا أحسَنَ قولاً مِن المَجُوس الأصْليَّة؛ لأنَّ دينَهم ظَهَرَ مِن زعيمهم (به أفريد) في الإسْلام. وكُلُّ كفرٍ ظَهَرَ بعْد الإسْلام لا يجوز أخذُ الجِزْيَة مِن أهلِه».[2]

ويقولُ أبو الفرج عبدُ الرَّحمنِ بنُ الجَوزيِّ في كتاب (نقدُ العلم والعلماء) أو (تلبيس إبليس): «عند انتقَالَ الدَّولة مِن الأمويِّين إلى العَبَّاسيِّين، ظَهَرَ شخْصٌ بيْن النَّاس مِن المَجُوس، أضَلَّ النَّاسَ، وله قصَّةٌ يطُول ذِكْرُهَا، ويُعَدُّ آخِرَ مَن يظهَرُ بيْن المَجُوس».[3] وعلى الرَّغْم مِن عدَم ذكْرِ ابنِ الجَوزيِّ لاسْم هذا الشَّخْصِ، لكنَّ مِن الثَّابتِ أنَّه (به آفريد)، غيْر أنَّ قولَه: آخِرُ شَخْصٍ يظهَرُ بيْن المَجُوس، ليس بصَحِيحٍ، وهذا مَا سنتنَاوله فيمَا بعد.

(1) يبدو أنّ قصد المؤلّف المذهبُ الشّافعيّ لأن دين به آفريد أقرب إلى الإسلام منه إلى الزَّرَدَشْتية.

(2) الفرق بين الفرق (طبعة مصر 1328هـ) ص347.

(3) تلبيس إبليس، ص81 (طبع مصر 1340).

الفصل الثَّاني

فيروز الأصْبَهْبَذ المعروف بـ سِنْباد

أوَّلاً: المَصَادر

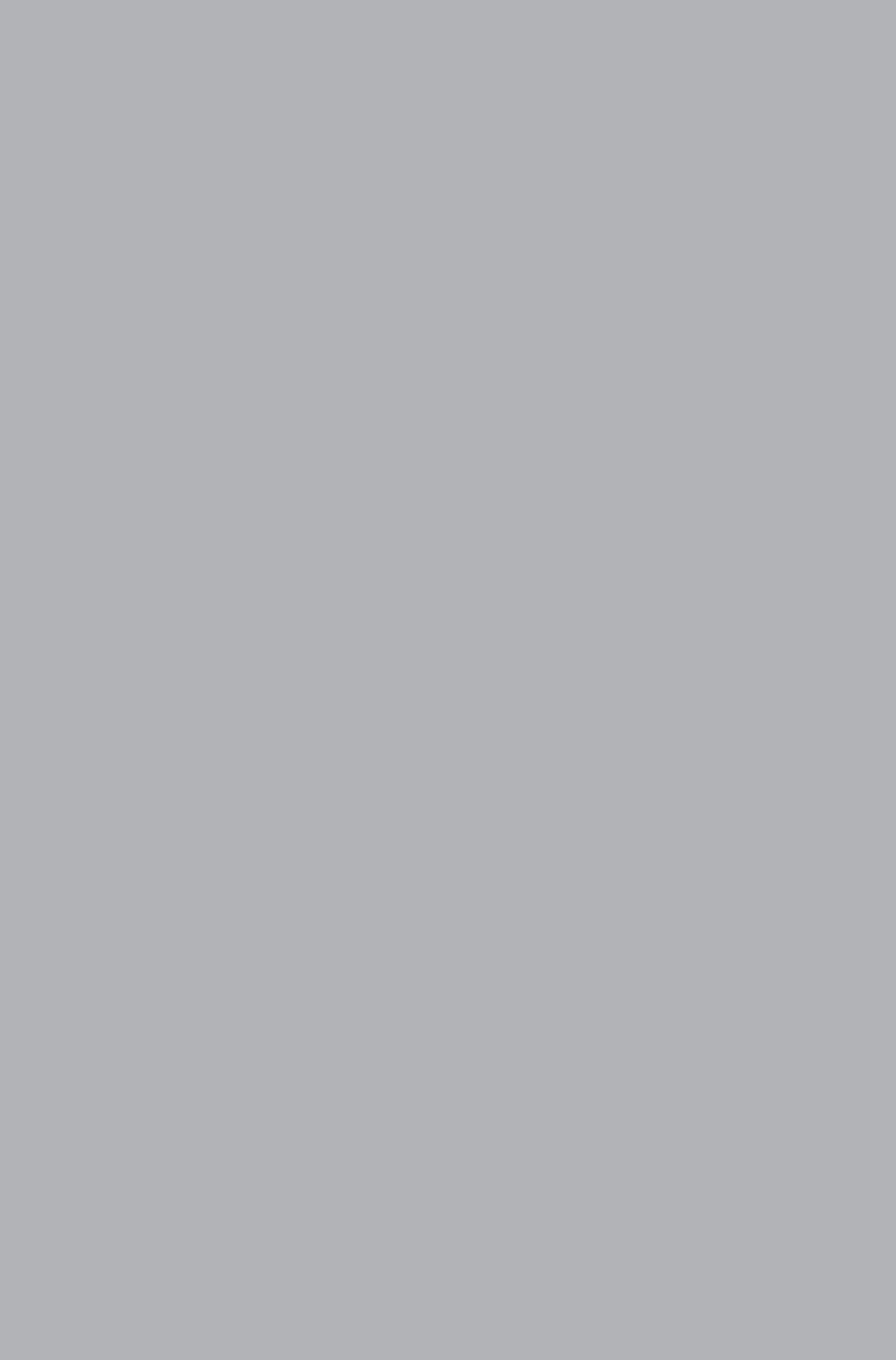
1ـ المَصَادرُ الأوَّليَّةُ.

2ـ الدِّرَاسَاتُ الحَديثةُ.

ثانياً: انبلاجُ حركة سِنْباد وتطوُّرُهَا.

ثالثاً: عقائدُ سِنْباد ومذهبُه.

رَابعَاً: نهَايةُ حرُكة سِنْباد.



«أوَّلاً : المَصَادر»

أقْدمُ المَصَادر التي تحَدَّثت عن سِنْباد هو كتاب (فتوح البلدان) لأحمدَ بنِ يحْيَى البَلاذريِّ المُتوفَّى في سَنَة (279 هـ / 892م)، فَقَد أشَار مختصِراً إلى اسْم سِنْباد، وذَلِكَ فيمَا يتَعلَّقُ بفَتْح نَواحِي جُرجَان وطَبرستَان، والحَديثِ عن عمرَ بنِ العلاءِ والي طَبرستَان، فَقَد ذكَر خروجَ سِنْباد، والإجْرَاءاتِ التي اتَّخَذهَا عمرُ في حرْبِه. ويذكُر بعد قتْلِ سِنْبادَ أنَّ جهور بنَ مرَّار العُجليَّ أرسَلَ رسَالةً إلى المَنصُور، فتوَلَّاه المَنصُوراً ومَنَحَه ولايَة خُرَاسَان.[1]

وهنَالكَ مُصَنَّفَاتٌ أكثرُ تفصِيلاً مِن الكتابِ المَذكُور سَوف نفَصِّل فيهَا:

1ـ «المَصَادر الأوَّليَّة»

ـ أوَّلاً: أحمدُ بنُ أبي يعقوبِ المعروفُ باليعقوبيِّ: المُتوفَّى في سَنَة (284 هـ 284 / 897 م) أوْرَدَ شيْئاً مُختَصَراً في كتابَيْه (التّاريخ)[2] و (البلدان)[3] فتنَاوَلَ في الكتَاب الأوَّل بشَكلٍ مُختَصَرٍ حَادثِة ظُهور

(1) كتاب فتوح البلدان، طبع دخويه،339.
(2) الجزء الثّاني (طبع هوتسماَ) ص 441 ـ 442.
(3) طبع دخويه،303.

سِنْبادَ بعْد ذِكْره خبرَ قتْلِ أبي مُسْلمٍ، وكرَّر الخَبَرَ ذاتَه تَقريباً في الفصل الخَاصِّ بحُكَّام خُرَاسَان.

ـ ثانيَاً: محمَّدُ بنُ جريرٍ الطَّبريُّ: المُتوفَّى في سَنَة (310هـ) في كتاب (الرُّسُل الملوك).[1]

ـ ثالثاً: المسْعوديُّ في (مُرُوج الذَّهب): الذي صَنَّفه في سَنَة (332هـ) تحَدَّث عن أحداثِ الخُرَّميَّة بعد قتْلِ أبي مُسْلمٍ الخُرَاسَانيّ[2]

ـ رَابعَاً: المُطهَّر بنُ طاهرٍ المَقدِسِيِّ: المُتوفَّى في سَنَة (375هـ) ذَكَرَ في كتاب (البَدء والتّاريخ) الذي أَلَّفه في سَنَة (355هـ) أنَّ مِن نتائج قتْلِ أبي مُسْلمٍ الخُرَاسَانيِّ خُروجَ سِنْباد.[3]

ـ خَامسَاً: البَلعَميُّ في (ترجَمَة تاريخ الطَّبريِّ): نَقَلَه إلى الفَارسِيَّة في سَنَة (352هـ).[4]

ـ سَادسَاً: نظامُ المُلْكِ الطُّوسيُّ في (سيَاسه نَامه) صنَّفَه في سَنَة (484هـ).

ـ سَابعَاً: محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ اسفنديَار في (تاريخ طبَرسْتان)[5] يبْدُو أنَّ تأليفَه كان في سَنَة (613هـ).

ـ ثامنَاً: ابنُ الأثير المُتوفَّى في شَعبانَ سَنَة (630 هـ/ 1234 م)

(1) طبع ليدن، القسم الثّالث، الجزء الأوّل، ص119– 120.

(2) ج 6، ص9– 188 (طبع باريس).

(3) ج6، ص82–83 (طبع هوار) وترجمته،ج6، ص82.

(4) مخطوطة المتحف البريطانّي، الرّقم 7622 الورقة 332.

(5) المكتبة الوطنيّة في باريس تحت الرّقم SUPPL PERS.1436 الورقة 80 و83 والترجمة الإنكليزيّة للأستاذ بَراون ،ص117.

في كتابه (الكاملُ في التّاريخ).[1]

ـ تاسعاً: ابنُ الطَّقْطَقِيِّ محمَّدُ بنُ عليٍّ المُتوفَّى في سَنَة (709هـ) في كتاب (الفخريُّ في الآداب السُّلطانيَّة والدَّول الإسْلاميَّة)[2] أُلِّف في سَنَة (701هـ).

يُلحَظُ في هذه المَصَادر المَذكُورة آنفَاً أربعُ مجَامِيعَ أو روَايَاتٍ مسْتقلَّةٍ:

الأولى: التي نَقَلهَا اليَعقُوبيُّ والمسْعوديُّ والمَقدِسَيُّ.

الثَّانية: التي أوْرَدَهَا الطَّبريُّ والبَلعَميِّ وابنُ الأثِير وابنُ الطَّقطقيِّ. وَقَد حَفِظَ ابنُ الأثِير روايَة الطّبريّ، لكنَّه نقَلَ مِن مصْدرٍ آخَرَ مَا يتَعلَّقُ بالقِسْم الذي يتنَاوَل سَبَبَ انكِسَار سِنْبادَ وعَاقِبتَه؛ وتَتَّفِق روايتُه مع روايَة ابنِ اسفنديَار بخَصُوصِ عَاقِبَة سِنْباد، ويبْدو أنَّ المُؤلِّفَيْن قد استَقيَا معلُومَاتِهمَا مِن المَصْدر ذاتِه، كمَا أنَّ ابنَ الطَّقطقيِّ اختَصَر رواية ابنِ الأثِير.

الثَّالثَة: الرِّوايَة التي اعتَمَدَهَا نظَامُ المُلْكِ في القِسْم الثَّانِي منْهَا، والمُتعلِّقَة بحَرْب سِنْبادَ وقَتْلِه فيهَا غَلطَاتٌ داخليَّةٌ. ويُقَالُ: إنَّ مؤلِّف هذه الحَوادثِ قد سمِعَهَا بنفْسِه، وقد دوَّن معلُومَاتِه مِن دونِ الرُّجُوع إلى وثَائقَ مَكتُوبَةٍ، ولذَلِكَ اختلفَت موضُوعَاتُهَا عن بقيَّة المَصَادر.

الرَّابعَة: الرِّوايَة المَنقُولَة في كتاب ابن اسفنديَار في القِسْم الأوَّل

(1) طبعة لايبزك، ج5، ص368- 369.
(2) ص202-203.

منْهَا المُتعلِّقِ ببدَايَة حركَة سِنْباد، ورَدَت مُخْتَصَرَةً، لكنَّ فيهَا جُزئيَّاتٍ مهِمَّةً، لاسِيَّما في القِسْم الثَّاني المُتعلِّقِ بنهَايَة حَركة سِنْبادَ واحْتمَائِه بالأصْبَهْبَذ خورشيد، ففيهَا مطَالبُ مهِمَّةٌ لم تَرِدْ في مَصَادرَ أخْرى.

«2. الدِّرَاسَاتُ الحَديثَة»

تنَاوَلَ بعْضٌ مِن المُستشْرِقِين اسْم سِنْبادَ وشَرَحَ أحوالَه، حَيْثُ كَتَبَ الأستاذ نولدكه في المقَالَات التي دبَّجهَا حوْل المنْصُور، ويوجَدُ في مجمُوعَةِ أبحَاثِه المُسمَّاة (درَاساتٌ مِن تاريخ الشَّرق) باللُّغة الإنكليزيَّة حديثٌ مُختصَرٌ عن اضْطرَاب سِنْبادَ،[1] وكَتَبَ السَّيِّد بلوشه في كتابِه الموسُوم بـ (فكرة المهْديِّ عند الفِرق المخَالفة لسُنَّة الإسْلام) شَرحَاً حوْل سِنْباد، غيْر أنَّ مرجِعَهُ الوحِيدَ فقط كان كتَابَ (سيَاسه نَامه) لنظامُ المُلك،[2] وقدَّم برَاون بَحثاً إيجَابيَّاً حوْل آرَاء سِنْباد في المُجلَّد الأوَّل مِن (تاريخُ الأدب الفَارسيِّ) في الفصْل المُرتَبِطِ بـ «المُعَارِضِين الإيرَانيِّين الكبَار في هذا العَهْد» [3] وتتبَّع يوستي في كتابه (أسمَاء إيرَان) أصْلَ سِنْبادَ ومَعنَاه.[4]

قُتِلَ أبو مُسْلم بأمر أبي جَعفرٍ لخمسَة أيَام بَقِيْنَ مِن شَعبان سَنَة (137هـ) وكان قدْ قَدِمَ معَه أتباعُه إلى رومْيَةً، وكانُوا ثلاثَةَ آلافِ شَخصٍ، فسمِعُوا خَبَرَ قتْلِه، وكان أبو جَعفرٍ المنْصُورُ قد أغْدَقَ العَطايَا على قُوَّاده، وأجْزلَ المَالَ لهُم؛ ولمَّا وَصَلَ الخَبَرُ إلى خُرَاسَان حَيْثُ أتباعُ ومحبُّو أبي مُسْلمٍ، غضِبوا لتلك الحَادثَة، ولم يمضِ سوى

(1) المصدر ذاته، الصّفحَات 118–119(18921).

(2) المصدر ذاته، الصّفحَات 43–46(1903).

(3) المذكور، ص313–314.

(4) مَار بورك،1895.

شهرين على مَقتَل أبي مُسْلمٍ حتَّى ثار مَجُوسِيٌّ[1] مِن قُرى نيسَابور اسمُه اهروانه،[2] وهو مِن تَلامِيذ أبي مُسْلم،[3] كان اسْمُه الأصْليُّ سِنْباد.[4] ويبدو أنَّه بعْد قَتْلِ أبي مُسْلمٍ الخُرَاسَانيِّ، التَفَّ حولَه جَمْعٌ غفِيرٌ، فسَمَّى نفْسَه فيروزَ الأصْبَهْبذ، ولا نعلم على وجْه التَّحدِيد مَا الرَّابطة بينَه وبيْن أبي مُسْلمٍ في حَياتِه، وهل كانَ في خُرَاسَان مِن أعوانِه أم لا، حَيْثُ يذكُر نظامُ المُلك أنَّ سِنْباد كانَ رئيساً في خُرَاسَان ومِن أصْحَابِ أبي مُسْلمٍ ومُقرَّبِيه، ويذكُر ابنُ اسفنديَار أنَّ سِنْبادَ كان نَائبَه، وحِينَمَا كانَ بحضْرَة المنْصُور، كلَّفَه أبو مُسْلمٍ بِرعايَة خِزانَتِه وأمْوالِه في الرِّيِّ.

«ثانيَاً: انبلاجُ حركة سِنْباد وتطوُّرُهَا»

يذكُر المسْعوديُّ أنَّه لَمَّا وَصَلَ خَبَرُ مَوتِ أبي مُسْلمٍ إلى خُرَاسَان، اجتَمَعَ الخُرَّميُّون وثارَ واحدٌ منهم باسم سِنْبادَ في نيسَابور، وطَالبَ بدَم أبي مُسْلم،[5] وقَدْ كُتِبَ عنه الكثِير في المَصَادر الأخْرى؛ وعلى مَا يبْدُو فَإنَّ روايَة (سيَاسه نَامه) هي الأصَحُّ، بمَعْنى أنَّه بعد خرُوج

(1) ترجمة الطّبريّ، الورقة406.

(2) ابن الأثير،ج6، ص368، الطّبريّ (القسم الثّالث، ص119) ولم يرد آهن كاسمٍ في الكتب الجَغرَافيّة.

(3) ورد في سيَاسه نَامه (رئيسّي) وفي تاريخ طبرستان (ص80) نَايبي وترجم شفر رئيس المَاليّة (؟!)

(4) أصبح اسم سنباد في بعضٍ من الكتب العربيّة سمباد وسمباط وفي بعضهَا سنفَاذ، وأصبح هذا شائعَاً عند الإيرَانيّين والأرمن، والاسم مركّبٌ من كلمتين الأوّل (سن) أو (سُن) ولا يُعرف معنى هذا الجزء، أمَّا الجزء الثّاني فهو (باد).

(5) المسعوديّ، ص188، الطّبريّ – المقدسّي – سيَاسه نَامه – ابن الأثير – ابن الطّقطقىّ.

سِنْبادَ أصْبح قَريباً مِن الخرَّميَّة،[1] ولم يكُنْ مِن قَبْلُ منْهم، وقَدْ اختَلَفَتْ الفِرقُ دينيَّاً بعْد قتْل أبي مُسْلم في الأخْذِ بثأرِهِ، ثمَّ اتَّفقُوا على هذا كلُّهم، ومِن الثَّابت أَنَّ أبا مُسْلمٍ لم يَسْتَفِدْ مِن إسْقاطِ الدَّولَة الأمويَّة وإسنَادِ الأسْرة العَبَّاسِيَّة مِن دعْوَة مُسْلمي إيرَان إلى مبَايعَة الهَاشِميِّين فحَسْبُ، وإنَّما اسْتَمدَّ عزْمَه مِن الدِّيْن والرِّوايَات الوَطَنيَّة الباقِيَة، فَألفَ بيْن الرِّوايَات المَحلِّيَّة وأصُولِ الدِّين الإسْلاميِّ؛ ولذَلِكَ فَقَدْ عُدَّ أمْرُ قتْلِه عظِيماً؛ لأنَّه كان محَلَّ تقْديرِ العديد مِن النَّاس، فَقَدْ حدَثَت بعْد قتْله مجمُوعَة ثَورَاتٍ اسْتمرَّت ثَلاثِين سَنَةً، أظْهَرَ فيهَا الإيرَانيُّون رغْبَةً لافِتةً للمَيْل نحوَه والالتفَافِ حوْله مُقارنَةً بالخَليفَة العَبَّاسِيِّ.[2]

وقَدْ ابتَدَأتْ حَرَكَة سِنْبادَ مِن مسْقِطِ رَأسِه (نيسَابور)، ولم تكُن هذه المَدينَة بعْدُ الحَاكمَةَ لإقلِيم خُرَاسَان،[3] لكنَّ وجُودَه في هذا الجُزْء الجَغرَافيِّ المهمِّ في الشَّرق وقُرْبَه مِن مركِزِ الخِلافَة مُقارَنَةً بمُدُنِ مروَ وبلخ كانَ له أهمِّيَّةٌ؛ ولهذا فَقَدْ وَفَدَ أبو مُسْلم الخُرَاسَانيُّ مؤقَّتاً إلى هنَاك في سَنَة (131هـ) ومَادَام باقِياً في خُرَاسَان كانتْ هذه المَدينَةُ واحِدةً مِن مرَاكِز أعْمَالِه.

كُتِبَ النَّجَاح بسُرعةٍ لدَعْوةِ سِنْباد، لاسِيَّما أنَّه أظْهَرَ قدْرةً عَالِيةً في كَسْبِ الأنْصَار، ويتَّضِحُ هذا في الفِقْرة التي أورَدهَا نظامُ

(1) سيَاسه نَامه، ص182.

(2) نَال أبو مسلم شهرةً كبيرةً بين الإيرَانيّين، ويتّضح هذا في الكتب الكثيرة التي ألفت قصَصاً حول حَياته، من جملتهَا قصّة أبي مسلمPers. Suppl fa 334 fa 430) a 842 et 842) وهي متكوّنةٌ منَ جزأين كبيرين سقط القسم الأخير من الجزء الثّاني، ولا يُعرف هل هنَاك جزءٌ ثالثٌ أم لا.

(3) يَاقوت، معجم البلدان، ج4، ص858.

المُلْكِ «وكان كلَّمَا اخْتَلى بِالمَجُوس يقولُ لهُم: لَقَدْ آذنَتْ دولَةُ العَرَبِ بالأُفُولِ، هذا مَا قَرَأتُه في أحَدِ كُتُبِ السَّاسَانِيِّين... وكان يقول للخرَّميَّة: إنَّ مزْدَكَ شِيعيٌّ، وهو يَأمُركم بِأن تضَعُوا أيديَكُم في أيْدي الشِّيعَة،[1] وَظَلَّ سنبادُ يُوقِعُ هذا النَّغَمَ نفْسَه للمَجُوسِ وغُلاةِ الشِّيعَة والخرَّميَّة إلى أنْ استَطَاع أن يضُمَّ إليْه الفِرَقَ الثَّلاثَ ويستمِيلَهَا».[2]

غيْر أنَّ هذه الرِّوايَة لا تخْلُو مِن المُبَالغَة، ولا يمكِن التَّسْليمُ بصِحَّتهَا، لكنَّهَا تشِير إلى نَوعيَّة أصْحَابه مِن جهَةٍ وإلى حُسْن تدبِيرِه مِن جهَةٍ أخْرى! ويبْدُو أنَّ جُلَّ اعتمَاد سِنْباد كان على أصْحَاب الدِّيْن الزَّرَدَشْتيِّ، إذ يذكُر الأستاذ نولدكه في كتابه (أبحَاثٌ في التّاريخ الشَّرقيِّ) «لا يمكُن القولُ: إنَّه مِن أتباع الدِّين الإيرَانيِّ القدِيم، إنَّه مِن الفِرقِ شبه الإيرَانيَّة التي ارتبَطَت بالدِّيْن الإسْلاميِّ». وَقَدْ لا يسْتنِد هذا الرَّأيُ إلى دلِيلٍ في مقابِلِ أقوالِ المُؤرِّخِين مثلِ الطَّبريِّ وابنِ الأثير وابنِ الطَّقطقيِّ الذين قَالُوا بزَرَدَشْتيَّة سِنْباد، زيَادةً على وجُود أعْدادٍ غفِيرةٍ مِن الزَّرَدَشْتيِّين في أقَالِيم إيرَان في ذَلِكَ الوقْت، إذ شَخَّصَ المُؤرِّخون أنَّ أَكْثَر المُقتُولِين كانُوا مِن أتْبَاع الزَّرَدَشْتيَّة، وذَلِكَ حِينمَا نشِبت ثورةٌ أخْرى قبل سِنيْن مِن حرَكَة سِنْبادَ في تلك المَدينَة.

ويذكُر ابنُ اسفنديَار في تاريخ طَبرِسْتان أنَّه عنْدمَا عَزَمَ أبو مُسْلمٍ على الذَّهَاب قريباً مِن المنصُور «كان سِنْباد بعنوان نَائِبٍ،

(1) يتّضح من هذه الفقرة تعلّق الإيرَانيّين بالتّشيّع.

(2) يظهر من هذا أنّ سنباد مع أيّة فرقةٍ يجلس يظهر رَأيَها من أجل كسبهَا، ثمّ ساد هذا الأمر عند القرَامطة والحلَّاج كذلك. رَاجع: الحلّاج، مَاسنيون، ص72، والقرَامطة في الفرق بين الفرق للبغداديّ.

وَقَد اسْتولى على خِزانَة وأمْوالِ الرِّيِّ». [1] ولم تَرِدْ إشارةٌ في المَصَادر إلى سِنْبادَ قَبْلَ حَرَكَتِه في الرِّيِّ فَقَدْ ذَكَر المُؤرِّخُون أنَّ سِنْبادَ قَدِمَ مِن نيسَابور إلى الرِّيِّ، واسْتولى على أمْوالِ وذخَائِر أبي مُسْلم. ويبْدو أنَّ ابنَ اسفنديَار هو الوحِيدُ الذي أخْطَأ في ذكْرِ اسْم المَحلِّ الذي توقَّفَ فيه سَنْبَاد، وربَّمَا يؤيِّد مَا تقدَّم أنَّ البَلعمِيَّ ذكَر في ترجَمَته لتاريخ الطَّبريِّ «كان أبو مْسْلم يقرِّبُه ويُوصِي به، وحِينمَا وَصَلَ خَبَر قتْلِ أبي مُسْلم إليه حَزِنَ، وقَالَ لأبي مُسْلمٍ: حَقٌّ عليَّ وواجبٌ أن أطَالِب بدَمِهِ، وأنْ أضَحِّيَ مِن أجْلِه برُوحِي، فدَعَا النَّاسَ إلى الثَّأر لدَم أبي مُسْلم». [2] فَازدادَ بعد ذَلِكَ أتباعُ سِنْباد، وتَحَرَّك مِن نيسْابور إلى كومش، [3] وسَيْطَر على أطْرَافهَا والمنَاطِقِ المُحِيطَة بهَا، فَالتَحَقَ بِه كثيرٌ مِن النَّاس؛ ثمَّ دعَا الرِّيَّ، وحِينمَا وَصَلَ إلى هذه المدينة، كان فيهَا أبو عُبَيْدَةَ الحَنَفِيُّ [4] عَامِلُ المنْصُور، فقتَلَه، [5] واسْتولى على

(1) تاريخ طبرستان، المخطوطة، الورقة 80 الوجه.

(2) مخطوطة المتحف البريطانّي الرّقم 7622، الورقة 406 الوجه.

(3) «وهي كورةٌ كبيرةٌ واسعةٌ تشتمل على مدنٍ، وقرىً، ومزارع، وهي في ذيل جبال طبرستان، وأكبر مَا يكون في ولاية ملكهَا وقصبتهَا المشهورة دامغان، وهي بين الرِّيِّ ونيسابور، ومن مدنهَا المشهورة بسطام وبيَار، ويُدْخِل بعضهم فيهَا سمنَان، وبعضهم يجعل سمنَان من ولاية الرِّيِّ» (معجم البلدان، ج4، ص203) ويذكر مؤلّف كتاب حدود العَالَم «كومس نَاحِية بين الرِّيِّ وخرَاسان على طريق الحجّ وسط الجبال، وهي مدينةٌ عَامرةٌ متنعمّةٌ وأهلهَا أهل حرب...» (طبع طهرَان، ص86) أفضل شرح مقدّم حول هذه الولاية من لسترنج في كتابه المعروف بـ (بلدان الخلافة الشّرقيّة)، ص364-368.

(4) نظام الملك، سيَاسه نَامه، ص182: ورد خفيفيّ لكنّ المترجم سمّاه حنفيّ.

(5) لانعرف الكيفيّة التي قُتل بهَا هذا العَامل، هل وقعت حربٌ بين سنباد وعَامل الخليفة، وأنّ سنباد أخضع المدينة بالقوّة أم أنّه دخل عن طريق الصّلح، فَأسر العَامل وقتله.

أموالِ وخَزائِن أبي مُسْلم التي كانَت في طَريقِهَا إلى أبي العَبَّاس،[1] وأرسَلَ بعْضَاً مِن تلك الأَمْوالِ إلى الأصْبَهبَذ خورشِيد،[2] وطَلَبَ منه العَون، فَانضَمَّ إليه كثيرٌ مِن أهْل طبرسْتانَ والجِبالِ.[3] ويذكُر نظامُ المُلكِ «قَدِمَ مِن نيسَابورَ إلى الرَّيِّ، ودعَا مَجُوسَ طبرسْتان، ولمَّا عَلِمَ أنَّ أكثَرَ أهْل الجِبالِ مِن المُشَبِّهة[4] والمَزدكيِّين، ادَّعى أنَّه رسُولُ أبي مُسْلمِ إلى أهْل العِرَاق[5] وخُرَاسَان، وَزَعَمَ أنَّ أبا مُسْلمِ لم يُقتَل، وأنَّه لَمَّا هَمَّ المنْصُور بقَتْلِه، دعَا اسْمَ ربِّه الأعلى عزَّ وجلَّ، فصَار حَمَامَةً بيضَاء، وطار مِن بيْن يديْه، وأنَّه الآن في حِصْنٍ مِن نُحَاسٍ، وأنَّ المهْديَّ ومزدكَ معَه؛ وسوْفَ يظْهرُون ثلاثَتُهم، يتَقَدَّمُهُم أبو مُسْلمٍ ومزدكُ وزيرُه؛ ولقد وَصَلَ إليَّ قاصِداً برسَالةٍ مِن أبي مُسْلمٍ.

ولَمَّا سَمِعَتْ الرَّافضّة اسْم المهْديِّ، وسّمِع المزدكيُّون اسْم مزدكَ، لحِقَ بسِنْبادَ مِن الرَّافضة والخرَّميَّة خلقٌ كثيرٌ، فعظُمَ شَأنُه، وتفَاقَم أمْرُه، إذ وَصَلَ عددُ أتْبَاعه إلى أكثَرَ مِن مئة ألفِ شخْصٍ بين خيَّالٍ ورَاجلٍ! وكان كلَّما اخْتلى بالمَجُوس يقولُ لهم: لَقَدْ آذنتْ دولةُ العَربِ بالأُفُول، وهذا مَا قرَأتُه في أحَدِ كُتُبِ بني سَاسَان، لنْ أعودَ لأُدَمِّر الكعْبَة التي اتَّخذوهَا بَدَلاً مِن الشَّمس قِبلَةً لهُم، أمَّا نحْن، فسَنَجعَل الشَّمسَ قِبْلةً لنَا مِثلمَا كانتْ الحَالُ عليْه قديماً. وكان يقولُ للخرَّميَّة: إنَّ مزدَكَ شِيعيٌّ وهو يَأمرُكُم بأن تَضَعُوا أيديَكُم في أيدِي

---

(1) انظر كتاب الكامل ابن الأثير، ص368؛ الطّبريّ، القسم الثّالث، ص86.

(2) ابن اسفنديَار، المصدر ذاته.

(3) المسعوديّ، المصدر ذاته.

(4) في ترجمة شفر (مستهى).

(5) يعني الجبال أو مَاد القديمة.

الشِّيعَة». [1]

ثالثاً: عقائدُ سِنْباد ومذهبُه.

نلحظ أنَّ هذا المَطلَبَ المُهمَّ وَرَدَ في سيَاسَه نَامه فقط، وإذا لم يكُن كلُّه صَحِيحَاً فَإنَّ جزْءاً منه ـ مِن دُون شكٍّ ـ على صَوابٍ! حَيْثُ يذكُر ابنُ الأثير أنَّ سِنْبادَ قَصَدَ الذَّهَابَ إلى الحِجَاز وتخْرِيبَ الكَعبَة، وذكَر ذَلِكَ ابنُ الطَّقطقيِّ أيضاً؛ ويبْدو أنَّه اقتبَسَ ذَلِكَ مِن ابنِ الأثير[2] ويتَّضِح مِن أخْبَار نظَام المُلْكِ أنَّه على الرَّغْم مِن أنَّ عقائِد سِنْبادَ زَرَدَشْتيَّةٌ، لكنْ يظْهَر أنَّهَا عَقَائِدُ موافِقةٌ لكلِّ طَرَفٍ مِن الأطْرَاف التي نُقلَت منهَا، وهي ليسَتْ مطَابِقَةً بالكَامِلِ لعقَائدِ الزَّرَدَشْتيَّة وتعَالِيمِهَا؛ زيَادةً على منَاقضَةِ بعْضٍ منهَا لبعْضِهَا الآخَر. ويَذكُرُ في مكانٍ آخَر أنَّ سِنْبادَ طالَبَ بدَم أَبي مُسْلمٍ، ويذكُر في مَوضِع ثالِثٍ أنَّه قَالَ لأهْل العِرَاق وخُرَاسَان: إنَّ أبا مُسْلم لم يُقتَل، لكنَّ المَنْصُور أرَاد قَتْله، فقَرَأ اسْم الله وتحَوَّل إلى حَمَامَةٍ بيضَاءَ وطَارَ في السَّمَاء. وربَّمَا يوحِي موضُوعُ عدَم قتْلِ أبي مُسْلمٍ، أنَّ شَبيهَاً له قد قُتِلَ، وهذا ـ على وجْه التَّقريب ـ مَا قَالَته فِرقَةُ المُغِيرَة حوْل محمَّدٍ بنِ عبدِ الله بنِ الحسَنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طَالبٍ،[3] فشَاعَ الاسْمُ الأعْظَمُ بين أفْرَاد هذه الفِرْقَة.[4] وشَاعَ أيضَاً حدِيثُ الحَمَامَة البيْضَاءِ بين الفِرقَة

(1) سير الملوك أو سيَاسه نَامه، ص182–183طبعة شفر، لم يورد الطّبريّ والمقدسيّ والمسعوديّ شيئاً عن آراء سنباد.

(2) ابن الأثير،ج6، ص368، ابن الطّقطقيّ،2021.

(3) الأشعريّ، مقَالاَت الإسلاميّين 9–6.

(4) كذلك.

الكيسَانيَّة[1] في حصْنِ مَسٍّ، ولا يُعرفُ مقْصُودُ أبي مُسْلم في مَلجَئِه؛ هل إنَّه تمَثَّل بمزدك أو بالمَهْديِّ، وأيِّ مَهْديٍّ مِن فِرَقِ الشِّيعة؟[2] وهل هو قَريبٌ مِن العقِيدة الكيسانيَّة؟.[3] وقد قالُوا فيمَا يخُصُّ محمَّداً بنَ الحَنفيَّة: هو حَيٌّ وموجُودٌ في جِبَالِ رضْوى بيْن مَكَّة والمَدينَة، يحمِيْه أسَدَانِ مِن طَرَفَيْ الشِّمَال واليَمينِ حتَّى وقْتِ خُروجِه.[4]

ولا يمكِن في مُقابِل هذه العقَائِد ذاتِ الأُصُول الإسْلاميَّة الشَّكُّ في أنَّ مذهَبَه ـ على وجْه العُموم أو الخَصُوص ـ أُخِذَ مِن الإسْلام، وأنَّ عقَائِده الأخْرى كانت مزيجاً مِن أصُولٍ زَرَدَشْتيَّة. وقَدْ شَاعَ بيْن الإيرَانيِّين في ذَلِكَ العَهْد ـ لاسِيَّما الفِرقِ الإسْلاميَّة في الفِقرة المُتَعلِّقَة بنهَايَة دولَة العَرَبِ ـ أنَّ سِنْبادَ في كُتُبِ بني سَاسَانَ مِن الزَّرَدَشْتيِّين، إذ توجَد فِقرَاتٌ تشِيرُ إلى هذا الأمْر. ويَعتَقِد بلوشه[5] بأنَّ جُمْلَة

(1) الشّهرستانّي، ص111؛ اليعقوبّي،ج2، ص313؛ وأشار إلى هذه الفقرة الأستاذ برَاون تاريخ اليعقوبيّ،ج2، ص313» وروى بعضهم أنّ محمّداً بن الحنفيّة صَار أيضاً إلى الطّائف، فلم يزل بهَا. وتوفّي ابن عبَّاس فيهَا في سنة (68هـ) وهو ابن إحدى وسبعين سنةً، وصلّى عليه محمّد بن الحنفيّة، ودَفن عبدُ الله عبَّاساً في الطّائف في مسجد جامعهَا، وضُرب عليه فسطاطٌ، ولمّا دُفن أتى طائرٌ أبيض فدخل معه قبره، فقَالَ بعضٌ من النَّاس: عملُه. وقَالَ آخرون عملُه صَالحٌ».

(2) تقابل سنة (137هـ) إمَامة أبي عبد الله جعفر بنِ محمّدٍ الصَّادق. فبعد موت أبيه في سنة (119هـ) أصبح الإمَام، وتُوفِّي سنة (148هـ)؛ و لذَلِكَ فَإنّ المهديّ في منظور سنباد واحدٌ من المهديّين قبل الإمَام السّادس.

(3) كذلك هذه القصّة شبيهةٌ بمَا هو شائعٌ بين الإيرَانيّين (رَاجع الكيَانيّون آرثر كريستسن، ص82- 85) ووردت هذه القصّة على أشكالٍ مختلفةٍ عند الإيرَانيّين حول كيكاوس، وجمشيد، وافرَاسيَاب، إذ ورد فيهَا الحصن. (المصدر ذاته).

(4) فرق الشّيعة، النّوبختيّ، ص26.

(5) فكرة المهديّ للفرق المخَالفة للسّنّة، ص45.

(خلوه هركه) تعنِي (مع مجُوسٍ) وقولُه: «ولَمَّا قامَتْ دولَة العَرَبِ وأصْبَحَت واقِعَةً، لم أعُدْ أرغَبُ بتخْريْبِ الكعْبة؛ ذَلِكَ مَا وجَدْتُه في كُتُبِ بني سَاسَان، لكنَّ العَرَبَ اتَّخَذُوا مِن الكعْبَة قِبْلَةً بَدَلاً مِن الشَّمس، ونحْنُ نرغَبُ بالتَّوجُّه إلى قبلتنَا القديمَةِ الشَّمسِ».[1] ومِن المُمكِن أن تكون جمْلةُ سِنْبادَ دقيقةً فَاعتَقَد بِصَوابِهَا؛ لأنَّ الأسْلوب والكَلامَ موافِقَان لنَظَريَّة هَذا العَالِم المذْكور.

ويتَّضِحُ ممَّا تقدَّم أنَّ نيَّة سِنْبادَ في تخِريْبِ الكَعبَة التي ذكَرهَا المؤلِّفَان الآخَران، أُضِيفَتْ إلى (سيَاسه نَامه)، فَاستُبْدِلَتْ جملةُ قِبلة العَرَبِ بالشَّمس. وهكذا، فَإنَّ الذي نلحَظُه في عقَائِد (به آفريد) أنَّ عبَادة الشَّمسِ في العَصْر السَّاسَانِيِّ على وَفق كتابِ الأجانبِ والقَرَائِنِ الموجُودةِ في الكُتُبُ الزَّرَدَشْتيَّة كانتْ فَاعِلةً، وتؤيِّدُ الفقرةُ المذكُورةُ هذا القولَ، زيَادةً على أنَّ الشَّمسَ كانتْ أكثرَ الأمُور قدْسِيَّةً عنْد الزَّرَدَشْتيِّين. والذي يؤيِّدُ هذا أنَّ تعَالِيم (به آفريد) توجِبُ ذلِكَ، ويثيرُ هذا الذي عمِلَ به سِنْباد، وقولُ نظام المُلك عن العَلاقة بيْن سِنْباد و الخُرَّميَّة، يثيرَان الانْتبَاه مِن وجوهٍ عَديدةٍ: فَأوّلاً، يتَّضِحُ أنَّ وجودَ هذِه الفِرقة في الأقَالِيم الأخْرى كان قَبْلَ حرَكة بابك في أذربيجَان، وهذا دلِيلٌ على رَدِّ الرَّأيِ القَائِلِ: إنَّ اسْم الخُرَّميَّة مَأخُوذٌ مِن قريَة خرَّم الواقِعةِ في أذربيجَان. وثانيَاً: نلحَظ صِحَّة الرَّابِطَة بيْن مزدكَ والخرَّميَّة مع القَرَائن الأخْرى، ويظْهَر مِن هذا أنَّ الخرَّميِّين ليسُوا مِن الشِّيعة. وسوف نبحَثُ ذَلِكَ فيمَا بعد ـ مُكتَفين بالإشَارة إليه هنَا.

(1) لا يمكن القبول برَأي بلوشه في أنّ هذه الجملة في الأصل بهلويّةٌ؛ لأنّ صيغة هذا الكلام لا توحِي بأنّه بهلويٌّ، فهنَاك فرقٌ بين الأسلوب البَهْلَوِيّ وبين الأساليب الفَارسيّة والعربيّة.

ونستَنتِجُ مِن مجمُوع هذه العقَائِدِ أنَّ سِنْبادَ لم يكُن متَعصِّباً، فقَدْ أظهَرَ تسَاهُلاً وتسَامُحاً حتَّى مع مُخَالفيه في الدِّين، ويبدو أنَّ هذا التَّسَاهُل كان لضَرورَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ. وقَدْ وُفِّق سِنْبادُ في تهيئة الأوضَاع الاجتماعيَّة في مدَّةٍ قصِيرةٍ.

يذكُر البلعميُّ حوْل عددِ أتبَاع سِنْباد فيقُول: «وطَلَبَ كثِيرٌ مِن النَّاس دمَ أبي مُسْلمٍ، إذ كان له الكثِيرُ مِن الأتْبَاع في خُرَاسَان، ولم يمضِ سِوى شهرين على مَقْتَل أبي مُسْلمٍ حتَّى اجتَمَعَ سِتُّون ألفَاً حوْل هذا المُغان، حَيْثُ قَدِمُوا مِن العِرَاق ونيسَابور، وتجمَّعوا في الرِّيِّ مع ذَلِكَ الجيش».[1] ويتَّضِح مِن ذَلِكَ أنَّ تعدَاد جيشِ سِنْباد ستُّون ألفَاً قبْلَ مجيئِه إلى الجِبالِ؛ فيما يذكُر المَقْدِسِيُّ أنَّ عدَد أفرَاد جيشِه في أيَّامه كان تسعِين ألفَاً،[2] فيمَا كَتَبَ المَقْدِسِيُّ أنَّ عدَدَ أفرَاد جيشِه مئة ألفٍ؛ وكان مُعْظَمُ أتبَاع سِنْباد مِن أهْل الجَبَل.[3]

وينْبَغِي عدَمُ الاعتِقَاد بأنَّ رقم مئةِ ألفٍ أو ستِّين ألفَاً الذي ذكَرَه المُؤرِّخُون، بَعيدٌ عن الحَقيقَة. ويذكُر ابنُ الأثيْر أنَّه عنْد وصُولِ سِنْبادَ إلى الرِّيِّ، سَبَى النِّسَاء، وأغار على الأموال، لكنَّه لم يتعرّض للتُّجَّار. وعلى الرَّغْم مِن وجود هذا الجَمْع الغَفْير[4] فَإنَّ سِنْبادَ لم يرغَبْ في الإقامَة في محلِّه؛ وتَرَكَ الرِّيَّ، وقَصَدَ همَدَان، وكان يَهمُّ بتحْقِيق غايتِه الرَّئيسَة في القضَاءِ على مَركِز الخِلافَة.

---

(1) مخطوطة المتحف البريطانّي، الورقة406، الفهرست7622.

(2) كتاب البدء والتّاريخ، ج6، ص83.

(3) الطّبريّ، القسم الثّالث.

(4) لابدّ من أن يكون جيش سنباد من القرويّين وليس من العسكر المجرَّب، و لذَلِكَ كان أعوان جهور الأفضل.

«**رَابعَاً: نهَايةُ حَرَكة سِنْباد**»

أقلقَتْ حَرَكَةُ سِنْبادَ ومجيْؤه الخَليفةَ، ولذَلِكَ فَإنّه أرْسَلَ بسُرعَةٍ جهورَ بنَ مرَّار العجَليَّ[1] مع عَشَرَةِ آلاف شَخْصٍ،[2] كمَا أمدَّه بجُنودٍ آخَريْن،[3] وخَشِيَ العَرَبُ المقيمُون في الجِبَال على أرْواحِهِم، فعَارضُوا سِنْباد، وكان مِن ضِمْنِهم عمرُ بنُ العلاءِ الذي كان قصَّاباً، فَجَمَعَ النَّاسَ والتَحَقَ مع جهورَ بنِ مُرَّارٍ العجَليِّ، وأظْهَرَ شجَاعَةً في الحَرْب مع سِنْباد،[4] فَاقتَتَلَ الجيشَانِ بين همَدَانَ والرِّيِّ في طَرَف الصَّحرَاء في موضِعٍ عُرفَ بـ (جرجنبان)،[5] ودارتْ معرَكَةٌ حَاميَة الوطِيس، وأظْهَرِ الطَّرفَان كلاهمَا مقاومَةً كبِيرةً، فكانَت عَاقبَة سِنْبادَ الفِرَار إلى طبرسْتان، وقُتِلَ مِن أتباعِه ستُّون ألفَاً، وسُبِيَ الأطْفَالُ والنِّساءُ، وكان مِن جُمْلة الأسْرى مهرونه الرَّازيُّ الذي أطْلَق المَهديُّ

(1) ورد جهور في كتاب الطّبريّ اليعقوبّي والطّبريّ وترجمة الطّبريّ. وفي بعضٍ من نسخ ابن الأثير طبعة لايبزك، فيمَا جاءت جمهور في نسخ مروج الذّهب. طبعة باريس، وسيَاسه نَامه، وتاريخ طبرستان، وبعضٍ من نسخ ابن الأثير، وكلمَان هوار، وذَلِكَ خطأٌ، ونحن نميل إلى أنّ جهور هو الأصحّ لوروده في المصَادر القديمة.

(2) جاء في مصَادرنَا مثل اليعقوبّي والطّبريّ والمسعوديّ والمقدسّي وابن الأثير: أنّ أبا جعفر أرسل جهور من العِرَاق إلى سنباد، لكنّ روايةَ سيَاسه نَامه لا توافق ذلك. وهذا مَا سنتنَاوله لاحقاً.

(3) المسعوديّ؛ لكن باربيه دومنيَار ترجمه على الشّاكلة الآتية: «إنّ أبا جعفر نفسه تحرّك مع جيشه الأعظم باتّجاهه».

(4) البلاذريّ، فتوح البلدان، طبعة دخويه، ص339.

(5) مصَادرنَا حول موضع التقاء الجيشين تاريخ طبرستان ابن اسفنديَار، لكنّ برَاون حرّف هذا الاسم في ترجمته واعتقده جرخيَاني (ص217) وكانت في نسخته التي رجع إليهَا جرجنبانيّ، ولكنّ الشّكل الصّحِيح هو مَا ضبطنَاه «جرجنبان قريةٌ كبيرةٌ بين ساوة والرِّيِّ». يَاقوت؛ معجم البلدان، ج2، ص22.

سَرَاحَه فيمَا بَعْدُ[1]. ويذكُر ابنُ اسفنديَار: «قُتِلَ أعدادٌ مِن أصحَاب سِنْباد وأبي مُسْلم، وبَقِيَت عظَامُهُم في المَكَان ذاتِه حتَّى سنة ثلاثِ مئةٍ». [2] وكَتَبَ ابنُ الأثير وابنُ الطَّقطقيُّ في سَبَبِ قَتْلِ سِنْباد أنَّه حِينَمَا التقى الجيشَان، سَبى سِنْبادُ النِّساءَ المُسْلمَات، ووضَعَهُنَّ على الإبلِ في مُقدَّمَة جيشِه، لكِنَّهنَّ حِينَمَا شاهَدْنَ جيشَ المُسْلِمِين صَرَخْنَ بصَوتٍ واحِدٍ: وامحمَّداه ذَهَبَ الإسْلام. ووَقَعَتْ الرِّيحُ في أثوابهنَّ، فنَفَرت الإبلُ وعَادتْ إلى عَسْكر سِنْباد، فتفرَّق العسْكر، وكان ذَلِكَ سبباً لهزيمَتِه، وتَبعَ المُسْلمونَ الإبِلَ، ووَضَعُوا السُّيُوف في المَجُوس ومَن معهم، فقتلوهُم كيف شَاؤوا.[3]

وحِينَمَا كان سِنْباد في الرِّيِّ، أرسَل قسْمَاً مِن أمْوالِه إلى خورشيد أصْبَهبَذ طبرسْتان، وأهْداه سِتَّة آلافِ ألفِ درهمٍ، لكنَّه رَجَعَ إلى

---

(1) البلاذريّ ،فتوح البلدان، ص294.

(2) ورد هذا في ترجمة الطَّبريّ وابن اسفنديَار وابن الأثيرا ولكنّ اليعقوبيّ والمسعوديّ والمقدسيّ وسيَاسه نَامه، إنّ سنباد، قُتل في هذه الحرب، وهذا خطأٌ، بسبب الأحداث التي وقعت فيمَا بعد، أمَّا رواية سيَاسه نَامه مثل القسم المتعلّق بالحرب، ففيهَا اختلافٌ وأخطاءٌ فَاحشةٌ وننقل في هذا الفقرة عينًا منهَا « ثمّ استطاع أن يقتل بعضاً من قوَّاد المنصور، ويهزم جيوشه إلى أن ندب جهور العجليّ لحربه بعد سبع سنين، وجمع جهور جيوش خوزستان وفَارس، وتقدّم نحو أصفهَان حَيْثُ ضمّ إليه مرتزقتهَا، وعرب قمّ، وعجيليّي كرج، ثمّ مضى في سبيله إلى أن وصل إلى مشارف الرِّيِّ حَيْثُ اشتبك مع سنباد في حربٍ ضاريةٍ ثلاثة أيَام. وفي اليوم الرَّابع، قُتل سنباد بيد جهور في نزالٍ بينهمَا. فتفرّقت جموعه وعَاد كلٌّ منهم إلى مكانه. واختلطت الخرّمدينيّة بالمَجُوسيّة والتّشيّع، وأخذ كلٌّ منهم يتّصل بالآخر سرَّاً ويقوى وينمو يومَاً بعد يوم إلى أن أخذ المسلمون والمَجُوس يطلقون لقب الخرّمدينيّة على هذه الطّائفةً. وبعد أن قتل جهور سنباد، دخل الرِّيِّ، وقتل من وجد فيهَا من المَجُوس ا وأغار على منَازلهم، ونهبهَا، وسبى نساءهم وأبنَاءهم واتّخذهم عبيداً». سيَاسه نَامه طبعة طهرَان،2535، ص280.

(3) ابن الأثير، ج6، ص368، ابن الطّقطقيّ، ص203.

طَبرِسْتان بعد الخَسَارة بأعْدادٍ قلِيلَةٍ، واختَفَى عنْد الأصبَهبَذ، فَاسْتقبَلَه طوسُ[1] ابنُ عمِّه بالهَدايَا والخَيْل، وحِينَما وَصَلَ سِنْباد، أظْهَرَ له عَلامَاتِ الاحْترَام، لكِنَّ سِنْباد ـ بخِلافِه ـ أظْهر التَّكبُّر، فغَضِبَ طوس «وقَالَ: للعُمُومَة التي بيني وبينَك احتَرمْتُك، فَأجَابه سِنْباد جَوابَاً غَلِيظَاً، فرَكِبَ طوس، وجثَى على صَدْر سِنْباد وقَطَعَ رَأسَه، وجَلَبَ كلَّ الأمْوالِ التي كانَتْ بحَوْزَتِه إلى الأصبَهبَذ، فتَأسَّفَ الأصبَهبَذ، واسْتولَى على خَزائنِ وتَركَاتِ أبي مُسْلمٍ وسِنْباد».[2]

---

(1) حرّف الطّبريّ هذا الاسم، لكنّ ابن الأثير وابن اسفنديَار قد أورده صحِيحَاً، فكتب ابن الأثير إنّ طوساً عَاملَ أصبهبذ وابن اسفنديَار عدّه ابنَ عمّه، ومن الممكن أنّه حمل الصّفتين.

(2) ابن اسفنديَار، الورقة 83، وابن الأثير،ج5، ص369. ومن الممكن أنّ الأصبهبذ كان طامعَاً في المَال، وعند قرب نهَايته أظهر مخَالفته للخليفة، فخلق جملةً من المشكلات، وأمر بذلك طوس، وعلى وجه الخَصوص كان قتل سنباد وسيلةً للتّقرّب إلى الخليفة، زيَادةً على ذَلِكَ فَإنّه لا يُستبعد أن يكون قتل طوس لـ سنباد بخلاف رغبة الأصبهبذ مظهرَاً للتّكبر، ولم تنته قصّة الاستيلاء على خزائنِ وتركةِ أبي مسلم إلى هذا الحدّ، فقد استولى على جزءٍ من أموال جهور عند انكسار سنباد، وحِينَما كتب جهور هذا الخبر إلى الخليفة، أجاب الخليفة، بطلب أموال أبي مسلم وسنباد من الأصبهبذ، فسمع الأصبهبذ هذا السّؤال، فَأرسل رَأس سنباد مع الهدايَا عن طريق حَاجبه فيروز، ولكن لم تمتلئ عين الخليفة من ذلك، وكتب إليه رسالةً بضرورة إرسال الأموال إلى الدّيوان، لم يقبل الأصبهبذ هذا الطّلب، فلمَّا سمع الخليفة هذا الخبر، أرسل ابنه إلى الرِّيِّ، وأمره بأخذ ابن الأصبهبذ المُسمّى هرمز، وفرض الطّاعة على الأصبهبذ، فَأجَاب: إنّ ابني طفلٌ، وليس له القدرة على تحمّل السّفر، فكتب المهديّ إلى ابنه أصرّ على هذا المطلب، ولمَّا عصى الأصبهبذ من أجل كسب ودّ الأصبهبذ، ووعده بالمُلك، ففرح الأصبهبذ بذلك، فَأرسل خرَاجَ أصفهَان إلى الخليفة، ولمَّا وصل الخرَاج إلى الخليفة ازداد طمعه، ولمَّا لم يكن من السّهولة السّيطرة على الرِّيِّ، عمد إلى الحِيلة في دخول الجيش إلى داخل طبرستان، وهذا الفتح الأوّل إلى طبرستان (من أجل التّفصيل رَاجع تاريخ ابن اسفنديَار والطّبريّ القسم الثّالث، ص136– 137). وقد أغار جهور على أموال أبي مسلمٍ وسنباد،

ويذكُر البلعَميُّ في هذا الخَصُوصِ أنَّ «سَنْباد انهزم، فرَجَعَ إلى الرِّيِّ، ثمَّ تقَهْقَر إلى جرجان، فَألقى أصبَهبَذُهَا هرمزين بن الفرخَان- الصَّحِيح ونداد هرمز بن الفرخَان، ولكنَّ أصبَهبَذ طبرسْتان حَمَلَ هذا الاسْم في هذه السَّنة وحتَّى سَنَة 142ـ ألقى القَبْضَ عليه، وقَتَلَه، بأمر المنصُور».[1] «ووَقَعَ قَتْلُ سِنْباد بيْن طبرسْتان وكومش»[2].

ويذكر المسعوديُّ والمَقدسيُّ وابنُ الأثير أنَّ طُول ثورةِ سِنْباد منذُ خروجِه حتَّى مَقْتَله كان سبعِين يومَاً، وكان ذَلِكَ بعد أشْهرٍ مِن مقْتَل أبي مُسْلمٍ.[3] وقُتِل أبو مُسْلمٍ لخمْس ليَالٍ بَقِيْنَ مِن شَعبان سَنَة

وفُقد بعد مقتل سنباد، لكنّه لم يرسل تلك الأموال إلى الخليفة، وخشي أن يستولي عليهَا بالكامل، فلذَلِكَ عصى ولم يطع الأوامر، فَأرسل أبو جعفر محمّداً بن الأشعث إلى الرِّيِّ. فتحرّك جهور إلى جهة أصفهَان، واستولى على تلك المدينة، فدخل محمّد بن الأشعث الرِّيِّ، وأرسل جيشاً إلى جهور، وبقي هو مع جمعٍ صغيرٍ في الرِّيِّ، فقَالَ أصحَاب جهور: أرسلْ ثلّة من الجيش إلى محمّدٍ بن الأشعث وأكْثِره، فعمل جهور على السّرعة بذلك، لكنّ الخبر وصل إلى محمّدٍ الذي احتاط لذلك، ثمّ جاء جيشٌ من خرَاسان من أجل العون، فَالتقى الطَّرفان في قصر فيروزان بين الرِّيِّ وأصفهَان، وجرت حربٌ طاحنةٌ، وكانت نخبةٌ من الفرسان مع جهور؛ لكن نتيجة قلّة العدد، فرّوا، وقُتل عددٌ كبيرٌ من أصحَابهم، ثمّ ذهب إلى أذربيجان، وفي الأخير، قُتل عند النّهر الأبيض، وحملوا رَأسه إلى المنصور، وأرسل محمّدٌ بن الأشعث أمواله وخزينته= =إلى المنصور، وكان هذا في سنة مئةٍ وثمَانٍ وثلاثين (رَاجع الطّبريّ القسم الثّالث، ص122، وابن الأثير،ج5، و ص370 وترجمة الطّبريّ الورقة 406).

(1) ترجمة البلعيّ، الورقة 406 الوجه.

(2) الطّبريّ القسم الثّالث ص120 وابن الأثير ج 5، ص368.

(3) يذكر المسعوديّ أنّ هذا الأمر وقع في سنة (136هـ) بينمَا يذكر نظام المُلك أنّ ذَلِكَ وقع في سنة (138هـ) وهذان التّاريخَان همَا خطأٌ؛ لأنّ أبا جعفر، وصل إلى الخلافة في الثّالث عشر من ذي الحجّة وأنَّ أبا مسلمٍ قُتل في

(137هـ)، ويذكر البلعميُّ أنَّ حَرَكَة سِنْباد، بَدَأَت بعد مقْتَلِ أبي مُسْلم بشَهريْن. وبحَسَبِ قولِ المُؤرِّخِين فَإنَّ معَارضَته اسْتمرّت سَبعِينَ يومَاً؛ وبنَاءً على ذلِكَ، فَإنَّ مقْتَلَ سِنْباد يجب أن يكون وَقَعَ في بداية محرَّم سَنَة (138هـ)[1] ونستنتجُ مِن تأكيد معظَم المَصَادر وقُوعَ الحَادِثَة في سَنَة (137هـ) أنَّ قولَ البلعميِّ هو تقْريبِيٌّ، وأنَّ بدايَةَ حرَكَة سِنْباد، ليْسَتْ قبْلَ شهرين لقَتْلِ أبي مُسْلم، وإنَّما في الشَّهر الثَّاني لقتْله! إلَّا أنَّ الأمْرَ اللَّافت للنَّظَر في حَرَكَة سِنْباد هو سُرعَة تطَوُّرهَا، إذ إنَّه خلال شَهرين فقط مِن بدء دعْوَتِه النَّاسَ سيْطَر على أقَالِيم خُرَاسَان وكومش والرِّيِّ، وتحرَّك مع تسْعِين ألفَاً مِن أتبَاعِه إلى العِرَاق، وهذا أمرٌ غيْر طَبيعيٍّ. لكنَّ الشَّيء الذي يجبُ البَوْحُ به، هو أنَّنَا لا نعلم على وجْه الدِّقَّة الأسْبابَ الحَقيقيَّة التي أدَّتْ إلى الانكِسَار فيمَا بعْدُ، لاسِيَّما إذا أخَذْنَا بعَيْن الاهتِمَام أنَّ عَدَدَ أتبَاع سِنْباد هم أكثرُ مِن العَربِ! كمَا إنَّ قصَّة ابنِ الأثير وابن الطَّقطقيِّ لا تقدِّم قنَاعةً كافيةً! زيَادةً على أنَّ موتَه غيرَ الطَّبيعِيِّ يثِيْرُ الكثِيرَ مِن التَّساؤل. وعلى الرَّغْم مِن كلِّ ذَلِكَ نجد عوامِلَ عِديدةً مهمَّةً في قَتْلِه، منهَا كثْرةُ عدَدِ الإيرَانيِّين غيْر الرَّاضِينَ عن حكومَة العَبَّاسِيِّين، وتجمُّعُهم حوْل العدِيْدِ مِن الأعوان حِينمَا كان جهورُ على خِلافٍ مع الخَليفَة، كذلِكَ فَإنَّ تعلُّق الإيرَانيِّين بـ أبي مُسْلم أوصَلَه إلى رتْبَة النَّبيِّ المُرسَل، زيَادةً على الشُّهرة التي نَالهَا بعد قَتْله، فَقَد عَدُّوا سِنْباد خَليفَتَه. ويبدو أنَّ هذا الأمْرَ كان فَاعِلاً لكُلِّ الثَّورَات اللَّاحِقة، كمَا كانَ واحِداً مِن أهَمِّ المُحفِّزاتِ الوَطَنِيَّة.

الخمس الأخيرة من شعبان سنة (137). و لذَلِكَ فَإنّ رَأي المسعوديّ غير صحِيحٍ، وكذلك نظام المُلك المخَالف لكلام المؤرّخين.

ويُشار أخيرَاً إلى أنَّ حَرَكَة سِنْباد تُعَدُّ أكْثَرَ تَمَيُّزاً مِن حَرَكَة (به آفريد)، فَقَد اضْمَحَلتْ حَرَكَة (به آفريد) بعد موتِه وذابَتْ في الفِرق الأخْرى، لكنَّ سِنْباد جَمَعَ الآرَاء المُتفَرِّقةَ باسْم أبي مُسْلمٍ، وبقِيَ عَدَدٌ كبِيْرٌ مِن أتْباع سِنْباد أوفيَاءَ له بعْد وفَاتِه؛ ويذكُر الشّهرستانيُّ[1] أنَّه كان للغُلاة في كلِّ مكانٍ اسمٌ، وأُطلقَ عليْهِم في الرِّيِّ اسْمَا المزدكيَّة والسِّنباديَّة. ويذكُر مؤلِّف كتَاب (تبصرةُ العوامّ)[2] أنَّ الغُلاة في قزوينَ والرِّيِّ، سُمُّوْا مزدكيِّين وسِنْباديِّين. وقَدْ بيَّنَا هذا الأمْر في المبحَث الخَاصِّ بالخرَّميَّة.

(1) الملل والنّحل، ص132.

(2) طبعة السّيّد إقبال، ص180.

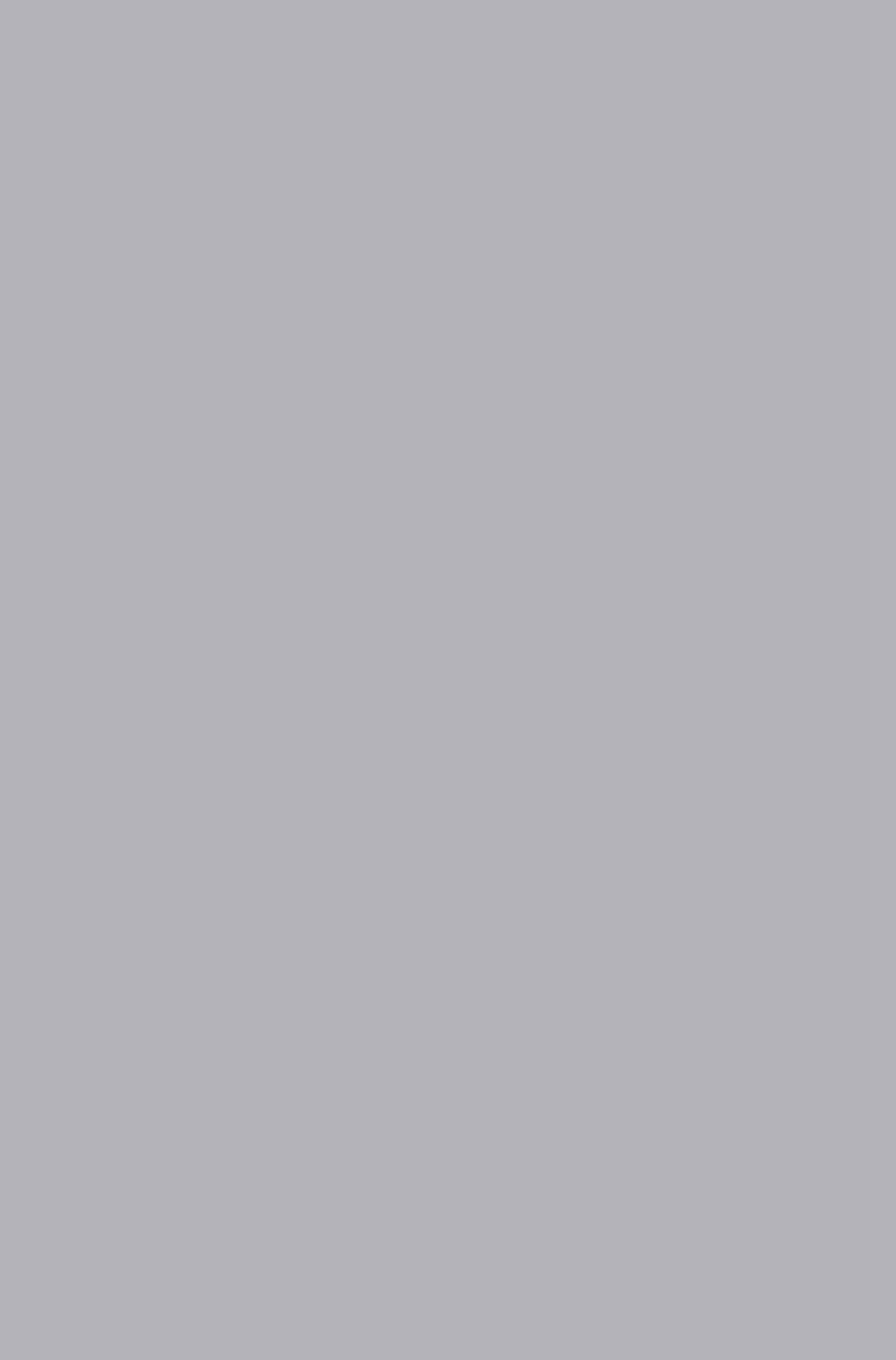
الفصل الثّالث

إسْحَاق

أوَّلاً: المَصَادر.

ثانيَاً: أصولُ حرَكَة إسْحَاق وتطوُّرهَا.

ثالثاً: عقائدُ إسْحَاق.



«أوَّلاً: المَصادرُ»

وَرَدَت إشَارَاتٌ عن هذه الحَرَكَة في مَصْدرَيْن فقط، الأوَّل كتابُ (الفِهرسْت) لابن النَّديم،[1] والثَّاني كتاب (زينُ الأخبار) لأبي سعيدٍ عبدِ الحَيِّ بنِ الضَّحَّاك بنِ محمودٍ الكرديزيِّ، الذي كَتَبَه للملك عبد الرَّشيد بنِ مسعودٍ محمودٍ بنِ سبكتكين.[2] بين العَامَيْن (441–444هـ).

فقد ذَكَر المُؤلِّفُ في المَوْضِع الأوَّل ثلاثَ روايَاتٍ مختَلفةٍ عن بعْضِهَا، كَمَا إنَّ مَصَادر الرِّوايتَيْن الأولَى والثَّانية غيرُ معروفَةٍ؛ لكنَّ ابنَ النَّديم ذكَر مصْدرَ الرِّوايَة الثَّالثَة، وهو كتَاب (أخبارُ مَا ورَاء نهر خُرَاسَان)؛ ولا نعْلَمُ على وجْه الدِّقَّة مَن هو صاحبُ هذا الكتابِ،[3] كَمَا إنَّ هذا المُصَنَّف مجْهُولٌ بالنِّسْبة لي! ويُذكر أنَّ روايتَه قد سَمِعهَا مِن إبرَاهيمَ بنِ محمَّدٍ الرَّجلِ العَارفِ بأمُور مُسَيْلمَة؛ ويُضاف إلى ذَلِكَ أنَّ شخصيَّة إبرَاهيمَ بنِ محمَّدٍ هذا غيرُ معرُوفةٍ أيضاً لكاتِبِ هذه السُّطُور. وقَدْ نَقَلَ ابنُ النَّديم فقرةً عن البلخيِّ حوْل كتابِ

(1) الصّفحَات 344– 345.

(2) مخطوطة كمبريج الورقة 73 الوجه.

(3) ذكر ابن النّديم في الصّفحة 345 في الأسطر 12و13 «قرَأت الأخبار القديمة والحديثة لأهل خرَاسان بخطّ رجلٍ من أهل خرَاسان». وربّما هو ذات كتاب (أخبار مَا ورَاء النّهر وخرَاسان).

الخرَّميَّةَ وذَكَر في موضِعِ آخرَ مِن الكتَاب[1] التَّالي: «وقَد استقْصَى البَلخيُّ في كتاب عيونِ المَسَائلِ والجوابَاتِ أخبَارَ الخرَّميَّة ومَذاهِبَهم وأفعَالَهم في شُربِهم ولَذَّاتِهم وعبَادَاتِهم». لكن على الرَّغْم مِن عَدَم تصْريح ابنِ النَّدِيم أي البلخيِّ في هذين المَوضِعَين، إلَّا أنَّه مِن المَعلُوم أنَّ أبا القَاسِم ليسَ عبدَ الله بنَ أحمدٍ بنِ محمودٍ الكعبيَّ البلخيَّ المتكلِّمَ المعتزليَّ؛ فقد كانَت وفَاةُ ابنِ البلخيِّ بحسَبِ قوْلِ ابنِ خلِّكانَ في مُسْتهلِّ شَعبانَ سَنَة (317هـ)، وبحسَبِ قولٍ آخَرَ كان سَنَة (319هـ/ 931م)؛ لأنَّ المسْعوديَّ اطَّلع على الكتَاب المَذكُور، وقَرَأه، وسَمَّى مؤلِّفَه باسْم أبي القَاسِمِ البلخِيِّ.[2]

إلَّا أنَّه يمكِنُ التَّأكيْد ـ إلى حدٍّ مَا ـ على أنَّ روايَة زينِ الأخْبَار مُتمِّمةٌ لمَعلومَات ابنِ النَّديم مع توضِيحهَا لحَرَكَة جيشِ أبي داودَ خَالدِ بنِ إبرَاهيمَ، وتمرُّدِ عبْد الجبَّار بن عبدِ الرَّحمَنِ الأُزديِّ خَليفتِهِ. ولَمَّا كان الكرديْزيُّ قد اسْتقَى مَعلومَاته عَن أَكْثَرِ وقَائعِ خُرَاسَانَ في القُرونِ الثَّلاثَةِ الأولَى مِن كتابِ (التّاريخُ في أخبارِ ولَاة خُرَاسَان) الذي ألَّفَه أبو عليٍّ الحسينُ بنُ أحمدَ السُّلاميُّ البيهقيُّ النَّيْسابُوريُّ[3] المُتوفَّى في سَنَة (300هـ)... فَإنَّ مِن المُحتَمَل أنْ تكونَ مَعلومَاته عن حَرَكَة إسْحَاق ودعْوَتِه مُسْتقاةً مِن كتابِ السُّلاميِّ.[4]

وقد أُشِير إلى حَرَكَة إسْحَاق وسِيرتِه في مَوْضِعَيْن اثنَيْن مِن

(1) مروج الذّهب، ج 1، ص156.

(2) م.ن ج1 ص156.

(3) في يتيمة الدّهر ج 4 ص29. أو أبو الحسن علّي بن أحمد السّلاميّ؛ ابن خلّكان طبع باريس ج1 ص 333و369و577 (طبع مصر 581 ج1ص610و ص463– 482 ج2) وكشف الظّنّون ج2 ص477 389.

(4) تركستان بارتولد ص21.

درَاسَات المُستشْرِقِين. فَالأوَّل في (تاريخ الأدب الفَارسيّ) لـ (إدوارد برَاون) فقد تَرجَم باختصَارٍ الرِّوايَةَ الموجُودَةَ في كتَاب الفِهرِسْت.[1] والثَّاني كتاب (تركستان) للمسْتشْرقِ الرُّوسِيِّ (بارتولد)، إذ اخْتَصَرَ الرِّوايتَيْن المَذكُورتيْن، ودمَجَهُمَا.[2] ومَا لا يحْتَاجُ إلى التَّذكِير أنَّ معْلُومَاتِنَا عن حَرَكَة إسْحَاق أقلُّ مِن معْلُومَاتِنَا عن كلِّ الحَرَكَات الأخْرى؛ ويعُودُ السَّببُ في ذَلِكَ إلى أنَّ اسْمه لم يُذكَر في الكُتُبِ التَّاريخِيَّة كلِّهَا، ولا أيُّ شيءٍ يشِير إليه؛ كمَا إنَّه لم تتمَّ الإشَارةُ إلى كلِّ المعْلُومَات عن هذه الحَرَكَة الدِّينيَّة في المَصْدَرِيْن المَذْكُورَيْن.

ثانياً: «أصولُ حركة إسْحَاق وتطوُّرهَا»

عندمَا قَتَلَ أبو جَعْفرٍ المنصورُ أبَا مُسْلم في شَعبانَ سَنَة (137هـ) كان أتبَاعُ أبِي مُسْلمٍ متفرِّقِينَ فَهَمَّ بعْضٌ منْهُم بالدَّعوَة إليه؛ وقَدْ كان مِن بينهم إسْحَاق، حَيْثُ عَمِلَ بيْن التُّرك في بلادِ مَا ورَاء النَّهر؛ ولِذَلِكَ فقد عُرِفَ بـ (إسْحَاقِ التُّرك) غيْر أنَّ في نَسَبِهِ اختلافَاً كبِيرَاً؛ فقد قَالَ بعْضٌ مِن المُؤرِّخين إنَّه مِن العَلويِّين ومِن أتبَاع يحْيى بنِ زيدٍ بنِ عليٍّ الذي كان قد قُتِلَ في عهْدِ نصْرِ بنِ سيَّار في جُرجَان سّنّة (125هـ). وفرَّ إسْحَاق خوفاً مِن الأمَويِّين؛ واسْتَقرَّ في تلْك النَّواحِي؛ وعُرِفَ مذْهَبُه منذ ذَلِكَ الوقتِ؛ فيمَا قَالَ صاحِبُ كتاب (أخبارُ مَا ورَاء خراسان): إنَّ إبرَاهيمَ بنَ محمَّدٍ كان عَارفَاً بأمُور مُسَيْلمَة، وأخْبرَه بأنَّ إسْحَاق رجُلٌ مِن بلاد مَا ورَاء النَّهر؛ وكان أمِّيَّاً مِن أتبَاع الجِنِّ. وعنْدمَا سُئِلَ عن سَبَبِ مجِيئِه، أعطَى الجَوابَ بعدَ

(1) المصدر ذاته؛ ص314 – 315.

(2) الكتاب ذاته؛ ص199.

ليْلةٍ بأنَّه جاءَ لطَلَبِ دمِ أبي مُسْلمٍ، فدعَا النَّاسَ إليه.

وعلى أيَّة حَالٍ فَإنَّ تسْميَته بـ إسْحَاق تُضْعِفُ مِن احْتِمَالِ أن يكونَ معْتَقِداً بإحْدى الفِرقِ الإيرَانيَّة، إذ يُوحِي اسمُه الإسْلاميُّ بأنَّه كان معْتَقِداً بالدِّين الإسْلاميِّ، ثمَّ ارتدَّ إلى دِيْنِهِ القدِيم! ولا نمْلِك خبَرَاً مُوثَّقاً عن زمَانِ حَرَكَة إسْحَاقَ ومرْكزِهَا و كمْ عددُ أتباعِهِ ولا هويَاتِهِم. وقَدْ كان أبو داودَ خَالدُ بنُ إبرَاهيم عند ثوْرتِه عَامِلاً على خُرَاسَان، حَيْثُ كان أبو مُسْلم اسْتَخْلَفَه عنْد ذهَابِه إلَيهَا؛ ولَمَّا قُتِلَ أبو مُسْلمٍ بقِيَ في عَمَلِهِ؛ لكنَّ إسْحَاق دَحَرَ جيشَ هذا العَامِل. وقَدْ مَات أبو داود في سَنَة (140هـ) ثمَّ قامَت حَرَكَةُ إسْحَاق مَا بيْن السَّنتين (137) و (140هـ). ويذكُر الطَّبريُّ في سَبَبِ موتِ أبي داودَ أنَّ نَاساً مِن الجنْد ثارُوا عليه وهو نَازلٌ ببابِ كشهمِين في باب مروَ، ووَصَل الثُّوار إلى بيْتِه؛ فصَعِد أعلى حَائطِ البيْتِ ينَادي أصْحَابه و يسْتنصِرُهُم، فوَقَع عنه ومَاتَ مِن يومِهَا.[1] فيمَا أوْرَدَ الكرديزيُّ أنَّ أبا داود قُتِلَ في سَنَة (140هـ) على يد رجُلٍ مِن فرقَتِه.[2]

لم تضْمَحِلَّ فرقَةُ أبي داود بوفَاتِه ولم تضْعُفْ، فقَدْ كان خليفتَه عبدُ الجبَّار بنُ عبدِ الرَّحمَن الأزديُّ الذي جَاء في ربيعِ الأوَّل سَنَة (141هـ) إلى خُرَاسَان؛ وأدام الثَّورَةَ، ولَمَّا وَصَلَ قَتَلَ عدَداً مِن القُوَّاد العسْكَرِيِّينَ في خُرَاسَان، وسَجَنَ عَدَداً آخرَ؛ وحِينَ عَلِمَ أبو جعْفَرٍ بذلِكَ رغِبَ في عزْلِهِ. فحَمَّلَ ابنَه المهْديَّ رسَالةً إلى خُرَاسَان مع جيْشٍ كبِيرٍ، ولمَّا سَمِعَ بهذا الخَبَر، أعلنَ عصْيَانَه، ورَفَعَ رَايَة المُعارضَة

(1) الطَّبريّ، القسم الثَّالث، ص128.

(2) مخطوطة كمبريج، الورقة 37 الوجه.

في وجْه العَبَّاسِيِّين[1] والتَحق بالثُّوَّار ورئيسِهم المُسَمَّى برَّاز، وقد كانَ هذا في سَنَة (142هـ) حَيْثُ أرسَلَ المَهْديُّ خَازمَ بنَ خُزيمَةَ في الطَّليعَة، وحَضَرَ هو بنفْسِه إلى نيسَابور، ولَّما وَصَلَ خَبَرُ خَازمٍ إلى أَهْل مروَ الرّوذ دفَعَ ذَلِكَ عبدَ الجَبَّار إلى القتَالِ وكانَ ذَلِكَ في ربيعٍ الأَوَّل سَنَة (142هـ) فَانْكَسَرَ وَفَرَّ، وكانتْ عَاقبةُ مجشرَ بنِ مُزاحمٍ مِن أَهْلِ مرو الرَّوذ الأَسْرَ وحِينَما وَصَلَ خَازمٌ التَجأَ إليْه، فَأَرْسَلَه خَازمٌ إلى المَهْديِّ، فَأَمَرَ بحمْلِهِ إلى العِرَاق وقَتَلَهُ وقد شَنَّعَ الخليفةُ في ذلِكَ.[2]

«ثالثاً: عقائدُ إسْحَاق»

ليسَ لديْنَا معْلُومَاتٌ عن هذه الفِرقَة بعد انكِسَار عبد الجبَّار وفِرَاره، لكنَّ في عقيْدَة إسْحَاق شَبَهَاً كبِيرَاً لعقِيدَة أتبَاع سِنْباد وقَدْ ادَّعَى أنَّ أبا مُسْلم حَيٌّ ومُقيمٌ في جبَال الرِّيِّ، وأنَّه سَيَخْرجُ في وقْتٍ مُعَيَّنٍ! وعلى وَفْقِ إحدى الرِّوايَاتِ التي نَقَلهَا ابنُ النَّدِيم فَإنَّ إسْحَاقَ دعَا النَّاس إلى رسَالَة مُسْلم بعد قَتْلِه، وقَالَ: إنَّ أبا مُسْلم نبيٌّ أرسَلَه زَرَدَشْت وإنَّ زَرَدَشْتَ حَيٌّ لا يمُوت، وسَيَظْهَرُ لإحْيَاء دَيْنِه.

يبدُو أنَّ هذه الآرَاءَ المُتعلِّقة بأصْحَاب هَاتَيْن الحَرَكَتَيْن (زَرَدَشْتُ الحَيُّ) و (أبو مُسْلمِ النَّبيُّ) كانت جدِيدةً على إسْحَاق، ويبْدُو كذلِكَ أنَّ شُروعَ إسْحَاقَ في الدَّعْوة لِدِينِه في منَاطِقِ التُّرْكِ أو بِلادِ مَا وَرَاء النَّهر كان مُؤَثِّرَاً بسَبَبِ تَأَثُّرهِ هو بتلْك الفِكَرِ الشَّائِعَة هنَاكَ لاسِيَّما العقيدةِ الزَّرَدَشْتيَّة التي بُنيَتْ على فِكْرَة (المُنْقِذ) الذي يظْهَرُ مِن أبنَاء

(1) الكرديزيّ طبعة طهرَان 1363 ص273. ربيع الأوّل سنة أربعين ومئةٍ.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص133–135.

زَرَدَشْتَ ويخرُجُ على رَأسِ كلِّ ألفِ سَنةٍ، ليُجدِّد الدِّيْن. لكنَّ الفَرْقَ هنَا هو أنَّ أبا مُسْلمٍ قد اسْتَثْمر هذا المَعْنى في حَرَكتِه، مَا يعنِي أنَّه لم يسْتثْمِر مذْهبَ الخَوارجِ والشِّيعَة فحسْبُ، بل إنَّه أيضَاً وظَّفَ الدِّيَانَاتِ الإِيرَانيَّةَ القدِيمَةَ فَقَد سَمَّى ابنُ النَّديم إسْحَاقَ وأتباعَه بـ (المُسَلَّمِيَّة)؛ ويبْدُو أنَّ المُسَلَّمِيَّة هؤلاءِ ينقَسِمُون على فِرَقٍ، مع اختِلافٍ في الآرَاءِ في ذلِكَ! حَيْثُ يذكُر البلخيُّ (أبو قاسم عبدُ الله بنُ الكعبيِّ) أنَّ بعْضَاً مِن النَّاسِ (المُسَلَّمِيَّة) سُمُّوا بـ (الخرَّميَّة). وهذا مَا سنتنَاوله في المبحَثِ المُخَصَّصِ للخرَّميَّة.[1]

(1) مَالاَت الأشعريّ، ص 98.

الفصل الرَّابع

استاد سيس

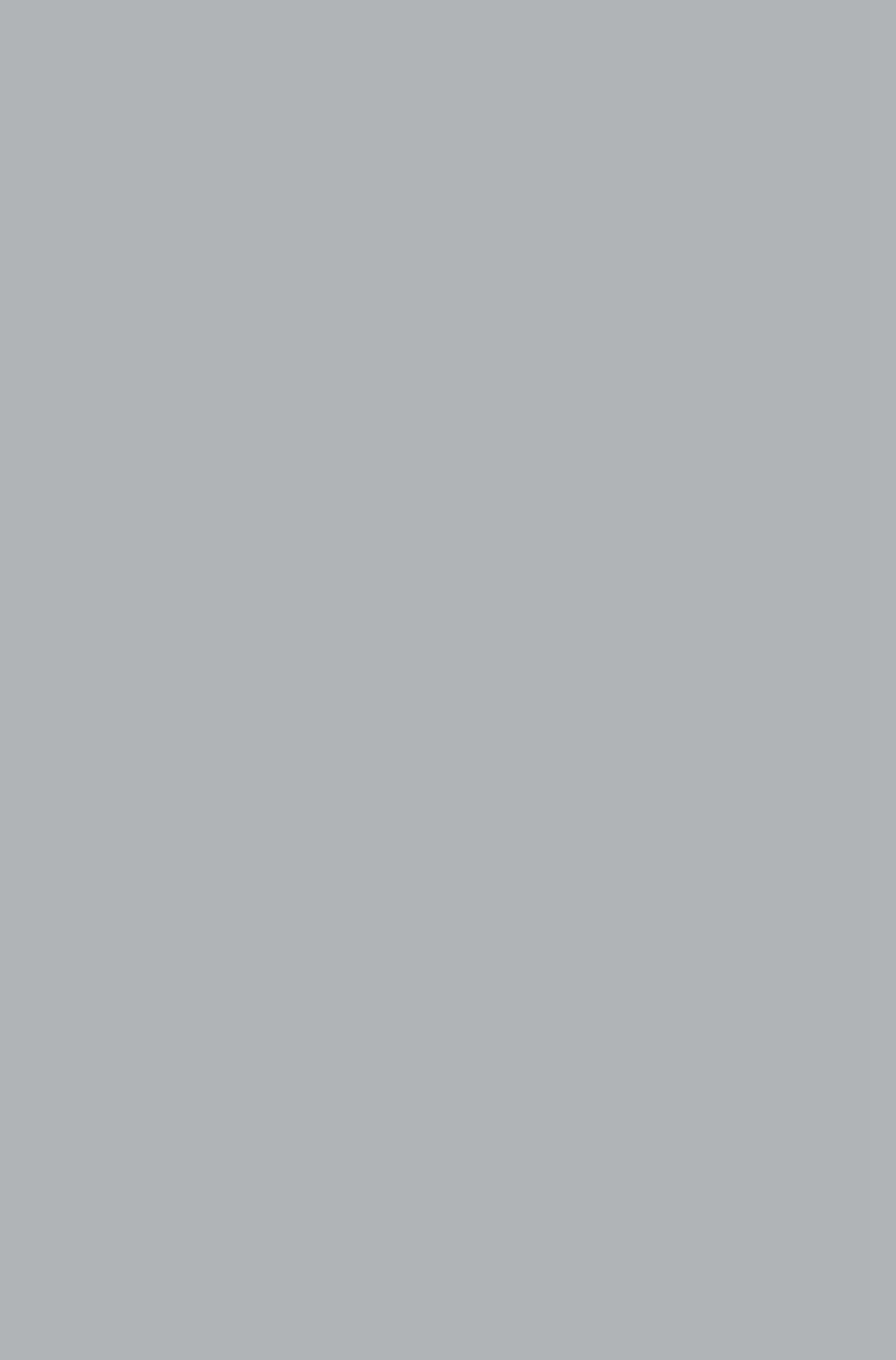
أوَّلاً: المَصَادر.

1ـ المَصَادرُ الأوَّليَّةُ.

2ـ الدِّرَاسَاتُ الحديثةُ.

ثانياً: ظهورُ حرَكة سيس وأصولُهَا.

ثالثاً: القضاءُ على استاد سيس.



«أوّلاً: المَصَادر»

سنقُوم بتَرتِيبِ المُؤلَّفَاتِ التي ذكَرَتْ الحَرَكَة الدِّينيَّة لاستادْ سِيْس بحسْبِ ترتيبهَا تاريخيًّا، وذَلِكَ بسَبب كثْرتِهَا، وَهي كمَا يَأتي:

1. «المَصَادرُ الأوَّليَّةُ»

أوّلاً: اليعقوبيُّ: المُتوفَّى في سَنَة (284 هـ / 897 م) الذي ذَكَرَ في تاريْخِه هذه الحَرَكةَ بشَكْلٍ مُجْمَلٍ[1]

ثانياً: الطَّبريُّ: المُتوفَّى في سَنَة (310هـ). ورَدَتْ أكْثرُ الشُّروحِ تفصِيلاً في كتَابِه (أخبارُ الرُّسُل والمُلوكِ).[2]

ثالثاً: الجهشيَاريُّ: أبو عبدِ الله محمَّدٌ بنُ عبدوس المُتوفَّى في سَنَة (331هـ). تناوَلَ الحرَكَة في كتابَ (الوُزرَاءُ والكتَّاب).[3] نَقَلَ هذا المُؤلِّف الفِقْرة الخَاصَّة بالحِوار الذي دارَ بيْنَ الفضْلِ بنِ سَهْلٍ ذي الرِّئاسَتَين وبيْن المَأمُونِ، وأوْرَدَ ـ على وجْه التَّقريْبِ ـ الحَوادثَ الخَاصَّة بحركَةِ استاد سيس الدِّينيَّة ذاتِهَا التي ذَكَرَهَا الطَّبريُّ.[4]

(1) طبعة هوتسماَ، ص457– 458.

(2) القسم الثّالث، ص354– 358 و ص773.

(3) ص353 طبعة فَان مَاتس يَافه، وطبعة مصر1357هـ ق ص 278.

(4) القسم الثّالث، ص773.

رَابعَاً: البلعميُّ: الذي تَرجَم تاريخ الطَّبريِّ في سَنَة (352هـ) [1]

خَامسَاً: المَقدِسيُّ: المُطهَّرُ بنُ طَاهرٍ المُتوفَّى في سَنَة (375 هـ) في كتاب (البدءُ والتّاريخُ) الذي ألَّفه في سَنَة (355هـ).[2]

سَادسَاً: الكرديزيُّ: في كتاب (زينُ الأخبار) الذي ألَّفَه مَا بين سَنَة (441هـ) وسَنَة (444)هـ.[3]

سَابعَاً: مؤلِّف (مُجْملُ التَّواريخِ والقَصص) الذي ألَّفه في سَنَة (520هـ).[4]

ثامنَاً: ابنُ الأثير: المُتوفَّى في سَنَة (630هـ) في كتاب (الكاملُ في التّاريخ).[5]

تاسعَاً: ابن خلدون: المولُود في سَنَة (732هـ) والمُتوفَّى في سَنَة (803هـ) في كتابِ (العِبَر).[6]

وتُقسَم روايَاتُ هذه المَصَادر على ثلاثة أقسامٍ هي:

روايَاتُ اليَعقُوبيِّ، وروايَاتُ الطّبَريّ؛ وروايَاتُ الجهشيَاريِّ، وروايَاتُ المَقدسِيِّ؛ وروايَاتُ ابنِ الأثير، وروايَاتُ ابنِ خلدون؛

---

(1) مخطوطة المتحف البريطانّي الورقة 418 (الفهرست رقم 7622).

(2) ج6، ص86.

(3) كامبردج الورقة 74 تصحِيح وتعليق عبد الحَيّ حبيبي طبعة1347.

(4) نسخة مكتبة باريس الوطنيّة المجموعة القديمة 62 الورقة 216، طهرَان 1318.

(5) ج5، ص452-454.

(6) طبعة مصر1867 الجزء الثّالث، ص198.

التي يكاد بعْضُهَا يتشَابَه مع بعْضِهَا الآخَر.

وعلى الرَّغْم مِن تشابُهِهَا فَإِنَّ فيهَا اخْتِلافَاً!، حَيْثُ لم يَرِدْ قولُ اليَعقوبيِّ حوْل إرسَالِ سيس إلى العِرَاق في المَصَادر الأخْرى كلِّهَا، كذلِكَ فقَدْ تناوَلَ المَقدسِيُّ بعْضَاً مِن الجُزئيَّاتِ التي لم تذْكُرْهَا المُؤلَّفَاتُ الأخْرى؛ وأمَّا ابنُ الأثيْرِ فقَدْ انْفَرَدَ بالحَديثِ عن عَلاقَةِ أسرةِ سيسٍ مع المَأمُونِ، وهذا غيرُ موجُودٍ في المَصَادر الباقِيَة، أمَّا ابنُ خَلدُونَ، فيبْدُو أنَّه نَقَلَ روايَة ابنِ الأثير كامِلَةً. وتبدُو روايتا البلعَميِّ وصَاحِبِ مُجْمَل التَّواريْخ والقَصَص تلخِيصَاً وترجمَةً لكتَاب الطَّبريِّ. فقَدْ اتَّبَع البلعَميُّ في هذا المَوْضِع ـ كمَا في المَواضِع الأخْرى ـ رواية الطّبريّ، وأضَاف إليهَا مِن مَصَادر أخْرى، كمَا نَقَلَ صَاحبُ مُجْمَل التَّواريخِ المَطالبَ ذاتَهَا التي وَرَدَتْ في تارِيخ البَلعَميِّ.

ويبْدُو أخِيرَاً أنَّ روَايَة الكرديزيِّ حَمَلَتْ جدِيداً حوْل حرَكَة سيسٍ وذَلِكَ عنْدمَا جَعَلَ منهَا حَرَكَةً مُلحَقةً أو ذيْلاً لحَرَكَة (به آفريد).

«2ـ الدِّرَاسَاتُ الحَديثة»

تنَاوَلَ المسْتشرقُون أيضاً هذه الحَرَكَة بالبَحث، فمنهم:

وليَم موير: الذي لم يذكُر في كتابِه المَصَادر التي اسْتقَى منهَا معْلُومَاتِه، وكان عنوانُ كتابه (الخلافة: الظُّهورُ والانحطاطُ والسُّقوطُ).[1]

إدوارد برَاون: في كتابه (تاريخُ الأدبِ الفَارسيِّ). كان أسَاسُ

(1) ص459 (طبع لندن سنة1891).

مقَالَته عن سيسٍ روايةَ الطَّبريِّ واليعقوبيِّ.[1]

بارتولد: في كتابِه المُسَمَّى (تركستانُ حتَّى هجُوم المَغُول). ويبْدُو أنَّ روايَتِه في هذا المَنْحَى موافقةٌ لِروايَة (زينُ الأخبار) للكرديزيِّ.[2]

كرَامر: في دائرة المعَارفِ الإسْلامِيَّة، تنَاول استاد سيس ـ بالشَّرح والتَّفصِيل ـ حوْل هذه الحَرَكَة مُسْتقِياً معْلومَاتِه مِن اليعقُوبيِّ والطَّبريِّ والمَقدسِيِّ وابنِ الأثير.

مَا عدا هذه المَصَادر التي ذَكَرَت استاد سيس، يبْدُو أنَّ (تاريخ سِيسْتَان) أيضاً قد أوْرَدَ ذِكْرَاً لهذه الحَادثَة، لكنْ بصُورةٍ غيرِ مباشِرةٍ في بدايَة مُنتَصَفِ القَرْنِ الخَامِسِ، إذ تنَاوَلَ حَادثةً وَقَعَت في سَنَة (150هـ)، ويبْدُو ـ وهو احْتِمَالٌ قويٌّ ـ أنّه قد أشَار إلى هذه الحَرَكَة[3] تحت اسْم حَرَكَة سيس[4]، ويظْهَرُ أنَّه قد نَقَلَ مَطَالبَ مهمَّةً في هذا الغَرَضِ.

«ثانياً: ظهورُ حركَة سيس وأصُولُهَا»

تزعَّم استاد سيس حَرَكَات التَّمرُّد والعِصْيَان في خُرَاسَان وسِيْستَان في القَرْن الثَّاني الهجريِّ. وقَدْ بدَأَتْ حرَكَتُه في سَنَة (150هـ / 767م) أو أقلَّ مِن ذلِكَ،[5] وقَدْ وقَعَ في هذه المَنطِقَة

(1) ج1 ص317– 318.

(2) ص198.

(3) مقدّمة المصحّح طهرَان،1314.

(4) ص142–143.

(5) ذكر اليعقوبّي هذه الحوادث في سنة 147هـ أمَّا الكرديزيّ (زين الأخبار، ص 124– 125) فقد ذكر أنّ استاد سيس البادغيسي وقعت حوادثه في زمَان حكومة اُسيد بن عبد الله الخزاعيّ في رمضان من سنة (150هـ) في

(البادغيس) الكثِيرُ مِن حَرَكَاتِ التَّمَرُّد،[1] فقَدْ ثَارَ في هذه المَنْطِقة (به آفريد)، ومَا زالَ أتْبَاعُه حتَّى الآن يعِيشُون فِيهَا.[2]

انتشَرَتْ حَرَكَةُ استاد سيس بسُرْعَةٍ كبِيرةٍ في هرَاتَ وكانج وأقسام أخْرى مِن خُرَاسَان وأقسَامٍ مِن سِيْستَان. وتُعدُّ ـ على وجْه الإجمَالِ ـ مِن الحرَكَات الدِّينيَّة والسِّيَاسيَّة والاقتصَاديَّة والاجتماعيَّة ضدَّ العَرَب وضِدَّ الإسْلام التي وَقَعَت في القُرون الإسْلاميَّة الأولى، وتدلِّل مِن دُونِ شَكٍّ على عدَم الاسْتقرَار واضْطرَابِ الأوضَاع بشَكْلٍ عَامٍّ، كمَا إنَّهَا تُظْهِرُ ضعْفَ الحُكومَةِ العَربِيَّة هنَاك.[3]

ومِن المُحْتَمَل أن يعودَ الجُزْءُ الأوَّل مِن اسْم استاد سيس إلى أصُولٍ فَارسِيَّةٍ، ثمَّ أُضيفَ إليه جُزءٌ آخَرُ مِن الأسْمَاء القَديمَة،[4] ولكنَّ معْنى الجُزء الثَّاني لا يُعرفُ على وجْه التَّحْديْد. إلَّا أنَّ اسْم سيسٍ يَأخُذُ ـ على وجْه الإجمَال صُورةً مُطلَقةً،[5] أو هو اسْمٌ تركِيبِيٌّ للأشْخَاص واسْمٌ للأمْكِنَة، وقَدْ شَاعَ هذا الاسْم كذلِكَ بيْن

خرَاسان (مرد) أمَّا الطَّبريّ ومن سار في ركبه من الكتّاب فقد ذكر أيضاً أنّ قيَام هذه الحركة قد وقع في سنة (150هـ).

(1) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص416-424؛ الكرديزيّ، زين الأخبار تحقيق حبيبي، 106، 117.

(2) انظر الكرديزي، زين الأخبار، 125، وباستثنَاء به آفريديّين، فقد كان يعيش الزَّرَادشتيّون في القرنين الثّاني والثّالث في خرَاسان وسِيْستَان، كذلك شخصٌ آخر عُرف بالمقنَّع (حمد الله المستوفي – نزهة القلوب).

(3) إنّ أكثر هذه الحركات ـ باستثنَاء حركة به آفريد واستاد سيس ـ قد جعلت من دور أبي مسلم الخرَاسانيّ دورَاً خَارقاً للعَادة، وأخذت منه الحمَاسة (الدِّينيّة والرّوحِيّة).

(4) الباقية، ص25.

(5) في مورد الأشخَاص ذكر ابن النّديم أنّ خليفة مَاني حمل هذا الاسم، ص397.

النَّصَارَى،[1] واستَعمَلُوه في تسْمياتِهِم.[2] وليسَتْ لدَينَا معْلومَاتٌ دقِيقَةٌ عن أحوْال استاد سيس قبْلَ حرَكَتِه، فقَدْ عرَّفه الكرديزيُّ بأنَّه (بادغيسي)،[3] فيمَا اختَصَر ابنُ الجَوزيِّ على وجْهِ التَّقريْب ـ روايَة الطَّبريِّ وضمَّنهَا كتَابَه،[4] كمَا يبْدُو أنَّ السَّيوطيَّ قدْ أفَاد مِن ابنِ الجَوزيِّ، لكنَّه لقَّبُ استاد سيس بـ (أمير) أو (ملك)[5] فيمَا ذَكَر موبير مِن دونِ الإشَارة إلى مَصَادرِه أنَّه كان حَاكمَ هرَات.[6]

وقَدْ أشَارَ اليعْقوبيُّ إلى حرَكَة استاد سيس ونِهَايتِه ضِمْنَ حوادث سَنَة (147هـ) إذ ذَكَرَ الفِقرةَ الآتيَة "فبايَعَ المنْصُورُ بولايَة العَهْد لابنِه المَهْديِّ سَنَة (147) ولم يبقَ أحَدٌ إلَّا دَخَلَ في البَيْعَة، وجَعَلَ لعيسَى ولايَة العهْد بعدَ المَهْديِّ والمَهْديُّ يومَئذٍ بخُرَاسَان، وأتَتْه كتُبُ أبيه بالبَيعَة له، فبَايَعَ مَن مَعَه مِن القوَّاد وأهْلَ خُرَاسَانَ جميعَاً، خلا بابغيس، فَإنَّه خَالَفَ بهَا استاد سيسٍ وادّعَى النُّبوَّة. ويُظْهِرُ هذا الخَبرُ أنَّ بدايَةَ حرَكَةِ استاد سيسٍ، كانت قَبْلَ سَنَة (150هـ) وأنَّهَا تلَقَّتْ دعْمَاً محَلِّيَّاً،[7] وأنَّه اتَّبعَه أنَاسٌ كُثُرٌ في مُدَّةٍ قَليلَةٍ فكانُوا ثلاثَ

(1) الاثار الباقية، ص294.

(2) للنّظر في معَاني وأصول كلمة سيس – يُنظر: دهخدا، لغه نَامه؛ صَادق كيَا، ألفَاظ الطّبريّ، ص125؛ القزوينيّ ذات الكتاب.

(3) زين الأخبار، ص124.

(4) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم مخطوطة المكتبة الوطنيّة تحت الرّقم 191 الورقة 37 ب؛ النّسخة المطبوعة حوادث سنة (150هـ) (حِيدر أباد، 1359).

(5) تاريخ الخلفَاء، مصر، 1351ق، ص174.

(6) الخلافة ظهورهَا وانحطاطهَا، 159.

(7) لَمّا كانت بيعة المهديّ في سنة (147هـ) وقد ذكر اليعقوبيّ تمرّد أستاد سيس في هذه السّنة، فمن المحتمَل جدّاً أن يكون قول اليعقوبيّ هو أصحّ الآرَاء، وأنّ ثورته قد بدأت في هذه السّنة، وأنّه قد أعلن عنهَا بشكلٍ صريحٍ بعد

مئَة ألفٍ، وقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ كُلٌّ مِن الطَّبريِّ والمَقدسِيِّ والكرديزيِّ وابنِ الجوزيِّ وابنِ الأثير وابنِ خلدونَ، وهم مِن طبقاتٍ مختَلفَةٍ.[1] وربَّمَا يشير هذا الأمْرُ إلى عَدَمِ رضَى النَّاس وسَخطِهِم مِن حكومَة العَبَّاسِيِّين وسُوءِ سِيرةِ المنصُور مِن جِهَةٍ،[2] ويشِير مِن جهةٍ أخرى إلى أنَّ هنَاك أرضِيَّةً مسَاعِدةً لبدايَة هذه الحَرَكَة.[3]

ثلاث سنين، أي في سنة (150هـ).

(1) المقدسّي، البدء والتّاريخ، الجزء السّادس،86.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، 183–184و 187 و 209 و 208 و 298 و 328 وبعد؛ الأغاني، الجزء العَاشر 106؛ المقدسيّ، الجزء الرّابع، 31، والجزء السّادس ص90–91؛ تجارب السّلف 108–126.

(3) ومن الممكن القول: إنّ هنَاك عدّة عوامل أدّت إلى الحركة أو النّهضة في باديس وسِيْستَان وهي كمَا يَأتي:
1– المبالغة في أخذ الخرَاج وعدم ارتيَاح النَّاس من ذلك.
2– سوء مُعَامَلة بعضٍ من الولاة.
3– عدم رضى النَّاس عن البلاط العبّاسيّ لاسِيّمَا في الوعود التي قطعوهَا على أنفسهم ولم يعملوا بهَا.
4– الاختلاف المحلّيّ الكبير بين الخوارج والمُسْلِمِين وأهل السّنّة والعيَاريّين ... الخ.
حول عدم رضى أهل سِيْستَان من الأمويّين والولاة في سِيْستَان يُنظر: تاريخ سِيْستَان ص109–110 ص104؛ ورَاجع أيضاً في بداية التّعصّب من جهة العرب في سِيْستَان، لاسِيّمَا بين بني تميمٍ وبني بكرٍ وبين بني بكرٍ بن وائل – تاريخ سِيْستَان ص131 وبعده.
وقد بلغ التّعصّب أوج شدّته في سنة (127هـ) ، وبدأت حروبٌ وغوغاء بين الطّرفين في كلّ سِيْستَان، فكان كلّ طرفٍ يرغب في مساندة زعيمه ص132، وقد دام هذا النّزاع سائر سنة (128هـ)، وبدأت الحروب والفتن في سنة 128، 129، 130هـ. وحول غوغاء سِيْستَان انظر الصّفحة 126–137. وحول ظلم الولاة وسوء مُعَامَلتهم انظر تاريخ سِيْستَان ص (114) وحَاشية ص (115) و ص (118) حتّى إنّه يذكر أنّ العلمَاء أو رجَال الدّين قد ثاروا ضدّ بعضٍ من الظّلمة.
وقد بدأ الاختلاف مع أوّل حربٍ بين الولاة والنَّاس في خرَاسان من

ويبْدُو أنَّ استاد سيسٍ لم يواجِه مَانِعَاً حقِيقيَّاً في معظَم أرَاضِي خُرَاسَان الواسِعة، فتَوجَّه بسببَ ذَلِكَ نحْو مرو.[1] وقَدْ خَرَجَ أجثم المرغوديُّ مع أهْل تلك المَنطِقة لردِّه، فَوَقَعَت بينَهم حَرْبٌ ضَروسٌ، قُتلَ فيهَا أجثمُ مع عَددٍ كبِيرٍ مِن أهْل (مرورود) وفرَّ عَددٌ مِن القُوَّاد.

وكان النَّصْرُ حَليفَ استاد سيس في كُلِّ مرَّةٍ يحدُث فيهَا قتالٌ مع قوَّاد الخَليفَة، فَأرسَلَ المَهْديُّ خَازمَ بنَ خُزيمَةَ مع اثْني عشَرَ ألفِ رجُلٍ،[2] وكان المَهْديُّ حِينِهَا مُقِيمَاً في الرِّيِّ، فَأسْنَد حرْبَ استاد سيس إلى خَازم، فذَهَب إلى طَرَفِهِ غيْر أنَّ خَازمَاً لم تكن له القُدرَةُ أو السَّيطَرَةُ على مُعْظَم قوَّاد جيْشِه، فرَجَعَ إلى نيسْابور، وهي المَكَانُ الجديدُ للخليفة المَهْديِّ، وحَصَلَ منْه على رسَالةٍ يوعِزُ فيهَا إلى جمِيع القُوَّاد بالتَّوجُّه إلى معسْكر خَازم، لاسِيَّما الذين فرُّوا مِن الحرْبِ، فتجمَّعَ نحوُ اثنينِ وعشْرينَ ألفَاً كمَا يروي الطَّبريّ، لكنْ مع هذا لم يسْتطَع خَازمٌ كسْر قوَّةِ استاد سيس ومعَاونِه حريشٍ السِيْستَانيِّ،[3] ممَّا دعَا المهْديَّ إلى توجِيه جيشٍ طخَارستان لعونِ خَازمٍ، فكَان بقيَادة كُلٍّ مِن أبي عونٍ[4] وعمرَ بنِ سليمٍ بنِ قتيْبَةَ.

وكان خَازمٌ قد حَفَرَ قبْل ذَلِكَ خنْدقَاً حوْل عسْكَره، كمَا

جانب أبي داود الذي كان قد أرسله الخليفة المنصور. انظر تاريخ سِيْستَان: ص 140 وبعد؛ وكان تغيير الولاة المستمرّ= =من جانب الخليفة المنصور (تاريخ سِيْستَان ص141، في سنة (141هـ) عَاملاً مساهمَاً في عدم الطّاعة وعدم استقرَار الأمور في كلّ خرَاسان.

(1) يذكر بعضٌ من المؤرّخين إنّه كان على عَامّة النَّاس. المقدسّي، ج6، ص86.

(2) ابن خلدون، كتاب العبر، بولاق، 1867، القسم الثّالث، 198.

(3) وربّماَ يشير هذا إلى أنّ هنَاك دعمَاً كبيَراً لأهل سِيْستَان في حركة أستاد سيس.

(4) أبو عون عبد الملك بن يزيد على قول حمزة الأصفهَانّي تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبيَاء، ص141.

عَمِلَ بالحِيلَة والتَّدبِير، فكَان له الغَلَبَة على استاد سيسٍ.[1] وقد قُتِل العَددُ الكبيرُ مِن أتبَاعِه، حَيْثُ يذكر الطَّبريُّ والبلعميُّ وابنُ الأثير أنَّ عدَدَهم كان سَبْعينَ ألفَاً، فيمَا يذكر المَقدسِيُّ أنَّهم كانُوا تسْعين ألفَاً. بينَما أشَار الاسفزاريُّ إلى ثلاثين ألفَاً، فيمَا أحصَى كلٌّ مِن الطَّبريِّ والبلعميِّ وابنِ الأثير عدَدَ الأسْرى، وأنَّهم كانوا أربعَة عشَر ألفَاً؛ فيمَا لجَأ استادُ سيسٍ بعد ذَلِكَ مع بعْضٍ مِن أتْبَاعِه إلى جَبَل (جرجستان)،[2] ولكنَّ خَازمَاً ضيَّق الخِنَاق على استادِ سيسٍ وأتْباعِه، ممَّا اضْطرَّهم إلى تقدِيْم اقتِرَاح لهُم بقَبولِهم بحكْم أبي عوْنٍ، وقَدْ قَبِل خَازمٌ بهذا الرَّأي، واقترح علَيهم أبو عونٍ أن يُلقَى القَبضُ على استادِ سيسٍ وأبنَائِه (يذكُر الكرديزيُّ: ابنَه فقط) وأفرَادِ أسْرَتِه، وقد ذَكَر الطَّبريُّ[3] وابنُ الجوزيِّ وابنُ الأثير ثلاثين ألفَ شخصٍ[4] ويُخْلى سَبيلُ البقيَّة.[5] فقَبِلَ خَازمٌ هذا الحكْمَ، وأرسَلَ رسَالةً إلى المَهْديِّ يخْبِرُه فيهَا بأنَّ الله قد أمدَّه بالنَّصر، وأهْلَك عدُوَّه. ويُعتَقَد بأنْ يكونَ هذا الأمْرُ قد وَقَعَ ـ في الغالب ـ في سَنَة (151هـ).[6]

---

(1) لا نعرف على وجه الدّقّة أين وقعت تلك الحرب! لكن يُعتقد أن تكون في بابليس مركز الحركة، وهي تُعدّ من أكثر مَراعي خرَاسان والعِرَاق خصباً (القزوينيّ جهَار مقَالَه عروضي، ص31).

(2) يُعتقد أن يكون هذا الملجأ في شرق بابليس، وهي نَاحِيةٌ جبليّةٌ معروفةٌ بـ جرجستان.

(3) الثّالث، ص358.

(4) روى الطّبريّ تفَاصيل أكثر، إذ ذكر أنّ استاد سيس مع عددٍ قليلٍ من أتباعه التجأ إلى الجبل، ويقول في هذا: إنّه قد اشترط تخلية سبيل الثّلاثين ألفَاً، ووافق خَازم على ذلك، ولا يمكن القبول بالخبرين معَاً! فَالخبر الأوّل يبدو منطقيّاً، أمَّا الثّاني فإنّه يظهر أنّه كُتب بعد الحَادثة.

(5) الطّبريّ ص358.

(6) الطّبريّ، الجزء الثّالث، ص358؛ الاسفزاريّ؛ روضات الجنَّات تحقيق

وقد خَلَطَتْ بعْضٌ مِن المَصَادر مَا بين حرَكَة استاد سيس وحَرَكةٍ أخْرى سُمِّيت بـ (باب بست[1] سِيْستَان)، وكان رئيسُهَا رجُلاً مِن اللّوغريِّين،[2] يُعرفُ بـ (محمَّدٍ بنِ شدَّادٍ).[3] ولمَّا ملكَ آذرويه المَجُوسيُّ قوَّةً - ويَظْهَرُ أنَّه مِن المَرَازبة المَجُوس ومِن زعمَاء

السّيّد محمّد كاظم إمَام، طهرَان، 1338، ص49 (بنقل عن عبد الله الفَاني) ؛ ابن الأثير، الكامل، الجزء الخَامس، ص454.

(1) بست من مدن سِيْستَان المهمَّة والتي تقع إلى الشرّق، وبينهَا وبين زرنك حوالي خمسةُ أيَام (معجم البلدان، حَاشية سجستان؛ لكن في كتاب يعقوب بن ليث ورد غير ذلك. يُنظر: بحث الدّكتور باستانى باريزي، ص105).

(2) تاريخ سِيْستَان، ص142- 143، ولا تُعرف على وجه الدّقّة القرَاءة الصحِيحة لهذه الكلمة، فقد ذكر مطهّر بن طاهرٍ المقدسيّ في كتاب البدء والتّاريخ، الجزء الرَّابع، ص26 أنّهم كانوا (اللّوغريّين) جزءاً من عقائد وشرَائع المَجُوس، وأنّهم كانوا فرقةً من فرقهم، وعلى احتمَالٍ قويٍّ أن يكون هذا الاسم قد ورد في تاريخ سِيْستَان بشكله العربيّ، أمَّا المقدسيّ عندمَا ذكر استاد سيس في مكانٍ آخر من كتابه (الجزء السّادس، ص86)، فقد ذكر أنّهم كانوا ثلاثين ألف محَاربٍ قد التفّوا حوله من نواحِي غزّ وفرَات وبادغيس وكنج وروستا وسِيْستَانٌ ونواحٍ أخرى، لكنّ تركمَان غزّ لم يكونوا يسكنون في تلك المنطقة وكانت مرَاعيهم في شمَال غرب من خرَاسان (حدود العَالم ص54؛ مروج الذّهب، ج2، ص19، تاريخ البيهقيّ في أمكنةٍ متفرّقةٍ). وعلى العموم فإنّ أهل نواحِي هرَات وبادغيس وكنج روستا كانوا إيرَانيّين (اليعقوبيّ، كتاب البلدان، ص281) كمَا إنّه لم يكن من الممكن أن يصل تعداد تركمَان الغزّ في هذه المنَاطق إلى هذا العدد! فبحسَب رواية الطّبريّ إنّ جميع أتباع استاد سيس قد وصل إلى ثلاثين ألفَاً، ولمَّا كان تاريخ سِيْستَان يُعدّ أكثرَ التّواريخ التي أشارت إلى هذه المنطقة في القرن الثّاني الهجريّ فَإنّه لم يشر إلى وجود تركمَان الغزّ وعلى الاحتمَال القويّ أن تكون كلمة الغزّيّة في كتاب المقدسيّ هي ذات الكلمة المذكورة التي وردت أي اللّغريّين، كمَا إنّ الرّؤساء الآخرين الملازمين لمحمّد بن شدّاد اللّغرويّ المَجُوسيّ والمرزبان المَجُوسيّ يعدّون أنّ اللّغريّين لم يكونوا من التّركمَان.

(3) تاريخ سِيْستَان، ص141، جزء 1، ص205. ويُعتقد أن يكون لفظا أردويه المَجُوسيّ ومرزبان المَجُوسيّ من أسمَاء القادة أو القضاة الزّرَدَشْتيّين، والذين التحقوا بحَاكم سِيْستَان عند إعلانه الثّورة.

الزَّرَدَشْتيِّين الذين كانت لهم عَلاقاتٌ وطِيدةٌ مع مجامِع البَدْو- قَصَدَ إزاحَةَ زرنج حَاكم سِيْستَان، فتوجَّه إليه يزيدُ بنُ المنصُور خَالُ المهْديِّ الذي كان واليَ خُرَاسَان في سَنَة (146هـ) فوَقَعَتْ الحرْب بينهُم، وانهَزَم فيهَا يزيدُ بنُ منصُورٍ، وتقَهْقَر إلى نيسَابور، وكان خليفَتُه عبيدَ الله بنَ العلاءِ فَأصْبَح هو القَائدَ في الطَّريق، فَأُرسَل مرَّةً أخرى إلى سِيْستَان،[1] فوَصَلَ إليهَا في أوَّل سَنَة (151هـ).[2]

يقولُ مُعِينُ الدِّيْن الاسفزاريُّ[3] حول (الُّلغوريين):"خَرَجَ الُّلغوريُّون في سَنَة سِتٍ وأربعِين ومئةٍ". ويذكُر في مكَانٍ آخَر:[4] "وَرَدَ في تَاريخ الشَّيخ عبدِ الرَّحمَن الفَاميُّ[5]... ظَهَرَ أتبَاعُ الُّلغوريِّين الذين كانُوا مِن أصْحَاب [استادسيس] استاد سيس، وقد بلَغَ عددُهُم ثلاثَمئة ألفٍ، فتوجَّه إليهِم وإلى هرَات داودُ بنُ كزازٍ الباهليُّ مِن قِبَلِ الخَليفةِ المنصُور في سَنَة خمسِين ومئةٍ؛ ولأنَّ أعدَادَهُم كانت كبيْرَةً فَقَدْ حَاصَرهُم لُمدَّةِ أربعةِ أشْهرٍ ـ مِن شَهر شَعبانَ إلى شَهر ذي القِعدَة ـ ولَمَّا وصَلَ خبَرُهُم إلى الخَليفَة المهْديِّ [كذا] أرسَلَ شخْصَاً إلى مُعَاذٍ بنِ مُسْلمٍ الذي كان في نيسَابورَ ومَعَه حَمَّادُ بنُ عَمْرَةَ، وأمَّر عليهم خَازماً بنَ خُزَيْمَةَ ووَصَلَ هؤلاءِ في سَنَة إحدى وخمسِين ومئةٍ إلى استاد سيس... وقد هَزَمُوه...".

(1) تاريخ سِيْستَان، ص142-143، وحواشي المصحّح الاستاد بَهار في هَامش الصّفحة142.

(2) إلى سِيْستَان «في سنة إحدى وخمسين ومئةٍ» (تاريخ سِيْستَان، ص143).

(3) روضات الجنَّات، الأوّل، الرّوضة السّادسة، 2-381 و537.

(4) الثّاني، الرّوضة الثّانية، ص49.

(5) أبو نصر عبد الرّحمن بن عبد الجبّار472-546 أو 549، وهو صَاحب كتابٍ مفقودٍ عن تاريخ هرَات.

«ثالثاً: القضاءُ على استاد سيس»

يبْدُو أنَّ الأسْماء (الُّلوغريِّين[1] والُّلغاريَّة[2] ولغبريه والغزيَّة[3] وغيَاريه)[4] هي لُمسمَّىً واحِدٍ، لكنْ لا يُعرفُ على وجْهِ الدِّقَّة أيٌّ مِنهَا هو الأصَحُّ!.

وهنَاكَ اختِلافٌ في كيفيَّة قَتْلِ استاد سيس، إذ تُعَدُّ روَايَةُ الطَّبريِّ في هذا الباب أكْثَرَ الرِّوايَاتِ تفصيلاً وموثوقيَّةً ـ كما ذُكر آنفاً ـ حَيْثُ يَذكُر أنَّ خَازمَاً عندمَا أرسل رسَالةً إلى المهْديِّ، أخْبَره بأنَّ الله قد قَتَلَ عدُوَّه!، وربَّما نسْتطيعُ أن نسْتنتِجَ مَن هذا الخَبَر أنَّ استادَ سيس قد قُتِل بعد تسْليْم نفْسِه. لكنَّنَا نلحَظُ في رواية اليعقُوبيِّ، أنَّ خَازمَاً أرسَلَه إلى بغدادَ إلى جانِبِ أبي جعْفرٍ، وأنَّ الخَليفَة أمَرَ بقَتْلِه. ويبْدو أنَّ هذا الخَبَر غيرُ صَحِيح، لأنَّ خَازمَاً كان مُلتزمَاً بشَكلٍ دقِيقٍ بأوامِر المهْديِّ، حَيْثُ أرسَلَ إليه استادَ سيسٍ؛ ويبْدُو أيضَاً أنَّ ابنَ الأثيْرِ وابنَ خلدُونٍ قد نَقَلا روايَة الطَّبريِّ ذاتهَا، ولم يضِيفَا شَيئاً في هذا البابِ. لكنْ بحسَبِ روايَة رشيدِ الدِّين فضْلِ الله[5] فَإنَّه"... أرسَل استادَ سيسٍ مع أولادِه إلى المهْديِّ". وتوجَد روايَةٌ مُفْرَدَةٌ للكرديزيِّ

---

(1) تاريخ سِيْستَان وتاريخ هرَات.

(2) حمزة، تاريخ سنيّ ملوك الأرض، ص141.

(3) المقدسّي، كتاب البدء والتّاريخ، الجزء الرَّابع، ص26 والجزء السّادس، ص86.

(4) علّي الجرجانّي شرح كتاب المواقف، اسطنبول،1239 ق، ص349: وتبدو أنهّا فرقةٌ من المَجُوس تسعى إلى تأويل شرَائع الإسلام على وفق عقائدهم القديمة.

(5) جامع التّواريخ مخطوطة المكتبة الوطنيّة في باريس،81،2004.

لا يمكِنُ أن يكُون لهَا أَسَاسٌ مِن الصِّحة![1] هي: " إنَّ استادَ سيسٍ لَمَّا وَصَلَ إلى القاضِي أطْلَقَ سَرَاحه وسرَاح ابنِه بنَاءً على الأمَان الذي أعْطَاه إيَّاه أبو عَوْن".

ويذكُر ابنُ الأثير[2] ومِن بعدِه ابنُ خلدُون[3] روايةً أُخْرى ضَعيفةً هي: أنَّ استادَ سيسٍ كان أبا غالبٍ، وغالبُ هذا[4] هو قاتِلُ فضلِ بنِ سهلٍ ذي الرِّئاسَتين. غير أنَّه بنَاءً على رواية الطَّبريِّ فَإنَّ قاتِلِي فضْلِ بنِ سَهلٍ هم أربَعَةٌ مِن قوَّاد جيش المَأمُونِ، هم: غالبٌ المسْعُودُ الأسْودُ، وقسْطنْطينُ الرُّومِيُّ، وفَرَجُ الدُّيلميُّ، ومُوفَّقٌ الصِّقلِّيُّ. إلَّا أنَّه لم ترِدْ إشَارةٌ في هذه الرِّواية إلى وجُود نسَبٍ مَا بيْن المَأمُونِ وبيْن غالبِ المسْعوديِّ الأسْودِ؛ ويذكر ابنُ خلِّكان[5] أنَّ المَأمُونَ لَمَّا ضَاق ذرعَاً بأمْرِ الفضْلِ بنِ سَهْلٍ، حَمَلَ خالَه غالبَ المسعوديَّ الأسْودَ على قَتْلِه، فدَخَلَ غالِبٌ مع أفرادٍ إلى مسْتحَمِّ الفضْلِ في سرخَس، وقتَلوه غِيلةً.

وقد صرَّح بعْضٌ مِن المُؤرِّخين بأنَّ مُرَجِّلَة شعْرِ أمِّ المَأمُونِ،[6] كانت بادغيسيةً، إلَّا أنَّ التَّقصِّي يشِيرُ إلى أنَّ المهْديَّ هو الذي اختَار قرينةً لابنه هَارونَ مِن رجُلٍ كان شَريكاً له في قَتْلِ استادِ سيسٍ وَلَدِ غالِبِ المسْعوديِّ الأسْود، الذي قُتل بجَريمَة قَتْلِ الفضْل بأمْرٍ مِن

(1) الكتاب ذاته،125.

(2) الجزء الخَامس، ص454.

(3) الجزء الثّالث، ص158.

(4) ابن الأثير، الجزء السّادس،246.

(5) وَفيَات الأعيَان، طبعة مصر، الجزء الأوّل، ص589– 590.

(6) المسعوديّ، التنبيه والإشَراف، ص349؛ المقدسّي، البدء والتّاريخ، الجزء السّادس، ص113؛ الكرديزيّ، ص 75.

ابنةِ أخيه، وهذا أمرٌ مُبْهَمٌ ومِن الصَّعبِ بمكَانٍ فهمُه!. لكنْ على أيَّة حَالٍ، فَإنَّ استادَ سيسٍ كان له أولادٌ، وقَدْ ذكَر ذَلِكَ كلٌّ مِن الطّبريّ، وابنِ الأثير، ورشيدِ الدِّين فضلِ الله، لكنْ لا نعلمُ مِنْ هؤلاءِ المؤرِّخين شَيئاً عن قَصَصِهم وأحْوالِهم. وفيمَا يخُصُّ رَأي معتقَد استادِ سيسٍ فَإنَّ رواية الطَّبريِّ تُعَدَّ الأصْلَ في ذلِكَ،[1] لكنَّه لم يفَصِّل[2] في ذَلِكَ إلَّا عندمَا نَقَلَ قولَ الفضْلِ بنِ سَهلٍ[3] إلى المَأمُونِ، حَيْثُ ذكَر "أنَّه دعَا إلى الكُفْر".

وذَهَبَ بعْضٌ مِن المُؤرِّخين منهم اليعقُوبيُّ، وابنُ الجوزيِّ، وابنُ الأثير، وابنُ خلدونٍ إلى أنَّ استادَ سيسٍ، هو مِن مُدَّعِي النُّبوَّة مِن دون ذكْرِ كيفيَّة ذلِكَ. بينمَا أورَدَ المَقدسِيُّ[4] حَرَكَةَ استادِ سيسٍ ضِمْنَ ذِكْرِه لمَذاهِبِ المَجُوسِ وشَرَائِعِهِم، إذ أورد ثلاثَ فِرقٍ هي الُّليغريَّةُ ـ كمَا وَرَدَ سَابقاً ـ وهي فِرقَةٌ قَريبَةٌ مِن حَرَكَة استادِ سيسٍ، والـ (به آفريديَّةِ)، والخرَّميَّه، بينمَا عَدَّ البلعَمِيُّ[5] استادَ سيسٍ مِن أتبَاع الخَوارج، وهذا خَطَأٌ ظاهِرٌ.[6] غيْر أنَّ الكرديزيَّ أورَدَ الرِّوايَة الآتية: «في عهْد إمَارته بخُرَاسَان (يعني أبا مَالكٍ والسَّيِّدَ بنَ عبدِ الله الخزاعيِّ الذي جاء إلى مروَ في رمَضَان مِن سَنَة (149)) خَرَجَ استادُ

(1) الجزء الأوّل،354– 385.

(2) القسم الثّالث،773، وهذا تقريباً عين مَا نقله الطّبريّ؛ الجهشيَاريّ، 287.

(3) الطّبريّ، الجزء الثّالث،373 .

(4) الجزء الرَّابع،26.

(5) ترجمة تاريخ الطّبريّ مخطوطة المتحف البريطانّي، الرّقم7622 ، 418.

(6) يبدو أنّه بسبب أنّ سِيْستَان كانت من مرَاكز الخوارج أورد ذَلِكَ (تاريخ سِيْستَان، 109، 113،110 126، 127، 131، 140) ولمتابعة الخوارج ومعنى كلمة خَارج، يُرَاجع نظام المُلك سير الملوك سيَاسه نَامه طبعة دارك، طهرَان،2535، ص254.

سيسٍ البادغيسيُّ،[1] وادَّعى النُّبوَّة، وسَلَكَ طَريقَ به آفريد. وكان السَّبَبُ في ذلِكَ: أنَّ مئةً وخمسةً وستِّين مِن أتبَاع به آفريد البادغيسي، كتَبُوا رسَالةً إلى المهْديِّ يقولُون فيهَا: لقد أسْلَمْنَا على يديْك فَاقدُر لنَا. فَأرسَل المهْديُّ محمَّداً بنَ سعيدٍ[2] لغزو كابل،[3] وأرسَل معَه هؤلاءِ البادغيسيِّين، وقدَّر لهُم نصيباً مِن الفَيء، ثمَّ رجَعُوا إلى منَازلهم، وارْتدُّوا، وخَرَجَ استادُ سيسٍ...».

وقد عَدَّ الشّهرسْتانيّ[4] السِّيسَانيَّة أو أتبَاعَ استادِ سيسٍ والمئةً والخمسةً والسِّتِّين به آفريديَّه[5] جُزءاً مِن الزَّرَدَشْتيِّين.

وكَمَا لحِظنَا في الكتُب التّاريخيَّة ومقَالَاتِ المِلل والنِّحل، كيف عُدَّت عقائِدُ استادِ سيسٍ إمَّا كُفرَاً، أو أنَّه ادَّعى النُّبوَّة، أو أنَّه مُلْحَقٌ أو تَابعٌ لـ (به آفريديِّين)، وأنَّه كان على اتِّصَالٍ مُسْتَمِرٍّ بالمَجُوس؛ وكانت في ذَلِكَ تفَاصِيلُ كثِيرةٌ تقَاطَعَ بعْضُهَا مع بعْضِهَا الآخَر. غيْر أنَّ الشَّيءَ المهمَّ، هو أنَّ بعْضَاً مِن العُلَماء مِن المسْتشْرقِين والبَاحِثين الشَّرقيِّين،[6]

---

(1) تثبت هذه الفقرة وجود أتباع به آفريد المقتول سنة (131هـ) في أرض بادغيس عند مقتل استاد سيس في سنة (150هـ).

(2) اسم محمّد سعيد في النسختين الأصليّة والفرعيّة في زين الأخبار جاء على صيغة محمّد سعيداد والأصحّ هو أن يكون محمّد بن سعيد. يُنظر طبعة زين الأخبار سعيد نفيسي ص97.

(3) كانت كابل في القرون الثّلاثة الهجريّة الأولى ثغرَاً للمسلمين (زين الأخبار، ص140) وقد نقل المؤرّخون الكثير من الحوادث حول غزّ وبست وكابل وقندهَار والكيفيّة التي أرسل إليهَا القادة من سِيْستَان لجلب الغنَائم. (يُنظر: تاريخ سِيْستَان ص82-143).

(4) الملل والنّحل، ص187، الترّجمة الفَارسيّة، ص185، يُنظر كذلك مؤيّد الثّابتيّ تاريخ نيسابور ص141.

(5) حول به آفريد انظر الفصل الأوّل الخَاصّ بذلك.

(6) مثل J..Kramers (دائرة المعَارف الإسلاميّة) مَادّة استاد سيس. ورسالة

أثبتوا أنَّ حَرَكَة استادِ سيسٍ قد ظَهَرَت في عَام (150هـ)، وهي تقاربُ نحوَ العَام (1000) لتأسِيسِ الدَّولة الأشْكانِيَّة في سَنَة (250 ق. م). ويُعدُّ هذا الحَدَثُ مُهِمّاً، لأنَّه يصادفُ قيَام الموعُود الزَّرَدَشْتيِّ الذي يظْهَرُ كلَّ ألفِ عَام، و لذَلِكَ نلحَظ أنَّ هنَاكَ تأييداً ووَجَلًا في الوقْتِ ذاتِه مِن هذه الحَرَكَة ومِن توقيتهَا الزَّمَانِّي.

الدّكتورَاه المتن الفرنسيّ، 148، ودكتور عبد الحسين. زرين كوب. ومرَاجع أخرى.

الفصل الخَامس

المُقنَّع

أوَّلاً: المَصَادر:

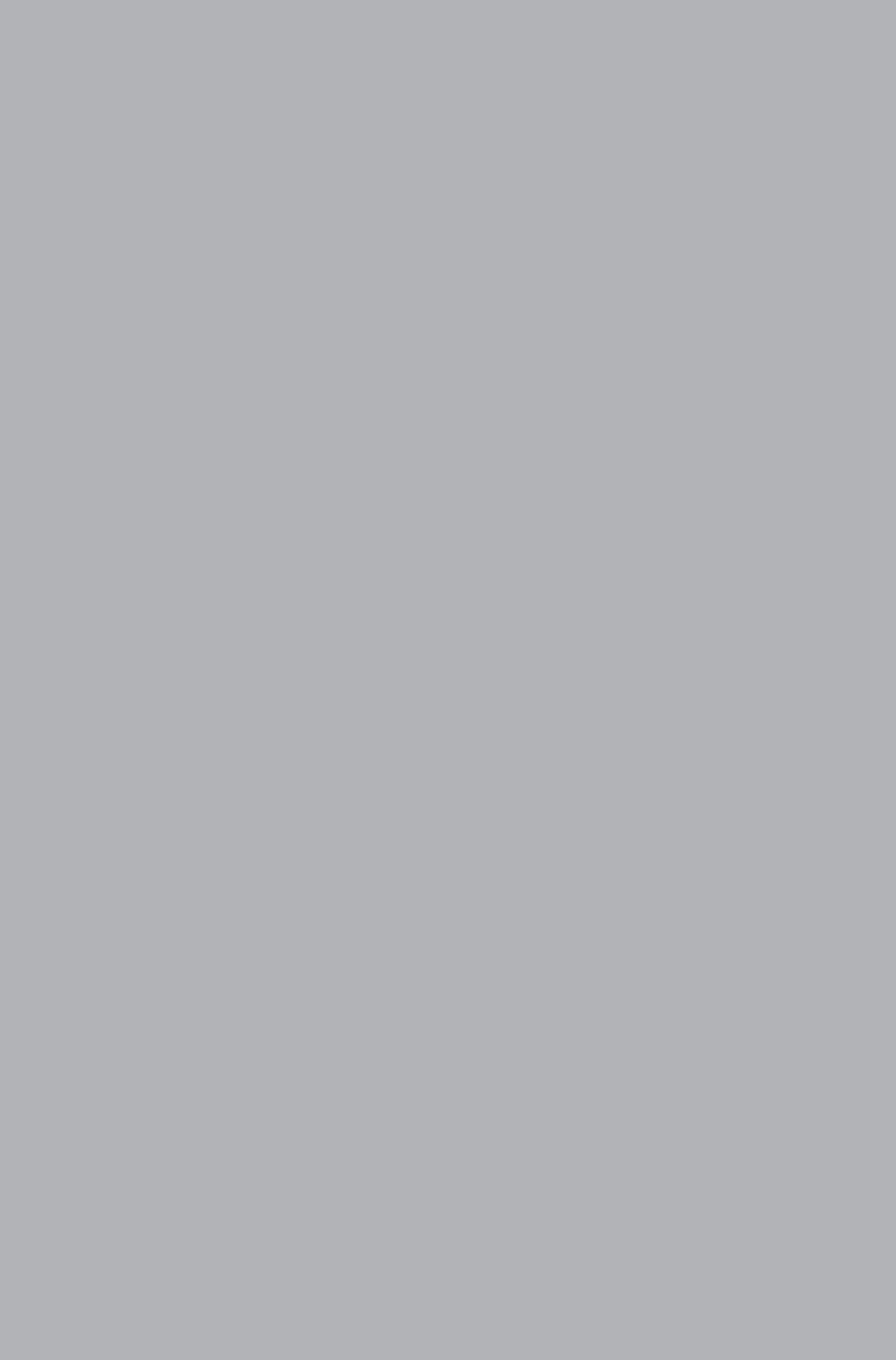
1ـ المَصَادرُ الأوَّليَّةُ.

2ـ الدِّرَاسَاتُ الحَديثةُ.

ثانيَاً: تطوّرُ حرَكة المُقنَّع.

ثالثاً: عقائدُ المُقنَّع.

رَابعَاً: أعقابُ المُقنَّع.



أوَّلاً: «المَصادر»

تبْدُو معلُومَاتُنَا عن حَرَكَةِ المُقنَّع الدِّينيَّةِ مُقارنَةً بالحَرَكاتِ الدِّينيَّةِ الأخْرى أكثَرَ، وذَلِكَ مِن حَيْثُ أعمَالُه وحروبُه وحَياتُه الخَارجيَّةُ، لكنْ لم تصِلنَا على وجْه التَّفصِيلِ حَياتُه الشَّخصِيَّة وآرَاؤه أو عقائِدُه الدِّينيَّة، بل إنَّ فيهَا الكثيْرَ مِن المُتنَاقِضَاتِ والمُختلفَات! وهذا مَا يزيدُ مِن صُعوبَة درَاسَة هذه الحَركَة؛ إلَّا أنَّ الشَّيءَ البَارزَ في الآرَاء والعَقائِدِ التي وَصَلَتنَا، هو أنَّ فيهَا شَبَهَاً وقُرْبَاً مِن عقائِد الشِّيعَة الغُلاة التي كانتْ شائِعَةً في عصْرِه، ولهَذا السَّببِ فَإنَّه لا يمكِن عدُّ حرَكَة المُقنَّع الدِّينيّةِ سيرةً مِن سِيَر إصْلاح الدِّين الإيرَانيِّ القدِيم، أو أنَّهَا تطوُّر لهَا! وإذا مَا وضَعنَا هذه الحرَكَة بيْن الحرَكَاتِ الدِّينيَّة الإيرَانيَّة، فسوف نلحَظ أنَّهَا حرَكَةٌ نشَأتْ وسَط الإيرَانيِّين، وظَهَرَت مِن خِلالهِم. فَأكْثَر أتْباعِهِ هم مِن الإيرَانيِّين، وهذا يعنِي أنَّه ليسَتْ كُلُّ عقائِدِه وآرَائِه تمَاثِلُ بالتَّمام عقائِدَ وآرَاءَ الشّيعَة الغُلاة، ففِي كثِيرٍ مِن فِكَرِهِ تمَاثُلٌ مع الفِكَرِ الإيرَانيَّة المَحَلِّيَّة التي لا يمكُن غَضُّ الطَّرْفِ عنهَا، إلَّا أنَّه مع الأثَر الإسْلاميِّ الواضِح، أو أثَر التَّعَالِيم الإسْلاميَّة الواضِحَة في عقائِدِه؛ ومَا يُؤمِن به المُقنَّعُ، نجِدُ أنَّ موْرِداً آخَر قد وَلَجَ إليه، وهو مَا استَوحَاه مِنَ الفِكْر الإيرَانيِّ.

1. «المَصادر الأوّليَّة»

تُقسَمُ أخبَارُ المُؤلِّفِين العَربِ والفُرسِ حوْل ذكْرِهم لحَرَكَة المُقنَّع الدِّينيّة على ثلاثَة أقْسامٍ:

القسْم الأوَّل:

أوَّلاً: رواية أبي عثمانَ عمروِ بن بحرٍ الجاحظ، المُتوفَّى في سَنَة (255هـ - 869م). فَقَد أوْرَدَ في كتابِه (البيَانُ والتبيِّين) أقْدَمَ الرِّوايَاتِ عن هذه الحرَكَةِ، لكنَّهَا مِن أكثَرِ الرِّوايَاتِ اختِصَاراً.[1]

ثانياً: روايةُ ابنِ خلِّكَان، المُتوفَّى في سَنَة (681هـ -1282م). فقَدْ أورَدَ في موضِعَيْن مِن كتابه (وَفيَات الأعيَان) أخباراً عن حرَكَة المُقنَّع:

أ ـ الموضِع الأوَّل: في ترجَمَة حُسينٍ بنِ منصُورٍ الحَلَّاج، وقَدْ وَقَعَ هنَا في خطَء عنْدمَا عَدَّ في كتابِ (الشَّاملُ في أصول الدِّين) إمَامَ الحرمَيْن عبدَ المَلكِ الجُوينيَّ والحَلَّاجَ ،والجَنَابيَّ، وابنَ المُقفَّع؛ أنَّهُم عَاشُوا في عصْرٍ واحِدٍ! وفي قريْبٍ مِن هذا الخَطأ وقَع العُوفيُّ أيضَاً في (جوامعُ الحِكايَات) حَيْثُ يبدُو أنَّه نَقَلَ مِن كتَابِ ابنِ خلِّكَان؛ ووَقَعَ في الخَطأ ذاتِه نظامُ المُلك في شرْحِهِ المُخْتَصَرِ حوْل المُقنَّع في (سيرُ الملوك) وذَلِكَ عندمَا أشَارَ إلى أنَّ أبَا سعيدٍ والجَنَابيَّ وأبَا سَعيدٍ المَغْربِيَّ ومحمَّداً العَلويَّ البرقعيَّ والمُقنَّعَ كانُوا في عصْرٍ واحِدٍ.[2]

ب ـ الموضع الثَّاني: هو الخَطأ الآخَرُ الذي وَقَعَ فيه ابنُ خلِّكَان فقَدْ كان ـ على وجْه التَّقريبِ ـ الخَطَأَ ذاتَه الذي وَقَعَ فيه عنْد ترجَمَتِه

(1) طبعة القاهرة (1351- 1932) ص70-71.

(2) سير الملوك – سِيَاسه نَامه 198؛ طبعة طهرَان،310.

لابن المُقنَّع. ويبْدُو أنَّ هذا الخَطَأ قد انتقلَ أيضاً إلى كتاب (مرَآةُ الجنَان) لعفيفِ الدِّين عبدِ الله المُتوفَّى في سَنَة (768هـ -1367م) إذ نقَلَ قوْلَ ابنِ خلِّكَان ذاتَه.

القسم الثَّاني:

أوَّلاً: رواية اليعقوبيِّ في كتاب (البْلدان).[1]

ثانيَاً: رواية الطَّبريِّ في (أخبارُ الرُّسلِ والمُلوك).[2] وكذلِكَ البلعَمِيُّ الذي أورَدَ الرِّوايَة عينَهَا؛ لكنَّه أفَادَ مِن مَصَادرَ أخْرى.[3]

ووَجَدْتُ في نسْخةِ تاريخِ البلعَمِيِّ الموجُودةِ في (مكتبة فيِّينَا الوطَنيَّة) فصْلاً خَاصَّاً بالمُقنَّع وحرَكَتِه، ولم أجد مثل هذا الفصل في نسْخةِ المُتحَف البريطَانيِّ ولا في المَكتبَة الوطَنيَّة في باريس. واللَّافِتُ للانتباه أنَّ هذا الفصْل يشبِه كثِيرَاً الفصْلَ الموجُودَ في (تاريخ بخَارى) المتعَلِّقَ بالمُقنَّع، ولكنْ مع هذا الشَّبَه، توجَد أيضَاً اختلافَاتٌ بينَهُمَا، إلَّا أنَّ الشَّيءَ المُهِمَّ الذي نلحَظُه، هو أنَّ أحَدَهُما يكْمِلُ الآخَر؛ وربَّمَا كان كِلاهُمَا قد نُقلا مِن كتَابٍ واحِدٍ هو كتابُ (أخبَارُ المُقنَّع) ويظْهَرُ أنَّ تاريخَ البلعَميِّ قد أفَاد كثيرَاً مِن أخبَار المُقنَّع.

ثالثاً: المقدسِيُّ: في كتَاب (البَدءُ والتّاريخ). فقد تناولَ أخبَارَ المُقنَّع،[4] كذلِكَ ابنُ العبريِّ في (مُختَصَرُ الدُّول).[5]

---

(1) ص303-304 كذلك تاريخ البلدان المجلّد الثّاني ص478.

(2) القسم الثّالث، ص470، 484، 494، 773.

(3) مخطوطة المتحف البريطانّي تحت الرّقم 7622 ، b421 F شرح هذه الحركة.

(4) ج 6، ص97-98، متن العرب ص69 الترّجمة الفرنسيّة.

(5) طبعة بيروت ص217 - 218 الذي اختصر رواية المقدسّي.

القسم الثّالث:

أوَّلاً: رواية الخَوارزمِيِّ في (مفَاتيحُ العُلوم).[1]

ثانياً: رواية البَيْرونِيِّ في كتَاب (الآثارُ البَاقية).[2]

ثالثاً: روايةُ (تاريخ بُخَارى) لـ (لنَّرخشيِّ) المُتوفَّى في سَنَة (348هـ / 959م) وتُعَدُّ الأكْثرَ تفصِيلاً مِن بيْن الرِّوايَاتِ التي وَصَلَتْنَا عن هذه الحَرَكَة،[3] وقد قَامَ أبو نصْرٍ أحمدُ في سَنَة (522 هـ / 1128م) بترْجَمَةِ وتلخِيصِ (تاريخ بخَارى) ويُقَالُ: إنَّ أخبَار مُحَمَّدٍ بنِ جعفرٍ متعلِّقةٌ بالمُقنَّع في كتَابِه، لكنَّهَا لم تصِلْ إليْنَا كامِلةً حتَّى سَنَة (323هـ)، إلَّا أنَّ المُفيْدَ في هذا الكتَاب أنَّه نُقلَ مِن كتَاب إبرَاهيمَ صاحبِ أخبارِ المُقنَّع بشكلٍ كاملٍ.

ويَعتقدُ بارتولد أنَّ إبرَاهيمَ أبا إسْحَاق هو نفسُه إبرَاهيمُ بنُ عبَّاسٍ الصُّوليُّ الشَّاعرُ المعروفُ المُتوفَّى في سَنَة (243هـ -857م) والذي عندَه كتُبٌ تاريخيَّةٌ، وقَدْ رجَعَ إليه ابنُ النَّديم في أكثَر مِن مَكانٍ عند حديثِه عن الفِرق الدِّينيِّة.[4] وإذا كانَ ظنُّ بارتولد هذا صَحِيحَاً، وأنَّ المقصُود بكتابِ الصُّولِي هو ذاتُه كتابُ (الدَّولة العَبَّاسِيِّة) فقد ذكَرْنَا في شرحِنَا لحرَكَة (به آفريد) هذا الاسْم، ولكنَّ الظَّاهر هو أنَّ جُمَلَ أبي نصْر أحمدَ، لم تكُن هي ذاتُهَا مِن كتَابِ ابنِ المُقفَّع؛ وبذلِكَ يكونُ رَأيُ بارتولد غيرَ دقِيقٍ!. ويتَّضِحُ مِن كتَاب

---

(1) طبعة فَان فلوتين، ص28.

(2) ص211.

(3) ص63-74.

(4) ص344.

(الآثارُ الباقية)[1] لمؤلِّفه البَيْرونيِّ، أنَّ الإيرَانيِّين ألَّفوا كتَاباً بالفَارسِيَّة حوْل أخبَار المُقنَّع، وقامَ البَيْرونيِّ نفسُه بنقْلِ هذا الكتَاب إلى العربيَّة، وكانَت فيه أخبَار المُبيِّضَة والقرَامِطَةِ؛ وربَّما يكُونُ هنَاك شَبَهٌ كبيرٌ بين هذه الأخْبَار التي ذكَرهَا البَيْرونيِّ وبيْن الأخبَار الواردَة في (تاريخُ بخَارى) حوْل المُقنَّع وحرَكَته.

ويبدو أنَّ الرِّواية المنقُولة في (تاريخ بخَارى) على يد إبرَاهيمَ، لم تكُن متَسلسِلةً، فَإنَّ في المطَالبِ التي نقَلهَا إبرَاهيمُ أخبَارَاً أو معلومَاتٍ لم تكُن مذْكُورةً في الكتَاب المُتَرجَم بالكامِل. حَيْثُ نلحَظ في بعْضٍ مِن المَواضِع أنَّ هنَالك تصَرُّفَاً كبِيرَاً مِن المتَرجِم في وضْع الرِّوايَات في غير مكَانهَا، ممَّا أخلَّ كثيرَاً بالمعْنى، وكذلِكَ حُذفَت روايَاتٌ أخْرى. وبذلِكَ يصْبِحُ مِن الصُّعوبة بمكَانٍ فهمُ الوقَائع وتسلسُلُهَا مِن دونِ الاسْتعَانة بالمَصَادر الأخْرى.

رَابعَاً: روايةُ مخطُوطَةِ تاريخ البلعَمِيِّ الموجُودة في مكتبَة فيِّنَا الوطَنيَّة. ويبْدُو أنَّ مُؤلِّف (مُجْمَلُ التَّواريخ) قد اختَصَر روايَةَ مخطُوطةِ تاريخ البلعَميِّ بالكَامِل،[2] لكنَّه ـ فيمَا يبْدُو ـ أخَذَ قصَّة (مَاه نخشب والبئر) مِن هذا المَصْدر.

سَادسَاً: رواية أبي منصورٍ البغدَاديِّ: في كتَاب (الفَرْقُ بَيْنَ الفِرَقِ).[3] وقَدْ نقَلَ الرِّوايةَ عيْنَهَا أبو المُظفَّر شهفور الإسفرَاييني المُتوفَّى في سَنَة (271هـ) في كتَاب (التَّفصيلُ في الدِّين)[4] لكنَّه

(1) ص211 وكذلك رَاجع ص313 أنّه قبل سنة (390).

(2) مخطوطة المكتبة الوطنيّة في باريس، F216a و F217a.

(3) ص243- 244.

(4) المخطوطة العربيّة في مكتبة باريس الوطنيّة، F79b، F79a1452.

اقتبسَ قصَّة المَرأة مِن مصْدرٍ آخر، وأضَافهَا إلى الكتَاب.

وتبْدُو رواية (تبصِرةُ العَوامِّ) مِن هذا النَّوع أيضَاً،[1] لكنَّه في باب دِيْنِ المُقنَّع، وقَبْلَ دعْوتِه، استقَى معلُومَاتِه مِن منَابعَ أخْرى، وقَدْ أيَّدَ هذه المطَالبَ الشّهرستانيُّ.[2] وتنتمِي إلى هذا النَّوع أيضَاً رواية كلٍّ مِن: حَمْدِ الله المُستوفِي في (تاريخُ كزيده) الذي صَنَّفَه في سَنَة (730هـ)،[3] و (نزهةُ القلوب) في سَنَة (740هـ)، وروايةِ تقيِّ الدِّين المقريزيِّ في (المواعظُ والاعتبارُ في ذكْرِ الخطَطِ والآثار).[4]

وقد جَمَع اثنَانِ مِن المُؤلِّفين هذه الرِّوايَاتِ، وخلَطَا بعْضَهَا ببعْضِهَا الآخَر وهمَا:

1ـ ابنُ الأثيرِ في كتاب (الكاملُ في التّاريخ).[5] فقَدْ جَمَعَ بين روايَة (ب، ج)، ودمَجَ بينَهمَا مطَالبَ مُهمَّة، فظَهَرتْ فيهَا صُورةٌ مميَّزةٌ وصَافيةٌ عن شرْحِ حَيَاة المُقنَّع. وقَدْ اختَصَرها ابنُ الطَّقطقيُّ في (الفخريِّ)،[6] وعمِلَ بهذا أيضَاً رشيدُ الدِّين فضْلُ الله في (جامعُ التَّواريخ)،[7] وابنُ خلدون في (كتابُ العِبَر)،[8] وكانُوا كلُّهُم قد

(1) طبعة طهرَان، ص184-185.

(2) ص115.

(3) طبعة ليدن ص298.

(4) طبعة بولاق ص354، ج2.

(5) ج6، ص25- ص34، ص35.

(6) طبعة الاوار ص213، كذلك رَاجع تجارب السّلف، طبعة طهرَان ص221.

(7) مخطوطة المكتبة الوطنيّة في باريس تحت العنوان2004 Suppl.Persen F b. F 82

(8) ج3 ص206 -207.

نقَلُوا عن ابنِ الأثير.

2ـ العوفيُّ في (جوامعُ الحِكايَاتِ). الذي صَنَّفَه في حُدودِ سَنَة (630هـ) نَقَلَ ثلاثَ حِكايَاتٍ عن المُقنَّع. فقَدْ نَقَلَ في الحِكايَة الأولى روايَة (ج)،[1] والجُزءُ الأوَّلُ من الحِكاية ترجمَةٌ مِن البَيْرونيِّ، فيمَا اقتبَسَ قصَّة البئْر ومَاه مِن مكَانٍ آخَر،[2] وأضَافَ إليْهَا أو ذيَّلهَا بروَايَة (تاريخ بخَارى). وفَصَّل في موضِعٍ آخَر في روايَة البلعَميِّ.

وأمَّا في الحِكايَة الثَّالثة فقَدْ أورَدَ قصَّة اختفَاءِ المُقنَّعِ في أحَدِ الأمكِنَة، وكشْفِه مِن قِبَل مُعَاذٍ بنِ مُسْلمٍ.[3]

وبحسَبِ مَا يرَاه المُؤلِّفون مِن الرِّواية الأولى فَإنَّ اسْم المُقنَّع هو عطَا، بينَمَا وَرَدَ في الرِّواية الثَّانيَة أنَّ اسْمه حكِيمٌ؛ فيمَا نَقَلَ أصْحَابُ الرِّوايَة الثَّالثة أنَّ اسْمه هَاشمُ بنُ حكِيم. وكانَ ابنُ خلِّكَان قد اعتَمَدَ الرِّوايَة الأولَى، فذَكَرَ أنَّ بعْضَاً مِن المُؤلِّفين سَمَّاه هشَامَاً، غيْر أنَّ عطَا هو الأشْهَرُ؛ إلَّا أنَّ مَصَادرنَا تظْهِرُ خِلافَ ذلِكَ! لأنَّ قَبْلَ ابنِ خلِّكَان المُتوفَّى سَنَة (681هـ) سِتَّةَ مؤلِّفِين، سَمَّوه (هشَامَاً)،[4] فيمَا أشَار الجاحِظُ فقط إلى أنَّ اسْمَه عطَا، وقَدْ سَمَّاه ابنُ الأثيْر وكُلُّ مَن اقتَفَى أثَرَه أو أخَذَ عنْه الحَاكمَ بنَ هشَامٍ، وهو كذلِكَ عند رشِيدِ الدِّيْن فضْلِ الله وابنِ خلدُونٍ وحمْدِ الله المُستوفِي في (تاريخُ كزيدة)

(1) المخطوطة المتمّمة،906.

(2) هذه القصّة في آثار البلاد للقزوينيّ ترجمة وستنفلد، وقد ذكرهَا تحت مَادّة نخشب، ص312.

(3) Suppl.Pers. 906 F 346 a.

(4) سمّاه ابن حزم كذلك هشامَاً، وذكر أنّه ظهر للانتقام لأبي مسلم، أمّا ذكر قتله فقد أخطأ في ذَلِكَ عندمَا وضعه في زمن المنصور (الجزء الرَّابع) ص143 طبعة القاهرة سنة1347.

و (نزهةُ القلوب).

2: «الدِّراساتُ الحديثةُ»

أهمُّ مَن كتَبَ عن حرَكَة المُقنَّع مِن المُؤلِّفين المُحْدَثِيْن ثمَّ وَصَلَتْ إلينَا بحُوثُهم، هم كالآتي:

أوَّلاً: الدِّرَاسَة التي قدَّمهَا (موير) في كتابِه المَذكُور آنِفَاً، إذ اعتَمَد فيهَا بشَكلٍ كبيرٍ على روايَة (الكامل) لابن الأثِير.[1]

ثانياً: (دار مستتر) في كتابِ (المهْديِّ منذ بدايَة الإسْلام حتَّى عصْرنَا).[2]

ثالثاً: إدوارد برَاون: في كتاب (تاريخُ الأدب الفَارسيِّ).[3] إذ ترْجَم معظَمَ منقُولاتِ أو روايَاتِ المؤرِّخِين الخَاصَّة بالمُقنَّع إلى الُّلغة الإنكليزيَّة.

رَابعَاً: بارتولد: الذي جَمَعَ بشَكْلٍ جيِّدٍ كُلَّ مَا كُتِبَ عن حرَكَة المُقنَّع في كتابِ (تركستان) وكان مِن مَصَادره الرَّئيسَةِ في ذَلِكَ (تاريخ بخَارى).[4]

خَامسَاً: سعيد نفيسي: فقَدْ أفَاد في كتابِه (أحوالُ أبي عبدِ الله جعفرِ بنِ محمَّدٍ الرَّودكيِّ السَّمرقنديِّ وأشعَارُه) مِن بعْضٍ مِن المَصَادر المُتعلِّقة بـ (المُقَنَّع) وبقِيَ مصْدَرُه الأصْليُّ كتابَ (تاريخُ

(1) ص467.

(2) ص43 ومَا بعد.

(3) الجزء الأوّل ص318 – 323.

(4) الكتاب المذكور الصّفحَات 199–200.

بخَارى).[1]

«ثانياً: تطوُّرُ حركَة المُقنَّع»

عُرفَ المُقنَّعُ بـ (هَاشمٍ)، [2] وكان أعْورَاً،[3] وهو مِن قريَة (كازك) أو (كازه)[4] مِن قُرى مرو،[5] وعمِلَ في مُقتبَل حَياتِه مُكفِّنَاً للمْوتى، وكانَ أبوه قائِداً مِن قُوَّاد أمير خُرَاسَانَ الذي اتَّصَلَ عصْرُه بالمنصُور. واهْتمَّ المُقنَّعُ بالعِلْم كثِيرَاً، وحَاول أن يدرُسَ كُلَّ أجْنَاسِه، لاسِيَّما تَعَلُمِهِ الطَّلاسِم والكُتُبِ القديمَة المعْنيَّة بهذا الشَّأن، وأصْبحَ في زمانِ أبي مُسْلم قائداً مِن قوَّاد خُرَاسَان،[6] ويبْدُو أنَّه أصْبحَ بعد زمَان أبي مُسْلمٍ كاتِبَ أميرِ خُرَاسَان عبدِ الجبَّار الأُزدِيِّ. وكانتْ

(1) ص293–307.

(2) سمّاه أكثر المؤرّخين بهذا الاسم، فيما سمّاه بعضهم عطا وآخرون حكيمًا، وسمّاه بعضٌ من المؤرّخين باسم أبيه.

(3) يبدو أنّه كان أعور، وقد اتّفق أكثر المؤرّخين على ذلك، ويذكر مؤلّف تاريخ (كزيده قد) أنّه أصَابه سهمٌ في حرب، فتسبّب في عوره، وكان دائماً يرتدي مقنّعة خضرَاء، وفي رواية أخرى صفرَاء؛ ولذَلِكَ سمّاه العرب (المقنّع). لكنّ الشّيء المثير للانتباه أنّه في الفَارسيّة لا نعرف هذا بشكلٍ واضح! وخصوصًا أنّه كان دائماً في حَال التّستر، هل من أجل عدم كشف عيبه أو أنّه أرَاد بذلك إلقاء حَالةٍ من القدسيّة والهيبة على شخصه؟!.

(4) أوردهَا المقدسّي على شكل (كاره) فيما أوردهَا البيرونّي على شكل (كاوه كميردان)، فيما ذكره البغداديّ (كازه كيمندات). وقد حُرّفت هذه بالكامل في كتاب جوامع الحكايَات؛ ووردت في تاريخ كزيده (كازيرَا) وهي من توابع بادغيس، وفي نزهة القلوب (كايرز). ويقول يَاقوت: إنّ كازه قريةٌ من قرى مرو، ويُنسب إليهَا الكازقي أو الكازيّ.

(5) تاريخ بخَارى: من المُحتمَل أن يكون قصد أبي داود خَالداً، فيما يقول بعد: إنّ المقنَّع كان من قوَّاد أبي مسلمٍ، وبذلك يكون الأب والابن في ذات الوقت من القوّاد.

(6) تاريخ بُخَارى والجاحظ وابن خلّكان.

جَمَاعَةُ المُقنَّع فِرقَةً مِن الرَّزامِيَّة.[1] ويبْدُو أنَّه بعْد قَتْلِ أبي مُسْلمٍ الخُرَاسَانيِّ، أعلَنَ العِصْيَان في خُرَاسَان زمَنَ عبد الجبَّار، كما ادّعى النُّبوَّة، وظلَّ على هذا حِيناً مِن الزَّمَن. ثمَّ حُمِلَ إلى بغدادَ بأمْرِ أبي جَعفرٍ، وألقِي في السِّجْن؛ ولكِنَّه عَاد إلى مروَ عندَ إطْلاق سَرَاحِه، وجَدَّد دعوتَه القدِّيمَة، وادَّعى بين أتبَاعه أنَّه الله![2] وقَالَ بالتَّنَاسُخِ، وذكَرَ أنَّ الله خَلَقَ آدمَ، ودَخَلَ في صُورتِه، وخَلَقَ بعدَ ذَلِكَ مِن صُورتِه نُوحَاً وإبرَاهيمَ وموسَى وعيسَى ومُحَمَّداً حتَّى دَخَلَ في جَسَدِ أبي مُسْلم، والآن قد تَجَسَّمَ في صُورتِه؛ وقَالَ: إنَّ أبا مُسْلمٍ أفضَلُ مِن نبيِّ العَربِ؛ وطَالَبَ بدَمِه،[3] وادَّعَى أنَّه قَادرٌ على إحْيَاءِ المَوْتَى والعِلْمِ بالغَيْبِ، وتعَاطَفَ كثِيرَاً مع قَتْلِ يحْيَى بن زيدٍ في زمَان نصْرِ بنِ سيَّارٍ في سِنة (125هـ) في كركان، وقَالَ بوجُوب قَتْلِ مَن قَتَله،[4] وسَعَى أيضَاً إلى تجديدِ الدَّعوة لتعَالِيم مزدَك،[5] وقَدْ سَجَدَ لَه أصْحَابُه في كلِّ مَكَانٍ، وكانُوا يقُولُونَ في الحَرْبِ:(أعطنَا المدَدَ يَا هَاشِمَنَا)، وقَدْ أرسَل الرَّسَائلَ إلى كُلِّ ولايةٍ، يدعُوهم فيهَا إلى

(1) أنساب السّمعَانّي ص179؛ والفرق بين الفرق ص243. وكانت الرّزاميّة إحدى فرق الرَّاونديّة، وهي من أتباع رزام الذي دُعي بمحمّدٍ بن الحنفيّة ومن ثمّ لولده، وظهر في جمعهَا الكثير من الاختلاف، وقد قيل: إنّ قاتله هو أبو مسلم. يُنظر: فرق الشّيعة ص42، مقَالَات الأشعريّ ص21-22؛ الشّهرستانيّ ص112-115، وأنساب السّمعَانيّ، ومصَادر أخرى.

(2) ابن الأثير ج6 ص26.

(3) الطّبريّ القسم الثّالث733؛ ابن الأثير ج3 ص54.

(4) لقد ترك قتل يحيى بن زيدٍ في خرَاسان أثرَاً كبيرَاً في ذَلِكَ الإقليم لاسِيّماً عند الشّيعة يوم ذاك أي: سنة (125هــ)؛ لأنّهَا كانت مكان إقامة زيَادٍ، (مروج الذّهب المسعوديّ ج6 ص3)، وقد تعَامل أبو مسلمٍ مع جسد يحْيى تعَاملاً محترمَاً وقد وارَاه بشكلٍ صحِيحٍ.

(5) البيرونّي ص211.

حرَكَتِه.

وقَدْ التَحَقَ به شَخْصٌ مِن عرَبِ مروَ اسْمُه عبدُ الله بنُ عمْروٍ،[1] وقَدْ زوَّجَه مِن ابنَتِه، وارْتَحَلَ مِن جيحُونَ إلى مشخبَ، ثمَّ حَضَرَ إلى كَيْشٍ، ودَعَا في كُلِّ مكَانٍ حَلَّ فيه إلى المُقنَّع ودعْوتِه، فَالتَحَقَ به خَلْقٌ كثِيرٌ لاسِيَّمَا في قُرى كَشٍّ، وكانت أولَى القُرى التي دَخَلَتْ في دِيْن المُقنَّع وأَظْهَرتْ الرَّغبَة فيه قريَةٌ في كَيْشٍ تُسَمَّى سودخ؛ وهي التي يُنسَبُ إليهَا عمْرُو السَّوْدَخِيُّ، وقَدْ ظلَّتْ هذه القُرى تدْخُلَ الواحدةَ تلوَ الأخْرى في دِيْن المُقنَّع حتَّى دخَلَتْ قُرىً كثِيرةٌ مِن قرى بُخَارى في دينِه وخَضَعَتْ له.

كان (بنيَات طغشاده) حَاكمُ بُخَارى على دِيْن الإسْلام، لكنْ لَمَّا ظَهَرَتْ المُبَيِّضَةُ في قُرى بخَارى، أظْهَرَ مَيْلاً كبِيرَاً نحوَهُم وقَدَّم لهم كلَّ الدَّعْم، حتَّى استَطاعَ المُبيِّضَةُ بذلِكَ أنْ يحقِّقُوا الغَلَبَةَ ويُحْرِزُوا مَوطِئ قَدم لهُم[2] ممَّا زادَ وضْعَ المُسْلِمِين سُوءاً في تلك المَنَاطِق، وأصْبَحَ المُبيِّضَة يغِيْرُون على القَوافِلِ وعلى القُرى، وانتَشَرَ خبَرُ المُقنَّع في أرجَاء خُرَاسَان كلِّهَا، فَأمَرَ حَمَيْدُ بنُ قحطَبَة الذي كان أمِيرَ خُرَاسَان[3] بأنْ يُحَاصَر، فهَرَبَ إلى قريتِه واختَفَى فيهَا، ولَمَّا عُلِمَ

(1) عبد الله بن عمرو، ورد في مخطوطة تاريخ البلعميّ الخَاصّة بمتحف فيينَا، أنّه عَامر بن عمروٍ القرشيّ، وبعد إخفَاق حركة المقنَّع وقع بيد العرب، وأُخذ أمَام سعيد الحرشيّ، وقَالَ له: إنّك من أعداء آل محمّدٍ، وإنّك ملعونٌ. مخطوطة تاريخ البلعميّ مكتبة فيينَا الوطنيّة F 282b.

(2) (تاريخ بُخَارى ص 9)[رَاجع حول حكم طغشاده بن خَاتون بُخَارى وخَاتون الذِي حكم محلَّ ابنه خمسةَ عشر سنةً [تاريخ الطّبريّ، القسم الثَّاني، 1693].

(3) تاريخ بخَارى: لا يُعرف مِن هذا هل إنّ حركة المقنَّع كانت قبل موت حميد بن قحطبة في سنة (159هـ)؟ ابن الأثير ج6 ص26-28. كَما يذكر ابن

بأمْرِه ارتَحَلَ إلى مَا ورَاء النَّهر، والتَحَقَ به هنَاكَ واعتَنَقَ دينَه كثِيرٌ مِن النَّاس، فَأمَرَ أميرُ خُرَاسَان بأن تُوَجَّه قوَّةٌ إلى مَصَبِّ نهر جيحُون مُكوَّنةٌ مِن مئة فَارسٍ تَرَاقبُه وتلقِي القبْض عليْه، لكنَّه عندَمَا عَلِمَ بذلِكَ هو وسِتُّة وثلاثُون فَارسَاً كانُوا معَه، انزَاح عن جيحُون، وتَوَجَّه إلى كَيشٍ التي أصْبَحَتْ في ذَلِكَ الحِين مُسْلِمَةً، لكِنَّهَا أعلنَتْ رغبَتَهَا في الانتِمَاء إليْه.

وكانَ قد اتَّخذَ مِن جبل سَنَام[1] وقلعتِه المُحصَّنة، مكانَ إقامَةٍ له، حَيْثُ فيهَا مَاءٌ وأشْجارٌ وزِرَاعةٌ، وجَمَعَ فيهَا مِن المَال والنَّعَم الكثِيرَ، وظَنَّ أنَّه مِن المْكِنِ أن تكونَ هذه القلعَةُ العَامِرَةُ عصِيَّة على مَن يحَاولُ اخترَاقَهَا؛ ولم يكْتَفِ بذلِكَ، بل إنَّه سَيْطَر أيضاً على سنجردة، وهي مِن توابِع كَيْشٍ، وعلى قلعَة نواكث[2] التي كان فيهَا عَدَدٌ كبيرٌ مِن المُبيِّضَة،[3] فَأرسَل المهْديُّ لقتَالِهم كُلَّاً مِن أبي النُّعمَان

الأثير أنّ خروج المقنَّع كان في سنة (159)هـ، وهذا قد يخَالف مَا ذكره اليعقوبيّ عندمَا ذكر أنّ خروجه كان في سنة (160هـ)، فيمَا يذكر الطّبريّ أنّ خروجه كان في سنة (161هـ)، وقد ذكر صَاحب مجمل التّواريخ أنّ خروجه كان في سنة (162هـ).

(1) سنَام قلعةٌ فيمَا ورَاء النّهر اتّخذهَا المقنَّع، ولكن لا يُعرف من النّصّ هل كانت هذه القلعة موجودةً قبل ظهوره؟. يُنظر: معجم البلدان ج3 ص155 ج2 ص410 وابن الفقيه في كتاب البلدان ص322، وقد سمَّاهَا كلٌّ من البخاريّ وابن الأثير وابن حوقل (سيَام).

(2) ابن الأثير ج6 ص26.

(3) أطلق المؤلّفون المسلمون هذا الاسم على كلّ من خَالف الدَّولة العبَّاسيَّة، وعَاش فيه أيَّامهَا، وقد ارتَدَوْا ـ على خلاف دولة بني العبَّاس ومَن تابعهم ـ اللّباس الأبيض. ويُعدّ المبيّضة طائفةً أو فرقةً دينيّةً مجدّدةً للخرّميّة أو المزدكيّة (الشّهرستانيّ ص194). ولكن لم يكن هذا الأمر منحصرَاً بهم فقط، بل إنّ كلّ العلويّين الذين خرجوا على الدَّولة العبَّاسيَّة أطلق عليهم هذا الاسم (رَاجع تاريخ اليعقوبيّ ج2 ص428 مروج الذّهب ج8

وجُنيْدٍ وليْثِ بنِ نصْرٍ، لكنَّهم استطَاعُوا قَتْلَ بعْضٍ مِن القُوّاد مِثْلِ حَسَّان بنِ تميم ونصْرِ بنِ سيَّارٍ ومحمَّدٍ بنِ نصْرٍ وعدَدٍ آخَرَ مِن القُوَّاد.[1] وقَدْ عَجَزَ المُسْلمونَ عن الوقُوفِ أمَام التَّقدّم الذي حقَّقه المُقنَّع حتَّى خُشِي مِن أنَّه سيَقضِي على الإسْلام في تلك المَناطِق.[2]

وقد أباحَ المُقنَّع للتُّركِ مَالَ ودَمَ المُسْلِمِين إذا لم ينخَرطُوا في حَرَكَتِه،[3] وأبْلَغَهُم أنْ: كُلُّ مَن لا يلتَحِقُ بكم، فَإنَّ مَالَه ودمَه وأبنَاءَه حَلالٌ لكُم!.[4] وقَدْ قَدِم مِن تركسْتانَ بجيُوشٍ كثِيرَةٍ، أغَارَتْ على الأقَالِيم، وأسَرَتْ نسَاءَ المُسْلِمِينَ وأبنَاءَهم وقتَلَتْهُم. وكَان والي بُخَارى حِينَهَا حُسينَ بنَ مُعَاذٍ. ولم تتوقَّفْ الحرَكَةُ عنْد هذا الحَدِّ، وإنَّمَا ذهَبَتْ إلى قريةٍ تُسمَّى (بمجكث) (Bamidjkath)([5])، فهجَمُوا في اللَّيل على المسْجِدِ الذي كَان فيه المُؤذِّنُ مع خمسَةَ عشَرَ شخْصَاً، وقتَلوا جميعَ مَن فيه.

وكَان مِن أتباعِ المُقنَّع رجلٌ مِن أهلِ بُخَارى اسمُه حكيمُ أحمدُ،[6] وكان معَه ثلاثةٌ مِن القُوَّاد الكبَار اسْم أوَّلهم (خوشي) واسْم الثَّاني (باغي) وكانَ هذان مِن كوشَكِ فضيلٍ، واسْم الثّالث

ص33 و ص 194 و353 و ج9 ص6؛ المقدسيّ كتاب البدء والتّاريخ، ج6 ص73 و ص109و 110 وفهرست ابن النّديم ص148).

(1) ابن الأثير ج6 ص26.

(2) تاريخ بُخَارى ص66.

(3) ابن الأثير (جزء 9 ص117 سنة 548 / 1053).

(4) المثير الأجديّ رئيس المثيريّة الذي كان من فرق الغلاة ص137.

(5) معجم البلدان ج1 ص737 وهي من قرى بُخَارى تقع على اليمين على بعد أربعة فرَاسخ من طرف مدينة الطّواويس.

(6) ورد في ابن الأثير ص26 حكم.

(كردك) وكان مِن مدينَة (غجدوان)، وهي قريَةٌ كبيْرةٌ مِن قُرى بُخَارى تبعُدُ عن بُخَارى نحوَ ستَّة فَرَاسِخَ،[1] فهجَمُوا جمِيعَاً، وقَتَلُوا الكثيرَ. ولَمَّا وَصَلَ الخبَرُ إلى أهلِ بخَارى، اجتمَعُوا وذهَبُوا إلى الأمِير وقَالَوا له: لابدَّ مِن محَاربَة المُبيِّضَةِ! فخَرَجَ حِينهَا حُسينُ بنُ مُعَاذٍ مع جيشِه، وكَان قد تابَعَه قاضِي بُخَارى عَامرُ بنُ عِمرَان مع أهْلِ بخَارى، وذَلِكَ في رَجبٍ مِن عَام (159هـ) مِن أجْلِ التَّوجُّه إلى قريَة (نرشخ) التي تُعَدُّ معْقَلَهُم، وذَلِكَ مِن أجْلِ قتَالِهم، ونَصَبَ الحَاميَةَ العسْكريَّة هنَاك؛ فقَالَ قاضِي بخَارى: إنَّنَا لا نُقاتِل هؤلاءِ لأنَّهُم على دِيْننَا. ولَمَّا سَمِعَ النَّاس ذَلِكَ اعترَضُوا على قولِ القاضِي وقَالَوا له: إنَّ الحرْبَ الآن قد وَقَعَت. وكَان أوَّلَ شَخْصٍ حَمَلَ عليهم رجُلٌ مِن العَرَبِ اسْمه نُعَيْمُ بنُ سَهلٍ حَيْثُ قَتَلَ عَدَداً منْهم، ثمَّ قُتِلَ، وحَلَّتْ الهزيمَةُ بالمُبيِّضَة، وقُتِلَ منهُم نحوُ سبعِمئةِ شخْصٍ وفَرَّ ألفٌ آخَرونَ.

ولَمَّا طَلَعَ الفجْرُ أرسَلُوا مِن قِبَلِهم رسُولاً وطَلَبُوا الأمَان، وقَالَوا أصْبحْنَا مُسْلمينَ، ونطْلبُ الصُّلحَ وكتابَةَ عهْدٍ وشُروطٍ بذلِكَ، وكَان مِن بيْن تلك الشُّرُوطِ ألَّا نُغِيْرَ على طُرُقِ المُسْلمينَ، ونتفَرَّق إلى قُرَانَا ونعُودَ إليْهَا، ونخْضَعَ للطَّاعَة. وقَدْ وقَّعَ على ذَلِكَ معظَمُ أعيَانِ المدِينَةِ، ولكنْ لَمَّا رَجَعَ المُسْلمونَ، نقَضُوا العهْد، وبَدُؤوا بالهُجُوم والإغَارةِ على مُدُنِ المُسْلِمِينَ وطُرُقِهم، فحَاصَرُوا مدينَةَ نرشخ، وصَارَ الوضْع في غايَة الصُّعُوبَة، فَأرسَلَ المهْديُّ جبرَائيلَ بنَ يحْيَى في عَام (159هـ) ـ وكانَ واليَ سمرقَندَ ـ لمُحَاربة المُقَنَّع، فبنى هذا

(1) معجم البلدان ج3 ص475؛ مصحَاة الأنس طبعة 1279، ص242، أشعَار وأحوال الرّودكيّ ص298.

سور سمرقند، وحَفَرَ الخنَدقَ حولَه.[1] وعسْكَرَ جبرَائيلُ عند بَاب سَمرقند مِن أجْلِ التَّهيُّؤ لحَرب المُقنَّع، فقدِم إليه حسينُ بنُ معَاذٍ، وطَلَبَ منه العونَ لمُحَاربَة المُبيِّضَة في بُخَارى حتَّى يتفرَّغ هو لذَلِكَ ويدعَمَه في مُحَاربة المُقنَّع، فَأجابَه وأرسَلَ مَعَه جيْشَاً بقيَادَة أخيْه يزيدَ، فحَفَرَ خنْدقاً حوْل نرشخ، واختبَأ عسْكَرُه في ذَلِكَ الخنْدق، ثمَّ طَلَبَ مِن جيشِه الاستعْدَاد للحرْبِ عندمَا يظْهَرُ المُبيِّضَة. وعنَدمَا ظَهَرُوا أغارُوا عليْهِم في اللَّيلَة الأولَى، وأكثَروا الخَرَاب، فلمَّا رَأى حُسينُ بنُ معَاذٍ أميرُ بُخَارى أنَّ الأمْرَ كذلِكَ بادَرَ لمُلاطفَة جبْرَائيل، وطَلَبَ منه أن يبقَى ببُخَارى ولا يذْهَبَ إلى كَيْشٍ حتَّى يَتِمَّ هذا الأمْرُ، فَاشْتبَكَ جبرَائيلُ في الحرْب، واستَمَرُّوا أربعَة أشْهرٍ متَّصِلةٍ صَباحَاً ومسَاءً؛ ولم يكُن يومٌ إلَّا وكَان الظَّفرُ فيه للمُبيِّضَة. وحَار المُسْلمونَ، والتمَسُوا الحِيلَةَ، فقَالَ مَالكُ بنُ فَارن: أنَا أدبِّر أمرَكُم، وأمَرَ بحفْرِ أُخْدودٍ مِن المُعسْكر إلى جدَار الحِصْن، وأرسَلَ الرِّجَالَ إلى هنَاك بالسَّلاح، وأمَرَ بتقويَة كُلِّ مَا يحفرُونَه بالخَشَب والقَصَب والتُّرَاب وتغطيَتِه حتَّى وَصَلُوا إلى أسْفلِ مِنْ جِدَار الحِصْن، وجَعَلوا ثغْرةً مقدَارَ خمسِين ذِرَاعَاً وقوَّوهَا بالأعْمِدة، فلمَّا حفَرُوا مقدَار خمسِين ذرَاعَاً مُلؤوهَا بالحطَب، وألقَوْا فيهَا النِّفط، وأضْرموا النَّار لتحتَرق كُلُّ الأعمِدَة، وينهَار جدَار الحِصْن، فلم تشْتَعل النَّار؛ لأنَّ النَّار تلزَمُهَا الرِّيح؛ ولم يكُن تحْتَ الحصْن طريْقٌ للرِّيح، فنصبُوا المنجنيقَات، وصَوَّبُوهَا نحو أسفلِ مِن ذَلِكَ البُرْجِ الذي حفَرُوا تحتَه، وألقَوْا الحجَارة، فحَدَثت ثُغرةٌ، وتطرَّقت الرِّيح فَاشْتَعَلت النَّار واحترَقَت تلك الأعمِدَة، وانهَار مقْدارُ خمسِين ذرَاعَاً، فوضَعَ

(1) ابن الأثير، ج6 ص27؛ الطّبريّ القسم الثّالث ص459.

المُسْلمونَ فيهم السَّيفَ، فقتَلوا أَنَاسَاً كثيرين، واسْتأمن البَاقُون، ثمَّ تعَاهَدُوا على مَا كانوا تعَاهَدُوا عليه أوَّلاً، بألَّا يؤذُوا المُسْلمينَ، وأن يعُودُوا إلى قُرَاهم، ويبعَثُوا بكُبَرَائهم إلى الخَليفَة، وألَّا يحْمِلُوا معَهَم سِلاحَاً، فتَعهَّدوا بالتِزام هذِه الشُّروطِ ، وخَرجُوا وعَبَرُوا الخَنْدقَ، لكِنَّهم حمَلُوا معَهَم السِّلاح خُفْيَةً، وأودَع جبرَائيلُ كبيرَهم حكِيماً عنْد ابنِ عبَّاسٍ قائِلاً: أنزلْه في السُّرَادقِ واقْتُلْهُ خُفْيَةً. فَامتَثَل ابنُ عبَّاسٍ أمْرَهُ فحُمِل إلى السَّرَادق، وكانُوا واقفِين مِن بعيدٍ، وذَهَبَ جبرَائيلُ إلى السُّرَادق، فَأرسَل المُبيِّضَةُ رجُلاً اسْمُه (خشو) وكان صَديقَ (حكيم) وقَالَ لجبرَائيلَ: نحْنُ لا نذْهبُ مِن دونِ حكِيم! وكان خشوُ يلبَس خُفَّيْن جديدَين. وبيْنَما كان يقولُ هذا الكلامَ جاءَ ابنُ العَبَّاسِ إلى جبْرَائيل وقَالَ له: قد قَتَلْتُ حكِيماً. فَأمَر جبرَائيْلُ بإنزَال (خشو) عن الحِصَان، وقَتَلُوه في الحَال؛ فصَاحَ المُبيِّضَة وأخْرجُوا السِّلاحَ، ودارَتْ الحَرْبُ. وأمَر جبرَائيلُ بركُوب العَسْكَر جمِيعَاً، واشتبَكُوا وخَاضُوا معَاركَ عنيفةً أشدَّ مِمَّا جَرَتْ حتَّى هُزِمُوا مَرَّةً أخْرى؛ وقُتِلَ منهُم خلقٌ كثيرٌ، وفرَّ مَن بقي. وذهَبَ (كردك) إلى المُقنَّع، وقُتِلَ (باغي) الذي كان منْهم في الحرْبِ أيضَاً، وحَمَلَ جبرَائيلُ رؤوسَهَم إلى السَّغد؛ ليكسِر قلوبَ المُبيِّضَة فيهَا. وقد كانَ ولَّى على أهْل السَّغدِ أميْرَاً مِن نقبَاءِ المُقنَّع اسْمه (السَّغديَان) فحَالَفَه أهلهَا، ووقَعَت لجِبرَائيلَ حُروبٌ كثيرةٌ معَهُم، واسْتطَاع رجُلٌ مِن أهْل بُخَارى قتلَ سغديَان هذا، وتفوَّقُوا عليهِم، وذَهَبَ جبرَائيلُ مِن هنَاك إلى سمرْقند.

تُوفِّي في هذا الوقْتِ[1] حميْدُ بنُ قحطبَة والي خُرَاسَان وذَلِكَ

(1) مستهلّ شعبان سنة (159). تاريخ سنيّ ملوك الأرض ص221.

في سَنَة (159هـ)[1] فَأوكَلَ المهْديُّ إلى أبي عوْنٍ عبدِ الملِك بنِ يزيدَ ولايَةَ خُرَاسَان ومحَاربَةَ المُقنَّع،[2] وقَدْ اضْطربَت الأوضَاعُ في بدايَة حكُومتِه؛ لاسِيَّما أوضَاعِ خُرَاسَان؛ وذَلِكَ بسبَبِ خرُوج يوسُفَ بنِ إبرَاهيمَ المعْروفِ بيوسُفَ البَرِم في بُخَارى في سَنَة (160هـ / 777م)، ويُقَالُ: إنَّ هذا الرَّجُل كان حَرُوريَّاً، وأمَرَ بالمَعروفِ ونهَى عن المُنْكر،[3] وبحَسَبِ قولٍ آخَر، فَإنَّه ادَّعَى النُّبوَّة وكَفَر،[4] وتمَرَّد على العَبَّاسِيِّين، والتفَّ حوْله كثِيرٌ مِن النَّاس، وتمكَّنَ يوسُفُ مِن الاسْتيلاء على مروَ الرَّوْدِ وطالقانَ والجوزجان، فَأرسَل إليْه المهْديُّ يزيدَ بنَ مَزْيَدٍ الشَّيْبانيَّ، فتحَارَبَ معَه وأسَرَه، وأرسَلَه إلى المهْديِّ الذي قَتَلَه فيما بعد.

تسبَّب هذا التَّمرُّد والاخْتلالُ اللَّذَين ظَهَرَا في خُرَاسَان إلى زيَادةِ قوَّة المُقنَّع بشَكْلٍ تدْريجِيٍّ فيما ورَاء النَّهر؛ وعزَلَ المهْديِّ أبا عوْنٍ لعَدَم قدرَتِه على الحَدِّ مِن المُقنَّع وحرَكَتِه، وعَيَّنَ مكانَه مُعَاذاً بنَ مُسْلمٍ الرَّازيَّ بوصْفِه عَامِلاً على خُرَاسَان،[5] فدَخَلَ مُعَاذ إلى مروَ في

(1) أصبح بعده عبد الله بن حميد عَاملًا وبقي في ذَلِكَ المكان ستّة أشهر، ثمّ أصبح بعده مرّةً أخرى أبو عون واليَاً وابنه عبد الله بن أبي عون الذي أرسل في يوم الاثنين من منتصف شهر صفر سنة (160)، وأصبح بعده معَاذ بن مسلم أميرَاً.

(2) ابن الأثير، ج6، ص26– 27.

(3) اليعقوبّي كتاب البلدان، ص303، والتّاريخ ج2 ص478، الطّبريّ القسم الثّالث ص470، ابن الأثير ج6 ص29.

(4) البدء والتَّاريخ ج6، ص 97، الطّبريّ القسم الثّالث، ص773، ابن الأثير، ج6، ص154.

(5) الطّبريّ القسم الثّالث ص476، ابن الأثير، ج6، ص31، اليعقوبّي، كتاب البلدان، ص303.

سَنَة (161هـ).[1]

وبقِي المُقنَّع على أحدِ الأقوالِ ثلاثَةَ أيَّامٍ وهُو يحمِّي التَّنُّور، فدخَلَ فيه واحترَقَ؛[2] وعلى قَولٍ آخَر إنَّه تنَاوَلَ السُّمَّ مع نسائِه وعيَالِه جميْعَاً، وعندَمَا دَخَلَ المُسْلمُونَ القلعَة، حَمَلوا رَأسَه إلى حَلَبَ حَيْثُ كان المهْديُّ هنَاك.[3] ويشِير البَيْرونيُّ في روايةٍ أخْرى حوْل موْتِه إلى أنَّ سَبَبَ دخُولِه التَّنور هو مِنْ أجْل أن يتَلاشَى عن هذا العَالم، فوجَدُوه في التَّنُّور، وحزُّوا رَأسَه، وأرسَلُوه إلى المهْديِّ الذي كان في حَلَبْ.[4]

ووَرَدَ في تاريخ بُخَارى أنَّ حركَة المُقنَّع اسْتمرَّت لمُدَّة أربعَةَ عشَر عَامَاً،[5] وأنَّه هَلَكَ في سَنَة (167هـ).[6] وكذلِكَ يذكُر كلٌّ مِن البَيْرونيِّ وأبي منصُورٍ البغداديُّ أنَّ حركَتَه استمرَّت لمدَّة أربعَة عشَر عَامَاً،[7] وبنَاءً على ذَلِكَ فَإنَّ ظُهوره كان في سَنَة (154هـ) لكنَّ هذا

---

(1) تاريخ بخَارى، الكامل ابن الأثير المصدر ذاته.

(2) ورد في مخطوطة جامَاسب نَامه (Suppl. Pers.1090 F37b) المحفوظة في مكتبة باريس الوطنيّة الفقرة الآتية المتعلّقة بالمقنَّع "ظهر في آخر هذا القرن رجلٌ طويل القامة، أسود البشرة، أعور من الولادة، وارتدى مقنّعةً وادّعى الألوهيّة باطلاً في سغد وكش ونخشب... فَاتّبعه الكثير... وأسال الدّمَاء، وقد سعى إلى رفع اسم النّبيّ محمّدٍ ووضعِ اسمه مكانه.

(3) اليعقوبّي والطّبريّ والمقدسّي ولكن يبدو أنّ هذا الرَأي بعيدٌ عن الحقيقة.

(4) المصدر ذاته.

(5) ص64.

(6) ص67.

(7) البيرونّي المصدر ذاته، البغداديّ ص143. وقد استُبدلت خطأً من الهَامش سنة مقتل المقنَّع سنة سبعٍ بتسعٍ.

ينَافي كثِيرَاً مَا أوردَه ابنُ الأثير حوْل حركَة المُقنَّع، مِن أنَّهَا ظَهَرَت في أواخر حكُومَة حميدٍ زيَادةً على وقائَع الظُّهور التي أوردهَا (تاريخُ بخَارى) والتي أشَارت إلى أنَّهَا كانتْ قد وَقَعَت في زَمَان حميدٍ بن قحْطبَة، وتحدِيداً في أوَاخِر سَنَة (158هـ).[1] فَإذا كان المُقنَّعُ قد ظَهَرَ في سَنَة (154هـ) فماذا كان يفعَل في السِّنين الأربَع الأولَى؟ ويبْدُو أنَّ ظُهورَه كانَ على هذه الشَّاكِلَة كما يقولُ ابنُ الأثير وكَان في سَنَة (159هـ) قبْل موتِ حميدٍ.[2]

وقد ذُكَر في (تاريخ بخَارى) في المكَان ذاتِه أنَّ موتَه كان في سَنَة (167هـ) ولكنَّه يذكُر في موضِع آخَر أنَّه لمَّا فَرَغَ المهْديُّ مِن حَركَة المُقنَّع والمُبيَّضة، أمَر الفُرسَانَ بمُلاحَقَة بنيَاد بن طغشاده، حَاكم بُخَارى لجُرمِه في مسَاعدَة تسليمِه للذَّهَاب إلى بنيَادَ بنِ طغشاده وقتْلِه غِيلةً، وقَدْ حَدَثَ ذَلِكَ في سَنَة (166هـ).[3] ويظهَر مِن (تاريخ بخَارى) أيضاً أنَّ المُقنَّع قد رُدَّت حرَكَتُه في زمَان مسَيَّبٍ بنِ زهير الضَّبيِّ، وعُزلَ مسيِّبٌ بنُ زهير الضَّبيُّ في سَنَة (166هـ) حِينما ثار عليه أهْلُ خُرَاسَان، وحَلَّ مكَانَه الفضْلُ بنُ سليمَانَ الطُّوسيُّ،[4] وهكَذا فَإنَّ مِن المُحتمَل أنَّ هَلاكَ المُقنَّع، كان في سَنَة (166هـ)

(1) البيرونّي ج6 ص24، اليعقوبّي كتاب البلدان ص303.

(2) يذكر الطّبريّ أنّ ظهوره كان سنة (161هـ) (القسم الثّالث، ص484 ويذكر في موضع آخر(القسم الثّالث ص773) أنّ سنة خروجه كانت قبل خروج يوسفَ البرمكيّ سنة (160هـ)، وقد بحث اليعقوبيّ في حركة البرمكيّ في سنة (160هـ) وهي السّنة ذاتهَا التي وقعت فيهَا حركة أو تمرّد المقنَّع. المصدر المذكور.

(3) ص9.

(4) الطّبريّ القسم الثّالث ص517؛ ابن الأثير، ج6، ص49؛ تاريخ بخَارى، ص32، أرسل فضل سعيداً بن بشرٍ مكانه في يوم الاثنين من المحرّم.

وهذا مَا يؤيِّدُه رَأيُ حمْدِ الله المسْتوفِي.[1] وبذلِكَ يُكُون تمرُّد المُقنَّع قد اسْتَمَرَّ ثمَانَ سِنِين.[2]

«ثالثاً: عقائدُ المقنَّع»

وَصَلَت إليْنَا بعْضٌ مِن الأخْبَار عن المُقنَّع وعقائِدِه، يعُود معظَمُهَا إلى بدايَة حركَتِه؛ لكنَّهَا غيْر مُنظَّمةٍ في المَصَادر. وترتَكِزُ عقَائِدُه في تجْسِيم الله على هيْئَة الأنبيَاء؛ أو بجُمْلةٍ أخْرى حلولِ الله فيهِم، وأنَّ فضِيلةَ كُلِّ واحِدٍ منْهُم أكْثرُ مِن سابِقِه، حتَّى وَصَلت إلى أبِي مُسْلم الذي كان أفضَلَهُم، وأنَّ الله تجَسَّم على هيْئَة المُقنَّع؛ وأبَاح المُقَنَعُ مَالَ ودَمَ الذين لا يؤمنُون به! وتذكُر تلك المَصَادرُ أنَّه قَدْ حلَّلَ كثِيراً مِن الأمُور المُتعلِّقَة بالنِّسَاء والرِّجَالِ، وأحَلَّ كذلِكَ بعْضَاً مِن المُحرَّمَاتِ مثْل: ترْكِ الفَرَائضِ الدِّينيَّة مثلِ الصَّلاة والصَّوم.

ووجَدَتْ عقيدَةُ الحُلول بيْن الفِرَقِ، لاسِيَّما بعْضٍ مِن فِرَقِ غُلاة الشِّيعَة قبْلَ ظهُور المُقنَّع.

وأوَّلُ الفِرقِ التي قَالَت بالتَّجسِيم هي فِرْقةُ السَّبئيَّة،[3] وادَّعى الحُلُول أيضاً بعْد ذَلِكَ أتباعُ حمْزَةَ بنِ عمَّارٍ البربَرِيِّ الذي كَان مِن أهْلِ المدِينَة، وادَّعَى النُّبوَّة، وقال: إنَّ محمَّداً بنَ الحنفيَّة هو الله؛ ويُقَالُ: إنَّ حمْزَة قَدْ تزَوَّج مِن ابنَتِه، وأحَلَّ المَحَارمَ.[4] ثمَّ الحَارثيَّة التي كان

---

(1) تاريخ كزيده ص298، ورد في هذا الموضع غلطاً اسم المسيب بن زيدٍ.

(2) ذكر الطّبريّ أنّ هلاكه كان في سنة (163هـ) القسم الثّالث، ص494؛ ابن الأثير (161هـ)، الجزء6 ص34، وهذا خطأٌ، وقد ذكر ابن خلّكان أنّه قد هلك في سنة (163هـ).

(3) مقَالاَت الأشعريّ ص15؛ الموطّأ، ص14؛ الأعلاق النّفيسة، ص218.

(4) فرق الشّيعة ص25.

صَاحِبَهَا عبدُ الله الذي كان أَبُوه الحَارثُ زنْدِيقَاً مِن أَهْل المَدَائِنِ، وقيلَ إنَّ صَاحِبهَا هو عبدُ الله بنُ معَاويةَ الذي حبَسَه أبو مُسْلمٍ ثمَّ قَتَلَه، وورَدَ أنَّه رَأى جسْمَ الله على شَكْلِ نورٍ كان يَحُلُّ بالأبْدانِ حتَّى وَصَلَ إلى عبدِ الله بنِ معَاويَة.[1] ومِن الرَّاونديَّة كذلِكَ فِرقَةٌ عَدَّتْ محمَّداً بنَ عليٍّ بنِ عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ أَنَّه الله.[2] واعتَقَدَتْ بذلِكَ الخَطَّابيَّة والمنصُوريَّة، [3] وظَهَرَتْ في زَمَن المُقنَّع فِرقةُ المُسَلَّمِيَّةِ التي اعتَقَدَتْ بأنَّ روحَ الله قَدْ حلَّتْ في أبي مُسْلمٍ.[4]

ويتَّضِح مِن ذَلِكَ أنَّ العقَائِدَ التي جاءَ بهَا المُقنَّع لم تكُن فِكَرَاً غريبَةً أو غيْر معْروفَةٍ، بل كانت مُتداوَلةً وشَائِعةً عنْد أهْل تلك المَنَاطِق، حتَّى إنَّه يمكِنُ القولُ: إنَّ جميعَ مَا سَبَقَه قَدْ أثَّر عليْه تأثيرَاً كبيرَاً وواضِحَاً، لاسِيَّما في مجَالِ العَقائِدِ والآرَاءِ الدِّينيَّة التي دعَا إليهَا. وبذَلِكَ يمكِن القولُ: إنَّ مَا جاءَ به المُقنّعُ كان في مجْمَلِه تكْرَارَاً لمَا سَبَقَ.

وقد رَاجَت فكْرَة إباحَةِ قتْلِ المُخَالِفين والأعْداءِ بيْن فِرَقِ الشِّيعة الغُلاة.[5] فقَدْ أمَرَ أبو منصُورٍ العُجَليُّ أصْحَابَه بقَتْل كُلِّ المُخَالِفِين وإباحَة أمْوالِهم ونسَائِهم، وقَالَ لهم: إنَّ أيَّ شخْصٍ يخَالفُكُم هو

(1) م.ن ص29، و ص31.

(2) م.ن 30،29.

(3) م.ن ص29، 38؛ مقَالَات الأشعريّ، ص9، 3؛ ابن قتيبة كتاب المعَارف، ص300؛ الشّهرستانيّ الملل والنّحل ص113؛ البغداديّ ص225. ورَاجع حول قول ابن حزم حول الشِّيعة مقَالَات فريد لاندر (مجل J.O.A.S م1909– ص32).

(4) قد تمّ بحث ارتباط المسلميّة بالرَّازميّة.

(5) وكذلك عند الخوارج.

كَافرٌ ومشْركٌ، يجِب قتلُه.[1]

ولا يمكُن إبدَاءُ رَأيٍ حوْلَ قانُون العَلاقَة مع النِّسَاء، لأنَّ معظْم مَا كُتِب حوْل هذا الموْضُوع كان مخْلُوطاً أو ممْزُوجاً بالغرَضِ والرُّؤيَة المُسْبَّقة، فلا يمكِنُ التَّثبُّت مِن أنَّه إلى أيِّ مَدىً يمكِن أن تكُون هذه المَعلومَاتُ صحِيحَةً؛ لكنْ على أيَّة حَالٍ يبْدُو أنَّ التَّسهِيْل أو التَّغاضِي عن كثِيرٍ مِن الأمور في مجالِ العَلاقَة مع النِّسَاء، كان شَائِعَاً ومُتداوَلاً بيْن الفِرَق الدِّينيَّة الإِيرَانيَّة مثْلِ المَزدكيِّين القُدامَى والمَزدكيِّين الجُدد الذين حمَلُوا اسْم المُحمِّرة أو الخرَّميِّين. ويبْدُو أنَّ بعْضَاً مِن فِرَق الشِّيعة الغُلاة قد دعَت إلى هذه الأفكار؛ لكن يمكِنُ القولُ على وجْه التَّقريْب: إنَّ هذه الفِرقَ المَذْكورة جمِيعَهَا، لم تُبحْ العلاقَاتِ مع النِّسَاء بالكَامِل وبشَكْلٍ مطْلَقٍ، لاسِيَّما قَبْلَ الزَّواج، ويبْدو أنَّ بعْضَاً مِن فِرقِ الشِّيعَة الغُلاة اهتَمَّتْ بهذا الأمْرِ قبْلَ ظُهورِ حرَكَة المُقنَّع؛ كمَا نُقِلَ عن فِرقَة الخَطَّابيَّة وهي أتباعُ أبي الخَطَّاب محمَّدٍ بنِ أبي زينَبَ الأجْدع الأسْديِّ الذي ذكَر المصَنِّفون عنه أنَّه قدْ أباحَ النِّسَاء.[2]

وقَدْ نُسِبَت إبَاحَة المُحرَّمَاتِ وتَرْكُ الفَرَائضِ إلى بعْضٍ مِن الفِرقِ الدِّينيَّة الإِيرَانيَّة مِثلِ الخرَّميَّة وبعْضٍ مِن فِرقِ الغُلاة، وكان مِن جمْلتِهِم عبدُ الله بنُ معَاويةَ بنِ عبدِ الله بنِ جعفرٍ بنِ أبي طَالبِ وأتْباعُه.[3]

(1) فرق الشّيعة ص34، مقَالاَت الأشعريّين ص10، الشّهرستانّي، ص136.
(2) فرق الشّيعة ص38، مقَالاَت الأشعريّين ص2.
(3) الشّهرستانّي ص113؛ فرق الشّيعة، ص39؛ مقَالاَت الأشعريّين، ص6، و ص22–23، ص85؛ البغداديّ، ص35–236.

خَرَجَ عبدُ الله بنُ معَاويةَ مِن الكُوفة في سَنَة (127هـ) وتوجَّه إلى إيرَان، وغلَبَ على كُلٍّ مِن الدَّينور، وهمَدان، وأصفهَان، وقمَّ، وكاشَان. وأرسَلَ إليْه مرْوانُ بنُ محمَّدٍ مِن أجْلِ صَدِّه جيْشاً سَلَكَ الطَّريقَ مِن كرمَان إلى خُرَاسَان، فقَبَضَ عليْه أبو مُسْلمٍ، وحبَسَه، ومِن ثَمَّ سَمَّهُ. ويُذكَر أنَّ عبدَ الله بنَ معَاويَة أرسَل بعْضاً مِن أبنَائه إلى أصْفهَان، وحِينَما هَلَك في خُرَاسَان بقِي عددٌ مِن أتبَاعِه ومريدِيْه في أصْفهَان، ويبْدُو أنَّ عقَائِد أتبَاع عبدِ الله لهَا شَبَهٌ كبيرٌ بعقَائِد الخرَّميَّة الذين آمنُوا بالتَّنَاسُخ وحلُول روحِ الله وتَرْكِ الفَرَائِض، وعَاشُوا في نواحِي أصْفهَان.

يقولُ الشّهرسْتانيّ:[1] إنَّ الخرَّميَّة والمزدكيَّة قد نشَؤوا وانطَلَقُوا مِن العِرَاق. ومِن الثَّابتِ أنَّ هَاتيْن الفِرقَتَين كانتَا قريبَتَيْن مِن عبدِ الله بنِ معَاويَة، ويؤيِّد ذَلِكَ قولُ الشّهرسْتانيّ في موضِع آخَرَ؛ ولكنَّ الشَّيءَ الذي وَهِمَ فيه وأخْفقَ مِن حَيْثُ الدِّقَّةُ التَّاريخيَّةُ، هو تشَابُه عقائِدِ أتبَاع عبدِ الله مع عقائِدِ الخرَّميَّة؛ فَقَدْ نسَبَ الشّهرسْتانيّ العقائِد المَذْكورَة إلى عبدِ الله. ولكنَّ المَصَادرَ الأقْدَمَ منه لا تؤيِّدُ هذا الأمْر.[2] وتذْكُر أكْثَرُ مَصَادرنَا مَعلُومَاتٍ عن علْم المُقنَّع بالهندسَة والرِّيَاضِيَات وكُتُبِ السَّلفِ، وتشير بعْضٌ مِن الرِّوايَاتِ إلى قدْرَتِهِ على استِخْرَاج السَّمَك مِن البئْر،[3] وأشَارتْ كُتُبُ النَّثر والشِّعرِ

(1) الشّهرستانّي ص125.

(2) المصدر ذاته.

(3) البلعميّ F 421b؛ نظام الملك ص 198،؛ مجمل التّواريخ F 217b، العوفيّ، مخطوطة المكتبة الوطنيّة باريس F.66b و906 Suppl.Pers F251b، آثار البلاد للقزوينيّ طبعة وستنفلد ص312؛ وابن خلّكان المصدر ذاته.

إلى نخشبَ بأسمَاءٍ مختلفةٍ، منهَا (مَاه نخشب) و(مَاه كش) و(مَاه بئركش) و(مَاه سنَام) أو (مَاه كشغر).[1] ووَرَدَت في المَصَادر قَصَصٌ مُمَاثلةٌ لذلِكَ.[2]

ولا يُعرفُ على وجْه الدِّقَّة أيٌّ منهَا هو الصَّحِيح! فَإخرَاج السَّمكِ مِن البئْر أمْرٌ واقِعٌ وممْكنٌ، وقَدْ نقلَ (سيلوستر دوساسي) فِقْرةً مِن المَقريزيِّ وترجَمَهَا.[3] وذكَر البغْداديُّ أنَّ المُقنَّع قَالَ عن نفْسِه أنَّه جاءَ في صُورة بشَرٍ؛ لأنَّه ليسَ للعِبَاد طَاقةٌ بالنَّظر إليْه، فَإنَّهم إذا شَاهدُوه بنُوره الكامِل سيحْتَرقُون.[4]

«رَابعَاً: أعقابُ المُقنَّع»

لم يكُن موْتُ المُقنَّع عَامِلاً في ذهَابِ أو اضْمحلالِ عقائِدِه، بل إنَّ عدَداً كبيرَاً مِن آرَائِه ومُعتقَدَاتِه بقيَتْ. ويذكُر النَّرشخيُّ أنَّ المُقنَّع يقولُ: إنَّ سببَ احترَاقِه وعُروجِه إلى السَّمَاء إنَّمَا كان بسببِ معَاصِي عبَادِه، فسيَجْلبُ المَلائكةَ ويقْهَرُهُم حتَّى يعُود إلى الأرضِ ويعِيدَ إليهَا الدِّين. ولكنَّ المقدسِيَّ يذكُر أنَّه وَعَدَ أصْحَابه قبْل أن يحْتَرقَ بأنْ تتحَوَّل روحُه إلى قَالَب رجِلٍ أشْمَطَ على بِرذَوْنٍ أشْهَبَ، وأنَّه يعُودُ

(1) سعيد نفيسّي أحوال رود كيّ، ج1، ص294. من الشّعرَاء الذِين أوردوا اسم المقنَّع الرّودكيّ والسَّوْزنيّ، ومن الشّعرَاء والأدباء المعَاصرين البيشاوريّ، ومن الشّعرَاء العرب أبو العلاء المعريّ، وأبو القاسم هبة الله سنَاء المُلك. رَاجع ابن خلّكان ترجمة المقنَّع وهوامش تاريخ البيهقيّ بقلم الأديب البيشاوريّ، ص100.

(2) الإسفرَايينيّ F79b؛ تاريخ بُخَارى ص71؛ تبصرة العوامّ ص184-185؛ المقريزيّ ج2 ص354.

(3) S.de.Sacy Expose de la Religion des Druses.p lxl.

(4) الفرق بين الفرق ص124.

بعْد كذا سَنةً، ويملِّكُهُم الأرْضَ، فهم ينتَظِرونَه ويُسَمَّوْنَ المُبيِّضَة.

فَإذا كانت هذه المعْلومَاتُ مِن المقنَّع أو مِن أتباع قريْبي العهْد منْه، فَإنَّ ذَلِكَ يدلِّل على أنَّ المُبيِّضَة وأتبَاع المُقنَّع، كانُوا موجُودِين بعْد قُرُونٍ مِن حركَة رئيسِهِم.

يقولُ مؤلِّفُ كتابِ (حدودُ العَالم) الذي ألَّفَه في سَنَة (372هـ): إنَّ نَاحِيَة إيلاق نَاحِيَةٌ كبيرةٌ تقَع مَا بيْن الجبَل والصَّحْرَاء، وأهلُهَا كُثُرٌ، وهي مديْنةٌ عَامِرةٌ ومزرُوعةٌ، ومَا بين مُدُنِهَا قُرى كثِيرةٌ، وأَكْثَرُ أهْل قرَاهَا على مذهَبِ المُبيِّضَة.[1]

ويذكُر المقدسِيُّ[2] أنَّ في قرى هيْطلَ أقْوامٌ كُثُرٌ، أَكْثَرُهُم مِن أصْحَاب الثِّيَاب البِيضِ، ومذاهِبُهُم قريبَةٌ مِن الزَّندَقَة، وذَكَر في موضِعٍ آخَر مِن كتابِه أنَّ هؤلاءِ على مذْهَب الأبيضيَّة (المُبيِّضة).[3]

ويذكُر البَيْرونيِّ أنَّ أتبَاع المُقنَّع كانُوا فيمَا ورَاء النَّهر، وقَدْ أخْفَوْا مذْهَبَهم الحَقيقيَّ وأظْهَرُوا الإسْلام. ويذكُر البغْداديُّ أنَّ «المُقنَّع أحْرَقَ نفْسَه في تنُّورٍ في حصْنِه قد أذابَ فيْه النُّحَاسَ مع السُّكر حتَّى ذابَ فيه وسَكَنَ فيه أصْحَابِه بعد ذَلِكَ لمَّا لم يجِدُوا له جثَّةً ولا رَمَاداً، زعَمُوا أنَّه صَعِد إلى السَّمَاء».[4] وكان أتبَاعَه حِينهَا في جبَالِ إيلاق،[5] وهُم مِن المُزارعِين، ووُجِدَ في كُلِّ قريَةٍ تقريباً مسْجِدٌ لهُم،

(1) ص69.

(2) ص323 إنّ في قرى.

(3) ص37.

(4) رَاجع كذلك الكامل لابن الأثير، ج6، ص35.

(5) يظهر أنّ سكّان هذه النَاحِية ظلّوا أقويَاء وأصحَاب شوكةٍ حتّى زمن السّلاجقة، تركستان بارتولد ص307.

لكِنَّهم لا يُصَلُّون ويَأكلُون المَيْتَة والخِنْزِيرَ ويُحِلُونَهَا، وكَان كُلُّ شخْصٍ يستَطِيع أنْ يتَمتَّع بامْرَأة الآخَر ولا يتَوانَى في ذلِكَ، وإذا شَاهَدُوا مُؤذِّنَاً في مسْجِدِهم فَإنَّهم يقتُلُونَه ويخْفُونَه، لكنْ لحُسْنِ الحظِّ فَإنَّ المُسْلِمِين قد قَتَلوهُم.[1] ويذكُر المُؤلِّف نفْسُه في موضِعٍ آخَر،[2] أنَّ المُقنَّع أو المُبيِّضَةَ فيمَا ورَاء النَّهر، قَالَوا: إنَّ المُقنَّعَ هو الله، وأنَّه ينْزِلُ في كُلِّ زمَانٍ على هَيْئةٍ خَاصَّةٍ. وقَدْ عدَّ الشّهرسْتانيُّ المُبيِّضَة فِرقةً مِن فِرقِ المزدكيَّة، وذَكَرَ أنَّ مسَاكِنَهم كانَت في نواحِي سغد وجاج وإيلاق.[3]

يقولُ مُترجِمُ (تاريخ بخَارى): حتَّى ذَلِكَ الوقْتِ كان القَوْمُ في سَنَة (522هـ) في ولايَة كيشٍ ونخشبَ بعْضَاً مِن قُرى بُخَارى مثل كوشك عمر، وكوشك خشتوان، وقرى زرمَاز؛[4] لكنَّ هؤلاءِ ليسَ عندَهُم خبَرٌ عن المُقنَّع، ووُلِدُوا على هذا الدِّين، ومذهُبُهُم أنَّهُم لا يقيمُون الصَّلاة ولا يصُومُون ولا يغتَسلُون مِن الجنابَة؛ ولكنَّ الدِّين أمَانةٌ وقَدْ أخفَوْا هذا عن المُسْلميْن، وأظْهَرُوا الدَّعوَةَ إلى الإسْلام. ويُقَالُ: إنَّهم قد أبَاحُوا النِّسَاء فيمَا بيْنَهم؛ وقَالَوا: إنَّ المرْأة مثْل الزَّهرَة يجبُ أن يشُمَّ عطْرَهَا كُلُّ إنسانٍ.[5] ويذكُر العوفيُّ في حدود سَنَة (630هـ) أنَّ مِن بقايَا أتبَاعِه أشخَاصَاً في قُرى ولاية

(1) ص244، المصدر ذاته.

(2) ص215 في باب بيَان المذاهب.

(3) ص194.

(4) يذكر السّمعَانّي في كتاب الأنساب: (إنّ جَماعةً منهم في ذَلِكَ الوقت قد أقاموا في نواحِي بُخَارى وسُمّوا بالمبيّضة ويُقَال: إنّ مسكنهم كان في قصر عمير). وقصر عمير هو كذلك في تاريخ بُخَارى باسم كوشك عمر قَالَ ذَلِكَ بارتولد تركستان ص200.

(5) ص73.

بُخَارى وسمرقند سُمُّوا بـ المُبيِّضة، كانوا يعرفُون الإسْلام و نَشَّؤُوا أولادَهُم على تَعلُّم القرْآن، لكن ليسَ لهم اعتقادٌ في ذلِكَ، ولا يعرفُ أحدٌ كيفَ هي اعتقَادَاتُهم.[1]

ويقول العوفيُّ[2]: خرَجَ في عهد الملِك شاه علويٍّ، علويٌّ يُسمَّى العلويَّ الإيلاقيَّ،[3] قيل: إنَّ اسْمه كان محمُوداً، وعُرفَ مِن جميع الأشْخَاص الذين تلقَّاهم أنَّهم كانُوا مِن المُبيِّضة، أو أنَّه قد عمِلَ في بعْضٍ مِن مقَالَات الخرَّميَّة ومزَجَ بهَا مقَالَاتِ المُسْلمين، ولَّما اطَّلع النَّاسُ على هذه المقَالَات شكَوْه إلى قاضي مرو، فَأحضَرَه وأعلن أمَامهم تلك المقَالَات، فَأمَرَ القاضِي بقتْلِه.

(1) الكتاب المذكور F251b.

(2) جوامع الحكايَات الموضع ذاته.

(3) أَكْثَر سكّان هذه المنطقة هم من المبيّضة.

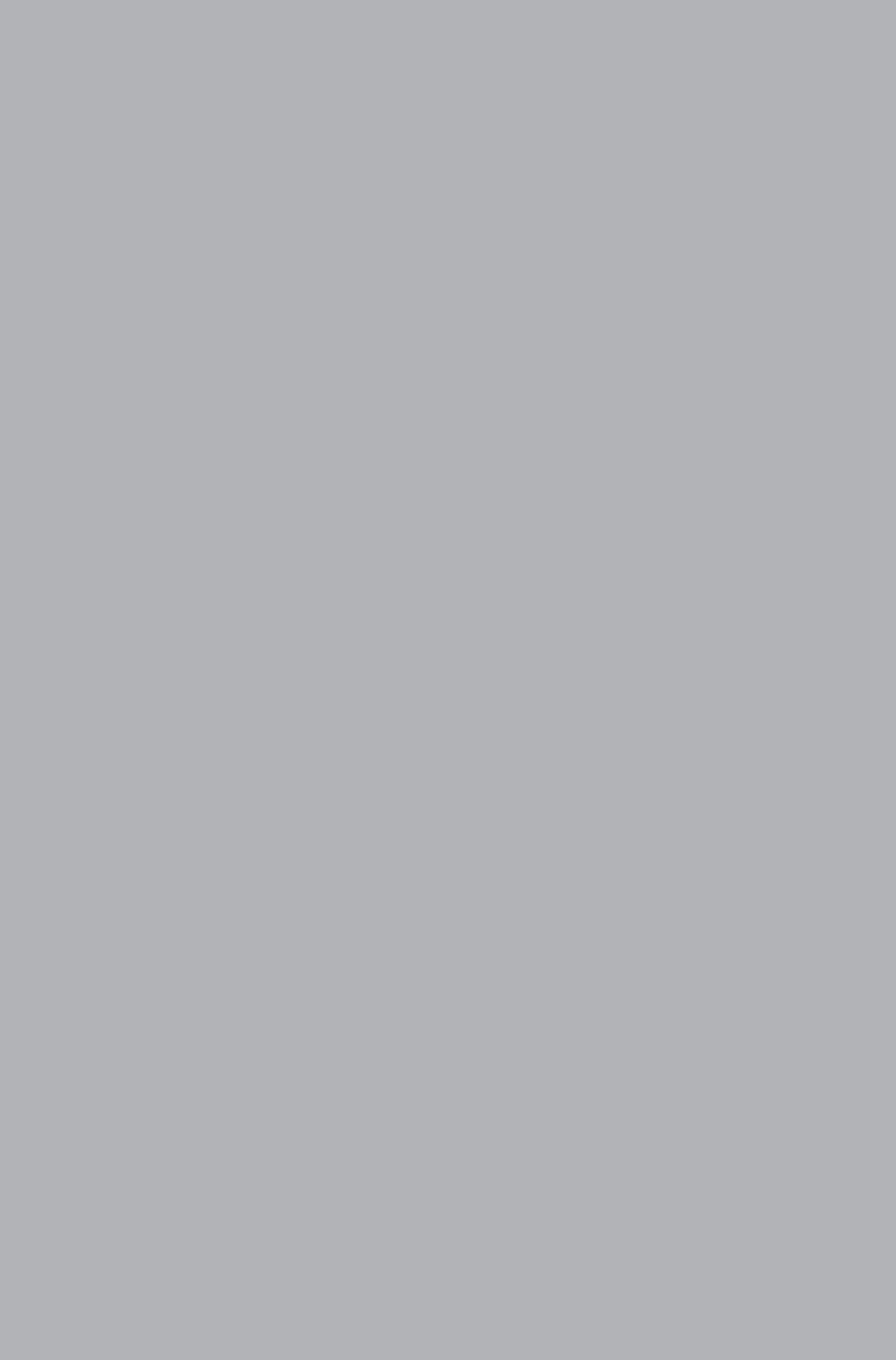
الفصل السَّادس

أصحَابُ المذهَبِ الخرَّميِّ

أوَّلاً: المَصَادرُ الأوَّليَّة.

ثانياً: تعَاليمُ أصحَاب المذهبِ الخرَّميِّ.

ثالثاً: تشعُّباتُ المذهَبِ الخرَّميِّ.



«أوَّلاً: المَصادر»

لم تكنْ الأخْطاءُ الكثِيرةُ التي وَقَعَ فيهَا المُصَنِّفون المُسْلمُون حوْل الخرَّميَّة مَقصُورةً فقط على عدَم إيرَاد آرَائهم وفِكَرِهِم بشَكْلٍ صَحِيح، وإنَّما عدُّوهم في بعْضٍ مِن الأحْيَان فِرقةً مِن المَجُوس، وفي أحْيَانٍ أخْرى فِرقةً مِن الرَّافضَة، وفي أحْيَانٍ ثالثةٍ فِرقةً مِن فِرَقِ الخرَّميَّة؛ لكنْ قد يظْهَرُ جَليَّاً بعد البَحْثِ أنَّ أصُول الخرَّميَّة تعُودُ إلى المَزدكِيَّة في العصْر السَّاسَانِيِّ. وكمَا العَادةُ في تَاريخ كُلِّ الأديَانِ والفِرقِ، يُلحَظ بمرُور الوقْتِ أنَّ الآرَاءَ في الفِرقَة الدِّينيَّة تمرُّ بمجمُوعَةٍ مِن التَّطوُّرَات تبعَاً لمُقتَضَيات الزَّمَان والمَكَان؛ ومِن أجْل المُتابعة بشَكلٍ دقِيقٍ، فَإنَّنَا سنُصَنِّفُ بشَكْلٍ مُنظَّمٍ ومُرتَّبٍ تاريخيَّاً مضامين معظَمِ مَا قَالَهُ المُؤلِّفون المُسْلمونَ في ذلِكَ.؟

ذكَرَ أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ موسَى النَّوبختيُّ المُتوفَّى فيمَا بين السِّنين (300–310هـ). في كتابِ (فرقُ الشِّيعة)[1] بعد تنَاولِه أهْل الغُلوِّ أنَّه مِن الخَطَأ القولُ: إنَّ هذه الفِرقَ تنتَمِي إلى التَّشيُّع، وأنَّ مرجِعَ جميعِهَا فِرقُ الخرَّميَّة والمزدكيَّة والزَّنديقيَّة (المَانويَّة)، فَإنَّ مَا بين هذه الفِرقِ الثَّلاثِ رَابِطَةً وآصِرَةً كبِيرَةً.[2]

---

(1) ص41.

(2) وأورد هذا المؤلّف في موضعٍ آخر ص32 إنّ الخرَّميَّة هي فرقةٌ من الكيسانيّة والعبَّاسيَّة والحَارثيَّة.

ويذكُر المسْعوديُّ في كتابِ (التَّنبيهُ والإشرَاف) الذي ألَّفَه سَنَة (345هـ)[1] «وقَدْ ذكَرنَا في كتابنَا (المقَالَاتُ في أصول الدِّيَانَات) وفي كتاب (سرُّ الحَيَاة) مَذَاهِبَ الخرَّميَّة الكوذكيّة منهُم، والكوذشاهيَّة وغيرِهم، ومَنْ منْهُم بنوَاحِي أصْبهَان، والبرج، وكرج أبي دلف، والزِّزَّيْن، ززِّ معقلٍ، وززِّ أبى دلف، ورستاق الورسنجان، وقَسم، وكوذشت من أعمَالِ الصُّيمرة من مهرجان قذق، وبلاد السِّيروان، وأربوجانَ من بلاد مَاسبذان، وهمذان، ومَاه الكوفة، ومَاه البصرة، وأذربيجان، وأرمينيَة، وقمَّ، وقاشانَ، والرِّيِّ، وخُرَاسَان، وسَائرِ أرضِ الأعَاجِم؛ وغيرِهَا؛ ومَا بينَهم مِن التَّنَازع، ومَا بيْن الفَريقَيْن وبيْن المُحمِّرَة والمزدكيَّة والمَاهَانيَّة؛ وغيرِهم مِن الخِلاف، ومَا جَرى لنَا مِن المُنَاظرَاتِ مع مَن شاهدْنَا منهم في هذه المَواطِن، ومَا ينتَظِرُه الجَميعُ في المُستقْبل مِن الزَّمَان الآتي مِن عَوْدِ المُلك فيهم، ومَن خُلِعَ عليه في الإسْلام منهم، ومَن ظَهَرَ منذُ عهْد الهرمزان الذي قَتَلَه عُبيدُ الله بنُ عمرَ بنِ الخطَّاب عند وفَاة أبيه عمَرَ إلى وقْتنَا هذا، و غيْر ذلِكَ. واستقصَيْنَا الكلامَ على هؤلاء وغيْرِهم مِن أصْحَاب الاثنَيْن، وجمِيع مَن قَالَ بالقِدَم على تبَايُنِهِم، وسَائرِ مَن خَالف التَّوحِيدَ وبايَنَ مِلَّة الإسْلام في كتابِ (الإبانةُ في أصُولِ الدِّيَانة)».

وتُظْهِرُ هذه الفِقَرةُ أيضَاً التَّقارُبَ الموجُودَ بيْن الخرَّميَّة وفِرقةِ المُحمِّرةِ والمزدكيَّة والمَاهَانيَّة، وكلِّ أصْحَاب الاثنين المُخَالِفين للتَّوحِيْد، لاسِيَّما هنَا أنَّ ذِكْرَ اسْم هَاتيْن الفِرقتَين أيِّ المزدكيَّة

(1) المتن، ص353، 354 ترجمة كارَادوو، ص454-453 طبعة مصر 1938 ص306.

والمَاهَانيَّة[1] الّلتين هما مِن الفِرق الإِيرانيَّة القدِيمَة له أهمِّيَّته، وتوضِّح فيمَا بعدُ أنَّ فِرقة المُحمِّرة هي مِن الفِرق القريبَة جدَّاً إلى الخرَّميَّة.

يذكُر محمَّدٌ بنُ طاهرٍ المقدسِيُّ في كتاب (البدءُ والتّاريخ) سنة (355هـ) في أحَدِ المَواضِع:[2] «أمَّا المَجُوسُ فَأصنَافٌ كثيرةٌ ولهم هَوَسٌ عظِيمٌ و تُرَّهَاتٌ متجَاوزةٌ الحَدَّ والمِقْدَار لا يكَاد يُوقَف عليهَا، فبعْضُهم يقُولُ بقولِ المَثنويَّة، وبعْضُهم على مذهَبِ الحرَّانيَّة، والخرَّميَّة جنسٌ منهُم يتَستَّرون».

ويذكُر المُؤلِّفُ نفسُه في الفصْل الخَاصِّ بالمَجُوس[3] «واعْلَمْ أنَّهُم أكْثرُ مِن فِرقةٍ مِن جمْلتهَا الَّليزريَّة والبهَا آفريديَّة والخرَّميَّة...». وقدَّم في موضِع آخر شَرحَاً عن الخرَّميَّة، ولعلَّ نَقْلَ هذا القولِ يفيدُ أو يؤيِّدُ التَّرَابطَ الحَاصِلَ مَا بين المزدكيَّة والخرَّميَّة.

ويصَرِّحُ ابنُ النَّديم في كتاب (الفِهرسْت)[4] بمَا يقوِّي الرَّأيَ السَّابقَ فيقول: «قَالَ محمَّد بنُ إسْحَاقَ: الخرَّميَّة صِنفَان: الخرَّميَّة الأولَى ويُسَمَّونَ المحمِّرةَ، وهم بنَواحِي الجبَال فيمَا بيْن أذربيجَان، وأرمينيَا، وبلاد الدَّيلم، وهمدان، ودينور منتشرون؛ وفيمَا بيْن أصْفهَانَ، وبلاد الأهواز، وهؤلاءِ أهْلُ المَجُوس في الأصْل، ثمَّ حَدَثَ مذهَبُهُم، وهم مَن يُعرفُون باللَّقطَة، وصاحبُهم مزدَكُ

(1) رَاجع الفهرست ابن النّديم ص475، طبعة مصر.

(2) ج1 ص143 (أمَّا المَجُوس فَأصنَافهم كثيرةٌ ولهم هوسٌ عظيمٌ وترّهَاتٌ متجاوزةٌ الحدّ والمقدار، لا يكاد يُوقف عليهَا. فبعضهم يقول بقول المثنويّة، وبعضهم على مذهب الحرَّانيّة والخرَّميَّة وبعضهم يتستّرون بالإسلام).

(3) ج4 ص24.

(4) ص342.

القَدِيمُ... أمَّا الخَرَّميَّة البابكيَّة فَإنَّ صَاحبَهم بابكُ الخُرَّمِيُّ...».

ونَقَلَ عن امْرَأة الجاويدان في موضعٍ آخر (ص 334) الآتي: «وأرَاد بابكُ أن يبسُطَ دِيْنَه على الأرضِ، وأن ينْتَقِمَ مِن الظَّالِمِين، وأن يعيْد دِيْنَ مزدكَ...». وقد ذكَر أبو منصُورٍ البغدَاديُّ المُتوفَّى في سَنَة (429هـ) في كتاب (الفَرقُ بين الفِرق)[1] أنَّ «الخرَّميَّة صِنفَان، فصِنْفٌ منْهُم كانُوا قَبْلَ دولَة الإسْلام كالمزدكيَّة الذين اسْتباحُوا المُحرَّمَات، وزعَمُوا أنَّ النَّاسَ شُركاءُ في الأمْوال والنِّسَاء؛ وقد دامَت فتنَة هؤلاءِ إلى أنْ قتَلَهُم أنوشروان في زمَنِه. والصِّنفُ الثَّاني الخرمنديَّة الذين ظَهَروا في دولَة الإسْلام وهم كذلِكَ فريقَان، بابكيَّةٌ ومَا زيَاريَّة، وكلتاهُمَا معروفَةٌ بالمُحمِّرة...».

ويقولُ في موردٍ آخرَ من الكتابِ ذاتَه:[2] «وقَالَ ـ أهْل السُّنَّة في المَجُوس: إنَّهم أربَعُ فِرقٍ زروانيَّةٌ ونسخيَّةٌ[3] وخرندينيَّةٌ وبهافريديَّةٌ. وذبَائحُ جميعِهِم حَرَامٌ، وكذلِكَ نِكَاحُ نسَائِهِم، وقد أجْمَعَ الشَّافعيُّ ومَالكٌ وأبو حَنيفَةَ والخُزاعيُّ والثَّوريُّ على جَواز قَبُول الجِزْيَة مِن الزَّورَانيَّة والنُّسخيَّة منهم؛ وإنَّما اختلفُوا في مِقْدار ديَاتِهِم، فقَالَ الشَّافعيُّ: ديَة المَجُوس خمْسُ ديَة اليَهُوديِّ والنَّصْرَانيِّ،[4] وديَة

(1) ص251 .

(2) ص347.

(3) رَاجع حول هذه الفرق الشّهرستانّي الملل والنّحل، ص185؛ وكتاب البدء والتّاريخ، ج1، ص142؛ وفي هذا المكان وردت نسخٌ في مكان نسخ.

(4) ورد في أصول الدّين تأليف أبي منصور عبد القاهر ابن طاهرٍ التّميميّ البغداديّ (ج1 طبعة اسطنبول سنة 128 دية اليَهُوديّ والمسيحيّ هي أربعة آلاف درهم ودية المَجُوسيّ ثمانمئة درهم)، وهذا الكلام منقولٌ من هَامش التّرجمة الإنكليزيّة للبغداديّ ص221.

اليَهُوديِّ والنَّصْرَانيِّ ثلُث ديَة المُسْلم. فديَة المَجُوسِيِّ إذاً خمْسُ ديَة المُسْلم.[1] وقَالَ أبو حَنيفَة: ديَة المَجُوسيِّ واليَهُوديِّ والنَّصْرَانيِّ كديَة المُسْلم. وأمَّا المزدكيَّة مِن المَجُوس فلا يجوز قبول الجِزْيَة منهم؛ لأنَّهم فَارقوا دين المَجُوسيَّة الأصْليَّة باسْتباحَة المُحرَّمَات كلِّهَا، وبقَوْلِهِم: إنَّ النَّاسَ كُلَّهُم شركاءُ في الأموال والنِّساء وفي سَائر اللَّذات، وكذلِكَ البهَافريديَّة...».

يتَّضِحُ مِن الفِقرة السَّابقة أنَّ الخرَّميَّة كانَت امتِداداً للمزدكيَّة في العصْر الإسْلاميِّ، لاسِيَّما في مجَال العلاقاتِ الاجتماعيَّة والمُعَامَلات الدَّاخليَّة، فكَان لمزدكَ أتباعٌ أخَذُوا قوانينَهم وعَاداتِهم وتقَاليدَهم مِن تلك التَّقَاليدِ القدِيمَة؛ ويظْهَرُ بوضُوحٍ في هذه الفِقرةِ كونُ الخرَّميَّة مِن أتباع مزدك، ففي الحدِيثِ عن (الخرَّم دينيَّةِ) انتقلَ الكاتِبُ مباشَرةً إلى ذكْر اسْم المزدكيَّة في مكَانِ (الخرَّم دينيَّةِ) ويُظْهِرُ هذا أنَّ الاسْمين مُترَادفَان وكلاهُمَا لمُسَمىً واحِدٍ.

ويذكُر الإسفرَاينيُّ المُتوفَّى في سَنَة (471هـ) في كتاب (التَّبصير في الدِّين):[2] «والمَجُوس، وهم أربَع فِرقٍ الزَّوْرَانِيَّةُ وَالمَسْخِيَّةُ وَالخُرَّمُ دِيْنِيَّةُ وَالبهَاأفْرِيْدِيَّةُ. وهؤلاء كُلُّهم على مذْهَبِ المَجُوسِ يقولون بيزدان وأهريمن».

ويقولُ ابنُ حزمٍ في كتاب (الفصل):[3] «والمزدكيَّةُ وهُم أصْحَابُ مزدك المُوبذ، وهم القَائلونَ بالمسَاواة في الأمْوال والنِّسَاء،

(1) الصّحِيح الخمس منقولٌ من هَامش الترّجمة الإنكليزيّة للبغداديّ ص221.

(2) المخطوطة العربيّة في مكتبة باريس F onds arabe1452F.94a.

(3) ج1 ص24 نقلًا عن السّيّد لاندر، ص19.

والخرَّميَّةُ أصْحَاب بابك، وهم فِرقةٌ مِن المزدكيَّة».

وقَدْ ذكَرهم أبو المعَالي في كتاب (بيَانُ الأديَان)[1] فَأشَار إلى الخرَّم دينيَّة في القسْم الخَاصّ بالمَذاهبِ والأديَان قَبْلَ الإسْلام. كذلِكَ أشَار الشّهرسْتانيُّ إليهم صَرَاحةً ضِمْنَ القسْم الخَاصّ بالفِرق والمَذاهِبِ الدِّينيَّةِ الإيرَانيَّةِ.[2]

وقَدْ ذَكَرَ نظامُ المُلك في (سيَاسه نَامه) في بابِ مَقَالَات الخرَّميَّة:[3] «ويتَّضِحُ مِن هذا أصْلُ مذْهب مزدك مِن أينَ وكيف». وقَدْ كرَّر هذا المؤلِّفُ عند شَرْحِهِ لحرَكَة سِنْباد الإشَارةَ إلى (الخرَّم دينيَّة) ورئيسِهِم مزدكَ، وهذا يُؤيِّد الكَلامَ السَّابق.

يقولُ مؤلِّف (مُجمَلُ التَّواريخ):[4] «وأصْلُهُم (الخرَّميَّة) يعُودُ لعصْر قبَّاذَ، وتحدِيداً إلى مزدكَ بنِ بامداذان [كذا] موبذ المُوابِذَة قبَّاذ».

ويذكُر السِّمعَانيُّ المُتوفَّى في سَنَة (562هـ) في كتابِ (الأنسَاب)[5] «الخرَّميَّة هذه النِّسبة إلى طَائفةٍ مِن البَاطنيَّة يُقَالُ لهم الخرَّمُ دينيَّةٌ، يعني يَدِيْنُون بمَا يريْدُونَ ويشْتَهونَ، وإنَّمَا لُقِّبوا بذلِكَ لإبَاحَتهم المُحرَّمَاتِ مِن الخمْر، وسَائر اللَّذات، ونكَاح ذوات المَحَارم، ومَا يتلذَّذُون به، فلمَّا شَابهُوا في هذه الإباحَة المزدكيَّةَ مِن المَجُوس الذين

(1) بيَان الأديَان ص21.

(2) الملل والنّحل ص185.

(3) ص204.

(4) مخطوطة المكتبة الوطنيّة في باريس F230a.

(5) F 195b196a.

خَرجُوا في أيَّام قبَّاذ، وأبَاحوا النَّسَاء كلَّهنَّ، وأبَاحوا سَائر المُحرَّمَاتِ إلى أنْ قَتَلَهم أنوشروان بنُ قبَّاذَ... قيل لهُم المُشَابهةُ ((الخرَّم دينيَّةٍ)) كَما قِيْل للمزدكيَّة خرَّم دينيَّةٌ».

بينَما يذكُر أبو الفرجِ بنُ الجَوزيِّ المُتوفَّى في سَنَة (597 هـ) في (تلبيسُ إبليس)[1]»... الخَرَّميَّة وقد كَان هذا الاسم لقَبَاً للمزدكيَّة، وهُم أهْلُ الإباحَة مِن المَجُوس الذين اتُّبعُوا في أيَّام قبَّاذَ وأبَاحُوا النِّسَاء والمُحرَّمَاتِ، وأبَاحوا كلَّ محَظُورٍ، وسُمِّي هؤلاء بهذا الاسْم لمُشابَهتِهِم إيَّاهم في نهَاية هذا المذهَب، وإنْ خَالفُوهم في مُقدَّمَاته».

فيَما يقولُ ابنُ الأثير في كتاب (الكاملُ في التّاريخ):[2] «وفيهَا (سَنَة201) تحَرَّكَ بابكُ الخَرَّميُّ في الجاويدانيَّة، أصْحَابِ جاويدان بنِ سَهلٍ، صَاحِبِ بَذٍّ، وادَّعَى أنَّ رُوحَ جاويدان دَخَلَتْ فيه، وأخَذَ في العبَثِ والفَسَاد؛ وتفسيرُ جاويدان (الدَّائم الباقي)، ومعنى خرَّم (فرح) وهي مقَالَاتُ المَجُوس، وكان بابكُ منهم».

وقد ذكَر سِبْطُ ابنِ الجَوزيِّ المُتوفَّى في سَنَة (654هـ/ 1357م) في كتاب (مرَآةُ الزَّمَانِ في تاريخِ الأعيَان)[3] «قَالَ علَماءُ السِّيَرِ: إنَّ بابكَ كانَ على المَثنويَّة، وقد اعتقَدَ بمذهَبِ مَاني ومزدك ورُؤَسَاءِ البَاطِنيَّة...».

ويذكُر المُؤلِّف نفسُه في موضِعٍ آخَرَ[4] «أمَّا الخَرَّميَّة فخرمُ اسمٌ

(1) ص112.

(2) ج6، ص231.

(3) مخطوطة المكتبة الوطنيّة في باريس Fonds arab14052F94 a.

(4) أيضاً f222a.

فَارسيٌّ مَعنَاه طَالبُ اللَّذَّة، وكانَ هؤلاءِ على المَجُوسِيَّة، وهُم أهْل إباحَةٍ ظَهَرُوا في أيَّام قبَّاذَ، ولهُم أتباعٌ وقَدْ أباحُوا المَحظُورَاتِ».

فيمَا ذكَرَ حمدُ الله المسْتوفِي في (تاريخُ كزيده) المُؤلَّفِ في سَنَة (730هـ)[1] «وقَدْ ظَهَرَ بابكُ عدوُّ الدِّين لَعَنَه اللهُ في أذربيجَان ودَعَا إلى الدِّين المزدكيِّ...».

وقَدْ ذَكَرَ فخرُ الدِّين محمَّدُ بنُ شَاكرٍ في (عيونُ التَّواريخ) المُؤلَّفِ في حدُودِ سَنَة (760هـ)[2] «وقَدْ سُمِّي بابكُ بالخرَّميِّ وسُمِّي أتباعُه بالخرَّميَّة، وخرَّم لفظٌ فَارسيٌّ يُقصَدُ به طَالبُ اللَّذَّاتِ؛ لأنَّهُم قد أبَاحُوا الأشْيَاء. وخرَّميُّ هو الذي يظْهَرُ على بلوغ الشَّهَوَاتِ، وكانَ هذا لقبَ المزدكيَّة الذين كَانُوا أهْلَ إبَاحَةٍ؛ وقَدْ ظَهَرَ مزدكُ وأتبَاعُه في أيَّام قبَّاذ أبي كِسْرَى أنوشروان، وقد دَعَا مزدكُ قبَّاذ إلى دينِه فَأجابَه لذلِكَ. لكِنَّهُ بعدَ حِينٍ علِمَ بحقِيقةِ مزدك فقَتَلَهُ، وقَدْ قَالَ مزدك: إنَّ النُّورَ والظُّلمْةَ قديمَان وأزليَّان، وأنَّ النُّور يفْعَلُ بالقَصْد والاختِيَار، والظُّلمَةُ تفعلُ على الخبْط والاتِّفَاق، والنُّورُ عَالمٌ حسَّاسٌ، والظُّلمَةَ جاهِلةٌ عمْيَاء، وكان بابكُ الخرَّميُّ على هذا المَذهَبِ».[3]

ربَّمَا كان مِن الدَّلائل التي تشير إلى أنَّ أصْلَ هذه الفِرقَةِ إيرَانيٌّ أنَّ اسْمَهَا فَارسيٌّ محْضٌ! وهذا مَا تؤكِّده الأسْماء المُتفرِّعَة مِن هذه الفِرقَة، وربَّمَا يمكُن القولُ باطْمئنَانٍ شديدٍ: إنَّ هذا الاسْم لم يطْلِقه العَرَبُ على تلك الفِرقة؛ إلَّا أنَّ في أصْلِ التَّسْميَةِ اختِلافَاً كبِيرَاً. فقَدْ

(1) طبعة ليدن، ص316.

(2) مخطوطة المكتبة الوطنيّة في باريس Fonds rabe 1588 f. 33a bt f 33b.

(3) رَاجع الشّهرستانّي، ص193.

ورَدَتْ في الفِقرَات التي أوردنَاهَا سَابقاً بعْضٌ مِن الإشَارَات التي تبيِّن ذلِكَ، ومِن أجْل الإحَاطَة بهذا الموضُوع وإظهَارِ رَأينَا الخَاصِّ به، فسَوفَ نخُوض ببعْضٍ مِن التَّفَاصِيل الآتية:

يذكُر نظَامُ المُلك في سيَاسه نَامه[1]: «ومِن بعدِ خُروجِه ـ أي مزدكُ ـ وقَتلِه بأمْر أنوشروان إلى أيَّام هَارُونَ الرَّشيدِ، لم يظْهَر شَخْصٌ منْهم يرفَع رَأسَه إلى هذا العَالَم؛ ولكِنْ عندمَا هَرَبَتْ امْرَأة مزدك المُسَمَّاة خرَّمه بنتَ فَادة مِن المدَائن مع شخصَيْن إلى إحْدى قُرى الرِّيِّ، تبِعَهَا النَّاسُ هنَاك، لاسِيَّما جمْع مِن المَجُوس، وأطْلقُوا عليهَا اسْم الخرَّميَّة». فيمَا يذكُر أبو المعَالي في كتاب (بيَانُ الأديَان) الذي ألَّفَه في سَنَة (485هـ)[2] «أنَّ الخرَّميَّة هي جمَاعَاتٌ انْتَخَبَتْ مِن المَذاهبِ الأشْيَاء الصَّالحَة والجَيِّدة».

ويذكُر صَاحبُ مُؤلَّف (مُجمَلُ التَّواريخ)[3] «عندمَا قَتَلهم أنوشروان فَإنَّ امْرَأةً لمزدكَ تُسَمَّى خرَّمةَ بنتَ فَادة هرَبَتْ إلى إحْدى قُرى الرِّيِّ، وأخَذَتْ تدعُو النَّاس إلى دِيْن مزدك، وأصْبَحَ النَّاسُ مِن ذَلِكَ الحِين يطْلِقُونَ عليهَا الخرَّميَّة مكَانَ المزدكيَّة». وبعد شَرْحِ العُوفي لقِصَّة مزدكَ في كتابه (جوامِعُ الحِكايَاتِ)[4] يقولُ: «وحتَّى يومِنَا هذا، هنَالِك بقيَّةٌ لأتبَاعِ مزدكَ يُطْلَقُ عليهم المزدكيُّون، ويُذكَر أنَّ مزدكَ كانتْ له امْرَأةٌ اسْمُهَا خرّمة؛ ولذا أُطلقَ على بقايَا أولئكَ القوْمِ الخرَّميَّة نسْبةً إلى تلك المَرْأة».

(1) ص182 طبعة طهرَان ص179.

(2) ص21 طبعة إقبال.

(3) F. 230a

(4) نسخة المكتبة الوطنيّة باريس Suppl.Pers 906 F251a.

فيمَا يذكُر يَاقوتُ في (معجمُ البلدان)[1] «خرَّمُ، وتفسِيرُه بالفَارسيَّة المَسْرُور: وهو رسْتاقٌ بأردبيل. قَالَ نصْرُ: وأظنُّ أنَّ الخرَّميَّة الذين كانَ منهم بابِكُ الخرَّميُّ نُسِبُوا إليه، وقِيْلَ: الخرَّميَّة فَارسِيٌّ، معنَاه الذين يتَّبعُون الشَّهَوَات و يسْتَبيحُونهَا». ويتَّضِح مِن مجمُوعِ المَعلومَاتِ الوارِدةِ حوْل تسْمِيَة الخرَّميَّة أنَّ هنَاك ثلاثة وجُوهٍ: الأوَّل أنَّ الخرَّميَّة إشَارةٌ إلى التَّحَرُّر واتِّباعِ دِيْنِ الذين يتوجَّهُون نحْو إشْباعِ الشَّهَوَات وأهْواءِ النَّفْس، وأمَّا الثَّاني فَإنَّ الخرَّميَّة مَأخوذةٌ مِن اسْم امْرَأة مزدكَ خرَّمة التي اهتمَّتْ بعد وفَاتِه بالدَّعْوة إلى دِيْنِه. وأمَّا الثّالث فَإنَّ خرَّم هو إشَارةٌ إلى قريةٍ بالقُربِ مِن أردبيل.

ويبدو أنَّ القَولَ الأخيرَ كان موضِعَ تقديرٍ مِن بعْضٍ مِن المُسْتشْرقين،[2] وهذا غيرُ دقِيقٍ في نظَرنَا لأنَّ المَصَادر القديمَة لم تُوردْ ذِكْرَ ذلِكَ؛ حتَّى إنَّ اسْم (خرَّمَ أردبيل) لم يكُن موجُوداً في مُؤلَّفَاتِ الجَغرَافيِّين القُدامى، كمَا إنَّ هذا الاسْم لم يَرِدْ بشكلٍ واضِحٍ وصِريح عنْد شَرْحِ حَوادثِ المزدكيَّة والمعَارِكِ التي حَدَثَتْ بين بابكَ والخَليفَةِ، بينمَا ورَدَ في مَواضِعَ أخْرى. ويبْدُو أنَّ هنَاكَ أسْمَاءً كثِيرةً في إيرَان تسَمَّت بهذا الاسْم مثْل خرَّمةَ، وخرَّم أباد، وخرمك، ومِن المُحْتَمَلِ أنَّ هذا المكَانَ كانَ مَسْكنَ الخرَّميَّة بعد بابك، ولذَلِكَ سُمِّي بهذا الاسْم، وهذا يعنِي أنَّ هذه القريةَ قد كانَت على دِيْن الخرَّميَّة؛ لكنْ ورَدَ في المَصَادر القديمَة اسْم هذه الفِرقَة باسْم الخرَّم دينيَّة، وهو الاسْم الأكْثَرُ صِحَّةً ودِقَّةً لهذه الفِرقة. ويبْدُو أنَّ اسْم الخرَّميَّة هو اختصَارٌ ومُخفَّفٌ مِن الاسْم الأوَّل، ويبْدُو أنَّ هذا هو

(1) ج2، ص427؛ كذلك رَاجع مرَاصد الاطّلاع ج1، ص349.

(2) مَارغليوث في دائرة المعَارف الإسلاميّة مَادّة خرّميّة.

الذي دعَا بعْضَاً مِن البَاحثِين لأنْ ينْسبُوا فِرقةَ الخرَّم دينيَّة إلى هذه القَريَة وكذلِكَ الاعتقادِ بأنْ يكونَ مذْهَبُ الخرَّميَّة قد ظَهَرَ وانتشَر في هذه القَرية؛ لكنَّ القرَائن الموجودة بين أيدينَا تشير إلى أنَّ هنَاك قرىً ومنَاطقَ أخْرى قد انتشر فيهَا هذا الدِّين ـ أيِّ الخرَّميَّة ـ مثل أذربيجَان، وأصفهَان، وعرَاق العجم، وهمدان. وهذا مَا سنفصِّله لاحقاً بشكلٍ واضحٍ.

أمَّا الرَّأي القائلُ: إنَّ اسْم الخرَّم دينيَّةِ مَأخوذٌ مِن (خرَّمةَ) امرَأةِ مزدك فَإنَّه لم يَرِدْ في المَصَادر القَديمَة، وإنَّما وَرَد في كتاب سيَاسَه نَامه لنظِام المُلك، ومِن المُحتَمَل أنَّ صَاحبَ كتابِ (مُجْمَلُ التَّواريخ) والعوفيَّ، قد اقتبسا هذا الخَبَرَ مِن سيَاسَه نَامه، وكمَا هو معْروفٌ فَإنَّ هذا المَصْدر غيرُ دقيقٍ بالنِّسْبَة للحَوادثِ القديْمَة.

ويبْدُو لي أنَّ (خرَّمَ دينيَّة) تركِيبٌ فَارسيٌّ أُطلقَ على أتبَاع هذا الدِّين، وربَّمَا لم يكُن هذا الأمْرُ مقتَصِرَاً على الخرَّميَّة فحسْبُ، وإنَّمَا على الزَّرَدَشْتيَّة في عصْرِ مَا قَبْلَ الإسْلام؛ فقَدْ سُمُّوا (به دينَان) (مُفْرَدُ به دين وفي البَهْلَوِيّ وه دين) وأُطلِقَ على الأشْخَاصِ الذين اعتَنَقُوا العقَائدَ الشَّبيهَة بالعَقَائِدِ المزدكيَّة أيضَاً المزدكيِّين أو (درست دينَان) (أصحَابُ الدِّيْن الحقِّ)، كمَا إنَّ ابنَ البلخيِّ أطلَقَ هذا الاصْطَلاحَ الأخيرَ أيضَاً على مذهَبِ أو دِيْنِ العَدْلِ،[1] ويبْدُو مِن روايَاتِ المُؤلِّفينَ الذين ذكَروا اسمَ خرَّميَّة أنَّه اسْمٌ قديمٌ أيضَاً، وهو صِفةُ خرَّمَ أي العَامر، أو بمعْنَى السَّعيدِ أو الفَرِح. ومِن المُحتَمَل أن يكُون هذا أقْربَ إلى الصَّواب على الرَّغْم مِن إضَافة بعْضٍ مِن الآرَاء

(1) حكومة قباب ومذهب مزدك الاشتَراكيّ ص97؛ وإيرَان في العصر السَّاسَانِيّ، ص332 والتّرجمة ص338.

الشَّخصِيَّة إليْه. وبذلِكَ يكُون الاسْم الأكْثرُ صِحَّةً لهذه الفِرقَة هو (الخرَّم دينيَّة) ثمَّ أُطْلِقَ عليهَا اختصَاراً اسْمُ الخرَّميَّة.[1]

إنَّ النَّتائجَ الضَّارَّة مِن انتِشَار المزدكيَّة كانَت مُبَرِّرةً لخشْيةِ قبَّاذ؛ ولذَلِكَ فَإنَّنَا نلحَظ بعْدَ مدَّةٍ وجيزةٍ عن طَريقِ التَّعَاوُنِ بيْن أنوشروان ورجَالِ الدِّيْن الزَّرَدَشْتيِّين، كيفَ تمَّ قَتْلُ مزدكَ والكثيرِ مِن أتبَاعِه، وبذلِكَ تمَّ رفْعُ الخَطَر الذي كان يُهَدِّد الامبرَاطوريَّة الإِيرَانيَّة.

على أنَّ هذا لم يكُن سَبَباً لَمحْو آثَار المزدكيَّة كلِّهَا بالكامِلِ، لاسِيَّما وأنَّ هذه الآرَاءَ كانت منتَشِرةً بيْن طَبَقَة العَوامِّ لقُرونٍ طُوالٍ، وقَدْ سَاهَم في ذَلِكَ الضَّغطُ الذي كانَت تعيشُه تلك الطَّبقةُ مِن الطَّبقاتِ النَّبيلةِ والأشْرَافِ.

وقَدْ عَاشَ أصْحَاب تلك الآرَاء ـ على وجْه الإجْمَال ـ بصُورةٍ غيْر علنيَّةٍ، واسْتمرَّ هذا طُوال وجُود الإمبرَاطُوريَّة السَّاسَانِيَّة، وذَلِكَ بسَبَبِ نفُوذ المُوابِذَة غير المَحدُود في البَلاط والمُجتمَع، ويبْدُو مِن حَيْثُ الظَّاهرُ أنَّ هذه الحَال اشتَمَلَت أيضَاً على فِرقٍ أخْرى مثلِ المَانويَّة؛ لكنَّ اسْتيلاءَ العَرب على الأقَالِيم الإِيرَانيَّة، وتفرُّقَ الوَحْدة السِّيَاسيَّة التي كانت تعيشُهَا إيرَان، لاسِيَّما القوَّةِ التي تمتَّع بهَا المُوابِذَةُ زمَان الدَّولَة السَّاسَانِيَّة... كان عَامِلاً مهمَّاً في الظُّهُور العلنيِّ والتَّدريْجيِّ لهذه الفِرق؛ فقَدْ ازدادَ يومَاً بعدَ يَوم توسُّعُ فِرق المَانويَّة والمزدكيَّة، لاسِيَّما أنَّ العَربَ وعمَّالهم الذين كانُوا يحكمُون أقَاليمَ إيرَان لم يَعُوْا الأهمِّيَّة التي كانت تتمتَّع بهَا تلك الفِرق. وقَدْ تحَدَّثنَا في بداية مُقدَّمَة هذا الكتابِ عن المَانويَّة، وسنتحدَّث في هذا

(1) فرق الشّيعة، ص42.

المكَان عن الفِرقةِ الثَّانيَة أي المزدكيَّة.

وقد لا نضْطرُّ كثِيَراً إلى التَّأكِيْد مِن خِلالِ الشَّواهِد التي مَرَّتْ سَابقاً على أنَّ الخرَّميَّة هم أعقَابُ المزدكيَّة؛ ولكنْ يجبُ النَّظرُ إلى أنَّ التَّضْييقَ الذي تعرَّضُوا له في إخفَاء عقائِدِهِم وعدَمَ التَّصْريح بهَا حتَّى عند ظُهور الإسْلام وانتشَارِه، وعدمَ قدرتِهم على بنَاء أو اتِّخَاذِ معبدٍ واحِدٍ مسْتقلٍّ لهُم ولرؤسَائِهِم الدِّيْنيِّين، وكذلِكَ تفَرُّقُهم بيْن الأقَالِيم والوِلايَاتِ الإيرَانيّة المُختلفَة وعَدمُ وجُود روَابطَ بيْن بعضِهم... كلُّ ذَلِكَ تسَبَّبَ في أنْ يكوِّنُوا فِرقاً صَغيرةً مُتفرِّقةً تختَلِفُ في بعْضٍ مِن الآرَاء والتَّعَاليم. ونلحَظُ بمُرور الوقْتِ أنَّه نتيْجَةً للعَاداتِ والتَّقَالِيدِ الإسْلاميَّة وَقَعَ اختِلاطَ بعْضٍ مِن عقائِدِهِم بالعقَائِد الإسْلاميَّة التي غلَبَتْ في بعْضٍ مِن الأحْيَان حتَّى على عقائِدِهِم الأصْليَّة؛ ويبْدو أنَّ هذا الأمْرَ بِدْهيٌّ ويُلحَظُ دائماً بيْن الأقلِّيَّات الدِّينيَّة، لاسِيَّما أنَّ هذا الأمْرَ الذي نتحَدَّثُ عنه كان سَائداً ومنتَشِراً بين الطَّبقَة العَامَّة التي لا يوجَد عندهَا تشخِيصٌ كَافٍ للعقائَدَ، ويبقَى الكثِيرُ منهُم على تقالِيدِهم غيْر الشُّعوريَّة لأسْلافِهِم، حتَّى إنَّه في بعْضٍ مِن الأحْيَان، ونتيجَةً لهذه الظُّرُوفِ السَّابقة اختلَطَ الكثِيْر مِن آرَائِهم بالفِرقِ الأخْرى، ممَّا تسَبَّب في أنْ يطلِقَ بعضُهم عليهِم أو ينسبَهُم بعْضٌ آخرُ خَطأً إلى فِرقِ الشّيعةِ الغُلاة.

«ثانيَاً: تعَاليمُ أصحَاب المذهَب الخرَّميِّ»

وبعْدَ أنْ اتَّضَحَتْ العلاقَةُ الفكْريَّةُ الرَّابطَةُ بين هذه الفِرقِ وتشَعُّباتهَا مع مزدكيَّة العصْرِ السَّاسَانِيِّ، فَإنَّ مِن الواجَبِ معرفَةَ أصُولِ التَّعَاليم المزدكيَّة، وربَّما يكُون كتابُ المُسْتشْرق والعَالِمِ الشَّهير

آرثر كريستنسن الذي بذَلَ فيه جَهْداً ملحُوظاً في هذا البابِ مِن بيْن أهمِّ مَصَادرنَا.[1]

ويذكُر ابنُ النَّديم في كتابِ (الفِهرسْت)[2]... وهؤلاء أهْل المَجُوسِ في الأصْل ثمَّ حدَثَ مذْهبُهم، وهم ممَّن يُعرفُون باللُّقَطَة، وصَاحِبُهم مزدكُ القدِيمُ، أَمَرَهُمْ بتنَاول اللَّذات، والالتفَافِ على بلُوغ الشَّهَواتِ، والأكْلِ والشُّرْبِ، والمسَاواة، والاخْتلافِ، وتَرْكِ استِبدَاد بعْضِهم لبعْضٍ، وهُم مُشَاركَةٌ في الحُرُمَاتِ والأهْلِ، لا يمتنِعُ الواحِدُ منهُم مِن حُرمَة الآخَر، ولا يمنَعُه؛ وعلى الرَّغْم مِن هذه الحَالِ، فَإنَّهم يَرَوْنَ وجُوبَ فِعْلِ الخير، وتَرْكِ الشَّرِّ، وتَرْكِ القتل، وإدخَالِ الآلام على النُّفُوس؛ ولهم مذهبٌ في الضِّيَافَاتِ ليس هو لأحدٍ مِن الأُمَم. فَإذا نَزَلَ عندَهم إنْسَانٌ لم يمْنَعُوه شيئاً يلتمِسُهُ كائناً مَا كَان؛ وقَدْ كانَ على هذا المْذهَبِ مزدكُ الأخيرُ الذي ظَهَرَ في أيَّام قبَّاذَ بنِ فيروزَ وقتَلَهُ أنوشروان وقَتَلَ أصْحَابَه، وخَبَرُه مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ، وقَدْ استَقْصَى البلخِيُّ أخْبَار الخرَّميَّة ومَذَاهِبَهم، وأفعَالَهم في شُربِهم ولَذَّاتِهم وعبَادَاتِهم في كتابِ (عيونُ المسَائلِ والجَوابَات) ولا حَاجَة بنَا إلى ذكْر مَا قد سُبِقنَا إليْه مِن أخبَار الخرَّميَّة البابكيَّة، ذَلِكَ أنَّ صَاحبَ الخرَّميَّة البابكيَّة بابكُ الخرَّميُّ كانَ يقُولُ لَمن استَغْواه: إنَّه إلهٌ أحْدَثَ في مَذاهبِ الخرَّميَّة القتلَ والغصْبَ والحُروبَ والمُثْلَة، ولم تكُن الخرَّميَّة تعرفُ ذلِكَ».

وليسَ بينَ أيدِينَا شَيءٌ يُذكَر حوْل معرفَة العَالَم، وترتِيبه، وتشْكيلِه، ومَاهيَّته، ومَا يعْتَقِدُ به الخرَّميَّة في هذا؛ ولهذا السَّبَبِ

(1) حكومة قباذ الأوّل ومذهب مزدك الاشتَراكيّ.

(2) ص.342.

ومِن أجْلِ معرفَة بعْضٍ مِن العقَائِدِ الأخلاقيَّة والاجتماعيَّة، فَإنَّ مِن الأفضَلِ أن نسْتعِيْن ونقَارنَ ذَلِكَ بتعَالِيمِ مزدكَ.

مَنَعَ مزدكُ الاختلافَ، والحِقْدَ، والحَرْبَ، واعتَقَد بأنَّ السَّبَبَ الأصْليَّ فيهمَا عَدَمُ تسَاوي النَّاس، ولذَلِكَ فَإنَّه سَعى إلى رفْعِ عدَم التَّسَاوي، ويبْدُو أنَّه كَان قريباً مِن المجتَمَع المَانَويِّ الذي سَاوى العُظمَاءَ والنُّبَلاء، وجعَلَهُم يعيشُون حَيَاة الزُّهْدِ؛ فَلا يملكُون إلَّا طَعَام يومٍ واحِدٍ ولبَاسَ سَنَةٍ واحِدةٍ. وقَدْ وُجِدَتْ هذه النَّظريَّة التي تمِيْلُ نحْو الزُّهْد في المزدكيَّة أيضَاً، ويُعتقَدُ أنْ تكُون طُبِّقَتْ على عُظَمَاء المزدكيَّة؛ ولكن بسَبَبِ معرفَة رجَالِ الدِّيْن المزدكيَّة بعَدَم قُدْرَة العَوامِّ على تَرْكِ التَّمتُّع بِالأمُور المَادِّيَّة مِثْلِ المَيْلِ نحْو الأمْوالِ والنِّسَاء، فَإنَّهم أشَاعُوا بعْضَاً مِن الأمُور في ذلِكَ. ويبْدُو أنَّ أفكار النَّظريَّة الاجتمَاعيَّة في دِيْن مزدكَ قد جَاءَتْ مِن هذا الطَّريْق؛ لتبْدُوَ إشَاعة المَالِ والنِّسَاء، مُمَاثلَةً لاشْترَاك النَّاسِ في المَاء والنَّار والكَلأ، وتُعَدُّ هذه الأعمَالُ غايَةَ المسَاواة، وإنَّ الإله حَثَّ عليْهَا، وأوجَبَ لهَا ثوابَاً كبِيرَاً. ويَعْتَقِد مزدكُ بأنَّه إذا لم تُوجَد هذه القَوانيْنُ بين النَّاسِ، فَإنَّ مِن غيْر المُمْكِن إيجَادَ حَالَةٍ مِن التَّعَاونِ والتَّآخِي فيمَا بينَهُم؛ وقَدْ كانَت هذه الأعمَالُ كلُّهَا تنحُو نحْوَ الإصْلاح الاجتمَاعِيِّ في دعْوَةِ مزدك، وهذا مَا تؤيِّده دعوَتُه أو وصَايَاه في عَدَم القَتْلِ، واجْتنَابِ التَّعذِيبِ وإيْذَاءِ النَّاس، زيَادةً على ترحِيبْه بالضَّيفِ ومنْحِهِ أيَّ شَيءٍ يحتَاجُه داخِلَ البيْتِ، «حَيْثُ لا يُمنَعُ مِن أيَّة حَاجَةٍ يرغَبُ فيهَا، حتَّى إنَّه حَثَّ على مُعَامَلة الأعْداءِ بالحُسْنى»[1]. وحوْلَ الاشْترَاكِ

(1) كرستنسن حكومة قبَّاذ، ص103-105.

فِي النِّسَاء يذكُر المُؤلِّفُ المَذكُور أنَّه[1] «لم يرِدْ في أيٍّ مَصَادِرنَا، لاسِيَّمَا التي ذكَرَت أنَّ قبَّاذ أبَاحَ الزَّواجَ. ويبْدُو أنَّ هذا العَمَلَ غيرُ ممْكِنٍ، لكنْ مِن المُحتَمَل أن يكونَ قبَّاذ قد أضَافَ أو طَوَّر كثِيرَاً مِن قوَانِينِ الزَّواجِ، وهي القوَانينُ ذاتُهَا التي كان معْمُولاً بهَا في العصْر السَّاسَانِيِّ، حَيْثُ كانَ يحقُّ للمَرْء بمَوجَبهَا أن يمنَحَ زوجَته أو أوَّلَ نسَائِه إلى الفُقرَاءِ حتَّى يسْتفِيدَ منهَا ذَلِكَ الفقِيرُ، ولكِنْ يجبُ أن يكونَ ذَلِكَ برضَا الزَّوجِ، ويتْبَعُ الأولادُ الذين يَأتونَ مِن هذا الزَّواجِ إلى أسْرتِه».

ويذكُر المُؤلِّفُ نفْسُهُ حوْل الاشْترَاكِ في الأمْوالِ قائلاً: [2] «الشَّيءُ المْثيرُ للَّحْظِ أنَّ أيَّاً مِن مَصَادر عصْر قبَّاذ لم تذكُر أشْيَاءَ حوْل الاشْترَاكِ في الأمْوالِ، غيْر أنَّ (خداى نَامه) قد ألَمَحَتْ إلى بعْضٍ مِن ذلِكَ، ويظْهَرُ أنَّ أقْوالَهَا صَحِيحَةٌ ـ إلى حَدٍّ مَا ـ لكنَّ هذا لا يُعَدُّ بمُجْمَلِهِ مُهمَّاً بالقَدْر الكَافِي، ويُعتَقَدُ مِن كُلِّ ذَلِكَ أنَّ قوانِينَ مزدك في الأمْوالِ كانَت تتوجَّهُ إلى الحَدِّ مِن نفُوذ الأغنيَاء، وتوزيْعِ بعْضٍ مِن أمْوالِهِم على الفُقَرَاء والمَسَاكِين».

ويذكُر مُطَهَّر بنُ طَاهرٍ المَقدسِيُّ في هذا المنْحَى حوْل الخرَّميَّة[3] «هم فِرَقٌ متشَعِّبَةٌ، غيْر أنَّهُم يُجْمِعُونَ على القوْل بالرَّجعَة، ويقُولُون بتغيُّر الاسْم وتبَدُّل الجسْم، ويزعُمُون أنَّ الرُّسَل كلَّهُم على اخْتِلافِ شَرَائعِهِم وأديَانِهِم يحْصَلُون على روحٍ واحِدةٍ، وأنَّ الرُّوح لا تنقَطِع أبَداً. وكُلُّ ذي دِيْنٍ مُصِيبٌ عندهُم إذاً كَان يرجُو ثوابَاً ويخْشَى عقَابَاً،

(1) ص105–106.

(2) ص106.

(3) كتاب البدء والتّاريخ ج4، ص30–31.

ولا يَرَوْنَ تهجِينَه والتَّخطِّي إليْه بالمَكْروهِ مَا لم يَرَوْا كيْدَ مِلَّتِه وخِسَّة مَذهبِه؛ ويتَجنَّبُون الدِّمَاء جِدَّاً إلَّا عنْد عقْدِ رَايَة الخِلافِ، ويُعظِّمُون أبا مُسْلم ويلعنُون أبا جعْفَرٍ لقَتْلِه، ويُكثِرُون الصَّلاة على المهْدِّي بنِ فيرُوز، لأنَّه مِن وَلَدِ فَاطِمَة بنتِ أبي مُسْلمٍ، ولهُم أئمَّةٌ يرجِعُون إليهم في الأحكَام، ورسُلٌ يدُورونَ بينَهُم. ويسَمُّونَه (فرشتكان)، ولا يتَبَرَّكُون بشَيْءٍ مثْلَ تبرُّكِهم بالخُمُور والأشْربَة. وأصْلُ دينِهم القَولُ بالنُّور والظُّلمَة، ومَن شَاهَدْنَا منهُم في ديَارهِم مَاسبذان ومُهْرجَانَ كَدَكَ، فَإنَّا وجدنَاه في غايَة التَّحرِّي للنَّظافَة والطَّهَارة والتَّقرُّبِ إلى النَّاسِ بالمُلاطَفَة بتقْدِيم الصَّنيعَة، ووَجَدْنَا منهم مَن يقُولُ بإباحَة النِّسَاء على الرِّضَى منْهُن، وإباحَة كُلِّ مَا تسْتلذُّه النَّفْسُ، وينْزعُ إليه الطَّبعُ مَا لم يَعُدْ على أحَدٍ بالضَّرر».

ويبْدُو أنَّ عقِيدَةَ الأصْنَام والنَّار والظُّلمَةِ، والابتعَادَ عن القتْل ومُلاطَفَةَ النَّاس والمَيْلَ إلى المَشْروباتِ، وإباحَةَ النِّسَاء بغيْرِ شَرطٍ، والتَّحرُّرَ في سَدِّ الحَاجَاتِ، والتَّحرُّرَ مِن القُيودِ كافَّةً... كلُّهَا أمورٌ نلحَظُهَا بوضُوحٍ في عقيْدةِ المزدكيَّة. وينقُل المَقدسِيُّ حوْل أَصْلَيْ الظَّلام والنُّور كَلاماً آخَر عن الخرَّميَّة جَاء فيه[1]: «والخرَّميَّة جِنسٌ منْهُم يستَتِرون بالإسْلام، ويقُولُون بمبْدأ أنَّ العَالَمَ نُورٌ وأنَّه نُسِخ بعْضُهُ فَاسْتحَال ظُلمَةً».

وينقُل المقدسِيُّ مِن كتابِ (الخرَّميَّة)[2] الذي يُعَدُّ مِن أهمِّ الكُتُبِ التي وَصَلتْ وفيهَا مطَالِبُ عن مَقَالَاتِ الخرَّميَّة: «وقرَأتُ في كتابِ الخرَّميَّة أنَّ الكَواكبَ كُوىً وثُقوبٌ، وأنَّهَا تنزِعُ أرواحَ

(1) ج1، ص142.

(2) ج2، ص20–21.

الخَلائقِ وتُعطِيهَا إلى القمَر فتلك زيَادةُ القمَر، حتَّى إذا انتهى في الكَمالِ والتَّمامِ إلى غايتِه أعْطاهَا إلى مَن فَوقَه واسْتفرَغَ، ثمَّ عَاد في أخْذِ الأرواحِ مِن الكَواكبِ حتَّى يعُود ممْتلئاً».

و نسْتعينُ بكتابِ ابنِ النَّديم النَّفيسِ[1] لإيضَاح هذه المَطالبِ الواردَةِ في هذا النَّصِّ، فقَدْ أورَدَ الآتي في كتابِهِ نقْلاً عن كتابِ المَانويِّين «قَالَ مَاني: ثمَّ خُلِقَتْ الشَّمسُ والقمَرُ لإضْفَاء النَّور على مَن في العَالَم، فَالشَّمسُ تُسْتَر في النُّور الذي اختلَطَ مع شيَاطِين الحَرِّ، والقَمَرُ يسْتغْسِل الذي اختلَطَ به مِن شَيَاطين البَردِ، ويتصَاعَدُ في عمُودِ الحَمْدِ ذَلِكَ مع مَا يرتَفِعُ مِن التَّسَابيح والتَّقديسَات والكَلام الطَّيِّبِ وأعمَالِ البرِّ. قَالَ: ويُدفَعُ ذَلِكَ إلى الشَّمسِ، ثمَّ إنَّ الشَّمسَ تدفَعُ ذَلِكَ إلى نُورٍ فوقهَا في عَالم التَّسْبيح، ويسِيرُ في ذَلِكَ العَالَمَ إلى النَّور الأعلى الخَالِص، فلا يَزَالُ ذَلِكَ مِن فِعْله حتَّى يبقَى مِن النُّور شَيءٌ مُنْعَقِدٌ لا تقْدِرُ الشَّمسُ والقَمَرُ على إخْفَائِه، فعنْدَ ذَلِكَ يرتَفِع المَلَكُ الذي كان لحَمْلِ الأرضِينَ، ويَدَعُ المَلَكُ الآخَرُ اجتذَابَ السَّماواتِ فيختَلِطُ الأعلى مع الأسْفَل، وتصِير نَارَاً، فتضْطَرمُ في تلك الأشْيَاء ولا تَزَالُ مضْطرمَةً حتَّى يتَحلَّل مَا فيهَا مِن النُّورُ. قَالَ مَاني: ويكونُ ذَلِكَ الاضْطرَام مقدَارَ ألفٍ وَأَرْبعِمِئَةٍ وثمانٍ وَسِتِّيْنَ سَنةً».

يتضَّحُ مِن الفِقرَات السَّابقة وحْدة الأصْلين اللّذينِ يؤمِن بهمَا الخرَّميَّة، وعنْدمَا نقَلَ المقدسِيُّ رَأيَ الخرَّميَّة حوْل الصُّورِ السَّماويَّة، أظْهَرَ ذَلِكَ بوضُوحٍ لا يمكِن الشَّكُّ فيه، وبيَّن كذلِكَ مِن خِلالِ هذا المُختَصَر مَا أَصْل الخرَّميَّة، لاسِيَّما في مجَالِ التَّنَاظُر والوَحْدة

(1) ص330.

التي كانَت عليهَا أصُول المَانويَّة والمزدكيَّة، وهذا مَا أثبتَه كثِيرَاً كرستنسن[1]. وربَّمَا يمكِن مِن خِلالِ هذه المَعلومَاتِ التي أورَدَهَا المقدسِيُّ حوْل الخرَّميَّة تأييدِ النَّظريَّة التي قَالَ بهَا المُؤلِّفُ المَذكُور، إذ يظْهَر كم هو القُربُ الذي كانَت عليْه عقَائِدُ الخرَّميَّة مع الأفكار والعقَائِد الإِيرَانيَّة القديمَة.

ولا نستطِيعُ أن نثِقَ كثِيرَاً بالرِّوايَاتِ التي أوردَهَا المُؤلِّفون حوْل الشَّرَاكَة في الأموالِ التي دعَا إليهَا المزدكيَّة، لكنَّ الذي يظْهَرُ هو أنَّ المزدكيَّة سَعَتْ إلى إيجَادِ حَالةٍ مِن المُسَاواة كنَصَفَةٍ للفَقرَاء والمَسَاكينِ مِن خِلال توزيعِ أو قضْمِ بعْضٍ مِن الأمْوالِ التي يتمتَّعُ بهَا العُظمَاءُ والأشْرَافُ والأغنيَاءُ وتحويلِهَا إلى الفُقرَاء.

ومِن العقائِدِ التي شَاعتْ في مُعظَم دولِ الشَّرق منْذُ زمَنٍ قَديمٍ وانتَشَرتْ بشَكلٍ واسِعٍ على هيئاتٍ مُتنوِّعَةٍ ومُختلفَةٍ مِن بلَدٍ إلى آخرِ عقِيدَةُ التَّنَاسُخ التي عَرَفَهَا الكثِيرُ مِن علمَاء اليُونَان مثْل أتبَاع أورفه (Les Orphiques) وفرسيد (Pherecyde) وفيثاغورس امبدوكلس، وعَرَفَهَا الهُنُود؛ وقَدْ اعتَقَدَ بعْضٌ مِن العُلمَاء أنَّهَا انتقلَتْ مِن مصْر إلى اليُونَان، وأنَّ صَاحبَ هذه الفكْرةِ هو هيرودتس،[2] ولكنْ لا يُعرفُ على وجْه الدِّقَّة مَا إذا كانَ المِصْريُّون يقُولُون بالتَّنَاسُخ![3] فيمَا اعتَقَدَ بعْضٌ آخَر مِن المُؤلِّفين بأنَّ فكرة التَّنَاسُخ

---

(1) كتاب حكومة قبَّاذ.

(2) الكتاب الثّاني فقرة123.

(3) انظر كتاب دستشيه تأليف E.RHOBE الترّجمة الفرنسيّة ص273؛ وفجر الحكمة اليونَانيّة تأليف جان برونت الترّجمة الفرنسيّة ص97.

انتَقَلَتْ مِن الهند إلى إيرَان ومِن هنَاك وَصَلَتْ إلى اليُونَان.[1] ولكنْ لا يُعلَمُ مَا إذا كانت هذه المَقُولَةُ صحِيحَةً أم لا».[2] وقد ظَهَرتْ هذه العقِيدَةُ في عدَدٍ مِن الدَّول، وانتقلَتْ مِن مكَانٍ إلى آخرَ، وكَان مِن أسبابِهَا الفكر المَحدُود الذي اعتقد بأنَّ الرُّوح كانت تنتقل مِن جسم إلى جسمٍ آخر، وأنَّهَا تُستضَافُ مِن جِسْمٍ في جِسْمٍ آخر. ويبْدُو أنَّ أكثرَ هذه الأفكار شَاعتْ ضِمْنَ العَوامِّ مِن النَّاسِ، وتمَّ تداوُلُهَا في معْظَم أرجَاءِ المعْمُورة،[3] فيمَا يذكُر مُؤلِّفٌ آخَر أنَّه «بشَكْلٍ سَهلٍ ظهَرتْ فكْرَة التَّنَاسُخ في الحَيوانَات ثمَّ اعتقَدَ بهَا الإنسَانُ».[4]

وليسَ لدْينَا معْلومَاتٌ مَوثوقَةٌ حوْل زمَن ظُهُور عقيدَة التَّنَاسُخ، ولكنْ نعلَم أنَّ المَانويِّين اعتقَدُوا بهذه التَّعَالِيم والعقائِد، ولمَّا كَان المزدكيُّون أيضَاً على رَابطَةٍ وقُربٍ من حَيْثُ التَّعَالِيمُ الدِّينيَّة بالمَانويِّين، فيظْهَرُ أنَّهُم اقتبَسُوا ذَلِكَ منْهم؛ ولمَّا كان الخرَّميَّة أيضاً أعْقابَ المزدكيَّة فقَدْ أخَذُوا العقيدَةَ عن أسْلافِهم. ومَا نشَاهدُه مِن عقيدَةِ التَّنَاسُخ بيْن فيثاغورس، والهنود، والمَانويِّين مع تنَاسُخ الخرَّميَّة يحمِلُ في قسْمِهِ الأوَّل غرَضَاً أخْلاقيَّاً وتطهِيريَّاً، ويحمْلُ في القسْم الآخرِ بُعْداً عَالَمِيَّاً؛ لكنَّ الخرَّميَّة حملت إلى جنْبِه صِفةً مُشْتَرَكَةً (إلهيَّةً ـ بشَريَّةٌ)، بمعنَى أنَّ عقيدَةَ التَّنَاسُخ استَنَدَت مِن جهَةٍ إلى حُلولِ الرُّوح الإلَهيَّة في الأشْخَاص، ومِن جِهةٍ أخْرى فَإنَّ الرُّوح في سَفَرٍ دائمٍ مَا بيْن الأبْدان. لذَلِكَ فَإنَّ مَا يقولُه المقدسِيُّ مِن أنَّهم

(1) رَاجع كتاب المفكّرون اليونَان تأليف جي ترز BH.GOMPERZ التّرجمة الفرنسيّة الطبعة الثّانيّة ج1 ص162-163.

(2) انظر كتاب فجر حكمة اليونَان ص103.

(3) بستشيه، ص373-374.

(4) فجر حكمة اليونَان، ص103.

اعتقَدُوا بالرَّجعَة ليسَ منظُورُه أنَّ الأشْخَاصِ يعودُون بالجسْم الأوَّلِيِّ ذاتِه، وإنَّما مقْصِدُه هو في الرُّجُوع أي التَّنَاسُخ، فَإذا كانَت هَاتَان العقيدَتَان مِن جِهةٍ أولى تحمِلانِ اختِلافاً ـ وهذا مَا نلحَظُه في قِصَّة بابك الذي قَالَتْ فيه امْرَأةُ جاويدان: إنَّ رُوحَ جاويدان قد حَلَّت في بَدَنِ بابك ـ فَإنَّنَا مِن جِهةٍ أخْرى نقرَأ في فِهرسْت ابنِ النَّدِيم أنَّ بابكَ قَالَ: إنَّهُ الله. وكذلِكَ يذكُر الشّهرسْتانيُّ أنَّ الخرَّميَّة آمَنوا واعتقَدوا بالتَّنَاسخ.[1]

ويبْدُو أنَّ عقيدَةَ وحْدة أرواحِ الأنبيَاءِ مرْبُوطةٌ كذلِكَ، أو متَعلِّقةٌ بنَظَريَّة التَّنَاسُخ، ورَأيُهم أنَّ الوحْي لم ينقطعْ يومَاً، وأنَّه ينزُل باسْتمرَارٍ،[2] وكُلُّ هذا مربُوطٌ بعقيدَةِ التَّنَاسُخ. واسْم (فريشتكان) الذي أطْلَقَتْه الخرَّميَّة على الأنبيَاءِ مُعَادِلٌ لكلِمَة رسُول، وقَدْ كان منتَشِراً بيْن الإيرَانيِّين، ويُطلق كذلِكَ على المَلائكَة. كمَا أوْلَتْ الخرَّميَّة أمُورَ النَّظافَة والطَّهارة عِنَايَةً فَائِقةً، وهي مِن أهمِّ عَاداتِ ورسُوم المَانويَّة، ويبْدُو أنَّهَا كانت أيضَاً سَاريَةً عند المزدكيَّة. وبحسَبِ مَا ينقُله المُؤلِّفون المُسْلمون، فقَدْ كان الخرَّميَّة يُولُون عِنَايةً كبيرَةً للتَّعرُّف على عُظمَاءِ دينِهِم، وعندَ تعرُّفِهم على رئيْس الدِّيْن، تسْقُطُ عنهُم جميعُ الواجِبَاتِ والفَرَائضِ.[3]

ولا يُعرفُ على وجْه الدِّقَّة مَا الرَّابطَةُ التي تربطُ الخرَّميَّة بأبي مُسْلم، ولا الدَّعمُ الذي حَصَلَ عليه أبو مُسْلم في مُنَاكفتِه للدَّولَة الأمَويَّة، ولا الدَّرجَةُ التي اعتمَدَ عليهَا مِن أجْل مُعَارضَتِه تلك.

(1) الملل والنّحل ص185، ابن النّديم، الفهرست، ص142.

(2) مقَالاَت الأشعريّ، ص438؛ والفرق بين الفرق ص332.

(3) الشّهرستانّي، ص115 و ص 125؛ فرق الشّيعة ص42.

ذَلِكَ لأنَّ عقائِدِ أبِي مُسْلم غيرُ واضِحةٍ وغيْر صَريحَةٍ بالنَّسْبة لنَا؛ حَيْثُ يذكُر الشّهرسْتانيّ[1] أنَّ أبا مُسْلم كان على الكيسَانيَّة،[2] وهذا يعنِي أنَّ الكيسَانيَّة كانت تؤمِنُ بأنَّ الإمَامَة قد وَصَلَت مِن أمير المُؤمنِين عليٍّ، ثمَّ إلى ابنِه محمَّدٍ بنِ الحَنَفيَّة، ثمَّ بعْد ذَلِكَ إلى الإمَام جَعفرِ بنِ محمَّدٍ الذي اقتَرَحَهَا عليه، واسْتفسَر منه إذا مَا كانَت له رغبَةٌ فيهَا، وحِينَما لم يجِدْ منه جواباً مشَجِّعَاً ذهَبَ إلى أبي العبَّاس، وأسْنَد إليه الخلافَة.[3] ويذكُر المُؤلِّف نفسُه[4] أنَّ الرَّزاميَّة هم أتبَاع رزام الذي سَاقَ الدَّعوَة مِن الإمَامِ عليٍّ إلى ابنِه إبرَاهيمَ الإمَامِ ثمَّ إلى أبِي مُسْلم؛ وقَدْ تزامَنَ ظهُورُ هؤلاءِ مع عصْر أبي مُسْلمٍ في خُرَاسَان. ويُقَالُ: إنَّ أبَا مُسْلمٍ كان على هذا المَذهبِ، لأنَّه سَاق إليهِم الإمَامَة وأفَادَ منهَا ودَعَا إليهَا، لاسِيَّما بعدَ القوْل: إنَّ رُوحَ الله قد حَلَّتْ فيه، وأنَّ الله هو الذي دعَاه لمُعَارضَة بنِي أميَّة وأنَّه كان يَأخُذُ المدَدَ منه حتَّى يقتُلَهم، وكان الرَّزاميَّة هؤلاءِ يعتقِدُون بالتَّنَاسُخِ.

وفيمَا يخُصُّ الشَّطرَ الأخِيرَ المُتعلِّق بعقيدَةِ التَّنَاسُخ، فَإنَّ عددَاً مِن المُؤلِّفِين المُسْلمين،[5] نَسَبُوا إلى أبي مُسْلم هذه العقيدِةَ، ولكنْ لا يُعرفُ على وجْه الدِّقَّة مَا فِكَرُهُ، ولا مَا أعمَالُه في ذلِكَ.

ولمَّا كان أبو مُسْلمٍ قد قضَى مُدَّةً في خِدْمَةِ إبرَاهيمَ الإمَامِ، فَإنَّ

(1) الملل والنّحل ص115.

(2) كذّب مؤلّفُ تبصرة العوام هذا الأمر، ص178.

(3) ص115 طبعة القاهرة،1338 ه ق، ص300.

(4) ص114–115 (ج ق، 298).

(5) الطّبريّ، القسم الثّالث، 129؛ ابن الأثير، ج5، 383؛ ابن حزمٍ، ج1، ص77 (طبعة القاهرة،1347).

مِن المُستَطَاع القولَ: إنَّ الإمَامةَ كانت مِن حَقِّ إبرَاهيمَ وأخيه أبي العبَّاس، ولكنْ لا يُعرفُ أيُّة فِرقةٍ مِن هذه الفِرق قد أعطَتْ الحَقَّ لإبرَاهيمَ وأخيْه، ذَلِكَ أنَّ الفِرَقَة التي ادَّعَتْ بأنَّ حَقَّ الإمَامة لآل العبَّاسِ هي فِرقةُ الرَّاونديَّة وهي تنقَسِمُ على فِرقتَيْن في الأصْلِ. وقَدْ قَالَت الأولى: إنَّه لَمَّا تُوفِّي أبو هَاشمٍ بنُ عبدِ الله بنِ محمَّدٍ بنِ الحنفيَّةِ، أوصى بالإمَامَة إلى محمَّدٍ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ ثمَّ إلى محمَّدٍ بنِ عليٍّ الإمَام؛[1] ويبْدُو أنَّ هذه الطَّائفَة أو الفِرقَة سُمِّيتْ بالرَّاونديَّة، وقَدْ ظَهَرَتْ بعد الدَّعوةِ العبَّاسيَّة في خُرَاسَان بعد موتِ أبي هَاشمٍ[2]

وتشَعَّبت هذه الفِرقةُ في زمن خلافَة أبي العبَّاس على ثلاثة أقسَامٍ:

1ـ القسمُ الذي قَبِلَ إمَامَة أبي جعفرٍ ومِن بعده ابنُه المهْديِّ، وأسنَدَ هذا الإمَامةَ مِن بعدِه إلى محمَّدٍ بنِ الحنفيَّة الذي قَالَ: إنَّ الإمَامَة بعد محمَّدٍ حُقٌّ للعبَّاس، و(العبَّاسُ عمٌّ) ووارثٌ لتلك الإمَامة.[3]

(1) فرق الشّيعة، ص29–30.

(2) ورد اسم رَاونديّة بأشكالٍ مختلفةٍ منهَا رَاونديّة ورووندِيّة، وهو مشتقٌّ من ريوند بمعنى الجلال والعظمة وهي إحدى مدن نيسابور المعروفة، ابن رسته ص 170. ويذكر المؤلّف نفسُه أنّ أبرشهر رستاقٌ وأربعة طساسيج، الوند إحدى طساسيجهَا، وكانت تقع في (آذربرزين مهر) التي تُعدّ إحدى النّيرَان الثّلاث الإيرَانيّة القديمة المقدّسة، وهو مكانٌ للزّيَارة والتّبرّك (ترجمة وتفسير يشتبهَا بقلم بور داود ص230) ودوّنت هذه الكلمة بأشكالٍ مختلفةٍ في المُصنّفَات الإسلاميّة. يُنظر عنهَا ابن خلّكان في ترجمة ابن الرّاونديّ.

(3) فرق الشّيعة، ص42–43؛ المسعوديّ، ج6، ص54؛ مؤلّف تبصرة العوامّ، ص179–180؛ وقد نسب المؤلّف الأخير ذَلِكَ إلى أبي العبَّاس السّفَاح.

2ـ القسمُ الثَّاني: أصحَابُ عبد الله الرَّاونديِّ الذين قبِلُوا بإمَامَة أبي جعْفر، وقَالَوا: إنَّ الإمَامَ يجبُ أن يكونَ الأكثرَ عِلمَاً والأكثَرَ قدْرةً وعَالِمًاً بكُلِّ شَيءٍ؛ وهو الله، وأبو مُسْلم مُرسَلٌ منه، وأنَّ أبا جعْفرٍ هو الله الذي أرسَلهُ إلى الأرضِ. وقَدْ قَالُوا بالتَّنَاسُخ وأظْهَرُوا تلك الدَّعْوى، وقَدْ ظَهَرت هذه المجمُوعَة في سَنَة (137هـ) وعلى قوْلٍ آخَرَ في سَنَة (141هـ) في الهَاشِميَّة، حَيْثُ كان هنَاك المنصُورُ ثمَّ أمَرَ المنصُور بعد ذَلِكَ بقتَالِهم.[1]

وينقُل صاحبُ (مُجمَلُ التَّواريخ) فقرةً عجِيبةً حوْل هؤلاءِ لا يُعرفُ مصْدَرُهَا! فيقولُ: «إنَّ جمَاعَةً أُطلقَ عليهم الرَّاونديَّةُ قَالُوا بربوبيَّة المنصُور (نعوذ بالله) وقبْلَ ذَلِكَ بربوبيَّة أبي مُسْلمٍ في خُرَاسَان، وأصْلُهُم مِن عبدِ الله الرَّاونديِّ وقد آمنُوا بالتَّنَاسُخ، وكان أبو مُسْلمٍ قد قَتِلَ الكثيرَ منهم، ثمَّ ظهَرُوا بعد ذَلِكَ في عصْر المنصُور وابنِه المهْديِّ.[2]

3ـ القسمُ الثّالثُ: قَالُوا بإمَامَة أبي العبَّاس ومِن بعده إمَامَةُ أبي مُسْلمٍ؛ لكنَّ هؤلاءِ انقسَمُوا بعد قتْلهِمَا على فرقتين: الأولى فرقَةُ أبي مُسْلميَّة [3] الذين سَمَّاهم بعضُهم بالخرَّميَّة،[4] وقَدْ قبلُوا ولايَة أبي مُسْلمٍ، وقَالَوا: إنَّ أبا مُسْلمٍ حَيٌّ ولن يمُوتَ، وأنَّ رُوح الله

(1) فرق الشّيعة ص46؛ الطّبريّ، القسم الثّالث،12؛المقدسّي، كتاب البدء ج6، ص83.

(2) F.214B؛ المقدسّي، ج 6، ص 23.

(3) ورد في بعضٍ من المصَادر على شكل أبي سلميّة وفي بعضٍ مسلميّة، وفي بعضٍ سلميّة. المقريزيّ (ج2؛ طبعة بولاق ص354).

(4) الفهرست، ص345.

قد حلَّتْ فيه.[1] والثَّانية الرَّزاميَّة، وهؤلاء كانُوا أصْحَابَ رَزَامَ، وقَدْ مَرَّ ذكرُهم، وقَدْ ادَّعى هؤلاءِ القوْم أنَّ أبا مُسْلمٍ كان صَاحبَ معجِزاتٍ، إلَّا أنَّهُم يعتقِدُون بأنَّه قُتِل.[2]

أمَّا القسْم الثَّاني مِن الرّاونديَّة فهُم أصْحَاب أبِي هريرةَ الرَّاوند،[3] أو أبِي قاسِمٍ بنِ الرَّاوند (كذا!)،[4] أو أبِي هريرة الدِّمشقيِّ (كذا!).[5] وقَالَ هؤلاءِ: إنَّ النَّبيَّ قد صَرَّح بإمَامَة العبَّاس بنِ عبدِ المطَّلب، وانتخبَه للإمَامَة، فوَصَلَت الإمَامَةُ مِن العبَّاس إلى أبنَائه. ويُقَالُ: إنَّ هذه الطَّائفَةَ هي أحْدَثُ مِن الطَّائفَة الأولى، وسُمُّوا العبَّاسِيَّة، وقَدْ عظَّموا أمر أبِي مسلمٍ كثيرَاً حتَّى إنَّهم غالَوْا فيه.[6]

يمثِّل تحديد توجُّه أبِي مسلم وتحديدُ آرَاء دينه إشكاليَّةً كبيرةً، فهو شخصِيَّةٌ عجِيبةٌ حَمَلَت أبعَاداً مُختلفةً، وجَمَعَتْ بين المُتنَاقضَات! فقد فَتَنَ النَّاسَ المُعَاصِرين له بأعمَالِه وحركته، وعظَّمتْ الفِرقُ كلُّها تقريبَاً مِن شَأنه، ونظَرَتْ إليه نظْرَةَ احْترَام، ونتيجَةً للعظَمَة والهَالة التي عليه فَإنَّهُم رفَعُوه إلى مقَام الله أو النَّبيِّ أو الإمَام، أو حتَّى في بعْضٍ مِن الأحْيَان عدُّوه سَاحرَاً!. ويمكِنُ لنَا أنْ نظُنَّ أو أنْ نقُولَ: إنَّه كان في البَدْءِ مِن أتبَاع أو منَاصِري إمَامَةِ أولادِ العبَّاس؛ ولكنْ بعد اسْتقرَار الخِلافَة العبَّاسِيَّة وارتفَاع شأنِه بصُورةٍ لافِتةٍ، لاسِيَّما في

(1) فرق الشّيعة41؛ مقَالاَت الأشعريّ، ص22؛ الفرق بين الفرق، ص242.

(2) يَاقوت الحمويّ (معجم البلدان، ص489، ويذكر في مَادّة الطّاقات أنّه كان في بغداد، والرَّاونديّ أحد شيعة المنصور).

(3) فرق الشّيعة،42، المقريزيّ، ج2، ص35.

(4) مفَاتيح العلوم، الخوارزميّ، طبع مصر، ص21.

(5) تبصرة العوامّ ص180.

(6) فرق الشّيعة، ص42.

الأقَاليم الإيرَانيَّة[1] في خُرَاسَان وفي بلاط الخَليفَة، أخَذَ يطمَع في الرِّئاسة، ويُقَالُ: إنَّ الذي مَهَّد له ذَلِكَ هو ابنُ سُليطٍ بنِ عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ،[2] فلم يكُن بعيداً عن ادِّعَائه الخِلافةَ، وكان يقصِدُ مِن ذَلِكَ أن يمنَحَ نفْسَه الأحَقِّيَّة. وفي الحقيقَة فَإنَّ هذا الأمْرَ لافِتٌ للنَّظر، فَمَعَ وجُود تلك المَصَاعبِ والمَذابح كان أبو مُسْلم موضِعَ محبَّة جمْعٍ كبيرٍ مِن الإيرَانيِّين، وقَدْ عَدَّ بعْضُهم حركَتَه مثْلَ الحركَة الإلهيَّة التي كانت في الأرضِ،[3] ولذَلِكَ فَإنَّه حِين قُتِل، وقَعَتْ فتنةٌ كبِيرةٌ، وعَدَّهُ الخرَّميَّة أو جَمْعٌ كبِيرٌ منهم إمَامَهُم الأكبرَ.

ولأبي مُسْلم ابنتَان، الأولى فَاطِمة، والثَّانية أسْمَاءُ. ويذكُر نظامُ المُلك أنَّه كان له ابنٌ يُسمَّى أبو الغرَّاء.[4]

وحِينَما توفِّي أبو مُسْلمٍ حدَثَ خِلافٌ بين أتبَاعِه، حَيْثُ قال بعضُهم: إنَّه لن يمُوتَ، وسيظْهَرُ ويمْلأ الدُّنيَا عَدْلاً؛ وقال بعضُهُم: إنَّه مَاتَ، وإنَّ ابنتَه فَاطمَةَ أصبَحَتْ هي الإمَامَ،[5] وعُرِفَت فيمَا بعدُ بالفَاطِميَّة، وَعَدَّتْ هذه الفِرقَةُ الإمَامَةَ بعد مَوْتِ فَاطمَةَ في أعقابهَا[6]

(1) الأخبار الطّوال، ص373-374.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص114؛ ابن الأثير ج5، ص191؛ ابن خلّكان ترجمته؛ تجارب السّلف، ص86؛ جوامع التّواريخ، G74 B.

(3) الأخبار الطّوال ص378.

(4) ص199.

(5) مروج الذّهب، ج6، ص17؛ الدّينوريّ، الأخبار الطّوال، ص397.

(6) ورد اسم ولد فَاطمة في الأخبار الطّوال (ص397) وفي كتاب البدء والتّاريخ (ج4 ص31 مهدي ابن فيروز) وفي سيَاسه نَامه (ص204 المتن و ص298 التّرجمة مهديّ وفيروز. ومن المُحتمَل أن يكون الأصحّ هو مهديّ بن فيروز بقرينة الإدارة التي أوردهَا السّيّد نفيسيّ بعد نقلهَا من سيَاسه نَامه (ص754 مهدي فيروز وهَارون) ابن الأثير ج5، ص100 يذكر أنّ فَاطمة

ومِنْ ولَدِهَا سيعُود المُنتَظَر ويظْهَرُ ويستَوْلي على المَمالك ويَأْخُذُ المُلْكَ مِن بني العبَّاس،[1] وأنَّه سَيُجدِّدُ مذهبَ مزدكَ ويحمِيْه ويُعيدُ العِزَّةَ إليه.[2]

ولا يُعرفُ على وجْه الدِّقَّةِ مَا إذا كانَت العقيدَةُ المَذكُورة آنِفَاً قد وُجدتْ في تعَالِيم مزدك؛ لكنَّهَا كانت شَائعةً عند الشِّيعةِ التي عُرفتْ بعقيدة المَهْدويَّة، إلَّا أنَّنَا لا نسْتَطِيعُ القولَ بشكلٍ قاطِعٍ: هل كانَتْ مِن تأثيرَاتِ هذا المَذهبِ أم لا؟؛ لأنَّهَا وُجدتْ في الدِّيْن الزَّرَدَشْتيِّ قَبْلَ هذا الوقتِ بقُرُونٍ، بل اعتَقَدَ بعْضٌ مِن العُلمَاء أنَّ هذه الفكْرة كانَت مِن تأثيرَاتِ الدِّين الإيرَانيِّ القديم على الأديَانِ الأخْرى،[3] ولَمَّا كانَ الخرَّميَّة هم مِن أعقَابِ المزدكيَّة، وأنَّه لم تُوجدْ هذه العقيدَةُ في المَانويَّة ولا في المزدكيَّة ولم تعْرفَاهَا عن كَثَبٍ، فمِن المُحْتَمَلِ جِدَّاً أن تكُونَ مِن تأثيرَات الشِّيعة الموجُوديْن في إيرَان، فقَدْ أثَّرُوا في هذه العقيدِةِ على الخرَّميَّة، ويبْدُو أنَّهم تقبَّلوهَا.

إنَّ المَعلومَاتِ التي بيْن أيْدينَا حوْل عَاداتِ ورسُوم الخرَّميَّةِ قليلةٌ للغايَة. وتشُير المَصَادر التي بيْن أيْدينا إلى أنَّ الخرَّميَّة كانُوا في أوَّل اجتمَاعَاتهم كلِّهَا أو جُلوسِهِم في المُشَاورَات لأمْرٍ مُهِمٍّ، يُصَلُّون على أبي مُسْلمٍ وعلى ابنتِه فَاطِمَةَ التي كانُوا يلقِّبُونَهَا بالصَّغِيرة

ليس لهَا ولدٌ وهذا الرَّأي فيه اختلافٌ كبيرٌ مع بقيّة المؤرّخين.

(1) كتاب البدء، ج6، ص95 و ص115، المسعوديّ، ج6، ص88؛ التّنبيه والإشرَاف، ص354.

(2) الفهرست، ابن النّديم، ص344.

(3) رَاجع رسالة دار مستتر وترجمتهَا الفَارسيّة بقلم محسن جهَان بور.

العَارفَة،[1] وكانُوا يتبرَّكُون بالشَّرَاب والعصِير. ويذكُر ابنُ النَّديمِ نقْلاً عن واقدٍ بنِ عمرَ التَّميميِّ كيف أنَّ أتباعَ جاويدان بابك قد عرَفُوا قضِيَّة الزَّواج مِن امْرَأة جاويدان[2] «فدَعَتْ ببقرةٍ، وأمَرَتْ بقتْلهَا، وسَلْخهَا وبَسْطِ جِلْدِهَا، وطيَّرتْ على الجلْدِ طَسْتاً مملُوءاً خمْرَاً، وكسَّرتْ فيه خبْزاً فصَيَّرته حوْل الطَّسْتْ، ثمَّ دعَت برجُلٍ، فقَالَتْ له: طَ الجِلدَ برجْلك وخُذْ كِسْرةً واغمِسهَا في الخَمْر وَكُلْهَا وقلْ: آمنْتُ بكِ يَا رُوحَ بابكَ كمَا آمنْتُ برُوح جاويدان، ثمَّ خُذْ بِيَدِ بابكَ وقبِّلهَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ إلى وقْتِ أنْ تُهيِّء له طعَامَاً، ثمَّ أحضَرتْ له الطَّعَام والشَّرَاب وأقْعَدَتْه على فِرَاشِهَا، وقَعَدَتْ معَه ظَاهِرةً له؛ فَإذا شَربُوا ثُلُثَاً ثُلُثَاً أخَذَتْ باقة رَيْحَانٍ فدَفَعَتهَا إلى بابك فتنَاولهَا مِن يدهَا. فذلِكَ تزويجُهُم، فنهَضُوا فكَفرُوا».

قد تُظْهِرُ هذه الفِقْرَةُ بشَكلٍ لا يقْبَلُ الشَّكَّ أنَّ أصْحَاب المذْهَبِ الخرَّميِّ ليسُوا كمَا ذَهَبَ مُخَالفُوهم مِن أنَّهم كانُوا يؤمِنُون بالشَّرَاكة في النِّسَاء، حَيْثُ نلحَظُ على الرَّغْم مِن سُهولةِ ذلِكَ، كيف كانتْ تقَالِيدُ الزَّواج عنْدَهُم، ومَا مَقَام المَرْأة وَحُرِّيَّتُهَا.

وأقَامَ الخَرَّميَّة في أَكْثَر الأقَالِيم الإِيرَانيَّة، ولكِنَّهم تركَّزُوا في عِرَاق العَجَم أو الجِبَال، أكثَرَ مِن تركُّزهم في النَّواحِي الأخْرى، وفي مَصَادرنَا إشَارةٌ مُهمَّةٌ تُحَدِّدُ مناطقَ أو نقاطَ وجودِ أصْحَابِ المذهبِ الخرَّميَّ وتميُّزهم عن بقيَّةِ الفِرَقِ الأخْرى.

(1) سيَاسه نَامه، ص204 الترّجمة، ص298.

(2) ص344.

«ثالثاً: تشعُّباتُ المذهَبِ الخرَّميِّ»

تنتشِر مَوَاقعُ الخرَّميَّة في (مَاسبذان)،[1] وفي (مــــهرجان كده)[2] ونَواحِي أصْفهَان، وبرج (وكرج أبي دلف) (ورذ[3] الرَّوذ أبي دلف) وقُرى ورسنجان، وَقَسَمٍ، وكوذشتَ من أعمَال الصُّيْمَرَةِ، وبلادِ السَّيروان، وأريوجانَ من بلاد مَاسبذان، وهمدان، ومَاه الكوفة، ومَاه البصرة؛ وكذلِكَ قُرى قامدان التي تقعُ مَا بيْن أصفهَان والأهواز التي أَكْثَرُ سكَّانِهَا مِن الكرد، وقُرى فهمَان التي كان أهلُهَا أيضاً مِن الكرد، وأذربيجان وأرمينيَا وقمَّ وكاشان، والرِّيِّ، وبلاد الدَّيلم، وبلاد خُرَاسَان، وسائرِ بلاد إيرَان وخَارجَهَا؛[4] وكان أَكْثَرُ الخرَّميَّة يقِيمُون في تلك القُرى المُهمَّة.[5] ويتَّضِحُ لنَا بعْد هذا الشَّرح أنَّ الخرَّميَّة عَاشَتْ حَالاً مِن الشَّتات مَا بيْن القُرى والمُدُن المُخْتَلفة، وتسَبَّب هذا فيمَا بينَهُم مع مُرور الوقْت بأنْ يتَشَعَّبُوا إلى أقسَام مختَلفةٍ، وأنْ يتفرَّع كُلُّ قسْم إلى أقسَامٍ أخْرى. وكانُوا بشَكلٍ عَامٍّ على قسْمينِ رئيسَيْن، دُعِيَ الأَوَّل الكودكيَّة، والثَّاني الكرد شاهيَّة.[6]

وورد اسْم الكودكيَّة في أَكْثَر مصَادرنَا في أشْكالٍ مُختَلفَةٍ وأُطلقَ في الغَالبَ على الأشْخَاصِ الذين هم مِن أتباع أبْنَاء فَاطِمَةَ بنتِ أبي

(1) مَاباتيس القديم أو مزوباتن كمَاَ سمَّاَهَا المقدسّي.

(2) التي تقع في عرَاق العجم بالقرب من القيمرة الواقعة على الطّرف الأيمن لجبال ولجادة حلوان إلى همدان.

(3) ورد في التّنبيه والإشَراف: زز، ص353.

(4) المسعوديّ، التّنبيه والإشَراف، ص353؛ اليعقوبّي، كتاب البلدان، ص257؛ مروج، ج6، ص187؛ المقدسيّ، ج4، ص30؛ ابن النّديم، الفهرست، ص343.

(5) مروج الذّهب المصدر ذاته.

(6) المسعوديّ، مروج الذّهب، ج6، ص 187، التّنبيه والإشَراف353.

مُسْلمٍ التي قَالَ فيهَا نظَام المُلك: إنَّهَا الطِّفلة العَارفَة.[1]

وقَدْ أُطلقَ على هؤلاءِ في أصْفهَان هذا الاسْمُ أو الاسْمُ الآخرُ أي: الخرَّميَّة،[2] وقَدْ انتشَرُوا أيضَاً في نَواحِي الأهواز وفَارسَ وشهرزور. وسَنَتَنَاول فيمَا بعدُ شرحَ سيرةِ بابك الذي سيُظْهِرُ الكثِيرَ مِن التَّفَاصِيل حوْل هذا الموضُوع.[3]

أمَّا الاسْمُ الثَّاني فقَدْ ورَدَ بأشْكالٍ مختَلفةٍ مثلِ كود شاهيه ولود شاهيه،[4] ولا يُعرفُ على وجْه الدَّقة الاسْم الصَّحِيحَ والدَّقيق لذلِكَ، ويُلحظ أيضَاً في بعْضٍ مِن نُسَخ (التَّنبيهُ والإشرَاف) أنَّهَا ورَدَتْ على اسْم كورد شاهيه؛ ووُجدَ الأكَرَادُ في بلاد الجبَال، وعلى قول اليعقوبيِّ فَإنَّ جمعَاً كبيرَاً منهم كانُوا على الخرَّميَّة.[5] وقد انتَسَبَ بعْضٌ مِن الخرَّميَّة إلى فَاطمةَ، وهي فَاطمةُ بنتُ أبي مُسْلمٍ.[6]

ـ المُسلمِيّة: سُمُّوا بـ (أبي مُسلمِيَّة) وهم أتبَاعُ أبي مُسْلمٍ، وعلى قولِ أبي القاسِم البلخيِّ في كتاب (عيونُ المسائلِ والجواباتِ) فَإنَّ قسْمَاً منهُم كانُوا على الخرَّميَّة، وأُطلقَ عليهم هذا الاسْم في زمَان البلخيِّ، إذ عَاشَ بعْضُهم في بلخٍ في قرْيةٍ أُطلقَ عليهَا خرَّم آباد[7]،

(1) سيَاسه نَامه، ص204، وعلى قول الدّينوريّ (الأخبار الطّوال) ص397 اسم هذه البنت المطهّرة.

(2) الشّهرستانّي، الملل والنّحل، ص132، وأخطأ في هذا المكان؛ ولكن في ص194 قد جاء ذكر اسمه بشكلٍ صحِيحٍ.

(3) المسعوديّ، ج6، ص178.

(4) التّنبيه والإشَراف، ص353؛ مروج الذّهب، ج6، ص187.

(5) كتاب البلدان، 275.

(6) الأخبار الطّوال، ص397؛ مروج الذّهب، ج6، 186.

(7) الفهرست ص475.

ولهُم فيهَا مسَاكنُ، وقَدْ أخفَوْا عقائدَهُم.

وقَدْ غالى هؤلاءِ القوْمُ بأبي مُسْلمٍ، واعتَقَدُوا بأنَّ رُوح الله قد حَلَّتْ فيه، وقَالَوا: إنَّ أبا مُسْلم أفْضلُ مِن جبْرَائيلَ وميكائِيلَ وسَائرِ المَلائكةِ، وأنَّه حَيُّ يُرزقُ، وسيَظْهَرُ؛ وقَالَوا كذلِكَ: إنَّ الشَّخْصَ الذي قَتَلَهُ المنْصُور كانَ شيطَانَاً قد جاءَ على هيئَة أبي مُسْلمٍ. وعندَهُم عقيْدةٌ بأنَّ أبَا مُسْلمٍ أُرسِلَ مِن قِبَلِ زَرَدَشْت، وأنَّ زَرَدَشْت حَيٌّ يُرزق، ولن يمُوتَ، وسوفَ يخرجُ مِن أجْل تجدِيدِ دينِهم وتقويَتِه.[1] وأقَام جمَاعَةٌ منْهُم في مرو زمَانَ البغداديِّ،[2] وسَكَنَتْ طائِفةٌ منْهُم في هرَات وعُرفُوا بالكوكيَّة.[3]

وَعَدَّ الشّهرسْتانيُّ (المُسلمِيَّةَ) فِرقَةً مِن المزدكيَّة؛[4] ويظهر أنَّ هذه الفِرقَة تشَكَّلتْ مِن الخرَّميَّة الذين اتَّبعوا أبا مُسْلمٍ في زمَانِه، وكانَ إسْحَاقُ الذي مَرَّ ذِكْرُ سيرتِه منهُم.

ـ المُبيِّضَة: وقَدْ عَدَّ الشّهرسْتانيّ المُبيِّضَةَ بشَكلٍ صَريحٍ جزْءاً مِن المَزدكيَّة،[5] إذ اسْتقرُّوا في نواحِي صغد، وسمرقند، وجلاجِ، وإيلاق. وعنْدمَا ظَهَرَ المُقنَّع اتَّبعُوه، ويظْهَرُ أنَّ هذا الاسْم أي المُبيِّضَة، أُلحقَ بهم بعدَ وفَاة أبي مُسْلمٍ، وقِدْ اختَاروا لبَاسَاً أبيَضَ، وقَالُوا: إنَّ الدِّيْن يكمُن في معْرفَة الإمَامِ، وقَالَ قسْمٌ منْهُم: إنَّ الدِّيْن يترَكَّبُ مِن

(1) الفهرست، ص345.

(2) ص241و243.

(3) لا يُعرف على وجه الدّقّة الاسم الصّحِيح لهؤلاء (البغداديّ، 241 و 243 و ص350.

(4) الملل والنّحل، ص194.

(5) ص115 و ص194.

جزأين: مَعْرِفَةُ الإمَام، وأدَاءُ الأمَانَة. وإنَّ أيَّ شخْصٍ يعمَلُ بهذينِ الأمْريْنِ يكُون قد وَصَلَ إلى حَال الكَمَال، وتسْقُطُ عنْه الواجِبَاتُ جميعُهَا. وقَدْ مَرَّ ذِكْر أعمَالِ المُبيِّضَة عند تناولِ حرَكَة المُقنَّع.

ـ السِّنْباديَّة: عندمَا قامَ سنْباد بثورةٍ وحرَكَةٍ للانتِقَام ممَّن قَتَلَ أبَا مُسْلم كانَ جزءٌ مِن أتباعِه مِن الخرَّميَّة، ثمَّ أُطلقَ اسْمُ السِّنْباديَّة على الأتبَاع في بعْضٍ مِن النَّواحِي مثْلِ الرِّيِّ وقزويْن.[1]

ـ البَابكيَّة: أتبَاعُ ومريدو بابك الذين أُطْلقَ عليه هذا الاسْم، وكانَ هؤلاءِ قبْلَ ظُهُورِ بابكَ على معرفَةٍ بالجاويدانيَّة، وكمَا لحِظنَا سَابقاً فَإنَّ بابكَ نفسَه كان مَن الكودكيَّة.[2] ورئيس الجاويدانيَّة هو جاويدان بنِ شهرك الذي سَكَنَ أذربيجَان، وتحديْداً في جبَال بَذَّ، وبعْدَ الخرَّميَّة عُرفَ بابكُ رئيسَاً، ولذَلِكَ اشْتُهِرَتْ هذه الفِرقَةُ وأتباعُهَا بالبابكيَّة. وسنتنَاول ذَلِكَ لاحِقاً في أخبَار بابك.

ـ المَازيَاريَّة: وتُنسَب إلى مازيَار بن كرشاه (مَلِكِ الجِبالِ) أصبَهبَذ طبرستان؛ لكنْ لا توجَدُ بيْن أيدِينَا وثيقَةٌ يمكِنُ الاعتمَادُ عليهَا تُثْبتُ أنَّه كانَ يُطلقُ على الخرَّميَّة. وفيمَا يُذكَر فَإنَّ في طبرستان فِرقةً تُسمَّى المُحمِّرَة، عَاشَتْ قبْلَ ظهور مَازيَار في تلك الولايَة التي اتَّخَذُوا منهَا مَسْكنَاً؛ ويُحتَمَلُ أن تكُونَ هي الخرَّميَّة، لكنْ ليسَ لدينَا تأكِيدٌ حوْل عَلاقَة أو رَابطَةِ المَازيَار بأولئِك، وإنَّمَا تشِير كُلُّ القَرَائنِ الموجُودةِ بيْن أيدِينَا إلى أنَّه كان على الزَّرَدَشْتيَّة؛[3] وعلى قوْلِ البغْداديِّ فقَدْ

(1) الشّهرستانّي المصدر المذكور، وتبصرة العوامّ، ص180.

(2) انظر الكتاب الحَاليّ ص258 و287–290.

(3) المصدر ذاته والتّرجمة الإنكليزيّة ص153 السّطر الرَّابع والسّطر15 و ص150 التّرجمة؛ وكذلك كتاب المَازيَار تأليف مجتبى مينوى، ص120

ظَهَرَتْ المَازيَاريَّة أتباعُ مازيَار الذين هم على دِيْن المُحمِّرة في جُرجَان وطبرستان، وسَكَنُوا تلك الجبَال، وقَدْ أظهَرُوا الإسْلام؛ لكِنَّهم خَالفُوه في البَاطِنِ، وهنَاك روايَاتٌ كثيرةٌ حوْل المُحمِّرة تؤيِّد ذلِكَ. أمَّا المطاَلب المُتعلِّقة بالمَازيَار، فَإنَّهَا - على مَا يبْدُو - غير دقِيقةٍ، ويُعتَقَدُ بأنَّ السَّبَبَ الذي دعَا المؤلِّفين إلى عَدِّ المَازيَار مِن الخرَّميَّة هو كاتِبُ قصَّة بابك، الذي كان قريباً مِن[1] الحرَكَة الدِّينيَّة لبابك.[2]

ويذكُر ابنُ النَّديم أنَّ الخرَّمِيَّة كانوا صِنفَيْن، الخرَّميَّةُ القديمةُ والخرَّميَّةُ الجديدةُ، وسُمِّيَّت الخرَّميَّة القديمَةُ مِن قِبَلِ أسْلافهم المُحمِّرة،[3] لكنَّ هذا القولَ غيرُ صَحِيحٍ، وأنَّ المُؤلِّف وَهِمَ! فَالمُحمِّرة اسْمٌ عربيٌّ أُطلقَ على الخرَّميَّة في العَصْر الإسْلاميِّ. ويذكُر البغداديُّ حوْل هذا الموضُوع «الخرَّميَّة صِنفَان: صِنفٌ منْهُم كانُوا قَبْلَ دولَة الإسْلام كالمزدكيَّة... والصِّنف الثَّاني الخرَّم دينيَّة، وظهَرُوا في دولَة الإسْلام، وهُم فريقان، بابكيَّة ومَازيَاريَّة، وكلتاهمَا مَعروفَةٌ بالمُحمِّرة».[4] وتبْدُو الفِقرةُ المُتقدِّمَة حوْل المَازيَار صَحِيحةً، إذ يقولُ

السّطرَان الأوّل والثّاني.

(1) ورد في الطّبريّ (القسم الثّالث، ص1269: إنّ مَازيَار كتب إلى بابك وحرّضه وحرّكه).

(2) لا يُستبعد أن تكون أعمَال المَازيَار مع الأشَراف وملاّك الأرَاضي وبعضٍ من مدن طبرستان الذِين كانوا يمتلكون المَال والذّخَائر هو من أجلِ الاستيلاء عليهَا! فقد قام بأخذ بعض من تلك الأملاك وقتل بعضهم (1276– 1278)، ويبدو أنّ هذا العَامل كان من أكثر العوامل قوّةً، ولم يبدُ أنّ العَامل الدِّينيّ المتعلّق بعقيدة المَازيَار الدِّينيّة هو العَامل الرّئيس في ذلك.

(3) ص342 .

(4) ص251.

يَاقوت في (معجمُ البلدان) في مَادَّة (بذَّ) في هذه المنطِقةِ مُحمِّرةٌ، ويُعرفُون بالخرَّميَّة وقد رفعُوا رَاية العِصْيَان.

أمَّا سبَبُ تسمِيتِهم بالمُحمِّرة، فيذكُر السِّمعَانيُّ «المُحمِّرة هذه النِّسبَة إلى طَائفةٍ مِن البابكيَّة الخرَّم دينيَّة، يُقَالُ لهم المُحمِّرة؛ لأنَّهم لبِسُوا الحُمْرَ مِن الثِّيَابِ في أيَّام بابك، فقيل لهم: المُحمِّرة، والمُحمِّرة هم البابكيَّة في العقيْدَة، وقِيْلَ لذلِكَ: حُمُرٌ لأنَّهم يزعُمُون أنَّ مُخَالِفيهم مِن المُسْلِمِين حُمُرٌ، والتَّأويل الأوَّل أصَحُّ، وقيْل: إنَّهُم في عقائِدِهم في إباحَة المَحَارم كالحُمُرِ».[1] ويبْدُو أنَّ الجُزءَ الأوَّلَ الذي أورَدَهُ المُؤلِّفُ حوْل المُحمِّرةِ أتباع بابك غيرُ دقِيقٍ؛ لأنَّه ـ كمَا سنلحظ ـ فَإنَّ المُحمِّرة وُجدتْ قَبْلَ سِنينَ مِن بابك. أمَّا سبَبُ تسمِيتِهم بالمُحمِّرة فلأنَّهم كانُوا يلبَسُونَ الثِّيَابَ الحُمْر، وهو لقبٌ قد منَحَهُ إيَّاهم العَرَبُ، فإنَّه مقْرونٌ بكثِيرٍ مِن الصِّحَة، لكنَّ المُشْكِلة تبقَى في سَببِ اختيَارهِم اللَّونَ الأحمَرَ، فَاختِيَار اللِّبَاسِ واللَّونِ والعَلَم كانَ يمَثِّلُ رمزيَّةً عَاليَةً في القَرْن الثَّاني الهجْريِّ، كمَا اخْتَار العَبَّاسِيّون اللَّونَ الأسْودَ. وربَّما حَاولَت تحقيقَاتُ (فَان فلوتن) الإجابةَ عن هذا الاخْتيَار.[2]

انتخَبَ معَارضُو الدَّولَة العبَّاسِيَّة اللَّونَ الأبيضَ منْذُ المَرَاحلِ الأولى لتأسيسِ تلك الدَّولَة.[3] حَيْثُ يذكُر المقدسِيُّ أنَّه في السَّنة الثَّانيَة مِن ولاية أبي العبَّاس، وهي سَنَة ثلاثٍ وثلاثين ومئةٍ «خرَجَ

(1) السّمعَانّي الأنساب، F.512t؛ وكذلك تلبيس إبليس ص110؛ وشرح المواقف ص349.

(2) فَان فلوتن ملحوظات حول سيطرة العرب، ص65– 63.

(3) اعتاد رجَال الدّين الزّرَدَشْتيّون على اللّباس الأبيض. انظر إيرَان في عصر السَّاسَانِيّين، تأليف كرستنسن.

زيَادُ بنُ عبدِ الله بنِ خَالدٍ بنِ يزيدَ بنِ معَاويةَ بنِ أبي سُفيَانَ بحَلَبَ وبيَّضُوا ثيَابَهم، وأعلامَهم، وادَّعوا الخِلافَة...».[1]

وقد ورَدَ استعمَالُ الألوانِ والأعلامِ البيضَاءِ مِن قِبَلِ المُعَارضِين مرات عديدة ضِمنَ أخبارِ خلافَةِ المنصُور، حيث كان هذا الأمْرُ مَتدَاوَلاً مَا بيْن المُعَارضِين العَربِ والإيرَانيِّين، وعندما أعطى العباسيون لحكمهم صبغة إسلامية، واتخذوا اللون الأسود شعاراً لهم – والذي أصبح يشير للإسلام- فَإنَّهم اتَّخَذُوا لدِينِهم المُعَارضِ (الزَّرَدَشْتيَّ) الَّلونَ الأبيَض.[2]

ولا نعلمُ حوْل المُحمِّرة أو أصْحَابِ الأعْلام الحُمْر[3] لمَاذا تمَّ اخْتيَارُ هذا الَّلونِ،[4] لكنَّ العَرَبَ سَمَّوْا الإيرَانيِّين بشَكْلٍ عَامٍّ الحَمرَاء،[5] وأطلَقُوا عليْهم في بعْضٍ مِن الأحْيَان اسْم المُحمِّرة؛[6] ولا يبْدُو أنَّ هنَاك ربْطَاً قويَّاً بيْن هذه التَّسْميَة واتِّخَاذ الَّلونِ الأحمرِ، لاسِيَّما أنَّ هذا العَمَلَ كانَ مِن إحْدى الفِرقِ الدِّينيّة الإيرَانيَّة فقط، ولم يُسْتعْمل مِن قِبَلِ الإيرَانيِّين بوجهٍ عَامٍّ.

وأوَّل مَرَّةٍ وَرَدَ فيه ذِكْرُ المُحمِّرة كانت في سَنَة (162هـ) في زمَنِ

(1) ج6 ص73، وكذلك رَاجع اليعقوبّي، ج، ص422.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث،1301، 1311.

(3) تاريخ كزيده، ص320.

(4) اتّخذ الخوارج أيضاً الّلون الأحمر. يُنظر: دولة العرب وسقوطهَا ص533؛ الأغاني، ج20، ص112، سط 31.

(5) البلاذريّ، فتوح البلدان ص280، كتاب الكامل المبّرد، ج1، ص274؛ كتاب البلدان، ابن الفقيه، 318-317؛ مفَاتيح العلوم، طبعة مصر، ص73؛ الأخبار الطّوال،296.

(6) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص38.

خلافَة المهْديِّ- وهذا مَا سنتنَاوله فيمَا بعد - لكنَّ اسْم المُحمِّرة، أُطلِقَ على وجْه الخَصُوصِ على أصْحَاب هذه الفِرقةِ في أذربيجَان، وطبرستان، وجُرجَان، ودمَاوند، والدَّينور.[1]

ومِن فِرقِ الخرَّميَّة الأخرى فِرقةُ (الذَّقوليَّة)، ومعلُومَاتُنَا عنهَا قليلةٌ للغايَة، ولا يُعرف ضبطُ اسْمهَا على وجْه الدِّقَّة والصِّحَّة،[2] ووَرَدَ اسْمُهَا في كتاب (تبصرة العوامِّ) على هيئةِ القَوليَّة. وعلى قوْلِ الشّهرسْتانيّ، ومُؤلِّف تبصِرة العَوامِّ، فَإنَّ هذا الاسْم يختَصُّ بالخرَّميِّين السَّاكِنين في أذربيجَان.

ويذكر الثَّعَالبيُّ في أخبَار وآرَاء (به آفريد) وأتباعِه «ومنْهُم حتَّى الآن قسْمةٌ موجُودةٌ وباقيةٌ باسْم (به آفريد)؛ وقَدْ قرَأت في أحدِ الكتُبِ أنَّهم مَا بين الكسْرويَّة والخرَّميَّة».

ويُعتقد بأنَّ الخسرويَّة ـ على مَا يبْدُو ـ هم أتباعُ (كِسْرَى الأرزومقان) الذين وَرَدَ ذكْرُ عقائِدِهِم في كتاب الفِهرسْت لابن النَّديم[3] ويذكُر المُؤلِّفُ المَذكورُ أنَّ بعْضَاً مِن مذهَبِهم يتشَابَه إلى حَدٍّ كبيرٍ مع مذْهَبِ الخرَّميَّة. وهذا دقيقٌ في رَأينَا، لاسِيَّما فيمَا يتعلَّق بأصْل الخرَّميَّة؛ لأنَّ أصُول الخسرويَّة مِن الفِرق المَثنويَّة، وإنَّ ذِكْرَهُم في نصِّ الثَّعَالبيِّ بين (البه آفريديَّة)، ومَا صَرَّح به ابنُ النَّديم في تقارُب عقائدِهِم، ربَّما يعطينا دليلاً آخَرَ حوْل عقائدِهِم.

وكمَا نعلَم فَإنَّ بعْضَاً مِن القبائِلِ الكرديَّة في فَارسَ، كانت

---

(1) البغداديّ، ص252، تبصرة العوام، ص180.

(2) الشّهرستانّي، ص132.

(3) ص 340.

تُسمَّى الخسرويَّة.[1] وكمَا مرَّ سَابقاً، فَإنَّ في فِرقِ الخرَّميَّة اختلافَاتٍ فيمَا بينهَا! ليسَ في الاسْم فحسْبُ، وإنَّمَا في الآرَاء والمُعتقَدات، ويبْدُو أنَّ أحَدَ الأسْبَابِ المُؤدِّيَة لذَلِكَ أنَّنَا لا نملِك روايَاتٍ مُحَقَّقَةً ومُؤكَّدةً تبيِّن لنَا هذا الاختِلافَ وتزيلُه عن نظَرِ البَاحثِين؛ لكنَّ الثَّابِتَ أنَّه كانَت عندهُم كتُبٌ حتَّى أواخِرِ القَرْن الرَّابِع، وليسَ في هذا شَكٌّ.

وينقُلُ مُطَهَّر بنُ طَاهرٍ المقدسِيُّ في كتابِه المُصَنَّف في سَنَة (355هـ) فِقرةً عن كُتُبِ الخرَّميَّة، ولَعلَّ هذا يُظْهِرُ أنَّه حتَّى عصْرِ هذا المُؤلِّف، كانَت آرَاؤهُم منتَشِرَةً وغيْر مخْفيَّةٍ، وأنَّهم تنَاظُروا مع أصْحَاب الدِّيَانَات الأخْرى، فقَدْ قابَلَهُم المسْعوديُّ والمقدسِيَّ وتحدَّثا معَهُم![2] وذكر البِشَارِيُّ المقدسِيُّ في كتَاب (أحسنُ التَّقاسِيم) الذي ألَّفه بعد سَنَة (377هـ) أقَالِيم أو إقليم الجبَال ومَا يوجد فيه مِن الخرَّميَّة، فقَالَ: «وهُم قومٌ مُرجئَةٌ بلا خِلافٍ، لا يغْتَسِلُون مِن جنَابةٍ، ولا رَأيتُ في قُرَاهم مسَاجِدَ، وجَرى بينِي وبينَهُم مُنَاظَرَاتٌ، وقلْت: ألا يغْزوكُم المُسْلمُون وأنتُم تعتقِدُون هذا المَذهبَ؟ فقَالَوا: ألسْنَا موحَّدِيْن؟. قلتُ: كيفَ وقَد أنكرْتُم فرَائض ربِّكُم وعطَّلتْم الشَّريعَة؟! قَالَوا: إنَا ندفَعُ إلى السُّلطَانِ في كلِّ سَنةٍ أمْوالاً جَمَّةً».[3]

وقَدْ تنَازعَتْ الخرَّميَّة مع الفِرقِ الدِّينيّة الإيرَانيَّة الأخْرى، وكانَت المُنَاكفَات مُسْتمِرَّةً بين الفِرقَتَيْن الكبيْرتين أي: الكودكيَّة والكرد شاهيَّة، فقَدْ تحَاربَ أتباعُ جاويدان بنُ شهرك الخرميِّ مع أتبَاع عِمرَان، ووَقَعَ بيْن المُحمِّرة والمزدكيَّة والمَاهَانيَّة مع الفِرقتَيْن

(1) المقدسّي البشاريّ، ص446.

(2) المسعوديّ، التّنبيه والإشَراف، 354؛ المقدسّي، ج4، ص31.

(3) أحسن التّقاسيم، ص398-399.

الخرَّميَّتين الكَبيرتَيْن خِلافٌ حوْل الفُروع الدِّينيَّة،[1] وقد أشَار المسْعوديُّ إلى معْظَم هذه الاخْتلافَاتِ، لكنْ مع كلِّ الأسَفِ، فَإنَّ الرِّوايَاتِ حوْل هذا المَوضوعِ مُفقُودةٌ الآن.

ونلحَظُ أنَّه عنْدمَا سَكنتْ الخرَّميَّةُ في بعْضٍ مِن البلاد فَإنَّهَا اتَّخذَت لنفْسِهَا مَكانَاً مُستحْكِمَاً في القِلاع مِن أجْل الُّلجُوء إليه عندَ تعرُّضِهَا للخَطَر. ويقُولُ مسكويه:[2] «لَمَّا وَصَلَ عليٌّ بنُ بويهَ مِن كرجَ... كانت في أيْدي الخرَّميَّة في تلك الأطْرَافِ، ووقَعَ بيْن أربَابها خِلافٌ، فَانحَاز بعْضٌ منْهم إليْه وأظهَرَه على ذخَائر جليلةٍ، أنفَقَها كُلَّهَا في استمَالةِ الرِّجَال واستعْطافِ القلوبِ».

ويذكُر المُؤلِّف نفْسُه ضِمْنَ أعْمَال عَابدٍ بنِ عليٍّ أحدِ قوَّادِ عَضُدِ الدَّولَة في كرمَان أنَّه ذَهَبَ إلى هنَاك للقضَاء على تمَرُّد قبائِلِ كوفج (Koftch) الجَبليَّةِ وبلوش في سَنَة (360هـ)[3] «ثمَّ عَدَلَ عَابدٌ بنُ عليٍّ إلى طَوائفَ أخْرى مِن الأمَم المُخَالفة يُعرفُون بالخرَّميَّة والجاشكيَّة، يقطَعُون السُّبُلَ في البَرِّ والبَحْرِ، وكانُوا ضَاموا سليمَانَ بنَ محمَّدٍ بنِ إليَاسَ فَأوقَعَ بِهِم وقَتَلَ كثِيرَاً منْهم، ووَقَع رئيسُهم أبو عليٍّ بنُ كلابٍ في يدِهِ فضَرَبَ عنُقَهُ، وقَبَضَ على خَلْقٍ منْهم فَأنفَذَهُم إلى شِيرَاز، فتَوطَّأت تلك الأعْمَالُ وَصَلُحَتْ مُدَّة مِن الزَّمَان». فَإذا كانَت هذه الفِقرةُ صَحِيحَةً، اتَّضَحَ أنَّه كان للخرَّميَّة نفوذٌ قويٌّ في الجَنوبِ الشَّرقيِّ مِن إيرَان.

---

(1) المسعوديّ، التّنبيه والإشرَاف، ص353.

(2) تجارب الأمم طبعة كب، ج2، ص437؛ سقوط الدَّولة العبَّاسيَّة، طبعة مَارجيلوث ج1، ص278.

(3) تجارب الأمم، ج3، ص379، سقوط الخلافة العبَّاسيَّة، ج2، ص299.

وتُعَدُّ حركةُ الخرَّميَّة مِن حَيْثُ طُولُ مُدَّتِها وعَدَدُ أتبَاعِهَا والمَتاعِبُ التي أثارَتْهَا للخُلفَاءِ وعمَّالِهم الحَرَكَةَ الأطْوَلَ أمَداً والأكثَرَ أهَمِّيَّةً مِن بقيَّة الحَركَاتِ والفِرقِ الأخْرى الإيرَانيَّة التي ظَهَرَتْ منذُ عهْد هرمزان الذي قَتَلَه عُبيدُ الله بنُ عمرَ بنِ الخطابِ بعْد مقْتَلِ أبيه بحُجَّة أنَّه مِن أعوانِ أبي لؤلؤةَ. أي: منْذ بدايَة تشْكِيلِ الدَّولِ المسْتقلَّة في إيرَان.[1]

ومِن حَيْثُ التَّرتيبُ التّاريخيُّ، فَإنَّ أوَّل مَرَّةٍ ذُكر فيهَا اسْمُ هذه الفِرقةِ في مُصَنَّفَاتِ الكُتَّابِ المُسْلِمِين كانت في سَنَة (118هـ). فقَدْ التَحَقَ في هذه السَّنة ببكيرِ بن مَاهَان داعي الكوفَةِ الكبيرُ عمَّارُ بنُ يزيدَ الذي كان في البدْء نصْرَانيَّاً وكانَ يعمَلُ في الكُوفة خيَّاطاً، وقد التحَقَ بالعبَّاسيِّين، ثمَّ أُرسَل للدَّعوة في خُرَاسَان، فدخَل مروَ وغيَّر اسْمه، وأطلقَ على نفسِه اسمَ خدَّاش؛ وانشَغل بالدَّعوة لمحمَّدٍ بنِ عليٍّ، فقَبِل جمَاعَةٌ دعوتَه وقتاً ثمَّ أظهَر الخرَّميَّةَ ودعَا إلى الاشْترَاك في النِّسَاء وقَالَ: إنَّ الصَّلاة والصِّيَام والحجَّ ليسَتْ واجِبةً. وأوَّلَ الصِّيَام بأنَّه يكفِي عند ذِكْرِ اسْم الإمَام، وأوَّلَ الصَّلاة بأنَّهَا تكفِي عنْد الدُّعَاء، وأوَّلَ ذَلِكَ على وَفق الآية الآتية (لَيسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَٰتِ جُنَاح فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَٰتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحسَنُواْ وَاللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ) سورة المَائدة الآية 93.[2] فَاتَّبعه عددٌ مِن المشْهورين، وقَالوا له: إنَّك

(1) حول هذا الموضوع انظر المسعوديّ في كتاب المَقالاَت في أصول الدّيَانَات وكتاب سرّ الحَياة، وللأسف فَإنّ هذه الكتب فُقدت (رَاجع كتاب التّنبيه والإشرَاف، 353–354).

(2) أبو الحسن الأشعريّ (المقَالاَت، ص6) وعند شرحه لعقائد من اتّبع عبد الله بن معَاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجنَاحِين ذكر ذات الآية وتأويلهَا.

محمَّدٌ بنُ عليٍّ.

ولَمَّا علِمَ به أسدُ بنُ عبدِ الله عَاملُ خُرَاسَان ضيَّق عليْه، وأمسَك به، ولَمَّا سَألَه عن حَاله أجابَه بخشونَةٍ، فَأمَر بتعذيبِه ثُمَّ قَتَله.[1]

إنَّ الآرَاء التي نُسِبَت إلى خدَّاش،[2] ليسَت بعيْدةً عن مُعتَقَدَات الخرَّميَّة، لكنْ يجبُ عدمُ الاعتقاد بأنَّه على مذهَبِهِم، فقد كان نصْرَانيّاً ثمَّ اعتنَق الإسْلام؛ غيْر أنَّ إقامَتَه في الكوفَة التي تُعَدُّ مركِز الفِرق والمَذاهِبِ المُختَلفَة مثْلِ الزَّرَدَشْتيَّة والمَانويَّة والصَّابئيَّة والحرَّانيَّة وغيرِهَا... جعَلَتْه يقعُ تحتَ ذَلِكَ التَّأثير.[3] وعلى أيَّة حَالٍ فَإنَّ المَعلومَاتِ المُخْتَصَرَةَ التي بيْن أيْدينَا لا تسْمحُ لنَا بإعطَاء رَأيٍ قاطِعٍ في هذا الخَصُوصِ؛ وعنْدمَا قُتِلَ أبو مُسْلمٍ في سَنَة (137هـ) ثارَتْ الخرَّميَّة في خُرَاسَانَ، وكمَا لحظنَا في تاريخ حرَكَة سِنْباد، فَإنَّ قِسْماً مِن أتباعه تحوَّلوا إلى الخرَّميَّة.

وظَهَرَ في السِّنين (137هـ/ 140هـ) أبو مُسَيلمة تحْت إمرَة

(1) الطّبريّ، القسم الخَامس، ص 1587؛ ابن الأثير، ج5، ص 145؛ المقدسيّ، ج6، ص 60-61؛ مختصر الدَّول، أبو الفرج ابن الأثير، ص 202؛ جامع التّواريخ، f73a؛ ابن خلدون ج، ص101.

(2) ذكر بعضٌ من المؤلّفين أنّ خدّاش هو من كلمة خدش بمعنى الخدش ولأنّه قد ضيّق الدّين فلذَلِكَ سُمّي بهذه التّسمية، ولكن يبدو أنّ أصل هذه التّسمية ليس له أساسٌ من الصّحة؛ لأنّه باتّفَاق جميع المؤرّخين فَإنّه هو الذي أطلق هذا الاسم على نفسه؛ ولذَلِكَ فَإنّ كلّ مَا ورد في هذا الباب لا يبدو صحِيحَاً! وإنّ هنَاك من تسمّى بهذا الاسم مثل سعيد خدّاش بن أحمد. يُنظر تتمّة اليتيمة تأليف أبو منصور عبد الملك الثّعَالبيّ النّيسابوريّ، ج2(نشر عبَّاس إقبال، طهرَان،1353).

(3) فَان فلوتن ملحوظات حول السّيطرة العربيّة، ص47، وهذا الأمر يبدو ممكنَاً.

إسْحَاق، لكنَّ أتبَاعَه ثارُوا بعد قَتْلِ إسْحَاق واسْتمرُّوا في ثورَتِهم حتَّى سَنَة (142هـ).

وليسَتْ لدينا مُعلومَاتٌ كامِلةٌ عن طبِيعَة الجُزئيَّات التي حَكَمَ بهَا عمَّالُ أبي جعْفرِ المنصُورِ في إيرَان! لكنَّ الشَّواهِدَ أو القَرَائنَ التي بيْن أيدِينَا، تُظْهرُ أنَّ حكُومتَهُم لم تكُن مُرْضِيَّةً للإيرَانيِّين، فقَدْ لحِظنَا مباشَرةً بعْدَ موتِه وتنصِيبِ ابنِه وخليفَتِه المهْديِّ، أنَّ سلسْلةً مِن الثَّورَات والحرَكَاتِ قامَتْ في الولايَاتِ الإيرَانيَّة، وكانَ مِن ضِمْنهَا تمرُّدُ المُقنَّع، ويوسُفَ البَرِمِ في خُرَاسَان، وثورةُ عبدِ القهَّار رئيسِ المُحمِّرة في جرجان؛ وعند فتنَة المُقنَّع التي وقَعَتْ في آخِر حكُومة العمِيد بنِ قحطَبَةَ، وهم فِرقةٌ مِنَ المُبيِّضَةِ، ينحدِرُون مِن المزدكيَّة أو الخرَّميَّة... تعَاونُوا فيمَا بينْهَم، ومنَحُوهم العَونَ والمَدَدَ، وكانُوا دائمَاً في حَالِ الكرِّ والفرِّ في منَاطِقِ أطرَافِ جيحون.

وثارَتْ المُحمِّرة في سَنَة (162هـ) زمَان حكُومَة المُهلهَلِ بنِ صَفوان[1] في جرجان، ووقَعَتْ هذه الولايَة بيَدِ الخرَّميَّة، وتحَالفَ رئيسُهم (عبد القاهر)[2] مع الخرَّميَّة في الأطرَاف. «وقَالُوا: إنَّ أبا مُسْلمٍ حَيٌّ وسَيَعُود إلى المُلك وكَان، ابنُه أبو الغرَّاء مُقَدَّماً عليهِم

(1) ابن الأثير،ج6، ص39.

(2) قد لا يعني الاسم العربيّ لهذا الشّخص أنّه كان من العرب أو من المسلمين، ومن أجل التّحقّق من هذا الأمر يمكن الرّجوع إلى أسماء المانويّين في العصر الإسلاميّ، مثل كتاب فهرست ابن النّديم، ص338؛ اليعقوبيّ، تاريخ، ج2، ص479 حَيْثُ ذكر أنّ رئيس المحمّرة عبد القاهر، وذكر المقدسيّ ج6، ص 96 أنّ اسمه عبد الوهَّاب، وأنّه خرج في خرَاسان، وقد سيطر على هذه الولاية، وقتل خلقاً كثيرَاً، فأرسل إليه المهديّ عَامله عمر بن علاء، فقتله وتفرّق أتباعه. ولكن يبدو أنّ رواية اليعقوبيّ والطّبريّ وابن الأثير أكثر قبولاً في هذا الباب.

في ذلِكَ».[1] وقد غَلَبُوا على جُرجَان وقَتَلُوا بشَرَاً كثيرَاً[2] «وعِنْدمَا جَاؤوا إلى الرِّيِّ كَتَبَ المَهْديُّ رسَالةً إلى عمَرَ بنِ العَلاءِ الذي كَانَ واليَ طبرسْتان،[3] وأرسَلَهُ لحربِهِم وتفْريقِهِم».[4]

وخَرَجَ الخرَّميَّة أيضَاً في أصْفهَان في سَنَة (162هـ) ذاتِهَا[5]. وخَرَجَ في سَنَة (180هـ) على قوْل الطَّبريِّ[6] المُحمِّرة في جُرجَان، وقَدْ غَلَبُوا على كامِلهَا. وكَتَبَ عليٌّ بنُ عيسَى بنِ مَاهَان الذي كانَ عَاملَ خُرَاسَان إلى الرَّشيد أنَّ الشَّخْصَ الذي تسَبَّبَ في هذا التَّمرُّد هو عمروُ بنُ محمَّدٍ العمرُ، الذي كانَ زنْديْقاً (ويعني الزِّنديق في ذَلِكَ العصْر أنَّه مِن أتباع المَانويَّة أو المزدكيَّة) فَأمَرَ الرَّشيدُ بقتْله فقُتلَ في مروَ.

لكنَّ جمْلَة الطَّبريِّ تبقَى مُبْهَمَةً، لأنَّ عليَّاً بنَ عيسَى بنِ مَاهَان، كانَ عَاملاً على خُرَاسَان، وليسَ عَامِلاً على جرجان! وإذا فرضْنَا أنَّه

(1) ورد في الطّبريّ وابن الأثير ومصَادر أخرى أنّ أبا الغرَّاء هو ليس ابن أبي مسلمٍ، وتشير المصَادر المذكورة إلى أنّ رئيس المحمّرة كان عبد القاهر.

(2) ويظهر أنّ قتل المُسْلِمِين في جُرجَان قد وقع لمرَّاتٍ عديدةٍ. انظر مينوي المَازيَار ص5.

(3) هذا صحِيحٌ، كما ورد في الطّبريّ وابن الأثير أنّ عمر بن العلاء كان واليَاً على طبرستان ولكن هنَاك قولٌ آخر هو أنّه في هذه السّنة كان سعيد بن دعلج واليَاً.

(4) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص463-464 ؛ ابن الأثير، ج6، ص 39؛ سيَاسه نَامه، ص 99 المتن و291 التّرجمة.

(5) مجمل فصيحِي، بحث نفيسّي، في مجلّة مهر السّنة الأولى، ص677؛ ذكر اليعقوبيّ أنّ خروج الخرَّميَّة كان في قرى كمَادان وهي الحدّ الفَاصل مَا بين أصفهَان والأهواز (كتاب البلدان، ص275).

(6) القسم الثّالث، ص645 لا يوجد خبرٌ في تاريخ الطّبريّ حول هذا الشّخص.

كانَ أيضَاً عَامِلاً على جُرجَان في الوقت ذاتِه، فَإِنَّ عمَليَّة القبْضِ على عمرَ بنِ محمَّدٍ ستبقَى غيرَ معلُومَةٍ؛ ويبْدُو أنَّ لجُمْلَةِ الطَّبريِّ دِلالةٌ في أنَّ عمرَ كان في خُرَاسَان أو أنَّه أُلْقِيَ القبْضُ عليه، ومِن ثَمَّ أُرْسِلَ إلى خُرَاسَان، ثمَّ كَتَبَ بَعْدَ ذَلِكَ عليُّ بنُ عيسَى هذه الرِّسَالة إلى الخَليفَة. فيمَا ذَكَرَ ابنْ الأثِير في وقَائع سَنَة (180هـ) تمرُّد المُحمِّرة في جرجان،[1] وأشَار إلى ذَلِكَ أيضَاً في حوادث سَنَة (181هـ) حَيْثُ روَى أنَّ المُحمِّرة تمرَّدوا هذه السَّنَة في خُرَاسَان.[2] ويُحتمَل أنَّ الطَّبريَّ خَلَطَ مَا بيْن الوَاقعَتين! فقَدْ كان عمروُ بنُ محمَّدٍ العمَرِ رئيسَ الثُّوَّار في خُرَاسَان، وألقَى عليٌّ بنُ عيسَى القبضَ عليه ثمَّ كَتَبَ مَرَّةً ثانيةً إلى هَارونَ فَأمَرَ هَارونُ بقتْله.

وتحرَّكَ هَارونُ الرَّشِيد في سَنَة (192هـ) مِن بغداد إلى خُرَاسَان لحَرْبِ رَافِعِ بنِ ليثٍ، فظَهَرَت حَرَكَة الخَرَّميَّة في نَاحِية أذربيجان، فَأرسَلَ الرَّشيدُ إليهِم عبْدَ الله بنَ مَالكٍ مع عشَرةِ آلافِ فَارسٍ، فقَتَلَ منْهم عبدُ الله ثلاثينَ ألفَاً،[3] وسَبَى وأسَرَ عدَدَاً كبِيرَاً مِن النِّسَاء والرِّجَال، فلمَّا وَصَلَ إلى هَارونَ الذي كانَ في كرمنشاه، أمَرَ أنْ يُقتَلَ الرِّجَالُ وتُباعَ النِّسَاءُ.[4] ويذكُر الدَّينوريُّ في (الأخبارُ الطُّوال) في هذه الحَادثَة ذاتِهَا الآتي:[5] «وفي سَنَة اثنتَيْن وتسعِين ومئةٍ، وفيهَا خرجَتْ الخرَّميَّة بأرضِ الجِبَال، وفي المَرَّة الأولى توجَّه إليهِم محمَّد

(1) ج6، ص105.

(2) ج6، ص109.

(3) المقدسّي، ج3، ص103.

(4) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص732؛ ابن الأثير، ج2، ص142؛ المقدسّي، ج6، ص103.

(5) ص387.

الأمِيْن بعبدِ الله بنِ مَالِكِ الخُزاعِيِّ، فقَتَلَ منهُم مقتَلَةً عظِيمَةً وشَرَّدَ بقيَّتهُم في البلدان». ويبْدُو أنَّ قوْل الطَّبريِّ هو الأقْرَبُ إلى الصِّحَة؛ لأنَّه في وقْتِ خروجِه كان هَارونُ الرَّشيدُ في العِرَاق، وبعْد مقاتَلَتِهم مِن قِبَلِ عبدِ الله، التحَقَ به، ثمَّ توجَّهَا إلى خُرَاسَان.

وقَدْ أورَدَ نظامُ المُلك في كتَابه حوْل حرَكَة الخرَّميَّة في أصْفهَان مطَالبَ عديْدةً منهَا الآتي: «وكانَ هَارونُ الرِّشيدُ في ذَلِكَ الوقْت في خُرَاسَان فخَرَجَ الخرَّميَّة مَرَّةً أخْرى في مدينَة أصْفهَان في قُرى ترمدين، وكابل، وفَابك، وقُرىً أخرى؛ ودَخَلَ في الخرَّميَّة مِن جديدٍ العديد مِن أهل الرِّيِّ وهمدانَ، فتجاوز عددهم أكثرَ مِن مئة ألفٍ، فَأرسَل هَارونُ الرَّشيد مِن خُرَاسَان عبدَ الله بنَ المباركِ مع عشرينَ ألفِ فَارسٍ لقتَالِهم، فخَافُوا، وتقهقَرُوا عن أماكنهم. فكتَبَ عبدُ الله بنُ المباركِ رسَالةً إلى أبي دُلَفٍ فَأجابَه جواباً شدِيداً أنَّ الخرَّميَّة والباطَنيَّة قد تجمَّعوا وظَهَرُوا مِن جدِيدٍ، وبدَؤوا في الإغَارَة والفَسَاد، فهَجَمَ عليهِم أبو دُلَفٍ وعَبْدُ الله بنُ المُبارَك، وقتَلُوا خلقاً كثِيرَاً منْهُم، وحمَلُوا أبنَاءَهُم إلى بغدادَ وباعُوهُم».[1]

إنَّ المَلحُوظاتِ الوارِدَةَ بشَأنِ عبدِ الله بنِ المباركِ هي الوحِيدَةُ، ولم تَرِدْ في مصْدرٍ آخر سِوى أنَّه كانَ قائداً لدَى هَارونَ الرَّشِيدِ، ويبْدُو أنَّه نفْسُ عبدِ الله بنِ مَالكٍ الذي مرَّ اسْمُه آنفَاً. وعبدُ الله بنُ مَالكٍ هو نفْسُه الذي أَرسَلَه هَارونُ الرَّشيدُ في صفَرَ مِن سَنَة (193هـ)

(1) سيَاسه نَامه، ص199–200؛ ترجمة،291 –299 طبعة طهرَان،312–313، في أسامي الأمكنة التي وردت في هذه الفقرة تحريفٌ كثيرٌ، فترمدين يُقَال فريدين، وفَابك يُقَال فَاتك.

مع عدَدٍ مِن قوَّادِه مِن جُرجَان إلى ابنِه المَأمُونِ في مروَ،[1] وتحَرَّك مِن هنَاكَ إلى طوسَ ومَاتَ فيهَا، وبقِي عبدُ الله بنُ مَالكٍ قربَ المَأمُونِ.[2] ويبْدُو أنَّه لا صِحَّةٌ لقوْل نظَام المُلك: إنَّ هَارونَ قد أرْسَلَ عبدَ الله مِن خُرَاسَانَ إلى الجِبَال، إذ يُستبعَدُ تحريكُ عشْرينَ ألفَ فَارسٍ مِنَ خُرَاسَانَ إلى مدينَةِ أصْفهَانَ في ذَلِكَ الوقْتِ والخليفَةُ في خُرَاسَان في حرْبٍ ضرُوسٍ مع رَافعٍ بنِ اللَّيثِ الذي حَاولَ الزَّحفَ إلى بغدادَ! ولكنْ مِن الممْكنِ في الوقْتِ الذي كان فيه هَارونُ الرَّشيدُ في خُرَاسَان، أنَّ الخرَّميَّة قد ثَارتْ في أطْرَافِ أصْفهَان وهمدان، وأنَّ أبا دُلَفٍ العُجَلِّيَّ الذي كان يقيمُ مع أسْرتِه في كرجٍ مَا بين أصْفهَانَ وهَمدانَ، قد هَاجَمهُم ورَدَّهم.

(1) ابن الأثير، ج6، 145.

(2) المصدر ذاته، ص153.

الفصل السَّابع

بابكُ الخرَّميُّ

أوَّلاً: المَصَادر.

1ـ المَصَادرُ الأوَّليَّةُ.

2ـ الدِّرَاسَاتُ الحديثةُ.

ثانياَ: تطوُّرُ حركَةِ بابكَ الخرَّميِّ.

ثالثاً: نهَايَةُ بابكَ.

رَابعَاً: عقائدُ بابكَ الخرَّميِّ.

خَامسَاً: أعقابُ بابكَ.

«**أوَّلاً: المَصَادر**»

تُعَدُّ حرَكَة بابك مِن بيْن الحرَكَات التي تمَّ بحثُهَا أكثرَ الحرَكَات تفصِيلاً مِن حَيْثُ الاستعرَاضُ وتدوينُ التَّفَاصِيل. ويرجِع هذا الأمْر إلى سبَبيْن اثنَيْن؛ الأوَّل: أنَّ هذه الحرَكَة تُصنَّفُ بأنَّهَا آخرُ كُلِّ الحرَكَاتِ التي حدَثَت، فهِي قريْبةٌ للغايَة مِن بداية عصْر الازدِهَار وعصْرِ الحضارة الذَّهبيِّ المتزامِن مع نخبة المؤلِّفين والمصَنِّفين في القرنين الثّالث والرَّابع! فقد جمعوا في مؤلَّفَاتهم الكثير من تلك الأخبَار، وتوافَرت أمَامهم الكثيرُ مِن الوثَائق والكتب والرِّوايَات المتعلِّقة بتلك الحرَكَة. ويكمُن السَّببُ الثَّاني في عظَمَة هذه الحرَكَة، لأنَّهَا مِن حَيْثُ الزَّمنُ استمرَّت لمدَّةٍ طويلةٍ، ومِن حَيْثُ المكانُ اشتملت على أجزاءٍ واسعةٍ من أرَاضي إيرَان. ولكن للأسَف الشَّديد فَإنَّ جميع المؤلَّفَات التّاريخيَّة للعلمَاء المُسْلِمِين في القُرُون الأولى لم تصل إلينَا، وقد فُقد أَكْثرُهَا ممَّا حَرَمَنَا مِن قضيَّة المُقابَلة والمُقارَنَة فيهَا. ولذَلِكَ فَإنَّ مَا بقي مِن وثَائقِ هذه الحرَكَة صَار غيرَ معْلومٍ أو وَاضِحٍ لنَا! كذلِكَ فَإنَّ مِن النَّادر أن يكون مُؤلِّفو هذه الوثَائق مِن غير المُتحَيِّزين أو المحَايِدين. كمَا إنَّه لا توجَد في بعْضٍ مِن المطَالبِ روايَاتٌ مُتعدِّدةٌ مِن أجْل التَّثبُّتِ مِن صِحَّتهَا أو سُقْمِهَا، ولذَلِكَ سنكون مضْطرِّين إلى الحَدْسِ والتَّقدير في بعْضٍ مِن الأحْيَان في تلك المَواردِ.

1. «المَصَادرُ الأوَّليَّة»

امتلك خصُوم الخرَّميَّة مُؤلَّفَاتٍ في هذا الباب، وقَدْ بقيَتْ حتَّى القَرنِ الرَّابعِ، غيْر أنَّ الباقي بين أيدِينَا، انحَصَرَ بكتَاباتِ أعداءِ بابك وعقائِدِهِ.

وعلى الرَّغْم مِن الآلافِ الذين دخَلُوا في هذه الحرَكَة الدِّينيَّة التي انتشَرتْ في مُعظَم أرجَاء الأقَالِيم الإيرَانيَّة، إلَّا أنَّ الكتَاباتِ الموجُودَةَ في أيدِينَا تبْدُو غيْرَ حَيَّةٍ أو مُعَاصِرةٍ، وقَدْ استبْدِلت الصُّورَة الصَّادقَة بصُورةٍ مغرضَةٍ ومُتحَيِّزةٍ؛ ولذَلِكَ فَإنَّ مِن الصُّعبِ الاسْتيعَابَ الدَّقيقَ لتعَامُلِ هؤلاءِ النَّاسِ لسنينَ طُوَالٍ في وقُوفِهم أمَام حكُومَة العَرَبِ وإصْرَارهِم على عقائِدِهِم التي ضَحَّوْا مِن أجْلهَا. وتبقَى هنَاك فجْوَاتٌ مُتعَدِّدةٌ حوْل هذه الحرَكَة ـ كمَا في الحرَكَاتِ السَّابقَة ـ مُتعلِّقةٌ بالحربِ، والانهِزَام، والعقائِدِ الدِّينيَّةِ، والرُّسُومِ، والشَّرَائعِ. غيْر أنَّ المَلحُوظَةَ المُثبَتَةَ على هذه الحرَكَة أنَّ الرِّوايَاتِ جميعَهَا لا تختَلفُ عن بعْضِهَا بعْضَاً، ويتَّضِحُ مِن هذا أنَّ أسَاس تلك الرِّوايَاتِ كان نهَايَةَ القَرْنِ الخَامسِ ومَا جُمِعَ في ذَلِكَ العصْر. ولا نجِد في المُؤلَّفَاتِ التي تسْبقُ هذا العصْر - باسْتثنَاء بعْضٍ مِن الفِقرَاتِ المُتفرِّقة - جدِيداً يتعلَّق بالتَّعريفِ بآرَاء الخرَّميَّة.

وأقْدَمُ مَا وَصَلَ إلينَا عن هذه الحرَكَة جاءَ عن طَريقِ اثنَيْن مِن المُصَنِّفين بصُورةٍ مُختَصَرةٍ، ثمَّ أعقَبَهمَا مجمُوعةٌ مِن المُؤلِّفين. وسَنَتَنَاوَلُ ذِكْرَهُم فيمَا يَأتي:

أوَّلاً: ابنُ قتيبة. أبو محمَّدٍ عبدُ الله المَولُودُ في سَنَة (213هـ / 832م) والمُتوفَّى في سَنَة (276هـ / 889م). فقَدْ نقَلَ في كتابِ

(المَعَارف) سببَ خرُوج بابك، وعِلَّة روَاج ديْنِه بيْن النَّاسِ، كما أشَار إلى أولى حرُوبِه مع قوَّادِ المَأمُونِ.[1]

ثانيَاً: روايَةُ البَلاذريّ في (فتوحُ البلدَان) وذَلِكَ في الفصْل المُتعلِّق بفتْحِ أذربيجَان ومُدُنهَا، والحربِ التي وقَعَتْ بين بابك والأفشِين، حَيْثُ أشَار إلى أسْماء الأمَاكِن التي وقَعَتْ فيهَا تلك المُنَازعَاتُ بوصْفهَا مَرَاكزَ المُنَاوئين.[2]

ثالثاً: الدَّينوريُّ. أبو حنيفة أحمدُ المُتوفَّى في سَنَة (282هـ / 898م). فقَدْ أورَدَ شَرْحَاً في (الأخبَارُ الطُّوال) وقدَّم روايَاتٍ لا يمكِن مشَاهدتُها أو لحْظُهَا في مَوْردٍ آخر.[3]

رَابعَاً: اليعقوبيُّ. المُتوفَّى في سَنَة (284هـ / 897م). أشَار في تاريخِه إلى تلك الحَادثَة، حَيْثُ تَفَرَّدَ بها في بعْضٍ مِن أخبَاره، ولا يمكُن إيجَادُهَا في المَصَادر الأخْرى.[4]

خَامسَاً: أكثَرُ الشُّروح تفصِيلاً ممَّا هو متعلِّقٌ بهذا التَّمرُّد مَا وَصَلنَا مِن كتابِ (التّاريخُ العظيم) لمحمَّدٍ بنِ جريرٍ الطّبريّ، وقد اختَصَّتْ كُلُّ معلُومَاتِ هذه الحَوليَّة على وجْه التَّقريبِ بالحُروبِ والأعمَالِ والحَملَاتِ العسْكريَّة، وتنظِيم الجيْش وتدبِير الفُتوح.[5]

سَادسَاً: المسْعوديُّ. في (مروجُ الذَّهب) وقَدْ تحدَّث بشَكلٍ

(1) طبعة وستنفلد (كوتين كن) ،1850 ص198.

(2) ص329–331.

(3) ص397–401.

(4) ص593–579.

(5) القسم الثّالث، ص1171–1233.

مُختَصَرٍ عن حرَكَة بابك، ثمَّ بيَّن بعْضَاً مِن التَّفَاسِير المُرَافقة لهذه الحرَكَة. وأشَار أيضَاً في (التَّنبيهُ والإشْرَاف) إلى هذه الحَادثَة، فيمَا بَحَثَ تقسِيمَاتِ فِرقة الخرَّميَّة والمُنَاظرَاتِ التي أقامهَا بينَهم، وتحدَّث عن مسَاكِنِهم.[1]

سَابعَاً: البلعميُّ. ذكَر تلك الواقعةَ في ترجَمَة تاريخ الطَّبريِّ.[2]

ثامنَاً: يُعَدُّ كتابُ (البَدْءُ والتّاريخ) للمقدسِيِّ مِن أفضَلِ الكُتُبِ التي حَوَتْ معلُومَاتٍ عن عقائِدِ الخرَّميَّة. فقَدْ أورَدَ هذا المُؤلِّف فصْلاً متَعلِّقاً بحرَكَة بابك ومقَاومَتِهَا.[3]

تاسَعَاً: فصّل ابنُ النَّديم. في كتابِ (الفِهرسْت) حَيْثُ أورَدَ تقسِيمَاتِ الفِرقَة الخرَّميَّة وآرَاءَهَا ومسَاكِنهَا، وذكَر أحوَالَ بابك في الطُّفولةِ والرِّئاسَة، وعقائِدَه وآرَاءَه في الدِّيْن الخرَّميِّ.[4]

عَاشرَاً: روى البغداديُّ باختصَارٍ في كتاب (الفَرقُ بيْن الفِرق) تقسيمَاتِ الخرَّميَّة وآرَاءَهَا، وتمرُّد بابكَ، وَوَضْعَ هذه الفِرقةَ الدِّينيَّة في عصْره، ويُعَدُّ هذا الجُزء مُفِيداً للغَايَة في التَّعرُّفِ على تطوُّر عقائِدِ الخرَّميَّة.[5]

---

(1) مروج الذّهب، ج7، ص123–133؛ التّنبيه والإشَراف، ص353–352.

(2) ترجمة زونتبرك، ج4، ص525–545 (طبعة طهرَان1366، ص1254، 1257–1277،1275).

(3) ج6، متن، ص114– 118، ترجمة، ص118–216.

(4) ص242–334.

(5) ص251–252. ص298.

أحدَ عشَر: أورد الإسْفرَايينيُّ في كتاب (التَّبصير) معلومَاتِ البغداديِّ ذاتهَا على وجْه التَّقريب.[1]

اثنَا عشَر: جَمَعَ نظامُ المُلك شَرْحَاً حوْل حرَكَة الخرَّميَّة منذ بدايَة القَرْنِ الثَّاني حتَّى آخِرِ القَرْنِ الثّالثِ، وقَدْ أودَعَهَا في كتابه (سيَاسه نَامه).[2]

ثالثَ عشَر: تحَدَّثَ مُؤلِّفُ (مُجْمَلُ التَّواريخ) باختصَارٍ عن أصْل الخرَّميَّة، وذكَرَ حرَكَة بابك وَقَتْلَهُ.[3]

رَابعَ عشَر: أورَدَ ابنُ الجَوزيِّ المُتوفَّى في سَنَة (597هـ) في (نقدُ العلم والعُلَماء) أو (تلبيسُ إبليس) معلُومَاتٍ عن الخرَّميَّة، فقَدْ بيَّن أَحوَالَ رئيسِهَا وحركَتِه، وبيَّن الأوضَاع الدِّينيَّة لهذه الفِرقة في القُرونِ الَّلاحِقة.[4]

خَامسَ عشَر: تنَاولَ ابنُ الأثيْر في كتاب (الكاملُ في التّاريخ) شَرْحَاً مُختَصَرَاً عن حرَكَة بابك الدِّينيَّة وحرُوبِه وفتُوحَاتِه وانكسَارَاتِه، ومِن ثُمَّ قتْلِه.[5]

سَادسَ عشَر: أورَدَ العوفيُّ في (جوامعُ الحِكايَات) ثلاثَ حِكايَاتٍ حوْلَ أصْلِ بابك وهزيمتِهِ وقتْلِهِ.[6]

(1) الإسفرَاييني، 83 .aF.82b.

(2) متن،119- 205،طبعة طهرَان312-321.

(3) 232b .232a .F.230a.

(4) ص109-112.

(5) ج6، ص315-339.

(6) .F.70a.F .202bF95a

سَابعَ عشَر: بَحَثَ سِبْطُ ابنِ الجَوزيِّ المُتوفَّى في سَنَة (645هـ/ 1257م) في (مرْآةُ الزَّمَان) عن أَصْلِ بابك وثورتِه وقتْلِهِ، والوضْعَ الدِّينيَّ لهذه الفِرقَةِ في القُرونِ الَّلاحِقة.[1]

ثامنَ عشَر: تنَاول أبو الفرج بنُ العبريِّ في (تاريخُ مُختَصَر الدَّول) حركَةَ الخرَّميَّةِ وتمرُّدَ بابكَ وعَاقبتَه.[2]

تاسِعَ عشَر: بحَثَ ابنُ شاكرٍ فخرُ الدِّين في (عيونُ التَّواريخ) عن حرَكَة بابكَ، والتَّصَدِّي له، وجذورَ حرَكَته وبدايتَهَا، وعقائِدَ الخرَّميَّة.[3]

عشرون: ذكَرَ عفيفُ الدِّين أبو محمَّدٍ عبدُ الله في مؤلَّفه (مرْآةُ الجنَان) بصُورةٍ موجَزةٍ أصْلَ بابك وتمرُّدَه وحربَه وَبِدَايَةَ حَرَكَتِهِ.[4]

واحدٌ وعشرون: أورَدَ ابنُ خلدونٍ في كتاب (العبر) شَرْحَاً مُختَصَرَاً عن تمرُّد بابكَ وحروبِه وعَاقبتِه.[5]

ويوجَد في المَصَادر الأخْرى غيْر هذه المُصَنَّفَات التي أشَرنَا إليهَا، الكثِيرُ مِن الإشارَاتِ، تعلَّقت بالأحوِال الدِّينيَّة والسِّيَاسيَّةِ لهذه الحرَكَة، سنشِير إليهَا في حِينهَا .

ولم تختَلفْ بعْضٌ مِن المَصَادر في العُموميَّاتِ كمَا في (سيَاسه نَامه)

---

(1) F.222a.F.111a F110a

(2) ص240–242.

(3) F 33p F.33a F.32p F.32a .F.13b

(4) .F0131a F.131b F.154a

(5) ج3، ص256–262(طبعة بولاق، سنة1284هـ–1897م).

لنظَام المُلك، لكنَّ بعْضَاً مِن المُؤلِّفين أورَدُوا أخبَارَاً غيْرَ موجُودةٍ في المَصَادر الأخْرى. إلَّا أنَّ بعْضَاً مِن المُصَنِّفين المُتأخِّرين لم يستفِيدُوا مِن مَصَادرَ مسْتقلِّةٍ أخْرى، فرَدَّدُوا أقوَال السَّابقِين أو اختصَرُوهَا. وقَدْ جَمَعَ كثِيرٌ مِن العلمَاء المُتأخِّرين تلك المَصَادر، وقدَّمُوهَا بصُورةٍ مُختَصَرةٍ.

وتكادُ تتَّفقُ كُلٌّ مِن روايَاتِ الدَّينوريِّ واليعقوبيِّ والطَّبريِّ والمسْعوديِّ مع بعْضِهَا بعْضَاً، ولكن نلحَظ ـ مِن حَيْثُ دقَّةُ الضَّبطِ ـ أنَّ اليعقوبيَّ أورَدَ أخبَارَاً لا يمكُن وجُودُهَا في مَصَادر أخْرى. وغالبَاً مَا تُرَجَّحُ روايةُ الطَّبَريِّ نتيجَةً للتَّفصِيل والتَّطْويْل الذي اعتمَدَه في الكتَابة.

وتُعَدُّ مُؤلَّفَاتُ البلعَميِّ، ومُجمَلُ التَّواريخ، وابنُ الأثير، ومؤلَّفُ مِرْآة الجِنَان، وابنُ خلدون، وحمدُ الله المسْتوفي جميعُهَا تقريباً... مُخْتَصرَةً لرواية الطَّبريِّ. وقد ارتَكَبَ البلعميُّ في ترجمتِه الحُرَّة للطَّبريِّ بعْضَاً مِن الأخطَاء والغلطَاتِ مِن الممْكِن تشخيصُهَا عند مقَارنتهَا برواية الطَّبريّ، فمثلاً فيمَا يخصُّ إرسَالَ الحمَلاتِ وقَتْل الأعداءِ لم يشُر الطَّبريُّ إلى الأعداد، فزَادَ المتَرجِمُ مِن عنْده أعدَاداً، وأكمَلَ النَّواقصَ مِن خيَالِه!.

إلَّا أنَّنَا لا نلحَظُ في هذه المَجموعَة مِن المَصَادر أيَّ حَديثٍ عن أصْل بابك وطُفولتِه وتربيتِه ونشْأتِه وتفكِيره الدِّينيِّ، باسْتثنَاء الدَّينوريِّ حَيْثُ قدَّمَ إشارةً مُوجَزةً عن أصْلِ بابك تُعَدُّ مُهمَّةً للغَايَة، ونقَل الطَّبريُّ في ذَلِكَ أيضَاً روايَةً أو قِصَّة مُختَصَرةً؛ وأمَّا مَا يخُصُّ حَيَاة وسِيرَة بابك وطِبَاعَه وعواطِفَه وحملاتِه وحرُوبَه وفتوحَاتِه

وهَزائمَه وقتْلَه، فقَدْ ورَدَت تفَاصِيلُ في هذه المَصَادر، لكنَّهَا ليسَت كامِلةً.

يُعَدُّ ابنُ النَّديم أوَّلَ المُؤلِّفينَ الذين تناوَلُوا مطَالبَ عن أصْلِ وحَياةِ بابك وتربيتِه، فقَدْ وضَعَ هذا المُؤلَّفُ القيِّمُ يدَه على كتابِ واقدٍ بنِ عمرَ التَّميميِّ الذي جَمَعَ أخبَار بابك، فَاستقَى منهَا ابنُ النَّديم وضَمَّنهَا كتابَه (الفهرس). ولكنْ على الرَّغْم مِن أنَّ المَنقُولاتِ عن بابك تحمِلُ في بعْضٍ مِن المَواضِع بُعْداً قصَصِيّاً، غيْر أنَّه ليسَ هنَاك شَكٌّ في ارتباطِ هذه القصَصِ بالواقِع.

وبسبَبِ أنَّنَا لا نملِك خَبَرَاً عن حَياة واقدٍ، فَإنَّنَا لا نسْتطَيع القوْلَ في أيِّة سَنَةٍ بعد مَوْتِ بابك أُلِّفَ كتابَه، ولكنَّ المؤكَّد أنَّ الفَاصِلة بيْن قتل بابكَ وتأليفِ الكتَاب لا تتجَاوز مِئةً وخمسِين عَامَاً، لأنَّ بابك قُتِلَ في سَنَة (223هـ/ 838م) وإنَّ الفِهرسْت أُلِّفَ في سَنَة (377هـ/ 988م) حتَّى إنَّه مِن الممكِنِ تقليْل هذه الفَاصِلة الزَّمَنيَّة؛ لكونِ المقدسِيِّ كان عندَهُ في الغالِب كتابُ واقدٍ فَأفَادَ منه، واقتبَسَ منه فِقرَاتٍ، وكمَا هو معْروفٌ، فَإنَّ كتَاب (البَدْءُ والتّاريخ) أُلِّف في سَنَة (355هـ/ 966م) أي: بعد 123 سنةٍ مِن مقْتَل بابك.

ونلحَظُ مِن المُؤلَّفَاتِ المَذكُورة أنَّ هنَاك امتزاجَاً وخَلْطَاً في الرِّوايَاتِ! ويبْدُو أنَّ أهمَّهَا وأقدَمَهَا كتَابُ المقدسِيِّ. ففي القسْم الأوَّلِ مِن مَنْقُولَاتِه، نلحَظُ إفَادَتَه مِن منبَعِ ابنِ النَّدِيم؛ ولكنْ ـ لحُسْن الحَظِّ ـ أنَّ كُلَّ اقتباسَاتِه لم تكنْ مُوافِقَةً لِمَا نقَلَه ابنُ النَّدِيم في الفِهرسْت، إذ نجدُ أنَّ المطَالبَ التي أخَذهَا مِن كتاب (أخبارُ بابك) لا توجَد في الفِهرسْت، وفي الفِهرسْت أيضَاً فِقرَاتٌ لا توجَد في

كتاب (البدءُ والتّاريخ). كذلِكَ نجِدُ بعْضَاً مِن الفِقرَات مُتشَابِهةً وموجَودةً في الكتَابَيْن وفيهَا تَصرُّفٌ في العبارَاتِ؛ وتكَادُ مَنقُولاتُ المقدسِيِّ تكونُ تلخيصَاً للمطَالبِ المَذكُورة في كتاب واقِدٍ. وعنْدَ إجرَاءِ المُقارَنَة يتبيَّن أنَّ المطَالبَ التي نُقلتْ مِن كلا المُؤلَّفَيْن هي ذاتُهَا المَوجُودةُ في كتاب واقدٍ المَفقُود. ويبْدُو أنَّ المقدسِيَّ قد أفَادَ زيَادةً عليهَا مِن كتابِ الطَّبريِّ أو موردِ المُؤلِّفِ نفْسِه، فقَدْ نقَلَ مَعلُومَاتٍ عن عدَدِ قتْلى بابك ومُعَامَلتِه مِن قبل المُعْتصِم والأفشِين، وهي روايَاتٌ تتشَابَه كُلُّهَا مع روايَاتِ الطَّبريّ، وقَدْ اختصَرَ المقدسِيُّ الرِّوايَة المُتعلِّقة بقُوَّةٍ بابك وشهَامتِه عند موتِه. ونلحَظ أنَّ تفصِيل ذَلِكَ قد جَاء في كتاب (نشوارُ المحَاضَرة) للتَّنوخيِّ، لكنَّنَا لا نعرِف مصْدَرَه.[1]

وتتكوَّن نقولُ ابنُ الجَوزيِّ مِن روايَة الطَّبريِّ المُتعلِّقة بقُوَّةِ بابكَ وشكيمَتِه، ومِن رواية البَغداديِّ عند ذِكْرِهِ للأوضَاع الدِّيْنيَّة لهذه الفِرقة في عصْره. وقَدْ ترجَمَ العُوفيُّ في واحِدٍ مِن حِكايَاته روايةَ المقدسِيِّ مع إضَافَاتٍ في أوَّلِهَا وآخِرِهَا. ولكنْ لا يُعرفُ في الحِكاية الثَّانيَة مَا مصْدَرُه! وقَدْ تحَدَّثَ عن الأفشِين وإلقائِه القبْضَ على بابكَ ووضْعِه للدَّسَائس، والرِّسَالةِ التي كتبَهَا للمُعتَصِم، وأمْرِ الخَليفَة بالحرْب. والحِكايَةُ الثّالثة - على حدِّ قولِ العُوفيِّ ـ فَإنَّ رَاويَهَا ابنُ سيَّاحٍ، وتشْتَمِلُ على الحِوار الذي دارَ بيْن ابنِ سيَّاحٍ مع بابكَ والنَّصَائحِ الذي أعطَاهَا هذا الرَّجُلُ إلى بابكَ، وكيفيَّة حديثِه عندمَا يكُون في حضْرَةِ الخَليفةِ حتَّى يعْفوَ عنه.

(1) جامع التّواريخ المُسمّى بكتاب (نشوار المحَاضرة وأخبار المذاكرة) تأليف القاضي بن عليّ الحسن بن عليّ التّنوخيّ المُتوفّى سنة (384هـ) ج1 طبعة مرجليوث (1921) مصر، ص75.

وقد كان ابنُ سيَّاحٍ ـ على وَفْقِ هذه الحكَايَة ـ في الطَّريق مِن أذربيجَان إلى بغداد مُوَكَّلاً مِن قِبَلِ بابكَ، ويُحتَمَلُ أن يكونَ ابنُ سيَّاحٍ مُحَرَّفاً عن أبي السَّاج ديوداد، وهو مِن مُقرَّبي الأفشِين وقائِدُ جيْشِهِ! إذ كان رئيسَ المجمُوعَة التي أقْفَلَتْ الطَّريقَ على بابك، لكنَّه فرَّ والتحَقَ بمعسْكَره، فتمَّ أسْرُ أمِّه وامْرَأتِه، وهو مُؤسِّسُ سلسَلة السَّاجيَان في أذربيجَان.[1]

ويبْدُو أنَّ أخبَار سِبْطِ ابنِ الجَوزيِّ مُركَّبةٌ مِن رواية الطَّبريِّ؛ ولكنْ بشَكلٍ مُختَصَرٍ، ومِن رواية المقدسِيِّ، وحكايةِ التَّنوخِيِّ حوْل قوَّةِ بابكَ وجرَأتِه عنْدَ المَوتِ، وبذلِكَ تكُونُ منقُولاتُه حوْل بابك هي أكثرُ الشُّرُوح اختِصَاراً.

وكذلِكَ فقَدْ اقتبَس أبو الفَرج بنُ العبْريِّ روايَاتٍ مِن تاريخ الطَّبريِّ وتاريخ المقدسِيِّ أيضَاً. وأفَادَ ابنُ شَاكرٍ مِن الطَّبريِّ أو مِن المُؤلَّفَاتِ التي نُقلتْ مِن هذا المُؤرِّخ أيضَاً، كذلِكَ اسْتَقى مِن تاريخ المقدسِيِّ ومِن كتابِ التَّنوخِيِّ، وقَدْ نَظَمَ المَعلومَاتِ الواردةَ في هذه الكُتُبِ الثَّلاثَة. إلَّا أنَّ الرِّوايَة المُختَلفَةَ عن الرِّوايَاتِ المُذكُورةِ آنفَاً، هي مَا ورَدَ في سيَاسه نَامه لنظَام المُلك الذي لا يُعرفُ على وجْه الدِّقَّة مصْدره فيهَا، كما إنَّه لا يمكِنُ الاعتمَادُ عليهَا بالكَامِل. حَيْثُ يذكُر في نهَاية كلامِه عن الخرَّميَّة الآتي: «إنَّ الحديثَ عن هؤلاءِ قد ورَدَ بالكَاملِ في تجارب الأمم و تاريخ أصْفهَان و أخبَار خلفَاء آل

(1) أبو السّاج ديوداد بن ديودست (وليس يوسف، رَاجع فهرست أعلام الطّبريّ طبعة كويه) في حرب المَازيَار توجّه بجيش إلى دمَاوند ثمّ عُيّن حَاكمَاً من قبل المتوكّل في سنة (242هـ) بحسَب قول الطّبريّ حَاكماً على طرق الحجّ. وحول دولة السّاجين في أذربيجان. رَاجع المجلّة الآسيويّة سنة1847 الصّفحَات409–446.

العبَّاس».[1] لكنْ عند مقارنَة ذَلِكَ مع مَا أورَدَه مسكويه حوْل الخرَّميَّة وبابك، نلحَظُ تفَاوتَاً حَادَّاً، إلَّا أنَّ الأخبَار المتعلِّقَة بحرَكَة الخرَّميَّة في أصْفهَان لهَا أسَاسٌ مِن الصِّحة، والتي لا يمكن لحْظُهَا في المَصَادر الأخْرى.

2- «الدِّرَاساتُ الحديثة»

مِن العلمَاءِ المعَاصِرين الذين تنَاولُوا في كتابَاتهم هذه الحرَكَة، والذين وَصَلَتْ نتاجاتِهم إلينَا هم:

الأستاذ (إدوارد برَاون) في (تاريخُ الأدبِ الفَارسيِّ) وفي الفصْل المذكُور آنفاً.[2] فقَدْ تنَاوَلَ بشَكلٍ مُنظَّمٍ حرَكَةَ بابك، واعتَمَدَ على ترجْمَة القسْم الخَاصِّ بهذه الحرَكَة في فِهرسْت ابنِ النَّديم. وقدَّمَ (كلمَان هوَّار) في دائرَةِ المَعَارفِ ترجَمَةً عن حَياةِ بابك. وقَامَ أيضَاً الأستاذ (سعيد نفيسي) في مجلَّة (مهر) بجمْع الرِّوايَاتِ المُتعلِّقة ببابك وثورَتِه السِّيَاسيَّة والدِّينيَّة في الكُتُبِ العربيَّة والفَارسيَّة والأرمنيَّة.[3]

«ثانياً: تطوُّرُ حركةِ بابك الخرَّميِّ»

يبْدُو أنَّ الحَوادثَ التي رَافقتْ خِلافةَ الرَّشيدِ وتقسِيمَه الدَّولةَ بيْن ابنيْه، قد زَادَتْ مِن حدَّة العَدَاوة بيْن العَربِ والإيرَانيِّين، لاسِيَّما بعْد قتْلِ وحبْسِ البرَامكَة، ممَّا تسبَّب في إيجَادِ اختِلافٍ بيْن ابنيْه الأميْنِ والمَأمُونِ، ومِن ثَمَّ حدُوثِ نِزاعٍ كبيرٍ بينَهما، وكان مِن نتيجَةِ

(1) المتن،204 (طبعة طهرَان، ص313)؛ هنَالك فرقٌ مع طبعة باريس.

(2) ج1، ص323-330.

(3) الأعداد التّاسع والعَاشر والثّاني عشر، السّنتان الأولى والثّانية.

هذه النِّزاعَاتِ أنْ سَعَى الإيرَانيُّون إلى مُؤازرةِ المَأمُونِ! لاسِيَّما أنَّ الأمِين لم يمْلِكْ الأهْليَّةَ الكافيَةَ للخِلافَةِ، فتَغلَّب المَأمُونُ على أخِيْه، وحَلَّ مَكَانَه بعد قَتْلِهِ في سَنَة (198هـ). ومِن المَعرُوف أنَّ المَأمُونَ كان منذ سَنَة (192هـ) مُرَافقاً لأبيه في خراسان وبقي فيها حتى سنة (202هـ) إذ ظَلَّ في إيرَان تلْك المُدَّة كلَّهَا، وسيْطَر فضْلُ بنُ سَهَلٍ حِينَهَا على المَأمُون،[1] وتمكَّنَ مِن الهيمَنَةِ على معْظَمِ الأعْمَالِ التي كانَت في المَشْرِقِ منذُ ابتِدَاءِ خِلافَة المَأمُونِ وحتَّى ذهَابِه إلى العِرَاق، كمَا وضَعَ تحتَ سُلطَته أقَالِيمَ غرْبِيِّ إيرَان والعِرَاقَ والحِجازَ.

يظْهَرُ أنَّ هذه الإجْرَاءاتِ لم تكُن كافِيةً لحَلِّ المشْكلاتِ جميعِهَا، فَاضْطَرَبَتْ الكثِيرُ مِن الأوضَاع داخِلَ الخِلافَة العبَّاسِيَّة، وبقِيَتْ أعدَادٌ غفِيرَةٌ مِن أتبَاع الأمِين تتحَيَّن الفُرصَ. ومِمَّا أسْهَمَ في زيَادَة الوضْع سُوءاً أنَّ قوَّاد جيْشِ المَأمُونِ كانُوا غيْر رَاضِين عن الصَّلاحِيات غير المحْدُودة التي مُنحَتْ للفضْل؛[2] فكَان بعْضُ منهم يميلُون إلى أنْ يعُود المَأمُونُ إلى بغْداد فيتَّخِذُ منهَا عَاصَمةً كمَا هو الرَّسْم القَدِيم لذلِكَ، لاسِيَّما هِرْثِمَةِ بنِ أَعْيَنِ، الذي كانَ مِن قُوَّاد جيش المَأمُونَ ـ بعد الطَّاهر – وكان له دَوْرٌ كبِيرٌ في نجَاحِه؛ لكنْ نَتجَ عن هذا خُصومَةٌ شَديدةٌ مع أبنَاء سَهلٍ. ومِن أجْل إيضَاح ذَلِكَ للمَأمُونَ صَمَّم هِرْثِمَةُ على الذَّهَاب إلى خُرَاسَان، وتحَرَّكَ في شهْر ربيعٍ الأوَّلِ مِن سَنَة (200هـ) مع جيشِه نحْو مرو، فعَلِمَ الفضْلُ

---

(1) حول مساعي فضل بن سهل لتوليّ المَأمون الخلافة انظر الطّبريّ، القسم الثّلاث، ص772، 774، 778، 791، 808، 810-816.

(2) تُعَدّ الحربُ التي حدثت بين المَأمون والأمين إلى حدٍّ كبير حرباً بين العرب والإيرَانّيين، فقد أسهم الإيرَانيّون في مناصرة المَأمون والدّفَاع عن طموحه إلى الخلافة.

عن عزمِه ذلِكَ، وحَاولَ أن ينبِّه المَأمُونَ، فَأرسَلَ المَأمُونُ لِهِرْثِمَةَ بعْضَاً مِن الرَّسَائل، وأمَرَهُ بالتَّوجُّهِ إلى الشَّام والحِجَاز، فلم يقْبَلْ تلك الأوامِرَ، ووَصَلَ إلى خُرَاسَان؛ إلَّا أنَّ الفضْلَ اسْتطاعَ أن يوغِر صدْرَ المَأمُونِ ويعبِّه عليه، فحِينَ وَصَلَ هِرْثِمَةُ لخدمَة المَأمُونِ، كان قد غضِبَ مِن فعْلِه، ولم يَأذنْ له بالحدِيثِ، وأمَرَ بإلقائِه في السِّجن، ثمَّ بأمْرٍ مِن الفضْل قَتَلَه بعْد عدَّة أيَّامٍ مِن حبْسِه، وقِيلَ: إنَّه مَات!.[1]

ويبْدُو أنَّ قَتْلَه كان سَبَبَاً في عدَمِ رضَا أهْلِ العِرَاق، لاسِيَّما بعْد أن سَعى الفضْلُ في سنة (201هـ) في أن يولِّي المَأمُونُ عليَّاً بنَ موسَى الرِّضَا ولايةَ العهْد، فَأثَار بذلِكَ غضَبَ أبنَاءِ العبَّاسِيِّين وقَالَوا: إنَّ الفضْلَ يريدُ أن يحوِّل الخلافَة مِن العبَّاسِيِّين إلى العلويِّين، ومِن ثَمَّ إلى الإيرَانيِّين! ممَّا تسَبَّب في خلْع المَأمُونِ ومبايَعَة إبرَاهيمَ بنِ المهْديِّ، وحدَثَتْ اضْطرَاباتٌ داخِلَ الخلافَة، ووَصَلت أوجَهَا في سِيْستَان وكرمَان وفَارس، وكانتْ تحتَ قيَادَة حمْزَةَ بنِ أذركَ الخَارجيِّ[2]

وعلى أيَّة حَالٍ، فَإنَّ الخرَّميَّة كانتْ قبْلَ هذه السِّنين مُهيَّأةً للثَّورة، لكنَّهَا اسْتثمَرَتْ الظَّرفَ المنَاسِبَ في أذربيجَان لإعْلان ثوْرتهَا، ويبْدُو أنَّ الأمْرَ الذي مَهَّد لإعْلان الثَّورة في ذَلِكَ الإقلِيم، هو قَتْلُ هِرْثِمَة في خُرَاسَان، وصَادفَ أنَّ المَأمُونَ قد مَنَحَ إقليمَ أرمنستان إلى حَاتَم بنِ هِرْثِمَةً؛ فلم تمْضِ أيَّام حتَّى وَصَلَ خبَرُ مقْتَلِ هِرْثِمَة إلى ابنِه، فخَرَجَ عن الطَّاعَة، وذهَبَ إلى كسالَ[3] وتحصَّنَ هنَاك، وأعلن التَّمرُّدَ والعِصْيَان، ورَاسَلَ بطارقَةَ وأشْرَاف إيرَان والأرمَنِ وحَثَّهُم

(1) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص 8-977؛ ابن قتيبة، كتاب المعَارف، ص198.

(2) تاريخ سِيْستَان ص 156-180.

(3) ابن خرداذبه،132.

على الثَّورة، وكَتَبَ رسَالةً إلى بابكَ رئيسِ الخرَّميَّة وإلى الخرَّميَّة يدْعوهُم أيضَاً للثَّورة على الخَليفَة، وظلَّ على هذه الحَالِ إلى موتِه.[1]

ويتَّضِحُ مِن هذه الأخبَار أنَّ بابك كان في سَنَة (200هـ) رئيسَاً للخرَّميَّة، لكنَّ الطَّبريَّ يذكُرُ في حوادث سَنَة (201هـ) أنَّ بابك الخرَّميَّ مع جاويدان قد ثارَا في تلكَ السَّنَة، وادَّعى أنَّ رُوْحَ جاويدان قد حلَّت في بدَنِه[2] وبنَاءً على ذلِكَ، فَإنَّ مِن المُحتمَل أن يكُون حَاتَمٌ قد أرسل رسالةً إلى جاويدان، ولمَّا صَار بابك أكثرَ معْرفةً، أخَذَ مكانَ جاويدان؛ وعلى أيَّة حَالٍ فَإنَّ الخرَّميَّة وجَدُوا الأوضَاع مُهيَّأةً لإجابَة دعْوةِ حَاتَم،[3] فَأعلنَ التَّمرُّد، وصَادفَ في هذه السَّنة أي في سَنَة (201هـ) أَنْ حلَّ قحْطٌ شديدٌ في إيرَان، ممَّا ضَاعفَ في مشْكِلاتِ الخلافَة،[4] فَأعلن حَاتَم ثورتَه.[5]

ووَرَدَ أنَّ اسْم بابكَ هو (حسن) بحسَبِ قول المسْعوديِّ،[6] إلَّا أنَّ كثيرَاً مِن المُؤلِّفين لا يتَّفقونَ مع رَأيه هذا. وتذكُر أقدم مَصَادرنَا أي كتاب (الأخبارُ الطُّوال) «وقد اختَلَفَ النَّاسُ في نسَبِه ومذهَبِه، والذي صَحَّ عندنَا وثَبت، أنَّه كان مِن ولدِ مُطهَّر بنِ فَاطمةَ بنتِ أَبي مُسْلمٍ التي ينتسِبُ إليهَا الفَاطميَّة مِن الخرَّميَّة».[7]

---

(1) ابن قتيبة كتاب المعَارف، ص19؛ اليعقوبّي، التّاريخ، ج2، ص563.

(2) القسم الثّالث، ص 1015.

(3) الدّينوريَ، ص397.

(4) ابن الأثير، ج6، ص141؛ الطّبريّ، القسم الثّالث،115.

(5) الطّبريّ، القسم الثّالث،1015.

(6) مروج الذّهب، ج7، ص130.

(7) ص397، ذكر السّمعَانّي أنّ اسم أبي بابك مردوس «وجه ورقة 56».

قد لا تحُلُّ روايَةُ الدَّينوريِّ هذه المُشْكلة، فَإنْ قبلنَاهَا فكيفَ نستطَيعُ أنْ نقَابلهَا برواياَتِ المُؤرِّخينَ الآخَرينَ التي تختَلِفُ عنهَا؟! وإذا كان بابِكُ ابنَ بنتِ أبي مُسْلم، فكيفَ تحرَّك مِن خُرَاسَان إلى أذربيجَان؟ فهذا ممَّا لا يمكُن إعطَاءُ جَوابٍ دقيقٍ عنه؛ لكنَّ الطَّبريَّ عندمَا وصَفَه بـ (شَيْطانُ خُرَاسَان) يمكنُ أن يُعطِيَ مِفتَاحَاً لحلِّ المَسْألة.

يقول الطَّبريُّ: «وذُكَر عن محمَّدٍ بنِ عمرَانَ كاتبِ عليٍّ بنِ مرَّ، قَالَ: حدَّثني عليُّ بنُ مرٍّ، عن رجُلٍ مِن الصَّعَاليك يُقَالُ له مطرٌ، قَالَ: كان واللهِ بابكُ يَا أبا الحسَن ابنيَ. قلتُ: وكيفَ؟ قَالَ: كنَّا مع ابنِ الرَّوَاد، و كانتْ أمُّه ترتوميذ العَورَاءُ مِن عُلُوج ابنِ الرَّوَاد، فكنتُ أنزل عليْهَا، و كانتْ مُصِكَّةً، فكانَتْ تخْدمُني وتغسِلُ ثيَابي، فنظَرتُ إليهَا يومَاً، فوَاثَبْتُهَا بِشَبَقِ السَّفَرِ وطُولِ الغربَة، فَأقررتُه في رَحِمِهَا. ثمَّ قَالَ: غِبنَا غَيْبَةً بعدَ ذلِكَ، ثمَّ قدِمْنَا فَإذا هي تطْلُبُني، فنزَلْتُ في منْزلٍ آخرَ، فصَارتْ إليَّ يومَاً، فقَالَت: حِينَ مَلأْتَ بطنِي تنْزُل هَاهنَا وتترُكُني؟! فَأذاعَتْ أنَّه منِّي، فقلتُ: واللهِ لئِنْ ذكَرْتِنِي لأَقْتُلنَّك، فَأمْسَكَتْ عنِّيْ، فهو واللهِ ابنِي».[1]

ويذكُر ابنُ النَّدِيم في هذا المَوْرِدِ في الفِهرسْت: «واقدُ بنُ عمرَ التَّميميُّ، عمِلَ أخْبَارَ بابك، قَالَ: وكان أبُوهُ رجُلاً مِن أهْل المَدائنِ دهقانٌ نَزَع إلى ثَغْر أذربيجَان، وسَكَنَ قريةً تُدعَى (بلال أباد) مِن رسْتاق ميمذ؛ وكان يحمِلُ دُهْنَهُ في وِعَاءٍ على ظَهْرِه، ويطُوفُ في قُرى الرُّسْتاق، فهَوِيَ امْرَأةً عَورَاء هي أمُّ بابك، وكان يفجُر بهَا برْهَةً مِن دهْرِهِ، وبيْنمَا هو وهيَ مُنْتَبِذَانِ عن القريَة مُتوحِّدَان في

(1) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1232.

غيضَةٍ ومَعَهُمَا شَرَابٌ يعكِفَانِ عليه، إذ خَرَجَ مِن القَريةِ نسْوةٌ يسقِينَ المَاءَ مِن عَيْنٍ في الغَيْضَة، فسَمِعْنَ صَوتاً نَبطِيّاً يُترنَّم به فَقَصَدْنَ إليه فهَجَمْن عليه، فهَرَبَ عبدُ الله وأَخَذْنَ بشَعْرِ أمِّ بابكَ وجِئْنَ بهَا إلى القريَة وفضَحْنهَا فيهَا، قَالَ واقدُ: ثمَّ إنَّ ذَلِكَ الدِّهقان رغِبَ إلى أبيْهَا فزوَّجه منهَا، فَأَوْلَدَهَا بابكَ ثمَّ خَرَجَ في بعْضٍ مِن أسْفَاره إلى جبل سبلان (بالقرْب مِن أردبيل) واعترضَهُ مَن استقَاهُ فجَرَحَهُ وقَتَلَه، فمَاتَ بعد مُدَّةٍ، وأقبَلَتْ أمُّ بابكَ تُرضِعُ مِن امْرَأةٍ بأجْرةٍ إلى أن صَار لبابكَ عشْرونَ سَنَةً». [1]

فبغيْر روايَة الدَّينوريِّ، لانعْرفُ على وجْه الدِّقَّة، إن كانَت هنَاك روَايةٌ أخْرى تحمِل طابعَاً قَصَصيّاً.

وبنَاءً على العديْدِ مِن المَصَادر، فمِن المُؤكَّدِ أنَّه كان لبابكَ أخٌ اسْمُهُ عبدُ الله، ولم يظْهَرْ أيضَاً مِن هذه الفِقرة أنَّ لبابكَ أخَاً آخَرَ مِن أمِّه، وقَدْ تحوَّل اسمُ عبد الله أخي بابك في بعْضٍ مِن الأحْيَانِ إلى اسْم أبيه. ويذكُر السِّمعَانيُّ (F56a) أنَّ بابكَ هو ابنُ مرداس، لكنْ لا يُلحَظُ هذا في المَصَادر الأخْرى، غيْر أنَّ الذي يتَّضِحُ مِن روايَة الفِهرسْت أنَّ بابكَ هو مِن صُلبِ مَعْروفٍ، لكنْ في المَطَالبِ المُتعلِّقة بعبدِ الله بنِ بابكَ التي ذَكَرهَا الطَّبريُّ ومعْظمُ المُؤرِّخين ، تتَّضِحُ الإشَارَاتَ إلى أنَّ بابكَ كان مِن الدَّهَاقنة، وهمَّ بالدَّعوة إلى الخرَّميَّة وله أفرَادٌ مِن أسرتِه سانَدوه في الدَّعوة[2].

ويبْدُو أنَّ المشْكِلَة في روايَة الدَّينوريِّ أنَّهَا لم تُؤيَّدْ مِن المُؤرِّخين

(1) الفهرست، ص343 (طبعة طهرَان، ص406)؛ المقدسّي، ج، ص114-115، التّرجمة، ص112؛ العوفيّ في جوامع الحكايَاتf.70a .

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، الصفحة، 1231،والصفحة 1223.

الآخَرينَ في أنَّ لفَاطِمَةَ بنتِ أبي مُسْلم وَلَداً باسْم مُطَهَّر، إلَّا أنَّه في الوقْتِ ذاتِه ليسَ في المُسْتطاعِ رفْضُ كامِلِ الرِّواية.

ويتَّضح ممَّا سَبَقَ أنَّه مِن غير المْكِنِ تعيينُ سنَة ولادة بابكَ، وتحديدُ عددُ سِنيِّ عُمُرِه، لكنَّ الشَّيءَ الثَّابتَ الذي مِن المْكِنِ الحديثُ عنه عند بدايَةِ حرَكَتِهِ أنَّه كانَ في عُمُر الشَّباب، وهذا مَا سيتَّضِحُ فيمَا بعدُ مِن فِقرة كتَابِ الفِهرسْت التي سَنقُوم بنقْلهَا، والتي تحْوي محَلَّ ولادَتِهِ وحَياتَه التي اختلطَتْ في بعْضٍ مِن الأحْيَان بالأسْطُورة! وكذلِكَ تربيتُهُ وشبَابُهُ، وهي منقُولَةٌ كلُّهَا مِن كتابِ واقدٍ المُسَمَّى (أخبارُ بابك): « قَالَ واقِدُ: وكان بابكُ أيضاً مع الشِّبل بنِ المُنقَّى الأزديِّ برسْتاق فرَاتٍ، يعمَلُ في سيَاسَة دوابِّه، وتعلَّم ضَرْبَ الطَّنبورِ مِن غِلمَانِه، ثمَّ صَار إلى تبريزَ مِن أعمَالِ أذربيجَان، فَاشتغَلَ مع محمَّدٍ بنِ الرَّواد الأزديِّ نحو سنتَيْنِ، ثمَّ رجَعَ إلى أمِّه وله ثمَاني عشْرةَ سَنَةً، فَأقامَ عنْدهَا. قَالَ واقدُ بنُ عمرو: وكان بجَبَلِ البذِّ ومَا يليْه مِن جبالٍ رجُلان مِن العُلُوجِ متخرِّمِينَ، وله جِدَةٌ وَثَرْوَةٌ، وكانَا متشَاجِرَيْن في التَّملُّك على مَن بجبَال البَذِّ مِن الخرَّميَّة؛ ليتَوحَّد أحَدُهُم بالرِّئاسة. قَالَ: أحَدُهُمَا جاويدان بنُ شهرك، والآخرُ غلبَتْ عليه الكُنيَةُ ويُعرفُ بأبِي عِمْرَان، وكانَتْ الحرْبُ تقُوم بينَهُمَا في الصَّيفِ وتحُوْلُ بينَهُمَا الثُّلوجُ في الشِّتاءِ لانسِدادِ العُقَابِ، لأنَّ جاويدَان وهو استاد بابك خَرَجَ مِن مدينتِه بألفَيْ شَاةٍ يقصِد مدينَة زنجان مِن مَدَائنِ ثُغُور قزْوين، فدَخلَهَا وبَاعَ غنَمَه، وانصَرفَ إلى جبل البَذِّ، فَأدْرَكَه الثَّلجُ واللَّيلُ برسْتاق ميمد، فعَاجَ إلى قريَةِ بلال آباد فَسَألَ صَاحبَهَا إنزالَهُ فاستخف بجاويدان، فَأنزَلَه على أمِّ بابك ـ ومَا تسْتثْنِي مِن ضَنْكٍ وعَدَمٍ ـ فقامَتْ إلى النَّار فَأجَّجتهَا، ولم تقْدِر

على غيْرِهَا، وقام بعد ذَلِكَ إلى غِلمَانِه ودوابِّه فخَدَمَهُم واستقَى لهُمْ المَاءَ، وبعَثَ به جاويدان فَابْتَاعَ له طَعَاماً وشَرَاباً وعَلَفاً، وأتَاهُ به فخَاطَبَه فوجَدَه على رَدَاءَةِ حَالِهِ، وتَعَقّبَ لسَانَه بالأعجَميَّة ففَهِمَ، ورَآه خَبيْثاً شَهْماً، فقَالَ لأمِّه: أيَّتهَا المَرْأة أنَا رَجُلٌ مِن جبَل البذِّ، وَلِيَ به حَاجةٌ، وأنَا مُحتَاجٌ إلى ابنِكِ هذا فَادفَعِيهِ إليَّ لأمضِيَ به معِي، وأقِيْهِ بردَائِي وأمْوالِي، وأبْعَثَ بأجْرتِه إليْكِ، في كلِّ شَهْرٍ خمسُونَ درْهماً. فقَالَت له: إنَّك لشَديدٌ في الخَيْر وإنَّ آثَار السَّعَة ظَاهِرةٌ عليْك، وقَدْ سَكَنَ قلبِي إليْك، فَأنهِبْه مَعَك. ثمَّ إنَّ أبَا عمْرَانَ نهَضَ مِن جَبَلِهِ إلى جاويْدان، فحَارَبَه وهَزمَه وقَتَلَ جاويدانُ أبا عِمْرَانَ ورَجَعَ إلى جَبَلِهِ وبِهِ طَعْنَةٌ أخَافَتْه، فَأقَام في منزِلِه ثلاثَة أيَّام ثمَّ مَاتَ، وكانَتْ امْرَأةُ جاويدَان تعشَقُ بابكَ وكانَ يفجُرُ بهَا، فلَمَّا مَات جاويدان قَالَت له: إنَّك جَلْدٌ شَهْمٌ، فقد مَات ولم أرفَعْ بذلِكَ صَوتِي إلى أحَدٍ مِن أصْحَابِي، فتَهيَّءْ فَإنِّي جامِعَتُهم إليْك ومُعْلِمَتُهُم أنَّ جاويدانَ قَالَ: إنِّي أريدُ أنْ أرَاكِ في هذه اللَّيلَةِ وأنَّ رُوحِي تخْرُجُ مِن بَدنِي وتدْخُلُ في بَدَن بابِكَ، وتشْترِكُ مع رُوحِهِ؛ وأنَّه سَيَبْلُغُ بنفْسِه وبكُم أمْرَاً لم يبلُغْهُ أحَدٌ، ولا يبْلُغُهُ بعْدَهُ أحدٌ، وأنَّه يمْلِك الأرضَ، ويقتُلُ الجبَابرَةَ، ويقْتُلُ المزدكيَّة ويُعَزُّ به ذلِيلُكُم، ويُرفعُ به وضِيعُكُم. فطَمِعَ بابكُ فيمَا قَالَتْ له، واسْتبْشَر به وتَهيَّأ له، فلمَّا أصْبحَ تجمَّع له جيشُ جاويدان فقَالَوا: يكف من يدع بنَا ويَاتي إلينَا...»

ويتَّضِحُ مِن كلِّ مَا تقدَّم مِن معلومَاتٍ عَامَّةٍ أوردهَا ابنُ النَّديمِ رئاسةُ جاويدانَ وأبي عمرَان على الخرَّميَّة، وقَرابةُ بابك بنِ جاويدان، ومِن ثَمَّ ترَؤُّسُ هذه الفِرقَة بعد موْت جاويدان، والاختلافَاتُ التي كانت واقِعَةً بين هذه الفِرقةِ والآرَاءُ الإسْلاميَّةُ والضُّغوطُ التي

تعرَّضَت لهَا مِن قِبَلِ العرب والأسْبابُ التي أدَّتْ إلى عدَمِ انتِشَارهَا بشَكْلٍ كبيرٍ.

وكان لجاويدان ابنٌ وقَعَ أسِيرَاً لبعْضٍ مِن الوقْتِ بِيَدِ المسْلمِين، إلَّا أنَّه تحَرَّر بعْد انكسَار جيشِ المسْلمِين.[1] وعلى أيَّة حَالٍ فَإنَّنَا لا نعْرفُ لمَاذا لم تصِل الرِّئاسة إلى ابن جاويدان، ووَصَلت إلى بابك؟! ويُحتَمَلُ أن يكون بابك قد تَزوَّج مِن امْرَأةِ جاويدان، وكانت هذه سبيلَهُ إلى الرِّئاسَة.

يتَّضِحُ مِن بعْضٍ مِن فِقرَات النَّصِّ السَّابق أنَّه حِينَما وَصَلَ بابكُ إلى الرِّئاسَة كان في مرحَلَة الشَّبابِ، وامتَاز بالذَّكاء والشَّجَاعة الفَائقَة. كمَا أنَّه كان قد تَرَأَّسَ قومَه قبْلَ هذا الوقتَ، وعَاشَ بين أنَاسٍ لم يتشَرَّبوا الدِّين الإسْلاميَّ، وبذلِكَ لم تتأثَّر عقائدُهُم بشَيءٍ مِن هذا الدِّين؛ غيْر أنَّ هذا لم يمنَعْ مِن أن تكُون هنَاك عَداوةٌ مع العَربِ وآرَائِهم، وقَدْ حَاولَ أنْ يقاومَ الوجُودَ العَربيَّ وأنْ يعيدَ تجديدَ دينِه. كمَا يظهَرُ مِن النَّصِّ السَّابق أنَّه في انتظار ذَلِكَ الشَّخصِ الذي يسيْطِرُ على كُلِّ المَمالك، ويقتُلَ الجبَابرةَ، ويجَدِّد ديْنَ مزدكَ، ويعزُّ الأذلَّاءَ ويعِيدَ شَرفَهم.

ويبدو أنَّ هذه الظُّروفَ جمِيعَهَا قد ترَكَتْ أثرَهَا على شخصِيَّة بابكَ، وقَدْ أسْهَمَ محُيطُه المُؤثِّرُ في أن تتَّجِه الحرَكَةُ الخَرَّميَّة الوجَه الذي عرفتْه. كمَا أنَّ هذه الظُّروفَ الخَانقَة التي تعرَّضَ لهَا مِن ضُغوطٍ خَارجيَّةٍ وتحدِّيَاتٍ كبِيرةٍ، واجَهَتْهُ، وأسْهَمَتْ في تهْيئتِه وإعْدادِهِ.

وعلى أيَّة حَالٍ فَإنَّ حَياته العَمَليَّةَ بدأتْ مِن سَنَة (200هـ)

---

(1) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1292؛ ابن الأثير، ج6، ص334.

وانتَهَتْ في سَنَة (223هـ) إذ تمَّ قَتْلُه وكانَتْ خاتِمَتَه. وباسْتثنَاءِ السَّنتينِ الأخيْرتَينِ، فَإِنَّه شَغَلَ معظَمَ أوقاتِه في الحرُوبِ، وهذا مَا أسْهَمَ في توسُّع دائِرة مريديه وتوسُّع مملكَتِه، فقَدْ اسْتطَاعَ في مَرَّاتٍ عديدةٍ التَّغلُّبَ على جَيشِ الخُلفَاء، وأَسَرَ كذلِكَ عدَداً مِن قوَّاد جيشِ العَرَبِ وَقَتَلَ بعْضَهُم الآخرَ. وكان نجاحُه الكبيرُ في أذربيجَان سَبَبَاً في دخُول آلافِ الأشْخَاصِ مِن أهْل الجبَال في دِينِه.

ويذكُر المقدسِيُّ حوْل بدايَةِ حَياتِه الاجْتماعيَّة «وأَمَرَ بابكُ أصحَابَه مِن النَّواحِي والقُرى، وكانُوا في قِلَّةٍ و ذِلَّةٍ، وأعطَاهُم سُيوفَاً وخنَاجرَ، وأمَرَهُم بأن يرجِعُوا إلى قُرَاهم ومَنَازلهم، وينتَظِرُوا الثُّلُثَ الأخيرَ مِن الَّليل، فَإذا كان ذَلِكَ الوقتُ خرجُوا على النَّاسِ فلا يَدَعُونَ رجُلاً ولا امْرَأةً ولا صَبِيَّاً ولا طِفْلاً مِن قريبٍ أو بعيدٍ إلّا قتَلُوه وقطَّعُوه! ففَعَلَ القومُ ذلِكَ، فَأصْبَحَ أهْلُ تلك القُرى قتلَى بأيدِي الخرَّميَّة لا يدرُونَ مَنْ أَمَرَهم بذلِكَ، ولا مَا السَّببُ فيه، ودَخَلَ النَّاسَ رعبٌ شديدٌ وهولٌ عظيمٌ. ثمَّ لم يُمهِل أنْ بعثَهُم إلى مَا نَأى عنه مِن النَّواحِي يقتُلُون مَن أصَابُوا مِن النَّاسِ مِن أيِّ صِنفٍ كان صَغيرَاً أو كبيرَاً، مسْلماً أو ذمِّيَاً، حتَّى مرَّن القومَ على القتْلِ، وانضَوى تحتَه القُطَّاعُ والخُرَّابُ والذُّعَّارُ وأصْحَابُ الفتنِ وأربَابُ النِّحَلِ الزَّائغَةِ، وتكاثَفَتْ جمُوعُه حتَّى بلَغ فرسَانُ رجَاله عشْرين ألفَ فَارسٍ سِوى الرَّجَالة! واحتَوى على مُدنٍ و قُرىً، وأخَذَ بالتَّمثِيلِ بالنَّاسِ والتَّحريقِ بالنَّار والانْهمَاك في الفسَاد وقِلَّة الرَّحْمَة والمُبَالاة...».[1]

وتغلَّب بذلِكَ على كلِّ نَواحِي بذَّ وضَواحِيهَا، ولشدَّة خوْفِ

(1) المقدسّي، ج6، ص116؛ العوفّي f70a.

المُسْلِمِين منه التجَؤُوا إلى مرَاغة وتحَصَّنوا فيهَا.[1] وخرَّبَ بابكُ المُدُنَ والقُرى المُحِيطةَ بأطْرَاف بذٍّ، وقَدْ دَخلَتْ مُدُنٌ أخْرى في حوزَتِه، وأصْبَحَ الوصُولُ إليه صَعْباً للغايَة.[2]

وشَرَعَتْ سلسلةُ المعَاركِ مِن ذَلِكَ الوقتِ بينَه وبيْن جَيشِ الخَليفَة، فحِينمَا بلغَ المَأمُونَ الخَبَرُ، ولَّى يحْيى بنَ معَاذٍ بنِ مُسْلم مولى بنِي ذهلٍ أرمِينيَا، وأمَرَه بمُحَاربتِه، فوَاقعَه يحْيى في سَنَة (204هـ) وقعَاتٍ لم يظْهَرْ عليْه في وَقْعَةٍ منهَا، ولمَّا لحِظَ المَأمُونُ عدَمَ كفَاءةِ يحْيى عزَلَه عن ولايَة أرمنسْتان في سَنَة (205هـ) وولَّى عيسَى بنَ محمَّدٍ بنِ أبِي خَالدٍ أرمينيَا وأذربيجَان، وشَرَعَ في الحرْبِ مع بابكَ، وأمَرَ فتحَرَّك جَيشٌ مِن بغدادَ للمُسَاندة، ولمَّا وَصَل أذربيجَان، تقدَّم إليه محمَّدُ بنُ الرَّواد مع جَمْعٍ مِن رؤسَاء تلك الولايةِ لقتالِ بابك، ولقَوْا بابكَ في سَنَة (206هـ) في مَضِيقٍ، فهَزَمُوه، وانصَرَفَ عيسَى مِن أذربيجَان إلى أرمينيَا.[3]

وفي سَنَة (209 هـ) ولَّى المَأمُونُ زُرَيْقَاً بنَ عليٍّ بنِ صَدَقَة الأزديَّ،[4] إقليمَيْ أرمنسْتان وأذربيجَان، وأمَرَه بقتَالِ بابك، فلم يصْنَعْ شَيئاً، فعزَلَه المَأمُونُ، وولَّى محمَّداً بنَ حميدٍ الطُّوسيَّ، فلمَّا بلغ زريقاً خبرُ صَرْفِهِ، خَلَعَ طَاعتَه وأظْهَرَ العِصْيانَ، فتقدَّم إليه محمَّدٌ

(1) فتوح البلدان، البلاذريّ، ص330.

(2) الدّينوريَ، الأخبار الطّوال، ص397. المصَادر التي أوردهَا في الأخبار الطّوال تبدو مشوّشةً وغير دقيقةٍ.

(3) اليعقوبّي، كتاب التّاريخ، ج2، ص564.

(4) اليعقوبّي، المصدر ذاته. ولكن انظر ابن الأثير علّي بن صدقة المعروف بـ (زريق) ج6، ص275؛ وفي صفحة 284 كذلك في اليعقوبيّ؛ الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1072؛ كذلك ابن الأثير في ص284.

بنُ حميدٍ، فحَاربَه زريقٌ في الزَّاب، فصدَّه محمَّدٌ مع أصْحَابه. ثمَّ طَلَبَ زُريقٌ الأمَان فَأمَّنه، وحمَلَه إلى المَأمُونِ. ولَمَّا طهَّر مُحَمَّدٌ بنُ حميدٍ تلك البِلاد مِن مخَالفيه، وأصْبَحَتْ إمكَانيَّة محُاربَة بابك مُتحقِّقَةً، عبَّأ لقتالِه وزَحَفَ إلى أذربيجَان في سَنَةِ (212هـ) فحَاربَه محَاربَةً شَديدةً وحَاصَرَهُم في موضِعٍ ضَيِّقٍ، وأسَرَ أعْداداً منْهُم، وأرسَلَهُم إلى المَأمُونِ؛ وبَدَأ بجَمْعِ العُدَّةِ لحرْبِ بابكَ،[1] وقَدْ كان ذَلِكَ في أوَّل سَنَة (214هـ).

ولَمَّا قُتل محمَّدٌ بنُ حميدٍ ولَّى المَأمُونُ عبدَ الله بنَ طاهرٍ، وعقَدَ له على كُوَرِ الجبَالِ وأرمِينيَا وأذربيجَان،[2] وكَتَبَ إلى القُضَاةِ وعمَّالِ الخَرَاج بالانتِهَاء إلى أمْرِه، فخَرَجَ عبدُ الله وأقامَ في الدَّينور، وكَتَبَ إلى مهْديٍّ بنِ أثرمَ، ومحمَّدٍ بن يوسفَ، وعبدِ الرَّحمَنِ بنِ حبيبٍ القوَّادِ الذين كانوا مع محمَّدٍ بن حميدٍ أنْ يقومُوا في مَواضِعِهِم. وتُوفِّي طلحَةُ بنُ طَاهرٍ في خُرَاسَان، فولَّى المَأمُونُ مكانَه عبدَ الله، ووجَّه إليه بعهْدِه، وعَقَدَ مع إسْحَاقَ بنِ إبرَاهيمَ، ويحْيَى بنِ أكثَم قاضِي القضَاة، فنَفَذَ عبدُ الله إلى خُرَاسَانَ، فولَّى المَأمُونُ أذربيجَانَ ومحَاربةَ بابكَ عليَّاً بنَ هشامٍ، ولم يكن له ضَبطٌ ولا معْرفةٌ بالحرْبِ، فولَّى المَأمُونُ خَالدَ بنَ يزيدٍ بنَ مَزيَدٍ، فَأخرَجَ مَن كان في السِّجن بالعِرَاق مِن عشيرتِه إلى أن نَزَلَ بهشتاد سُرَّ، وحَفَرَ خندَقاً واستشَار في دخُولِ بلدِ بابكَ، فَأشَارُوا عليه بدُخُولهَا مِن وجْهٍ ذكَرُوهُ له، فقَبِلَ رَأيَهُم وعبَّأ أصْحَابه، وجَعَلَ على القلْبِ محمَّداً بنَ يوسُفَ بنِ عبدِ

(1) اليعقوبّي، ج2، 565–564؛ الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1099؛ الكامل، ج6، 287.

(2) المصدر ذاته.

الرَّحمن الطَّائيَّ، المعْرُوفَ بأبي سَعيدٍ، وعلى الميمنَةِ المهْديَّ بنَ أثْرَم، وعلى الميْسَرة العبَّاسَ بنَ عبدِ الجبَّار اليقطِينيَّ، ووَقَفَ محمَّدٌ بنُ حميدٍ خلفَهُم في جماعةٍ ينظُر إليهم، ويَأمرُ بسَدِّ الخَلَلِ إنْ رَآه، فكانَ بابكُ يشْرِفُ عليْهِم مِن الجبَل، وقَدْ كمَنَ لهُم الرِّجَالُ تحتَ كلِّ صَخْرةٍ، فلمَّا تقدَّم أصْحَاب محمَّدٍ، وصَعِدُوا في الجبَلِ مقدارَ ثلاثة فرَاسِخَ، خَرَجَ عليهِم الكمِيْن وانحَدَرَ بابكُ إليهم فيمَن مَعَه، وانهزَمَ النَّاسُ! فَأمَرَهُم أبو سَعيدٍ ومحمَّدُ بنُ حميدٍ بالصَّبر فلم يفْعَلُوا، وفَرُّوا على وجُوهِهِم والقَتْلُ يَأخُذُهُم، وصَبَرَ محمَّد بنُ حميدٍ مكانَهُم، وفَرَّ مَن كانَ معه غيرَ رجُلٍ واحِدٍ، وسَارَا يطْلُبَان الخَلاصَ، فرَأيا جماعَةً وقَتْلاً، فقَصَدَاهم فرَأى الخرَّميَّةَ يقاتِلون طَائفَةً مِن أصْحَابِه، وحِين رَآهما الخرَّميَّة قصَدُوه لِمَا رَأوا مِن حُسْن هيئتِه، فقاتَلُوهُما، وقَتَلُوه، وضَربُوا فرسَه بمِزرَاقٍ فسَقَطَ إلى الأرضِ، وأكبُّوا على محمَّدٍ بن حميدٍ فقَتَلُوه، وقَتَلُوا مجمُوعَةً مِن جيشِه. وعلى وجْه العُمُوم فقَدْ وقَعَتْ في يوم السَّبتِ مِن ربيعِ الأوَّلِ سِتُّ معَاركَ كبيرةٍ بيْن محمَّدٍ وبابك، وكان المهْديُّ بنُ أثرمَ مِن أشْخَاصِ محمَّدٍ بنِ الرَّزيم.

وحِينمَا وَصَلَ هذا الخَبَرُ إلى المَأمُونِ غَضِبَ كثيرَاً،[1] ومَنَح عبدَ الله بنَ طاهرٍ ولايَة كُورِ الجِبال وأرمنسْتان وأذربيجَان، وأخبَرَ بذلِكَ قضَاة وعمَّالَ الخَرَاج في تلك المَنطقَة، فجاءَ عبدُ الله إلى الدَّينور والتَقى بالمهْديِّ بنِ أثرمَ ومحمَّدٍ بنِ يوسُفَ وعبدِ الرَّحمَنِ بنِ حبيبٍ، إذ كانُوا مع محمَّدٍ بن حميدٍ بعدمَا كَتَبَ إليهم رسَالةً بالبقَاء في أمَاكِنِهم. ولمَّا تُوفِّي طلحَةُ بنُ طاهرٍ في خُرَاسَان، ولَّى المَأمُونُ عليَّاً بنَ طاهرٍ مكَان

(1) المصدر ذاته؛ الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1101؛ ابن الأثير، ج6، ص290-291؛ يَاقوت في معجم البلدان، ج6، ص187، مَادّة سورين.

أبيه، وكان عبدُ الله في الدَّينور مشْغُولاً في ذَلِكَ الوقتِ بإعداد الجيْشِ مِن أجْلِ صَدِّ بابك. وحِينمَا سَار الخَوارجُ في خُرَاسَان، وهجَمُوا على قُرى نيسَابورَ وقتَلُوا أهلَهَا، وَصَلَ الخَبَرُ إلى المَأمُونِ، فَأمَرَ عبدَ الله بالتَّوجُّه إلى خُرَاسَان، فذهَبَ إلى تلك الولايَة[1] فمَنَحَ المَأمُونُ ولايةَ الجبَلِ وأذربيجَان وكُوَرَ أرز أرمنسْتان، وقِتَالَ بابكَ إلى عليٍّ بنِ هشَام؛[2] لكنَّ هذا الواليَ عُرفَ بظُلمِهِ للنَّاسِ وأخْذِ الأمْوالِ منهُم! فلَمَّا سَمِعَ المَأمُونُ بذلِكَ أرسَلَ إليه في سَنَة (217هـ) عُجَيْفاً بنَ عنبَة، فحَمَلَ على عُجيْفٍ غِيْلَةً وأرَادَ أن يقْتُلَه وأن يلتحِقَ ببابك، لكنَّ عُجَيفاً غلَبَه وأحضَرَه إلى المَأمُون فَأمَرَ المَأمُونُ بقَتْلِه، وذَلِكَ في جمَادى الأولى من سَنَة (217هـ).[3] وصَادَفَ أن انشغَلَ المَأمُونُ بحرْبِ البيزنطيِّين، إذ حَدَثَتْ هزائِمُ متَواليَةٌ للجيشِ العَربيِّ ممَّا سَاهَم في ازدِيَاد قوَّة بابكَ وانتشَار الخرَّميَّة في كُلِّ أقَالِيم الجبَال ومَا اتَّصَل بهَا مِن منَاطِقِ أذربيجَان، فتوجَّه عددٌ كبيرٌ مِن نواحِي أصْفهَان إلى الخرَّميَّة ومُسَاندتهَا واتَّصَلوا ببابك[4] وبذلِكَ تَقَوَّى. وغَضِبَ الخليفةُ

(1) ابن خلّكان في ترجمة عبد الله بن طاهر نقل من كتاب السّلاميّ فقرةً ذكر فيهَا أنّ عبد الله كان في الدّينور ولمّا خرج بابك الخرّميّ في خرَاسان والخوارج في قرية حمرَاء من أعمَال نيسابور، وأفسدوا في تلك القرية، فأمر المَأمون لمّا وصل إليه الخبر بالتّوجه إلى خرَاسان. ويبدو أنّ هنَاك أخطاءً أو خلطاً في هذا الخبر مربوطاً بجيش عبد الله في الدّينور الذي ذهب لمقاتلة بابك مع موضوع الخوارج في خرَاسان ويبدو أنّ هذا الخلط صدر من مؤلّف كتاب وفيَات الأعيَان= =وليس من السّلاميّ، إذ يذكر في ذَلِكَ صَاحب كتاب أبي سعد عبد الحَي مؤلّف زين الأخبار (ص6، وكان عبد الله في الدّينور، وأرسل كلّ جيشه لحرق بابك الخرّميّ، وكان الخوارج قد خرجوا حِينهَا واتّجهوا إلى نيسابور).

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص9- 1108؛ الكامل ج6، ص297.

(3) م.ن، القسم الثّالث، ص9- 1108؛ الكامل، ج6، ص297.

(4) نظام الملك، سيَاسه نَامه، ص200 « طبعة طهرَان، ص313».

كثِيراً مِن هذه الأمُور وتطوُّرَاتِهَا، ولعَلَّ ذَلِكَ يتَّضحُ جليّاً في وصِيَتة لابنِه المُعتَصِم عند موتِه وذَلِكَ سَنَة (218هـ): «وانْظُرْ هؤلاءِ القَوْمَ الذين أنتَ بسَاحَتِهِم فلا تغْفَل عنهُم في كُلِّ وقْتٍ، والخرَّميَّة فَاغْزُهُم غزْوَ ذي حَزْمٍ وصَرَامةٍ وجَلَدٍ، واكْفُهُم بالأمْوَالِ والسِّلاحِ والجُنُودِ مِن الفرسَان والرَّجَالة، فَإِنْ طالَتْ مدَّتهُم فتَجرَّدْ لهُم بمَن معَكَ مِن أنصَارك وأوليَائك، واعمَل في ذَلِكَ عَمَلَ مُقَدِّمِ النِّيَّةِ فيه...».[1]

ويبْدُو أنَّ المعتَصِمَ قد عَمِلَ بعد موتِ المَأمُونِ بوصِيَّته، حَيْثُ يذكُر المؤرِّخُون أنَّه سعَى كثيَراً بعدمَا وَصَلَ إلى الخِلافَة للعمَلِ على مُعَالجَة تلك الأمُور، إلَّا أنَّه اتَّسَعَتْ في ذَلِكَ الوقتِ كُلُّ الحرَكَاتِ المُعَارضِة في المَنَاطِق المَركزيَّة والغربيَّة من إيرَان، وقَدْ دخَلَ الكثِيرُ مِن أهْل تلك المَنَاطِق في الخرَّميَّة، حتَّى إنَّهم أعَدُّوا جيْشَاً كبِيراً في هَمَدانَ، فَأرسَلَ إليهم الخَليفَةُ جيوشَاً تواجِهُهُم؛[2] وكان آخرُهَا تحْتَ قيَادةِ إسْحَاقَ بنِ إبرَاهيمَ بنِ مصْعبٍ الذي كانَ قد ترَأَّسَ حكُومَة الجبَال، فدَخَل إسْحَاقُ في شَهر ذي القِعدَة تلك المَنطقَةَ واحترَبَ مع الخرَّميَّة في أطرَافِ هَمَدَانَ، وقتَلَ ستِّين ألفَاً منهم. وعلى قَوْلٍ مئة ألفٍ، مَا عدا الأطفَالَ والنِّساءَ،[3] وفرَّ الذين بَقَوْا منْهم إلى بِلاد الرُّوم،[4] وجَلَبَ إسْحَاقُ بنُ إبرَاهيمَ الأسْرى في سَنَة (219هـ) إلى بغداد.

وكان جزءٌ مِن الخرَّميَّة قد ذَهَبَ إلى الرُّوم، وكان رئيسَهم حِينهَا بارسيسُ، فمَنَحَهم ملكُ الرُّوم تيفوئيلُ ملجأً وسَمَحَ لهم بالدُّخُول

(1) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1138؛ ابن الأثير، ج6، ص303.

(2) م.ن، القسم الثّالث، ص1195.

(3) م.ن، القسم الثّالث، ص1165 ص1166.

(4) م.ن، القسم الثّالث، ص1165؛ الكامل، ج6، ص311.

في جيشِه، وكان تيفوئيل في سَنَة (223هـ) قد هَجَمَ على أهْل زبطرَا[1] وأسَرَهم. وكان هذا الهجُوم ـ على أحَدِ الأقْوال ـ على أثَر تحْريضٍ حمَلَتْه رسَالةُ بابك، إذ كان مَعَه الخرَّميَّة، وشَاركُوا في قتَال المُسْلمِين.[2] ويذكُرُ نظامُ المُلك حوْل هذا التَّمَرُّدِ: «عندمَا دَخلَتْ سَنَة (218هـ) خَرَج البابكيَّة مرَّةً أخْرى في أصْفهَان وفَارسَ وأذربيجَانَ وعدَدٍ مِن الجبَال، وصَادفَ أنْ كان فيهَا المَأمُونُ متوجِّهاً إلى الرُّوم، وقَدْ أغَارُوا على معْظَم تلك الوِلايَاتِ ليْلاً، وقَتَلُوا في فَارسَ الكثيرَ مِن المُسْلمين، وأسَرُوا نسَاءهم وأطفَالَهُم، وكان رئيسَهم في أصفهَانَ رجلٌ اسمُه عليٌّ بنُ مزدك[3] وكان عندَه في هذه المدينَةِ نحوُ عشرين ألفَ رجُلٍ، فذهَبَ بهم إلى الجِبَال، وكانَ أبو دُلَفٍ غائباً[4] فتوجَّه أخُوه أيضَاً إلى كَرْجٍ؛[5] لكنْ لم تفْلِحْ المُقاومَة بخمسِمئة فَارسٍ، لذَلِكَ فَإنَّه فرَّ إلى بغداد، فَاسْتولى عليٌّ بنُ مزدكَ على كُرْجٍ، وقتَلَ الكثِيرَ مِن المُسْلمِين، وحَمَلَ معَه أبنَاءَ العجيليِّين، وعَاد إلى أذربيجَان مِن أجْل الاتِّصَال ببابكَ. وفيمَا يتعلَّق بالخرَّميَّة الذين كانُوا متَّصِلينَ ببابك، فقد كانَ عددُهُم في البَدْءِ عشَرَةَ آلافِ نفَرٍ، ثمَّ أصْبحُوا خمسَاً وعشْرينَ ألفاً مَا بيْن الجبَالِ في مدينةٍ تُدعَى شهرستانَ،[6] فتجَمَّعُوا هنَاك واتَّصَلوا ببابك، لذَلِكَ فقد أرسَلَ إليهِم المعْتصِمُ إسْحَاقَ

---

(1) ابن الأثير، الكامل (زبطره) ج6، ص479-480.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1165ن ص1234-1235؛ ابن الأثير، ج6، ص311، ص479-480.

(3) أي علّي بن مزدك.

(4) أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجلّي.

(5) وردت كره ويعني كرج وهي مسكن العجليّين.

(6) شهرستانه قريةٌ من نواحِي سلفَار، وهي النَاحِية الخَامسة من نواحِي همدان (نزهة القلوب270-271).

مع أربعينَ ألفِ رجلٍ لقتَالِهم، فَأغَار عليهم إسْحَاق غِيلةً وقتَلَ كثِيرَاً منهم؛ ويُقالُ: إنَّه قَتَلَ منْهم مئةَ ألفٍ. كَمَا أغَاروا على قُرىً قربَ أصْفهَان فحَمَلُوا معهم نسَاء وأطفَال المُسْلمين، وكان أميرُ أصْفهَان حِينهَا عليُّ بنُ موسَى غائباً، فقاوَمَهُم قاضِي وأعْيَانُ تلك المَدينَة؛ لكِنَّهم مع هذا قد قَتلُوا وحَمَلُوا الكثِيرَ مِن رجَال ونسَاء هذه المَدينَة...». [1]

وأرسَلَ المعْتَصِمُ في هذه السَّنة، أي سَنَة (218هـ) إسْحَاقَ مْن أجْل صَدِّ الخرَّميَّة في الجبَالِ، وكذلِكَ بعَثَ أبا سَعيدٍ محمَّداً بنَ يوسفَ الثُّغْرِيَّ إلى أردبيلَ مِن أجْلِ إعَادةِ الحصُونِ التي خرَبهَا بابكُ، وليُنْشِئَ مَا بيْن زنجَان وأردبيلَ محطَّاتٍ ويحمِيهَا بالخيَّالة لتأمِينِ الطَّريق، لاسِيَّما طَريقِ تجارَةِ أردبيل. فَأتمَّ أبو سَعيدٍ هذه الأعمَالَ، إلَّا أنَّ بابكَ أرسَلَ مجمُوعةً إلى (رئاسة معَاويَة)، وهي مدِينةٌ، فَأغَارتْ عليهَا وخرَبتهَا! فلمَّا علِمَ أبو سَعيدٍ بذلِكَ أرسَلَ جيشَه إلى تلك المَنطِقةَ، وعندمَا وَصَلَ إلى معَاويَة اسْتطَاعَ إعَادَتهَا وأسَرَهُم فيهَا. فكانتْ هذه أوَّلَ هَزيمَةٍ تعرَّضَ لهَا أتبَاع بابك؛ فقَدْ أرسَلَ أبو سَعيدٍ الرُّؤوسَ والأسْرى إلى المُعتَصِم[2] كمَا وجَّه المعْتَصِمُ طَاهرَ بنَ إبرَاهيم أخَا إسْحَاق بنِ إبرَاهيمَ، وأمَرَهُ بمحَاربَة الخرَّميَّة، فلمَّا قَدِمَ البلدَ كتَبَ ابنُ البُعَيْثِ إلى المعْتَصِم يعلمُه أنَّه على الطَّاعة و التَّدبِير على بابكَ وأصْحَابِه، ثمَّ مَكَرَ بعصْمةَ الكُرديِّ صَاحبِ مرند، فتَزوَّج ابنَتَه، وصَار إلى مرند، ثمَّ دعَاه إلى منْزلِه، فقصَفَ

(1) سيَاسه نَامه ص201 التَرّجمة، ص293-294 طبعة طهرَان مع اختلافَاتٍ ص314-315.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1171.

عليْه وعلى مَن معَه بالشُّربِ، فلمَّا ثَمِلُوا حمَلَهُم في اللَّيل إلى قلعَتِهِ التي يُقَالُ لهَا شاهي، ثمَّ أنفَذَهُم إلى المعْتَصِم، فَأجزَلَ عليه المعْتَصِمُ العطَايَا، لأنَّ طَاهر بنَ إبرَاهيمَ أخبَرَه بمَا كان منه، فسَألَه المعُتَصِمُ عن أشيَاءَ فَأخبَرَه بهَا فكَتَبَ إليه في خَبَرِهم، فغَضِبَ المعْتَصِمُ على إسْحَاق وقَالَ: مَا أرَى عند أخيْك شَيئاً، ولا أرَى الرَّزَمَة إلَّا عنْد ابنِ البُعيْثِ، ووجَّه الأفشِينَ وعَقَدَ له على جمِيع مَا اجْتَازَ به مِن الأعْمَال.[1] فدَخَلَ الأفشِينُ قريَة برند وحصَّنَ هذا العسْكر،[2] وكذلِكَ الحصُونَ الواقعةَ بين أردبيل وبرزند، وهي حصُونُ (النَّهر وأرشك وخشَّ) فوضَعَ فيهَا بعْضَاً مِن قُوَّاده وكتائبَ مِن الجيشِ مِن أجْلِ حمَايَة القَوافلِ التي تمُرُّ مِن هنَاك، وقد وضَعَ الجواسِيسَ الذين يخْبرُونَه عن أعمَالِ بابك وأصْحَابِه.

وكان لبابكَ أيضَاً مجمُوعَةٌ مِن الجواسِيس يُعْلِمُونَهُ عن أعمَالِ الأفشِين وقُوَّاده. وقَدْ أرسَلَ المعْتَصِمُ في تلك السَّنة أيضَاً (بغا) مع أموالٍ نقديَّةٍ إلى جيشِ الأفشِينِ في أذربيجَان، وعندمَا وَصَلَ هذا إلى أردبيلَ كان بابكُ قد عَلِمَ بذلِكَ، فعزَمَ على قطْعِ الطَّرِيقِ مَا بين (بغا) والأفشِين واستحْصَالِ الأمْوالِ، فعَلِمَ الأفشِينُ بذلِكَ وكَتَبَ إلى (بغا) رسَالةً أخبَرَه فيهَا عن تظَاهُرِهِ بالذَّهَاب إلى الأفشِين وأنَّه قد حَمَلَ المَالَ، وأنَّه عندمَا يصِلُ إلى قرَاول خَانة حصْنِ النَّهر سَيتوقَّفُ حتَّى تلتَحِقَ به قافِلةٌ أخْرى إلى برهند، وأنَّ يستَرْجِعَ الأمْوالَ إلى أردبيلَ. فلمَّا سَمِعَ بابكُ أنَّ (بغا) قد تحَرَّك مع المَالِ من أردبيلَ إلى

(1) اليعقوبّي، ج2، ص587؛ كذلك رَاجع الطّبريّ القسم الثّالث، ص1171، وكذلك يوجد هنَاك بعضٌ من التّفَاوت مَا بين الرّوايتين.

(2) البلاذريّ، ص329.

برزند مع جيشِهِ حَاولَ أن يقطَعَ الطَّريقَ بسُرعةٍ فتحَرَّك الأفشِينُ بشَكْلٍ سريعٍ في ذَلِكَ اليومِ من برزندَ إلى أردبيلَ وقَدْ وَصَلَ خشٌّ ووقَفَ على الطَّريقِ صَباحَاً؛ وكانتْ القافلَة التي تحرَّكَتْ مِن أردبيل مع (بغا) تحتَ حمَايَة أحَدِ قُوَّاد الأفشِينِ قد وَصَلَتْ إلى أرشك، فظنَّ بابكُ أنَّ الأمْوالَ كانتْ معَه، فَاصْطَدَمَتْ في وسَط الطَّريقِ مع فرسَانِ بابكَ، ووَقَعَتْ حرْبٌ كبيرةٌ بيْن قُوَّاد الأفشِين وبابكَ، وقُتِلَ القائِدُ فيهَا، إلَّا أنَّ بابكَ عَلِمَ أنَّ الأمْوالَ ليسَتْ معهُم، وأنَّهَا ذهَبَتْ مع القافِلةِ الأخْرى ومع القَائِدِ الآخَر! وكان قد جَاءَ مرَّةً أخْرى أشْخَاصٌ فَاعترضُوا قافلةَ أردبيلَ إلَّا أنَّه لم يكُنْ عندَهم خَبَرٌ أنَّ الأفشِين كان قد تحَرَّكَ إليه بسُرعَةٍ. ولمَّا كان القائِدُ المذكُورُ قد صَار قريباً مِن جنُود بابكَ وشَاهَدَهُم وهُم على وضْعٍ غيْر مسْتَقرٍّ في مكَانِهِم، فَإنَّه أرسَلَ أشْخَاصاً ليُعْلِمُوهُ خبرَ ذلِكَ، فرَجَعَ بالقَافلَة بسُرعةٍ إلى مكَانِه، ووَصَلَ أرشكُ وأرسَلَ شخْصَينِ مِن أجْلِ إخبَار الأفشِين، وتحَصَّنَ هو داخِلَ القلعَة، فتعقَّبَه بابكُ ووَصَلَ إلى هنَاك، وحدثَتْ معرَكةٌ بيْن جيشِهِ وبيْن قائدِ جيشِ الأفشِين، ولم يمْضِ وقْتٌ طَويلٌ حتَّى وَصَلَ الأفشِين بجيشِهِ، وقَضَى على كلِّ أتبَاع بابك، وولَّى بابكُ نفْسُه هَارباً ودَخلَ المُغَان،[1] ثمَّ ذَهَبَ إلى البذِّ، ورَجَعَ الأفشِين إلى برزندَ.[2]

ونلحَظُ بعد هذه الواقِعَة مَرَّةً أخْرى اعترَاضَ جيشِ بابك قافِلةَ الأفشِين، وقَدْ قَاوَمَ جيشُ الأفشِين بعُنْفٍ مِن أجْل أن يصِلَ إليْه المَددُ مِن صَاحبِ شبرَوان الذي أُرْسِلَ باتِّجاه الأفشِينِ. وصَادَفَ أن وَصَلَ

(1) أي مدينة المضان بلدان الخلافة الشرّقيّة، ص175.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص134؛ وابن الأثير، الكامل، ج6، 317.

فِي ذَلِكَ الوقتِ (بغا) الذي كان يحمِلُ الأمْوالَ إلى الأفشِين، فتَحَرَّك هذا الأخيْرُ إلى برزند ودَخَلَ مدينَة (سادر أسب) وحَدَثَتْ فِي تلك المَنطقَة حَرْبٌ مع بابكَ، غيْر أنَّه صَادفَ هطُولَ ثلجٍ كثيرٍ أجبَرَهُ على العَودَة إلى برزند.[1]

وأمَرَ الأفشِين فِي سَنَة (221 هـ) (بغا) بالتَّحرُّك باتِّجاه بابكَ، وأن يَدْخُل مَنطِقَةَ هشتاد سر، فورد (بغا) ذَلِكَ المَكَانَ، وأعَاد تجدِيدَ الخنْدقِ الذي حفره محمَّدٌ بن حميدٍ، وكذلِكَ تحَرَّك الأفشِينُ بجيشِه مِن برزند، وحَفَرَ خنْدقاً فِي منطَقَة دروذ، وأصْبَحَتْ الفَاصِلةُ بينه وبيْن موقِعِ بابك نحْوَ ستَّة أميَالٍ.[2] وتحَرَّك (بغا) مسْتعْجِلاً مِن هشتاد سر لأمْرِ الأفشِين له، ودَخَلَ قريَة البذِّ، غيْر أنَّ جُزْءاً مِن جيوشِ بابكَ شَنُّوا الحَمْلةَ على أكثَرِ مِن ألفِ رجُلٍ مِن جُنودِ (بغا) وتمكَّنوا مِن قَتْلِهِم وأسْرِ مَن بقي منْهم.

(1) اليعقوبِّي، التّاريخ، ج2، ص578؛ كذلك رَاجع ابن خرداذبه عن ذكره لهذه المنَاطق «ومن أردبيل إلى خشّ ثمَانية فرَاسخ، ثمّ إلى برزند ستّة فرَاسخ، وكانت برزند خرَاباً فعمّرهَا الأفشين مدينةً و نزلهَا، فمن برزند إلى سادرَاسب به وبه خندق الأفشين الأوّل فرسخَان، ثمّ إلى زهركش به وبه خندق الثانى فرسخَان، ثمّ إلى دو الرّود و به خندق الثّالث فرسخَان، ثمّ إلى البذّ مدينة بابك فرسخَان». ويذكر يَاقوت في معجم البلدان (التّرجمة ص92) بذٌّ كُورة بين أذربيجان وأرَان، بهَا كان مخرج بابك الخرّميّ في أيّام المعتصم »ومن العمَائر التي ذكرهَا ابن خرداذبه هنَاكَ عمَارتان الأولى خشّ، وهي واقعةٌ في أذربيجان وتُعرف باسم كشا، والثّانية برزند وتقع شمَال غرب أردبيل (مجلّة مهر التّسلسل10، السّنة الأولى مقَالَة بابك الخرّميّ بقلم سعيد نفيسي).

(2) في الأخبار الطّوال «ص399» والطّبريّ كذلك هذا الموضع 1187 أيضاً ورد دروذ، وفي تاريخ اليعقوبيّ ورد دروذ الرّوذ «ج2 ص 578» وعلى قول ابن خرداذبه الذِي نقلنَاه سابقاً إنّ الفَاصلة مَا بين خندق الأفشين وبابك نحو فرسخٍ واحدٍ.

وأرسَلَ بابكُ اثنَيْن مِن الأشْخَاص إلى الأفشِين مِن أجْل إخْبَاره، وكان بابكُ قد تراجَعَ فَارّاً إلى خنْدَقِه القريبِ مِن هشتاد سر، وأوْصَلَ الخَبَرَ إلى الأفشِين وطَلَبَ المَدَدَ منْه، فَأرسَلَ الأفشِينُ أخَاه الفضْلَ مع عدَدٍ مِن رؤساءِ جيشِه، وأخْبَرَه عن نيَّتِه في قتَالِ بابك في اليومِ الفلانيِّ، وطَلَبَ منه كذلِكَ محَاربَتَه في اليومِ ذاتِه مِن أجْل أن يُطْبِقَ عليه مِن الجهتَين. وتحَرَّك الأفشِينُ في ذَلِكَ اليوم مِن دروزَ إلى الطَّريقِ مِن جِهَةِ بابك، كذلِكَ تَحَرَّكَ (بغا) مِن معَسْكَره بوقْتٍ مُتَزامِنٍ؛ إلَّا أنَّ الطَّقسَ شديدَ البُرودَة أجبَرَه مَرَّةً أخْرى على الرُّجُوع إلى خنْدَقِهِ! غيْر أنَّ الأفشِين اسْتمرَّ في حرَكَتِه باتِّجَاه بابكَ، وعنْدمَا اصْطَدَم بجيشِه انكسَر جيشُ بابك ودَخَلُوا إلى معسْكَره. وحَاول (بغا) مرَّةً أخْرى الصُّعودَ إلى هشتاد سر مِن أجْل الذَّهَاب إلى بذَّ حتَّى يبقَى هنَاك في الَّليل بجنْب الجبَلِ مِن أجْل أن يكُون قريباً مِن جيش الأفشِينِ الذي قد يصَعَد إلى القِمَّة؛ ويبْدَأَ بالهجُوم على عَدوِّه صَباحَاً، لكن في هذه الَّليلَة أيضَاً أصْبَحَ الطَّقسُ بارداً للغَايَة، وهَطَلَ ثلجٌ كثِيرٌ فَاضْطَرَ إلى الرُّجُوع إلى معْقِلِه. وفي اليومِ الثّالِث قَالَ جنُودُ (بغا) له: إمَّا أن نبقَى في هذا البَرْدِ الشَّديدِ أو نتَوجَّهُ إلى بابك. غيْر أنَّ بابَك اسْتغلَّ هذا الثَّلجَ والبرْدَ الشَّديْد بالهجُوم بشَكلٍ مفَاجِئٍ على جيشِ الأفشِين، فقَتَلَ عدَداً كبِيراً مِن أتباعِه، ممَّا أجْبَرَ الأفشِين على الرُّجُوع إلى معسْكَره في دروذ.

ولم يكن (بغا) يعلَمُ بهذا الوضْع، فقد نَزَلَ مِن الجبَلِ وذَهَبَ إلى بذَّ محَاولاً أن يكُون مع الأفشِين ليُطْبِقَا على بابك، فَأصْبَحَ قريباً منه، وكانَت الفَاصِلة بيْن جيشِه وبيوتِ بذٍّ نصْفَ ميْلٍ تقريْباً. فلمّا عرفَتْ مقدَّمَةُ جيشِ بابك بذلِكَ، شنَّ بابكُ حمْلَةً مُفَاجئَةً على جيشِ

الأفشِين، فذَهَبَ الأفشِين إلى مكَانِه، وحِينَما علم (بغا) بذلِكَ عزَمَ على الرُّجُوع مع قُوَّاده! ويبْدُو أنَّ النَّاسَ قد ألقَوْا أسلِحَتَهُم في الطَّرِيقِ مِن شِدَّة الخَوف وهَوْلِ المعْرَكَة وفرُّوا، فكان (بغا) يتعقَّبُهُم مع جيشِه. ولَمَّا امتلَك (بغا) العُدَّةَ والسِّلاح والأسْرى الذين مِن جُمْلَتِهم ابنُ جاويدان، عزَمَ على أن يسْتَكِنَّ ليْلاً في الجبَلِ وأن يعُود في الصَّبَاح الباكِرِ إلى خنْدَقِه، ووضَعَ في ذَلِكَ الحُمَاةَ والحُرَّاسَ مِن أجْل هذه اللَّيلة. غيْرَ أنَّ جيشَ بابك شنَّ الحمْلة عليه مِن طَرَفٍ آخَرَ بصُورةٍ مُفَاجئةٍ، ففرَّ (بغا) على قدَميْه، ووَجَدَ أحَدَ الخُيُولِ فامتطَاهُ، كمَا أصِيبَ في هذه الحرْبِ أخُو الأفشِين وعدَدٌ مِن قوَّاد الجيشِ. وتمكَّنتْ الخرَّميَّة بعد ذَلِكَ مِن الاستِيلاءِ على الأمْوالِ والأسْلحَة والأسْرى، وخَلَّوْا سَبيلَ ابنِ جاويدانَ واصْطحَبُوه معَهم. وكان (بغا) مع مَن فرَّ معَه قد لجَأَ إلى خنْدَقِه، وبقِي خمْسَة عشَر يومَاً، وحِينَما عَلِمَ الأفشِينُ بذلِكَ لم يفعَلْ تُجاهَه شَيئاً، وكَتَبَ إليه رسَالةً أمَرَه فيهَا بالذَّهَابِ إلى مرَاغةَ والحصُولِ على العَونِ مِن هنَاك.

كمَا إنَّ الأفشِينَ قد جَاء إلى برزند، وبقي هنَاكَ حتَّى ينقَضِيَ الشِّتاءُ ويحُلَّ الرَّبيعُ، وقَدْ حَدَثَ في ذَلِكَ الوقْتِ أنَّ الطَّرخَانَ ـ وهو أحَدُ عظَماءِ جيشِ بابك ـ قد أخَذَ مِن هذا الأخيرِ إذنَاً في أن يذْهَبَ في فصْلِ الشِّتاء إلى قريتِهِ في نَاحِيَة هشتاد سر، غيْر أنَّه لَمَّا عَلِمَ الأفشِين بذلِكَ أرسَلَ أحَدَ أتبَاعَه إلى مرَاغة، وكَتَبَ إليه بتتبُّع الطَّرخَانِ وقَتْله. وبَعَثَ المعْتَصِمُ جعْفراً بنَ دينَارٍ الخيَّاطَ في سَنَة (222هـ) لمسَاندة الأفشِين، ثمَّ أرسَل إليه أيضَاً إيتاخ مع ثلاثة ملايين درهمٍ لتأمِينِ احتيَاجاتِ الجُنُود.

ولَمَّا كان الطَّقسُ مُوافِقَاً للأفشِين، فَإنَّه سَار إلى مَوْضِعٍ يُسَمَّى

كلان روذ،[1] وكانَ قد حَفَرَ خنْدَقاً هنَاك، وبقِي فيه نحْوَ خمسَة أيَّام، وحَدَثَتْ معَاركُ صَغيرةٌ بيْن جيشِه وبيْن آزين قائدِ بابك. ثمَّ انسَلَّ بعْدَ ذَلِكَ خُفيَةً إلى مَدينَة بذِّ، وصَارَ قريباً مِن دروذ الرَّوذ،[2] وبذلِكَ أصْبح على بُعْدِ سِتَّة أمْيَالٍ مِن بذَّ، وأمَرَ جنُودَه بأن يصْعَدُوا إلى أعلى الجَبَل، ويَأخُذُوا مَواقِعَهُم، لاسِيَّما المُشَاةِ، فَاختَار هؤلاءِ ثلاثةَ جبالٍ وأمَرَ الأفشِينُ بالحِيطَة والحَذَرِ في تلك الأمَاكن، فكانُوا يتنَاوبُون عنْدَ المَبيتِ على حرَاسَة بعضِهِم بعضَاً حتَّى الصَّباح، وكان الأفشِينُ يذهَبُ كلَّ صَباحٍ رَاكبَاً إلى دروذ الرَّوذ مِنْ أجْل أنْ يطَّلعَ بشَكْلٍ واقِعيٍّ على المكَانِ الذي وقعَتْ فيه المعْركَةُ مع جيشِ بابك في السَّنةِ الأولى، وتَحَرَّكَ خدَّادُ بُخَارى محمَّدٌ بنُ خَالدٍ[3] إلى مقدَّمة الوادِي الضَّيِّق مع ألفِ فَارسٍ وسِتِّمئة رَاجِلٍ مِن أجْل حِفْظِ الطَّريقِ ألَّا يتَمَكَّن منه الخرَّميَّة. ولَمَّا شَعَرَ بابكُ بقدُوم الأفشِين، أرسَلَ مجمُوعَةً مِن أصْحَابه إلى أسْفَلِ الوادِي الضَّيِّق مِن أجْل الكُمُونِ والتَّربُّصِ هنَاك، فَاجْتَهَدَ الأفشِينُ للتَّعَرُّف على هذا الكَمِين وإفشَالِه. فَأمَر بإرسَال ثلاثِ مجمُوعَاتٍ مِن جيشِهِ إلى بستر رود التي تقَعُ بيْن بذٍّ وموقعِهِ مِن أجْل أن يسْتقرُّوا فيهَا، وأن يتَّصِلُوا بالفُرسَان، واسْتقرَّ هو في جهَةِ بستر رود أعلى التَّلَّة مُقابِلَ كشك بابك، فَأرسَلَ بابكُ

(1) سمّى ابن خردادبه خندق الأفشين الثّاني زهر كشّ.

(2) ذكر ابن خرداذبه دو الرّوذ أو رود الرّود وهي لا تحمل معنىً، ويبدو أنّهَا تحريفٌ وأنّ ضبط اليعقوبيّ هو الأصحّ لهَا دروذ الرّوذ (ص578) (ص599)، وفي الأخبار الطّوال (ص399) دروذ، وفي معجم البلدان مَادّة دروذ.

(3) ورد هذا الاسم في تاريخ الطّبريّ «ج2، ص580». ومحمّد بن خَالد بن بُخَارى خداد هو الذِي صدّ بابك ممَا أدّى إلى أن يوليّه الأفشين على أرمينيَا (المصدر المذكور).

جنودَهُ مِن بوَّابة بذٍّ كَيْ لا يسيْطِر قُوَّاد الأفشِين على مُقدَّمَة البوَّابة، فيمَا وضَعَ القسْمَ الآخَر في الكمِين، وبقِيَ هو مع مجمُوعَةٍ مِن جنُودِه يحتسُون الشَّرَاب ويقْرعُون الطُّبُول.

وبعدَما صَلَّى الأفشِينُ صَلاة الظُّهْرَ، تحَرَّك عسْكرُه إلى دروذ روذ، وقامُوا بتنظِيم جيشِهِ، فكَانُوا يَأْتُون على شكلِ مجمُوعَاتٍ، وبقي الأفشِينُ على هذه الحَالِ لبعْضٍ مِن الوقتِ، فضَيَّق بذلِكَ على بابكَ والخرَّمِيَّة الذين مَرَّ عليهِم ذَلِكَ الوقْت بصُعوبةٍ. ويُقَالُ: إنَّ بابكَ كَتَبَ في ذَلِكَ الوقْتِ رسَالةً إلى تيوفيل بنِ ميخَائيلَ بنِ جورجيس صَاحِبِ بيزنطَة، وذكَرَ له فيهَا أنَّ خليفَة العَرَبِ مع جيشِه، وحتَّى الخيَّاط يعنِي (جعْفراً بنَ دينَار) وطبَّاخ يعنِي (إيتاخ) قد أرسَلَهُم إليه، وأنَّه إذا كانَت لديْك رغبَةٌ في الهُجُوم على بلاد العَربِ فَإنَّك لن تجِدَ هنَاك جيْشَاً يقاوِمُ. وقَدْ قصَدَ بابكَ مِن ذَلِكَ أن يجْبِرَ الخَليفَة على سَحْبِ عددٍ مِن جنُودِه مِن أذربيجَان مِن أجْل أن يُفَرَّجَ عن بابك! وقَدْ قَبِلَ توفييل تلك الفكْرة، وسَار مع جمْعٍ كبيرٍ كان الخرَّميُّون مِن جُمْلَتِهِم، فقَدَ ذهَبُوا إليه واتَّصَلُوا به ووَصَلُوا إلى زبطرَا وخرَّبُوا تلك المَدينَةَ، وأسَرُوا أعدَاداً كبِيرةً، ومِن ثمَّ ذهبُوا إلى ملطيَّة، وأسَرُوا هنَاك آلافَ الأشخَاصِ، وقتَلُوا أعدَاداً كبِيرةً.[1]

ولسْنَا متأكِّدِين من صِحَّة هذه الرِّواية، لأنَّه عندمَا جِيء بالأسْرى إلى برزند حَيْثُ الأفشِينُ، كان ذَلِكَ في العَاشِر مِن شوَّال مِن سَنَة (222هـ) وقَدْ كانَت مدينَة بذٍّ قد فُتِحَتْ قَبْلَ ذَلِكَ التّاريخ أي في التَّاسِعِ مِن رمضَان مِن السَّنة ذاتِهَا؛ وقَدْ أشَار هؤلاءِ المُؤرِّخُونَ

(1) الطَّبريّ، القسم الثّالث، ص1234-1235؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص479-480.

إلى أمْرِ بابك بكتابَة هذه الرِّسَالة، لكنَّهم قد تحَدَّثوا عن غارةِ توفيل وهجُومِه ونهْبِهِ؛ وإذا كان بابك قد كَتَبَ هذه الرِّسَالةَ مضْطرّاً فَإنَّ عمَلَه قد ذهَبَ سُدىً! وعلى وَفقِ ذلِكَ، فَإنَّ مِن الصَّعبِ القَبُولَ بأنَّ توفِيل بقِيَ سَنَةً كامِلةً يتأمَّلُ في ذَلِكَ إلى أن شَاهَدَ اندحَار عمَّالِ بابك واسْتقرَارَ جيشِ الخَليفةِ فَأقدَم على ذَلِكَ الفعْلِ!.

وعَادَ قسمَانِ مِن جيشِ الأفشِين مِن تلك الأمكِنَة إلى بستر رود، وكان قد رجَعَ أيضاً فريقٌ آخرُ كان برئاسَة جعْفرٍ الخيّاطِ، غير أنَّ فئةً مِن الخرَّميَّة مِن قِبَلِ بذٍّ كانُوا قد شَنُّوا هُجُوماً مباغِتاً على تلك الحُشُودِ العَائدَةِ ممَّا اضْطرَّ جعْفرٌ إلى الرُّجُوع والتَّوجُّهِ إلى البوَّابةِ الكبِيرةِ في بذٍّ؛ ولمَّا تصَاعدَتْ صَيْحَاتُ الجندِ رجَعَ الأفشِين ولحِظَ جعْفرَ مع أصْحَابه يقتَتِلُون مع الخرَّميِّين، فَالتَحَمَ الجيشَانِ مِن كلِّ طَرَفٍ، وكان رئيسُ جيُوشِ بابكَ آذينَ، وكان رئيسُ جيشِ الأفشِين جعْفراً، غيْر أنَّ الأفشِين لم يكُن رَاضِياً عنه بالكامِلِ لمُخَالفتِه لتوجِيهَاته، فقَدْ كانَ أوعزَ إلى أصْحَابِ الكمَائنِ في البَدْءِ بالحَربِ، ولمَّا سمِعَ المُتطوِّعُون الذين كانُوا مع أبي دُلَفٍ بذلِكَ، رجَعُوا إلى بسترَ رود والتَحَقُوا بجعْفرٍ، وتوجَّهوا إلى بوَّابة بذٍّ، فدَخَلُوهَا مِن المَنَاطِق العُليَا. وكان جعْفرٌ في ذَلِكَ الوقتِ أيضَاً قد أرسَلَ إلى الأفشِين رسَالةً يطْلُبُ فيهَا العونَ، فَأمَرَهُ الأفشِينُ بأن يترَاجَعَ تدْريجيَّاً إلى أن يعُود. ولمَّا كانتْ أصْواتُ الجُنودِ تتعَالى، ظَهَرَتْ كلُّ الكمَائن وانكَشَفَت، وشُنَّتْ بذلِكَ الحَمْلةُ على بُخَارى خداد؛ وقَدْ عَرَفَ كمينْهم في ذَلِكَ الطَّريقِ، وصَادَفَ أنْ عَاد جعْفرٌ أو ارتدَّ مِن الحرْبِ، ورَجَعَ كذلِكَ معه متطَوِّعُون أو صَعَاليك.

«ثالثاً: نهَاية بابك»

أَخَذَ الجيشُ يتذمَّر مِن فِعْلِ الأفشِينِ، لاسِيَّما الصَّعَاليكِ[1] الذين رَأوا أنَّ الأفشِينَ قد تحَالفَ مع بابك،[2] فعَزَمَ الأفشِينُ على بداية الحرْبِ، ونظَّم جيْشَه وأرسَلَ أبا دُلَفٍ مع الصَّعَاليك إلى حِصْنِ بذٍّ، وتحَرَّكَ جعْفرٌ مع جنُوده باتِّجَاه بوَّابَة بذٍّ، وحَمَلُوا مِن هنَاك على العَدوِّ، ففَتَحَ الخرَّميَّةُ وهجَمُوا على أتبَاع جعْفرٍ وأبعَدُوهم عن البوَّابةِ الكبيرةِ، وهجَمُوا كذلِكَ على الصَّعَاليك وأبعَدُوهم عن الحِصْنِ. فَأرسَل الأفشِينُ المَدَدَ إلى الصَّعَاليك وأتبَاع جعْفرٍ، وظَلَّ الطَّرفَانِ في صِرَاعٍ مُدَّةً طَويلَةً مِن دُون أن يُحسَم النِّزاع، فرَجَعَ جيشُ الأفشِينُ، ويئسَ النَّاسُ مِن الفتْحِ في هذه السَّنة، ورَجَعَ عددٌ كبيرٌ مِن الصَّعَاليك إلى مُدُنِهم.

ولم يمْضِ أسبُوعَان حتَّى جهَّز الأفشِينُ مَرَّةً أخْرى جيشَه بألفٍ مِن المشَاة الرُّوم، وأرسلَهُم ليلاً إلى الجَبَلِ مِن أجْل الاسْتقرَار في أعْلاه وخَلْفَ التَّلِّ الذي كان يكْمُنُ فيه آذين، وأمَرَهُم بأنَّهُم مَا إنْ يشَاهِدُوا أعْلامَ الأفشِينِ حتَّى يشْرعُوا بالحَرْبِ ورَفْعِ الرَّايَاتِ فوقَ الرِّمَاح، وأنْ يقرَعُوا الطُّبول مِن أعلى الجبَل ويرمُوا الخرَّميَّة. كذلِكَ أمَرَ في اللَّيلةِ ذاتِها بشِيراً وقادَتَه مِن الفرَاعِنة بأن يتَّجِهُوا إلى التَّلِّ الذي اسْتقرَّ عليه آذين، لاسِيَّما بعد معرفَتِهِم بوجُود بابك هنَاك. وفي صَباحِ الخميسِ التَّاسِعِ مِن رمَضَان سَنَة (222هـ)،[3] ركِبَ ونظَّم

(1) كان هؤلاء الصّعَاليك برئاسة أبي دلف القاسم بن عيسى العجلّي.

(2) هذه التّهمة تظهر في الكتب المتأخّرة مثل الفَرق بين الفِرق للبغداديّ ص268.

(3) اليعقوبّي، التّاريخ، ج2، ص578. يتّضح من هذه الواقعة أنّ البذّ فُتحت في ذَلِكَ اليوم، أمَّا الطّبريّ فعدّ ذَلِكَ اليوم هو يوم الجمعة العَاشر من

جيشَه، وأمَرَهُم بأن يتقرَّبوا مِن التَّلِّ الذي عليه آذينُ ويحَاصِرُوه.

وقد جَاء القُوَّاد مع مجَاميعَ مِن جيشِهم، وتحلَّقُوا حوْل التَّلِّ، فخَرَجَ رجَالُ بابك مِن كمَائِنِهم، وخَرَجَ معهُم الفرَاغنة، وحِينما سَمِعَ مشَاةُ الأفشِينِ الصَّوت مِن أعلى الجبَلِ انحدَرُوا باتِّجاه آذين، فَأرسَلَ هذا الأخيرُ مجمُوعةً مِن أتباعِه إليهِم، كمَا إنَّه في الوقْتِ ذاتِه توجَّه إليهم جعْفرٌ وأصْحَابُه أي إلى آذين، ودارَتْ بينَهُم معركَةٌ حَاميَةُ الوطِيسِ؛ فَانحَدَرَ آذينُ إلى أسفَلِ الوادي، فحَمَلَ عليه جمَاعَةٌ مِن أتبَاع أبي سعيدٍ وحَاصَرُوهم، ولمَّا رَأى بابك حصَارَ جيشِه، خرَجَ مِن الجزْءِ الذي هو قريبٌ مِن أفشِينِ، واتَّجه إلى هذا الأخِيرِ الذي كان يفصِلُ بينهمَا نهرٌ، طلبَ بابكُ الأمَانَ مِن الأفشِينِ، وقَالَ: اليومُ هو للهُدْنَة. فقَالَ له الأفشِينُ: هل تريدُ أن تجعَلَ مدِينتَكَ مسْتَحْكِمَةً؟ فَإذا كنْتَ تريدُ الأمَانَ فعليكَ العُبُورُ والمجِيءُ. فرَجَعَ بابكُ ووَقَعَتْ بينهُم حرْبٌ حَاميَة الوطيسِ.[1]

وكان جعْفرٌ وبزبَارة[2] أمَامَ عبدِ الله أخِي بابكَ، وقَدْ حمَلُوا عليه وقَتَلُوا جمْعَاً كبِيرَاً منْهم، فَأصْبَحَتْ الخرَّميَّة داخِلَ المَدينَة فلاحَقَهُم المُسْلمون، ووَقَعَتْ بينَهُم حرْبٌ ضَروسٌ في وسَط المَدينَة، ففَرَّ عبدُ الله،[3] ولمَّا لحِظَ بابكُ هذا الفعْلَ، تحَرَّك مع مجمُوعةٍ مِن أتباعِه إلى وادي هشتاد سر، فيمَا أصْبَحَ الأفشِينُ داخِل البذِّ، ودَارَتْ أيضَاً

رمضان سنة (222هـ) (1197).

(1) أيضاً ص578-579 رواية الطّبريّ وابن الأثير توجد فيهَا اختلافَاتٌ واسعةٌ، ويبدو أنّ رواية الدّينوريّ واليعقوبيّ هي الأقرب (399).

(2) أو يوباره؛ ولا يُعلم بدقّة الوجه الصّحِيح لهذا.

(3) الدّينوريَ، الأخبار الطّوال، ص400.

معرَكَةٌ داخِلَ قصُور بابك، فصَبَّ جيشُ الأفشِينِ النِّفطَ وأشْعَلَ النِّيرَان فيهَا وخَرّبَ جميعَ القصُور؛ فيما أَسَرَ آخرَ رجَالِ بابك، ورَجَعَ الأفشِينُ عند العصْر إلى معسْكَرِه في دروذ الرَّوذ. وحِينَما سمِعَ بابكُ أنَّ الأفشِينَ قد ذهَبَ مع أصْحَابِه إلى معسْكَرِه جاءَ ليْلاً مع أتبَاعِه إلى البذِّ، وتزوَّدوا بكلِّ مَا يستطَيعُون مِن المَتَاع والزَّاد، ثمَّ دخَلُوا إلى هشتاد سرَّ.

وقَدْ دَخَلَ الأفشِينُ البذَّ صَباحَاً، وأمَرَ بتخْريبِ القصُور وإحْرَاقِهَا، ولم يبْقَ في البذِّ مكانٌ عَامِرٌ،[1] وحِينَما عَلِمَ الأفشِينُ أنَّ بابكَ قد فرَّ إلى ملُوك أرمينيَا والبَطَارقَة كَتَبَ إليهم: إنَّ بابكَ قد فرَّ مع مجْمُوعَةٍ إليكُم، وعليْكُم الحِفَاظُ على نواحِيكُم، وعنْدَ مشَاهدَة أيِّ غريبٍ في دِيَاركُم عليكم إعمَالُ النَّظَر والشَّكُّ والتَّحقِيقُ.

وقَدْ أبلَغَ جواسِيسُ الأفشِينِ إليْه خَبَرَاً بأنَّ بابكَ قد سَكَنَ في غابَةٍ طَرَفُهَا الأوَّل في أرمينيَا وطَرَفُهَا الآخَرُ يتَّصِلُ بأذربيجَان، ولا يستطِيعُ أحَدٌ أن يَدْخُل هذه الغَابَة رَاكِبَاً. ولَمَّا لم يكُن هنَالِك طَريقٌ للوصُول إلى هذه الغَابَة، فقَدْ أرسَلَ حُمَاتَهِ فوضَعُوا لهُم أمكنَةً على أطْرَافهَا لعلَّهم يجِدُون بابكَ، وهو يخْرُجُ منهَا فيقبِضُوا عليه.

وقَدْ وَصَلَتْ في هذا الوقْتِ رسَالةُ الخَليفَة التي تحْمِلُ الأمَان، فسَعَى الأفشِينُ إلى إيصَالهَا إلى بابكَ، ولكنَّ أحَدَاً لم يجْرُؤ على ذلِكَ،

---

(1) ويؤيّد ذَلِكَ شعرُ الحسن بن الضّحَاك الذِي قَالَ:

لم يدع في البذّ من ساكنه غير أمثال كأمثال إرم

ابن خرداذبه، ص21، يَاقوت، مَادّة البذّ، الطّبريّ، القسم الثّالث، 256؛ المسعوديّ، التّنبيه والإشرَاف، ص144، التّرجمة، ص153 وأشار أبو تمّام أيضاً إلى ذَلِكَ في مدحه للأفشين وأيضاً البحتريّ.

لكنْ في النِّهَايَة أجْبرَ اثنيْنِ مِن الأشْخَاصِ على إيصَالِ تلك الرِّسَالة.

لم يقْرَأ بابكُ الرِّسَالة إلَّا أنَّه لَمَّا أطْلَقَ نداءَهُ ولفَظَ متَاعَه خَرَجَ مِن الغَابَة، وأخَذَ الطَّريقَ الجَبليَّةَ الجَافَّةَ، وكان يحْميْه شَخْصٌ واحِدٌ فقَط مع أخيْه عبدِ الله وقائِدِه معَاويَةَ[1] وأمِّه وامرَأته[2] وخَادم شابٍّ وجَدَهُ في طريقِ أَرمنسْتان، فرَآه الحُرَّاسُ، فبَعَثُوا إليه مجْمُوعَةً مِن الجيشِ كان رئيسَهَا (أبو السَّاج ديوداد) فهَرعَ إليهم الفُرسَان، وأسَرُوا معَاويةَ وأمَّ بابكَ وامرَاتَه.

ودَخَلَ بابك جبَال أرمنسْتان وسَارَ فيهَا، وكان مُحْتَاجَاً إلى الطَّعَام فَأمَرَ خَادمَه بالذَّهَاب إلى أحَدِ المزارعِينَ الذين كانُوا يزرعُون المَحصُولاتِ لجلبِ بعْضٍ مِن الخُبزِ أو شِرَائِه منه. فلمّا عَلِمَ شَريكُ المُزارعِ بذلِكَ ذهَبَ إلى حَارسِ القريَة وأخبَرَه، فأعلَمَ هذا بدَورِه سَهْلَ بنَ سِنْبادَ[3] (رئيسَ النَّاحِية)، فذَهَبَ مسْرعَاً إلى بابكَ الذي وقَّرَه واحتَرَمَه كثِيرَاً، ودعَاه إلى قلعَتِه وطَلَبَ منه ألّا يُعلِمَ أحَداً بأنَّه عندَه، وأخبَرَه بأنّه ليسَ على وِفَاقٍ مع دوْلة العَرَبِ. ونتيجَةً لِمَا تحَمَّله بابكُ مِن الصُّعُوباتِ والمَتَاعِبِ، فقَدْ اعتمَدَ على قولِ سَهْل وذَهَبَ إلى بيتِه؛ وكان قد أرسَلَ قَبْلَ ذَلِكَ أخَاه عبدَ الله إلى حصَينَ بنِ عيسَى بنِ يوسُفَ بنِ اصْطفَانوس. إلّا أنَّ سهْلاً أعْلَمَ الأفشِينَ بذلِكَ، فَأرسَلَ الأفشِينُ اثنينِ مِن قُوّادِه مع جيْشٍ إلى هُنَاك، فحَمَلَ

(1) تطرّق الطّبريّ في هذا الموضع في القسم الثّالث، ص1222 معَاوية بن عبد الله وغادر أخو بابك ولكن في موضع آخر، القسم الثّالث، ص1371 معَاوية هو رئيس جيوش بابك وليس أخَاه.

(2) ويُقَالُ: إنّ هذه المرْأة هي ابنة الكلندانيّة «الطّبريّ، القسم الثّالث،1221» .

(3) اسم سنباط يبدو أنّه اسم سنباد وهو الذي مرّ اسمه سابقاً «سهل بن سنباد الذي كان من أمرَاء أرمنستان و كان قبلاً في بغداد».

سَهلٌ بابكَ يومَاً إلى الصَّيد، وأعْلَمَ في الوقْتِ ذاتِه قادةَ الأفشِينِ فَاصْطَحَبُوهُم، وأسَرُوا بابك، وحمَلُوه إلى الأفشِينِ، ووَصَلَ هؤلاء في العَاشر مِن شوَّال سَنَة (222هـ) إلى برزند، أي عند الأفشين،[1] وأرْسَلَ الأفشِينُ رسَالةً إلى بن اصطفَانوس يدعُوه فيهَا لاستِرجَاع عبدِ الله، كَما إنَّه كتَبَ بذلِكَ إلى المعْتَصِم، فَأمَرَ المعْتصِمُ بأن يُحضَرُوا إليه جمِيعَاً.[2]

دَخَلَ الأفشِينُ ليلة الخميسِ الثّالث مِن صفرَ سَنَة (223هـ) مع بابكَ وأخِيه عبدِ الله والأسْرى الخرَّميِّين سَامرَّاءَ، ولبسَ بابك يوم الاثنَينِ حُلَّةً فَاخِرةً وَركِبَ فِيلاً وتَوجَّه مِن بيتِ الأفشِينِ إلى بَلاط الخَليفَة؛ وقيلَ في ذَلِكَ شِعرٌ كثِيرٌ، فمنه مَا قَالَه عبدُ الملك محمَّدُ بنُ عبدِ الملك الزَّيَات:

قد خُضِــبَ الفيــلُ كعَاداتِه　　　يحْمِـلُ شَيطَان خُــرَاسَــان(*)

والفيلُ لا تُخضَبُ أعضَاؤه　　　إلَّا لــذي شَــأن مِــن الشَّــان(**)

---

(1) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1228؛ ابن الأثير، ج6، ص336؛ المقدسّي ويبدو أنّ قول المقدسيّ فيه خطأٌ كبيرٌ عندمَا جعل ذَلِكَ يوم الجمعة 14 رمضان 223 ج6، ص118، التّرجمة، ص115.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1128؛ ابن الأثير، ج6، ص335، ويبدو أنّ رواية المسعوديّ تشتمل على بعضٍ من الأخبار ذات المنحى القصصيّ التي تختلف إلى حدٍّ مَا عن رواية الطّبريّ، ج6، ص124–125 أمَّا رواية الدّينوريّ أنّهَا تختلف إلى حدٍّ مَا عن رواية الطّبريّ فمجملهَا أنّه لمَّا ضيّق على بابك وأصحَابه وانكسر جيشه ذهب إلى الرّوم وقد استبدل بزّته وركب جملاً. الدّينوريَ، الأخبار الطّوال، ص400.

[*] يظهر أنّ هذين البيتين همَا من الشّعر التّصنيفيّ الذي أرَاد فيه استعمَال شيطان خرَاسان، ولا يُعرف على وجه الدّقّة هل هو بسبب انتمَائه الأسريّ كونَ أنّه من أبنَاء مطهّر ابن فَاطمة بنت أبي مسلمٍ التي كانت تعيش في خرَاسان؟.
[**] الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1230؛ ابن خرداذبه (119) وورد بمكانٍ شيطان خرَاسان الجين جيلان خرَاسان.

****

أحضَرَ المعْتصِمُ جرَّاحاً وأمَرَهُ بتقطِيعِ أيدِي وأرجُلِ بابك، وأن يقطَعَ رَأسَه ويَبْقُرَ بطنَه ويُرسِلَ رَأسَه إلى خُرَاسَان ويصْلَبَ جسَدُه على خشَبةٍ طَويلَةٍ في سَامرَّاء، وبقِي هذا الاسْمُ معْروفاً لمُدَّةٍ طَويلةٍ باسْم باب بابك.[1] ويُذكَرُ أنَّ مجْموعَةً مِن شُعرَاء بلاطِ الخَليفَة أنشَدُوا الشِّعرَ في تلك الحَادثَة وعَدُّوهَا مِن الفتُوح الإسْلاميَّة الكبْرى، وكذلِكَ مدَحُوا فيهَا الأفشِينَ، وقدْ كان مِن أبرزِهم أبو تمَامٍ الحُسَينُ بنُ الضَّحَّاك.

ويذكُرُ العُوفيُّ في ذيلِ حكَايتِه عن مصْدرٍ لا نعْرفُه على وجْه الدِّقَّة الكَيْفيَّة التي قُتِلَ بهَا بابك، فيقول: «يَذكُرُ أبو سَيَّاحٍ (ويُدعى أبا سَاجٍ ديوداد) أنَّه عنْدَمَا أُلقِيَ القَبْضُ على بابك الخُرَّميِّ كُنتُ مِن ضِمنِ الذين أُوكِلَ أمرُه إليهِم، فكنَا قد لَقَّنَاهُ في الطَّرِيقِ أنَّكَ عندَمَا تكُون في حضْرَةِ الخَليفَة ويسْألُ مَنْ بابكُ قلْ أنَا يَا أميرَ المُؤمنِين، أنَا العبْدُ العَاصِي، والطَّامِعُ بعفْوِكَ، وأنَا الجَانِي بهذِه المَعَاصِي، وأطْلُبُ صَفْحَكَ. فسَأل أميرُ المؤمنينَ المعْتَصِمُ الأفشْينَ عن قول بابك: هل مَا يقولُه صَحِيحٌ؟ فَأخْبَره الأفشِينُ: يَا أميرَ المؤمِنِين إنَّه على يد هذا

(1) المسعوديّ، ج7، ص131؛ السّمعَانّي f.56. ويذكر أنّه قد سلبه وهو حَيٌّ وهذا الأمر غير صحِيحٍ.

الكَافِرِ قد أُرِيْقَتْ آلافٌ مِن دمَاءِ المُسْلمينَ، لَماذا يجِبُ أن يبقَى حَيّاً؟!. وعنْدَمَا سَمِعَ المعْتصِمُ ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّه كَاذبٌ فدعَا بابكَ إلى جنْبِهِ وهُو مُقيَّدٌ وسَألَه: أأنتَ بابكُ؟ قَالَ: نعَم. وسَكَتَ. فسَألَه: مَن لقَّنك هذا الكَلامِ؟. ثمَّ سَكَتَ، وأمَرَ فيهَا بعدُ بقَتْلِهِ وقَطْعِ رَأسِهِ، فكَبَّر النَّاسُ الذينَ كانُوا في حضْرتِه».[1]

وأمَرَ المعْتَصِمُ بحَمْلِ أخيه عبْدِ الله مع ابنِ شروينَ أميرِ طبرسْتان إلى إسْحَاقَ بنِ إبرَاهيمَ خليفتِه بمَدينَةَ السَّلام، وأمَرَهُ بضَرْبِ عنُقِهِ، وأنْ يَفعلَ به مثْلمَا فَعَلَ بأخِيه، وأن يصْلُبَه فلمَّا نزَلَ به ابنُ شروين في قصْر البردان سَألهُ عبدُ الله: مَن أنت؟. قَالَ أنَا ابنُ شروين حَاكم طبرسْتان. فقَالَ: الحمدُ لله الذي وَفَّق لي رجُلاً مِن الدَّهَاقين يتولَّى قَتْلِي. قَالَ: إنَّمَا يتَولَّى قتلَكَ هذا الرَّجلُ ويعنِي (نود نود)، وهو الذي قَتَلَ بابكَ في السِّحْر، فوافَى به مدينَة السَّلام، ووافَى به رَأسَ الجسْرِ، وأمَرَ إسْحَاقَ بنَ إبرَاهيمَ بقَطْعِ يديْه ورجلَيْه، فلم ينطِقْ ولم يتكَلَّم، وأمَرَ بصَلبِه فصُلبَ في الجانِبِ الشَّرقيِّ بين الجسْرين في مدينة السَّلام.[2] ويذكُرُ العُوفيُّ في نهَاية تلك الحِكَايَة "... يذكُرُ الرَّاوي أنَّ أخَا بابكَ قد حُمِلَ إلى بغداد، وعُوقِبَ على رَأس الجسْر فيهَا... وحِينَما حمَلُوه إلى بغداد وقَطَعُوا رجليْه ويديْه قَالَ سَلامي للدِّهقان: إنِّي لن أنسَى هذا الفِعْل وهذه العقوبَة التي أوقَعَهَا بي...".

وكمَا لحِظْنَا فَإنَّه تمَّ فتحُ مدينة البذِّ في التَّاسِعِ مِن رمضَانَ مِن سَنَة

---

(1) يبدو أنّ هذه هي الرّواية الأصحّ التي نُسبت إلى بابك.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، 1231؛ البغداديّ، ص251؛ الإسفرَاييني f.82b وكتاب مختصر البغداديّ "ص236" أنّه قد خلط بين عبد الله أخي بابك وإسحَاق بن إبرَاهيم وذكر أنّ اسم أخي بابك هو إسحَاق.

(222هـ) وأنَّ بابك أُحضَرَ في العَاشِرِ مِن شَوَّال مِن سَنَة (222هـ) إلى الأفشِينِ في برزند، وبذلِكَ يكونُ بابكُ قد طَوى تقريباً شَهرَاً واحِدَاً في الغابَة وفي أرمنسْتان، ومِن ثمَّ سَجَنَه الأفشِينُ في برزند حتَّى وَصَلَ معَه في ليلةِ الخميسِ الثَّالث مِن صَفَرَ سَنَة (223هـ) إلى سَامرَّاء؛ وبذلِكَ يكُون بابكُ بقِي في الحَبسِ أربعَةَ أشْهرٍ تقريباً؛ ولا يُعرفُ على وجْهِ الدِّقَّة لمَاذا وَضَعَ الأفشِينُ بابكَ لمُدَّةٍ في أذربيجَان! ولا مَا طبيعَة المُعَامَلة التي عَامَلَه بهَا؛ ولكنْ مِن المْكِنِ اعتِمَاداً على بعْضٍ مِن القَرَائنِ اسْتنتاجُ أنَّ مُعَامَلته مع بابكَ لم تكُن قاسِيةً، وهذا مَا يتَّضِحُ مِن الفِقرةِ التي سَنوردُهَا فيمَا بعدُ. لكنَّ المُهِمَّ في كُلِّ ذَلِكَ أنَّ إلقاءَ القبْضِ على بابكَ، كان يحْمِلُ أهمِّيَّةً قُصْوى في نَظَر الخَليفَةِ، ويتَّضِحُ هذا مِن طَبيعَة العَطَايَا التي أعطاهَا لسِنْباد، وهي تقَاربُ مليون درهمٍ مع مئةِ ألفَ درهمٍ لابنه مع نطَاقٍ ذهبيٍّ مرَصَّع بالعَاج.[1]

«رَابعَاً: عقائدُ بابكَ الخرَّميِّ»

يبْدُو أنَّ عقائِدَ بابكَ كانتْ جزْءاً مِن المُحِيطِ الذي كانت تحْيَاه هذه الشَّخصِيَّة! فَإنَّ العنْصُرَ الرَّئيسَ في عقيدَتِه هو الحُلولُ، وهذا مَا يتَّضِحُ في قول الطَّبريِّ والمُؤرِّخينَ الآخَرين الذين ذكَرُوا دعَوى حُلولِ رُوح جاويدانَ في بابكَ، وكذلِكَ قولِ امْرَأة جاويدان، كيفَ أنَّ رُوحَ جاويدانَ قد دَخلَتْ في بابكَ واشْترَكَتْ في رُوحِهِ. ولكِنْ لا نعلمُ على وجْهِ الدِّقَّة مَا عقائِدُ جاويدانَ ولا وُجهتَه السِّيَاسيَّةُ أو العقيدَةُ السِّيَاسِيَّةُ التي كانَ يعتَقِدُ بهَا وأتبَاعُه، ولا الرَّابِطَةَ التي

(1) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1232.

كانَت تربِطُه ببابكَ! غير أنَّ ابنَ النَّدِيم يذْكُر التَّالي في هذا الخَصُوصِ «فَأمَّا الخرَّميَّة البَابكيَّة، فَإنَّ صَاحبَهُم بابكُ الخرَّميَّ، وكان يقُولُ لمن اسْتقوَاه: إنَّه إمَامٌ وأحْدَثَ في مَذاهِبِ الخرَّميَّة القَتلَ والغصْبَ والحُروبَ والمُثْلَةَ، ولم تكنْ الخرَّميَّة تعرفُ ذلِكَ».[1] إلَّا أنَّنَا لا نسْتطِيعُ قَبُولَ هذه الدَّعوى التي يشِيرُ إليهَا ابنُ النَّديم في الفِقرةِ السَّابقَةِ مِن ادِّعَاء بابك الألوهيَّة؛ لأنَّ المَطَالِبَ الأخْرى التي أورَدهَا بعْضٌ مِن الكُتَّابِ، والتي تشِيرُ إلى ثنَائيَّة أصْلِ الظُّلمَةِ والنُّورِ التي اعتقَدَ بهَا المزدكيَّةُ، والتي صَرَّح هو بهَا... لا تَتَوافَقُ هنَا مع هذا المبْدأ. ومِن المُحتَمَل أن يكونَ بابكُ قد صوَّر نفْسَه أنَّه مُلهَمُ المَبَادِئ الغَيبيَّة، وقَدْ ألبسَ نفْسَه صِبغةً فوق البشَر؛ وربَّما وظَّفَ ذَلِكَ في المَجَال السِّيَاسيِّ. لكنْ يجبُ التَّوقُّفُ قليلاً عنْد مَا ورَدَ عن ابنِ النَّديم في الفِقْرة الثَّانيَة الخَاصَّة بحلُول رُوح جاويدانَ فيه، إذ لم يَرِدْ في أيِّ موضِعٍ مِن المَواضِع التي ذكَرتْ بابكِ أنَّ رُوحَ الله هي ذاتُهَا التي حَلَّتْ فيه، كمَا إنَّه يجِبُ التَّحرُّز والاحتيَاطُ كثِيرَاً مِن نقْلِ ابنِ النَّديم الثَّاني الخَاصِّ بقولِ الخرَّميَّةِ حوْل بابكَ، ويبْدُو قولُ المقدسِيِّ هنَا مُفيداً في التَّعرُّف حوْل نبوَّة بابك عن كثَبٍ، وكيفَ أنَّ هذه النُّبوَّة لم تنقَطِعْ، وتسْتَمرُّ في الانتقَالِ مِن شَخْصٍ إلى آخَرَ.

ويذكُرُ المقدسِيُّ: «أمَّا المَثنويَّة فَإنَّهم يقُولُون بنُبوَّة ابنِ ديصَانَ وابنِ شَاكرٍ وابنِ أبِي العَوجَاءِ وبابكَ الخرميِّ، وعندَهُم أنَّ الأرضَ لا تخلُو مِن نبيٍّ قطٍّ».[2] ويبْدُو أنَّ عمليَّة الحُلولِ هي الأكْثرُ في مجَال انتقَالِ النُّبوَّةِ مِن المَيْتِ إلى الحَيِّ، وليسَتْ طَرِيْقَةَ التَّنَاكُحِ

(1) ص342.

(2) ج3، ص 8؛ وفي هذا الباب رَاجع مقَالاَت الإسلاميّين، ص438.

التي يَعْتَقِدُ بِهَا. ويظْهَرُ أنَّ رُوحَ النُّبوَّة قد اصْطَبَغَتْ في بعْضٍ مِن الأحْيَان بالرُّوح الإلهيَّة، لذَلِكَ يبدو تفسِيرُ روايَة ابنِ النَّديم السَّابقَةِ في هذا المِضْمَار الأكْثَرَ صِحَّةً. ويُلحظُ فيمَا ورَدَ عند المقدسِيِّ تأييدٌ لكَثِيرٍ مِن معلُومَاتِ ابنِّ النَّديم، لاسِيَّمَا في بابِ القَتْلِ والغَضْبِ والتَّمثِيلِ. ويبْدُو أنَّ المزدكيَّة قد انطَلَقَتْ ونَشَأتْ مِن الطَّبقة الوُسْطى والعَامَّة، وكان توجُّههَا أو ثَورتهَا ضِدَّ طَبَقَة الخَواصِّ، وقد سَعَتْ إلى الابْتعَادِ عن إرَاقَة الدَّم وإيذَاءِ النَّاسِ، وكانَ لهَا في هذا البابِ أهمِّيَّةٌ كُبْرَى، وقَدْ تقَارَبَت إلى حَدٍّ كبِيرٍ مع التَّعَالِيم المَانَويَّة ذاتِ الصِّبغَة الاجتمَاعِيَّة. ويبْدُو أنَّ هذه الرَّغبَاتِ المَذكُورةَ قد تجْعَلُ مِن أتباعِ هذه العقائِدِ مِن أهْل الصُّلحِ والوئَام، وليسَ مِن طلَّابِ المنَاصِبِ العُليَا، ويظْهَرُ هذا مِن صفَاتِ الطَّبقتَين الثَّالثَة والرَّابعَة، وقد بقِيَتْ هذه الصِّفَات فَاعِلةً وموجُودةً حتَّى في القُرونِ التَّاليَة، وتحدِيداً في القَرْنَيْنِ الثَّانِي والثَّالِثِ؛ إلَّا أنَّ مرَاعَاة هذه الأصُولِ مع الصُّعوبَات الدِّينيَّةِ والإدَاريَّة التي كانتْ تتعَرَّضُ لهَا مِن قِبَلِ طبقَة الوُلاةِ العَرَبِ الحَاكِمينَ، كانتْ صَعبةً للغَاية. لكن يجِبُ ـ على وجْه الإجمَال ـ عَدَمُ الاعتِقَادِ بأنَّ ظُهورَ بابكَ كانَ يمثِّل بدايَةً لتشَكُّلِ العقَائِدِ والآرَاءِ الخرَّميَّة، وإنَّمَا مِن الممْكِنِ القَوْلُ: إنَّ عقائِدَهُ وفِكَرَهُ كانتْ مِن مقتَضَيَاتِ الحَاجَة لذَلِكَ الزَّمَانِ، وقَدْ أسْهَمَ المُحِيط في تطوُّرهَا وإنضَاجِهَا.

ويبْدُو أنَّ المُحِيطَ الذي نشَأ فيه بابك كانَ له أثرٌ كبيرٌ في تحْديدِ وُجهَتِه، حَيْثُ كان مِن المُريدِينَ للحرِّيَّة الدِّينيَّة والاجتماعيَّة، لذَلِكَ فقَدْ برَزَتْ بيْن أتبَاعِه عوَاطفُ النِّقمَة والغَضَبِ ضدَّ العَرَبِ. ويظْهَرُ

أنَّ العَرَبَ كانتْ لهم عوَاطفُ مماثِلةٌ لذلِكَ![1] ويبْدُو أنَّ هذه الأفكار كانتْ هي الشَّائِعَةَ والمُهَيْمِنَةَ على كُلِّ الفعَاليَاتِ التي كانتْ تقُومُ بهَا هذه الفِرقةُ، وهذا مَا ظَهَرَ بشِكْلٍ مُجْمَلٍ على معْظَمِ المَصَادرِ التي حَاولتْ التَّحَدُّثَ عن الخرَّميَّة. ويمكِنُ القُول مِن دون شَكٍّ: إنَّ القَتْل الذي أشَارَ إليْه المقدسِيُّ والكُتَّابُ الآخَرون أكثَرُ مَا يشْتَمِلُ على المُسْلِمِين الذين كانُوا يعيشُون العَدَاوةَ مع الخرَّميَّة، ويُذكَرُ أنَّ مجْمُوعَ من قَامَ بابكُ بقتْلِهِم في مُدَّة حكمِه قد بلَغَ مئتَين وخمسَاً وخمسِين ألفَ شخْصٍ.[2]

ويذْكُر المسْعوديُّ في عدَد هؤلاء القتلى: "إنَّ عدَدَ مَن قَتلَهم بابكُ في مُدَّة حُكْمِهِ التي استمَرَّت اثنيْنِ وعشْرين عَامَاً مِن خروجِه في سَنَة (200) قد بلَغَ خمسَمئة ألفٍ مِن جيش المَأمُونِ والمعْتَصِمِ وقوَّادِهِ وسَائرِ الطَّبقَاتِ الأخْرى. وعلى قوْلٍ آخَر: إنَّ العدَدَ أكبرُ مِن ذلِكَ، ولا يمكِنُ التَّحقُّقُ والتَّثبُّتُ بشِكلٍ دقِيقٍ مِن ذلِكَ".[3] ويذكُر نظَام المُلك: «عندمَا أُلقِيَ القبضُ على أحَدِ جَلَّادِي بابكَ سَألُوه: كم شَخْصَاً قتَلْتَ؟ فقَالَ: أنَا جَلَّادٌ واحِدٌ مِن مجمُوعة جلَّادينَ قُمْتُ بقتْلِ مِن ثلاثةٍ إلى ستَّةِ آلافِ مُسْلمٍ».[4]

وحوْل عقائِدِ بابكَ وفِكَرِهِ فَإنَّه مِن المْمْكِنِ القوْل: إنَّ مُجْمَلَ تلك الأفكارمنُسوبٌ إلى العقَائِد المَانويَّة والمزدكيَّة، وقَدْ أشَار إلى

(1) كمَا نلحظ في كتاب البدء والتّاريخ للمقدسّي الذي يقول: إنّ بابك قد أمر أتباعه ألّا يتركوا امرَأةً أو رجلاً أو طفلاً من المسلمين. وهذا موجودٌ كذلك في الفهرست (ص344).

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1233.

(3) التّنبيه والإشَراف، ص353، الترّجمة، ص454.

(4) سيَاسه نَامه، ص203، الترّجمة، ص296.

ذَلِكَ العدِيدُ مِن المُؤرِّخِينَ الذين تنَاولنَا بعْضَاً مِن فِكَرِهِم، ولذَلِكَ ليسَ مِن الواجِبِ تكْرَار ذلِكَ.

ويبْدُو أنَّ ندْرة المَعلومَاتِ واختِلاطَهَا في بعْضٍ مِن الأحْيَان بالأغرَاضِ الشَّخصِيَّة والدِّينيَّة كانَا سَبباً في عدَم القُدرةِ على تتبُّع حَيَاةِ بابكَ الأخْلاقيَّة. لكنْ يتَّضِحُ مِن مُجْمَلِ تلك المَصَادِرِ أنَّ بابكَ كان رجُلاً جسُوراً ومجَازفَاً، وفي بعْضٍ مِن الأحْيَان متكبِّراً ومسْتبدَّاً وسَفَّاكاً للدَّم ومُصِرَّاً على عقائِدِه. ويُذكَرُ أنَّه لَمَّا أُجبِرَ على الفِرَار ـ وكان قد حضر هو وأخوه إلى سَهلِ بنِ سِنْباد ـ قَالَ لسَهلٍ: أليسَ يسْتقيمُ أن أكُون أنَا وأخِي في موضِعٍ واحِدٍ، فلعلَّه يؤثِر أحَدَاً فيبقَى الآخرُ؟. وتُظْهِرُ هذه المَقَالَةُ بعْضَاً مِن الجَوانبِ الخُلقيَّة لبابكَ، لاسِيَّما فيمَا يتعَلَّقُ بالصَّداقَة وإيمَانِه بهَا. لكنَّ بعْضَاً مِن الفِقرَاتِ الأخْرى تُظْهِرُ أنَّ أعمَالَه كانت فيهَا رغْبَةٌ شَديْدةٌ نحْو نشْرِ الدِّين مع تمَتُّعِهِ بالحَيَاة، وتنَاولِ الشَّرَاب؛ ويذْكُر المقدسِيُّ أنَّ هذه كانتْ مِن أهمِّ مميِّزاتِ هذه الفِرقَة و جُزْءاً مِن عقيدتهَا.[1]

ويُذكَر أنَّه كان عنْدَهُ رغْبَةٌ شَديدةٌ في سَمَاعِ الأصْواتِ وتَقلِيدِهَا، ويذْكُرُ ابنُ النَّديْمِ أنَّه كانَ يقرَعُ الطُّبولَ ويُعَلِّمُ المُوسِيقَى إذ كانَ هذا مِن خَواصِّ فِرقتِه.[2] وبَرَزَتْ عندَه رغْبَةٌ شدِيدةٌ في النِّسَاء، لكنْ يبْدُو أنَّه كان يتعَامَلُ معَهُنَّ بلطْفٍ ولِينٍ، وهنَاكَ أمثِلةٌ كثِيرةٌ تشُير إلى ذَلِكَ المبَدأ وتُؤكِّده، كمَا تشِيرُ الأخبَارُ إلى أنَّ بابكَ ارتَدَى لبَاسَاً

(1) كتاب البدء والتّاريخ، ج4، ص31، متن، ص29، ترجمة؛ أخبار الرّسل، القسم الثّالث، ص1230، 1250، 1177؛ كتاب العبر، ج3، ص260.

(2) تاريخ الرّسل والملوك، القسم الثّالث، ص1205؛ كتاب العبر، ج3، ص260؛ الفهرست، ص343.

كان ذرَاعَاه أبيضَيْن وعِمَامتُه بيضَاءَ.[1] وكان مُحِبّاً لأخيهِ عبدِ الله. غيْرَ أنَّه لَمَّا لم يكُنْ أبنَاؤه على هذه الحَال، لم يَأملْ بِهِم الوصُولَ إلى تلك الحَالَة الإنسَانيَّة. وعنْدمَا وَقَعَ ابنُه في الأسْرِ عند فَتْحِ مدينةِ بَذٍّ مِن قِبَلِ المُسْلمينَ، وكانَ قد وَصَلَ حِينهَا كتابُ أمَانِ المعتَصِم الذِي يوصِي الأفشِينَ بتسْليم عبدِ الله إلى بابكَ، فَإنَّه عنْدمَا سُئِلَ: هل هذا ابنُكَ؟. أنْكرَ أن يكونَ ابنَهُ بسبَبِ وقوعِه حَيَّاً بيَدِ الأعدَاءِ، وقَالَ: سَلْهُ، وإذا كانَ ابنِي فَإنَّه ليسَ مِن الواجبِ أن يقَعَ بيدِ الأعدَاء، وكم سيَبْقَى حَيَّاً بعد هذا الوقُوع.[2] ويتَّضِحُ مِن هذا الكَلام مدَى العِزَّة والفِكْرِ الحُرِّ اللَّذَيْن كان يتمتَّع بهمَا بابكُ، وكذلِكَ مَدَيَاتُ ارتباطِه وإيمَانِه بعقيدَتِه.

وكانَ بابكُ مرتَبِطَاً ارتِبَاطاً شَديدَاً بمدينَتِه، وَيَبْرُزُ هذا مِن خِلالِ مَا عمِلَهُ الأفشِينُ نحوَه، فحِينمَا عَزَمَ على إرسَالَه إلى سَامرَاءَ قَالَ له قبْل الذَّهَاب: مَاذا تريْدُ قَبْلَ أن نتَحَرَّك مِن أذربيجَان؟. فَطَلَبَ منْه أن ينْظُرَ إلى تلكَ المَدينَة، فسَمَحَ له بأن يذْهَبَ ليْلاً إليْهَا حتَّى الصَّباح البَاكِر؛ فتَجَوَّل فيهَا، وكانَ ينْظُرُ إلى المُزارعِين وإلى المَزَارِع،[3] وكانَ

(1) ويبدو أنّ هذا الّلباس شوهد عليه عندمَا أُلقي القبض عليه من قبل قادة الأفشين وهذا الّلون يبدو لافتاً للنّظر، وليس من المستبعد أن يكون أتباع بابك أيضاً قد ارتَدَوْا هذا الّلون تحديداً، وأنّه على مَا يبدو خلاف الّلون العبَّاسيِّ الأسود، وهو مخَالفٌ له ولم يكن مقتصرَاً على الخرَّميَّة فحسَب، وإنّمَا ارتدى القرَامطة أيضاً هذا الّلون وتميّزوا به، وكذلك الفَاطميّون. يُنظر: ملحوظاتٌ حول قرَامطة البَحْرَيْن والفَاطميّين، ص179، وكذلك: ملحوظات حول أسرة السّاجيّين. بقلم د فرمري (المجلة الآسيويّة سنة 1347 القسم الثّاني، ص429).

(2) الكامل، ج6، ص334؛ الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1220.

(3) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1228.

شَديدَ العَدَاوة مع الأعْرَابِ، فَالذين كانُوا يُسَمُّونَهُم (أش) كان يَعُدُّهُم مِن السَّفَلَة، وكان يُسمِّيهم في بعْضٍ مِن الأحْيَان اليَهُودَ.[1]

وعُرفَ بابكُ بصَبْره وجَلَدِه أمَام الشَّدائدِ والمَشَاقِّ الرُّوحِيَّة والجِسْميَّة، ولم يُظْهِرْ أمَامَهَا ضَعْفَاً محْسُوسَاً، فقَدْ تحَمَّلهَا بقوَّةِ نفْسٍ وشَكِيمةٍ. ويذْكُرُ المقدسِيُّ في هذا البابِ «وزَعَمَ قَوْمٌ أنَّ بابكَ الملعُونَ لَمَّا قُطِعَتْ يدُه لطَّخَ وجهَهُ بدَمِه وضَحِكَ حتَّى يرَى النَّاسُ أنَّه لم يُؤلمُه القطْعُ، وأنَّ رُوحَه ليسَتْ تحِسُّ بشَيءٍ».[2] وقَدْ أورَدَ كتَاُب (سيَاسه نَامه) شَرْحَاً أكثَرَ تفصِيلاً لهذه الحِكايَة «لمَّا أمَرَ المعْتَصِمُ بتقطِيع رجلَيْ ويدَيْ بابكَ فَإنَّه حِينَما قُطعَت يدُه أخذ الدَّم، وطَفِقَ يمسَحُ به وجهَهُ. فقَالَ المعْتَصِمُ: مَاذا يفعَلُ هذا الكلْبُ؟ ومَا الحِكْمةُ مِن هذا العمَلِ؟. فقَالَ له: إنَّما وضعْتُ الدَّمَ على وجهْي حتَّى عنْدمَا تُقطعُ يدِي الأخْرى ورجْليَّ لا يصُبحُ وجهِي أصْفرَ، وبذلِكَ قد يظنُّ النَّاسُ أنَّ ذَلِكَ قد حَدَث بفعلِ الخَوْفِ».[3]

ولمَّا خربَتْ البذُّ وقَعَ عَدَدٌ مِن أبنَاء بابكَ في الأسْرِ، وحُمِلُوا إلى سَامرَّاءَ. ويُذكَرُ أنَّ عددَ أبنَائِه كان سبْعةً وكان عدَدُ بنَاتِهِ مع نسَائهِ ثلاثاً وعشْرينَ جميعُهُنَّ قد أُسِرْنَ، ويُشارُ إلى أنَّ إحدى بنَاتِ بابكَ

(1) ابن الأثير، ج6، ص336، القسم الثّالث، 1226، وكذلك رَاجع ص1195.

(2) كتاب البدء والتّاريخ، ج6، المتن، ص118، الترّجمة، ص11؛ التّنوخيّ في نشوارِ المحَاضرة نقل هذه الرّواية بشكلٍ أكثر تفصيلاً ولكن وردت فيهَا غلطّات عديدةٌ كذلك نقل ابن الجوزيّ هذه الرّواية في كتاب تلبيس إبليس، ص110.

(3) سيَاسه نَامه، المتن،203، الترّجمة، 296، طبعة طهرَان317.

نُقلتْ إلى بَلاط المُعْتَصِم.[1]

وعلى الرَّغْم مِن أنَّ قَتْلَ بابكَ قد وجَّه ضَربَةً قاصِمةً للخرَّميَّة إلّا أنَّ هذا لم يمْحُ أثَرَ هذه الفِرقَة بالكَامِلِ ـ كما سَنلحَظ فيما بعد. وعلى أقلِّ تقديرٍ فإنَّهم حتَّى القَرْنِ الرَّابع ظلُّوا يمارسُون الكَرَّ والفرَّ،[2] ولكنْ بمُرورِ الوقتِ ونتيْجَةً لغَلَبَةِ المُسْلِمين والتَّشبُّث بالدِّيَانة الإسْلاميَّة واختِلاطِهم بالفِرقِ والمَذَاهبِ، لاسِيَّما دخُولِ بعْضِهم في الإسْماعِيليَّةِ قد أضْعَفَهُم كثِيرَاً.

ويُذكَرُ أنَّ جماعةً مِن أكْرَاد الجبَالِ وأهْلِ جبَلِ البذِّ [كذا] الذين كانُوا على الخرَّميَّة قد دخَلُوا في مذْهَبِ أبي جعْفرٍ أحمدِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ سَعيدٍ الأهوازيِّ المعْرُوفِ بـ (دندان) المُتوفَّى في سَنَة (250هـ).[3] ومِن دُون شَكٍّ فَإنَّ مِن العوامِلِ المُسَاعدَةِ في تطَوُّر تعَالِيم القُرمُطيَّة في غرْبِ وجَنوب إيرَان وجُودَ الأرضِيَّةِ المنَاسِبةِ له، المُمَثَّلة بتعَالِيم الخرَّميَّة، كمَا إنَّ انتشَار هذه الفِرقِ أي: القرَامطَةِ والبَاطِنيَّةِ والإسْماعيليَّةِ في القَرْنَيْنِ الرَّابع والخَامسِ الهجْريَّينِ، تسَبَّب في أن تخْتَلِطَ التفَاصِيْلُ لدى الكثِيرِ مِن الكُتَّابِ عند حدِيثِهم عن الخرَّميَّة[4]

وبحسْبِ قولِ نظَام المُلك، فَإنَّ الخرَّميَّة في زمَان خلافَةِ الواثِقِ

(1) سيَاسه نَامه، المتن، ص203 (ج) طهرَان319؛ إرشاد الأريب ج1، ص369.

(2) الفخري، رسالة ابن مَالك ص203؛ ابن حوقل، مسالك ابن مَالك، ص226؛ المسعوديّ، التّنبيه والإشرَاف، ص353؛ المقدسيّ، ج4، ص30؛ البشاريّ المقدسيّ، ص398.

(3) نلحظ الأكرَاد في الفهرس الذي أشار إليه مَاسينيون ص331؛ البغداديّ، ص226.

(4) انظر مقَالَة نفيسّي (مهر، العدد6، السّنة الأولى، ص753).

(227–232هـ) تمرَّدُوا في أصْفهَانَ: «وفي أيَّام الوَاثِقِ خَرَجَتْ الخرَّميَّة مَرَّةً أخْرى في حُدود أصْفهَانَ، وأشَاعُوا الشَّرَّ والفَسَادَ في تلك المَنطِقَةِ، وظلُّوا خَارجِينَ حتَّى سَنَة (300) فقَدْ خرَجُوا في مَنطقَة كُرج، وقتَلُوا الكثِيرَ، وغَلبُوا على مَنَاطق واسِعَةٍ، وخَرَجُوا على المَلك! واتَّخَذُوا مِن جبَال أصْفهَان مَأوىً لهم، وقطَعُوا طُرُقَ القَوافِلِ، وأغَاروا على القُرَى، وقتَلُوا النِّسَاءَ والأطْفَالَ والشَّبَابَ، وظلُّوا تقريباً ثلاثِين سَنَةً في فتْنَتِهم تلك، ولم يسْتَطِعْ الجيشُ مقاوَمَتَهُم، وعَجَزَ عن ذَلِكَ لحصَانَة أمَاكِنهم؛ لكنْ تمَّت في الآخِرِ السَّيطرةُ عليهم، وقتَلُوهم ورُفِعَتْ رؤوسُهُم في أصْفهَان وكان ذَلِكَ فتحَاً كبيرَاً للمُسْلمِين».[1]

وأشَارَ الطَّبريُّ في وقَائِع سَنَة (227هـ) في أوَّل خِلافَة أبي جعْفرٍ هَارونَ الواثِقِ بالله إلى أنَّه تحَرَّك في هذه السَّنة وَصِيْفُ التُّرْكِ مِن نَاحِيَة أصْفهَان وجبَالِ فَارسٍ وجَاءَ إلى العِرَاق مِن نَاحِيَة فَارسٍ مِن أجْلِ صَدِّ بعْضٍ مِن النَّواحِي التي ثارَتْ في تلك المَنطِقَةِ، وقد اسْتطَاعَ أن يجلِبَ إلى العِرَاق نحوَ خمسِمئَةِ شخْصٍ مِن ثوَّار تلك المَنْطِقَة.[2]

«خَامسَاً: أعقابُ بابك»

لم يُمْحَ أثرُ أتبَاعِ بابكَ بالكامِلِ في البذِّ، فقَدْ بقِيَ جمَاعَةٌ مِن أتباعِه في مَنَاطِقِ أذربيجَان قُرُونَاً بعد قَتْلِه، يعيشُون وَهُمْ على دِيْن

(1) سيَاسه نَامه، المتن، ص204، الترّجمة، ص228–229.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث،1351 ومن المُحتمَل أن يكون هذا التّمرد المذكور هو الذي أشار إليه نظام الملك في بداية حديثه أنّه يعود إلى الخرَّميَّة.

أجْدادِهِم، وكان لأهْلِ تلك المَنطِقَة على وجْه العُمُوم أخبارٌ كثيرةٌ حوْل وصْفِ آخِرِ الزَّمَانِ، حَيْثُ يذْكُر أبو دُلَفٍ مُسْعِرُ بنُ مهلهلٍ أواسَطَ القَرْن الرَّابعِ أنَّه شَاهَدَ تلكَ الحِكايَاتِ في مدِينَة البذِّ، فذَكَر أنَّه بالقُرْبِ مِن البذِّ موضِعٌ سَعَتُه ثلاثُ جُرَيْبَاتٍ فيْه مكَانٌ حِينَما يدعُو الإنسَانُ الله فَإنَّ الله يسْمَعُ دعاءَه ويجيبُه! وكان المُحمِّرة، قد رَفَعُوا رَايَة العِصْيَانِ في ذَلِكَ المَكَان، وكان بابكُ قد خَرَجَ منه أيضاً. وعلى وجْه العُمُوم، فَإنَّ أهْل تلك المَنْطِقَةِ ينتَظِرُون خُروجَ المهْديِّ، وأسفلَ منهَا نهرٌ كبِيرٌ إذا اغتَسَل منْه مَن بِه حَرَارَةٌ فَإنَّ الحَرَارةَ تذْهَبُ عنْه.

ويذكُرُ البغْداديُّ حوْل الخرَّميَّة:»وللبابكيَّة في جبَلِهِم ليْلةُ عِيْدٍ لهُم، يجتَمِعُون فيهَا على الخَمْر والذَّنْبِ، وتختَلِطُ فيهَا رجَالُهم ونسَاؤهم، فَإذا أُطْفِئتْ سُرُجُهُم ونِيرَانُهم اقتضَى فيهَا الرِّجَالُ النِّسَاءَ على تقْديرٍ مِن عَزيزٍ. ويَنْسُبُ البابكيَّةُ أصْلَ دينِهم إلى أمِيرٍ لهُم كان اسْمه في الجَاهليَّة شروين، ويزعمُونَ أنَّ أباه كان مِن الزِّنْج وأمُّهُ بعضٌ مِن بنَاتِ ملُوك الفُرْسِ؛ ويزعمُونَ أنَّ شروين كانَ أفضَلَ مِن محمَّدٍ ومِن سَائر الأنبيَاءِ، وقدْ بنَوْا في جبَلِهِم مسَاجدَ ليؤذِّنَ فيهَا المُسْلمونَ، وكانُوا يعلِّمُون أولادَهُم القُرْآن، لكِنَّهُم لا يُصَلُّونَ في السِّرِّ ولا يصُومُون شهْرَ رمضَانَ ولا يجَاهِدُونَ الكَفَرَةَ... وأتبَاعُ مَازيَار [ويُقصد بهم المحمِّرة أو الخرَّميَّة] هم الآن مِن المُزارعِين المُقيمِين في سَواد جرجَان، وقَدْ أظهَرُوا الإسْلام وأبطَنُوا خِلافَه«.[1]

ونَقَلَ الإسْفرَايينيُّ هذه الفِقْرَةَ مِن البغداديِّ باخْتِصَارٍ ـ وربَّما يكُون مَصْدرُهُم واحِداً ـ وأضَافَ: إنَّ عند البابكيِّين في المَحَافِلِ

(1) البغداديّ، الفرق بين الفرق، ص252؛ ومختصر الفرق ص163.

حتَّى هذا الوقتِ مناجاةً ونُواحاً وتوجُّعاً على النَّبيِّ.

ويذكُرُ العوفيُّ في (جوامِعُ الحِكايَات) «إنَّه في عهْدِ المسْترشِد (512–529) خَرَجَ جَماعَةٌ مِن الخرَّميَّة في بِلادِ أذربيجَان، وأشَاعُوا الفسَادَ والشَّرَّ والفتْنَةَ. وأرَاد المُسترْشِدُ أن يقطَعَ دابِرَ الفَسَاد، فتَحَرَّك بنفْسِه مع جيشٍ جَرَّارٍ إلى أذربيجَان، فَاعترَضَهُ جَماعَةٌ مِن المَلاحِدَةِ بشَكلٍ مُفَاجئ، فَألْقَوا القبْضَ عليْه وقَتَلُوه. وكان ذَلِكَ يومَ الخميسِ السَّابعَ عشَرَ مِن شهر ذي القِعدَة مِن سَنَة (529هـ) وأنْهَوْا حَياتَه، وبذلِكَ قتَلُوا أبرَزَ أعمِدَة الدَّولَة.[1]

تحتَوي هذه الرِّوايَةُ على غلطَاتٍ تاريخيَّةٍ كبِيرةٍ! إذ يُذكَر أنَّ دبيسَ بنَ صَدَقَةٍ صَاحِبَ الحِلَّةِ قد تمَرَّد على الخليفَة، ممَّا أدَّى إلى اضْطرَاب الأوضَاع، فَأعَدَّ له الخَليفَة جيْشَاً جَرَّاراً، وتحَرَّكَ بطَرَفِه مِن بغدادَ فوَقَعَتْ بيْن الطَّرفينِ معْرَكَةٌ فَاصِلةٌ بيْن الحُلَّةِ وبغدادَ، إذ التقيَا واحترَبَا. فَانهزَمَ دبيسُ وخَرَجَ إلى الفُرَات، ومِن ثَمَّ إلى الباديَة التي لم يتَلقَّ المُسَانَدَة مِن عَربِهَا، فذَهَبَ إلى قرْبِ السُّلطَان مسْعُودٍ في سَنَة (529هـ). ولَمَّا سَمِعَ الخَليفةُ أنَّ مسْعُوداً اسْتقبَلَ مُعَارضِيهِ، أعَدَّ لَه جيشَاً وتوَجَّه به إلى همَدَانَ، فَالتَقَى الجيشَانِ هنَاكَ، ولكنَّ الخليفَة انهزَمَ، إلَّا أنَّه لَمَّا سَمِعَ السُّلطَانُ سنجرُ هذا الخَبَرَ كَتَبَ إلى مسْعودٍ يخبِرُهُ بوجُوب تعظِيم الخليفَةِ وتكريمِهِ. فحَمَلَ مسْعودٌ الخليفَةَ معَه مرَاغَمَةً وأحْضَرَ كذلِكَ إلى جنْبِه دبيساً فعفَا عنه الخليفَةُ؛ ولكنْ وقَعَ حَادِثٌ مُفَاجِئٌ في غُرَّة ذي القِعدَة مِن هذه السَّنة، ففي خُرَاسَانَ توجَّه سَبْعَةٌ مِن الباطِنيَّة إلى خيمَة الخَليفَةِ بصُورةٍ مُفَاجِئةٍ، وقامُوا بقَتْلِه وخَلْعِه، ثمَّ قامَ مسْعُودٌ بدَفْنِه، وذَلِكَ يوم الخميسِ السَّابعَ عشَرَ

(1) العوفي 74b.f.

مِن ذي القِعدَة.[1]

ويظْهَرُ مِن ذَلِكَ أنَّ ذهَابَ المُسْترشِدِ إلى أذربيجَان لم يكُنْ مِن أجْلِ قطْعِ دابِرِ الخرَّميَّة، وإنَّمَا مِن أجْلِ غَرَضٍ آخَرَ. ولكنْ لا يُستبْعَدُ أن يكُون الخرَّميَّة في ذَلِكَ الوقتِ قد قامُوا في أذربيجَانَ بالاضْطِرَابِ والتَّمرُّدِ على الخَليفَة، حَيْثُ يورِدُ يَاقوتُ الحَمَويُّ في مَادَّة دركزين «... فيذكُرُ أنوشيروانُ بنُ خَالدٍ الوزيرُ أنَّ في دركزين بلَدَاً صَغِيرَاً مِن أقَالِيم العَالَم... وأهْلُ هذا الإقلِيم كُلُّهم مزدكيَّةٌ مَلاحِدَةٌ...».[2]

(1) رَاجع تجارب السّلف، ص294-296؛ ورَاحة الصّدور، ص227-228.

(2) ج2، ص569.

الخَاتمةُ

يمثِّلُ الفتْحُ العَربيُّ في تَاريخ إيرَان مُفترقاً للطُّرقِ! فقَدْ تغيَّرتْ بعدَ هذه الحَادثَةِ العظِيمةِ ـ مع مرُور الوقتِ ـ جميعُ المُؤسَّسَاتِ الاجتمَاعيَّةِ في تلك الدَّولَة، كمَا خَضعَتْ للتغْيير الأنظِمَةِ القضَائيَّة والسِّيَاسيَّة والدِّينيَّة والأخلاقيَّة والأدبيَّة.

ومِن الممْكِن القَوْلُ: إنَّ القُرُونَ الإسْلامِيَّة الأولَى امتَازتْ بالطَّابَع البَرزَخِيِّ المضْطَربِ، فهي لم تسْتقرَّ على الأوضَاعِ التي سَبَقَتْ هذه الحَادثِةَ، كمَا إنَّهَا لم تأخُذْ شَكلَهَا الثَّابتَ غيرَ المتغيِّر.

وربَّمَا سَعَيْنَا في هذا المجَال ـ إلى حَدٍّ مَا ـ إلى إعْطَاءِ صُورةٍ عن ذَلِكَ الاضْطرَابِ الدِّيْنيِّ مع مُرَاعَاةِ الجَانبِ الرُّوحِيِّ والاجتمَاعيِّ فيهَا، لاسِيَّمَا في أسْبابهَا وعِلَلِهَا المُؤدِّيَةِ لتلك الحَركَاتِ الدِّيْنيَّةِ.

وقَدْ أدَّى الفتْحُ العَربيُّ في إيرَان إلى تَرْكِ مجْمُوعَةٍ مِن النَّاس دِيْنَهم رغبةً بالدِّين الإسْلاميِّ، ودَخلَتْ مجمُوعةٌ أخْرى في الإسْلام رغْبَةً في الامْتيَازاتِ وطَمَعَاً في المكَانَة والطَّمَأنينة التي يمنَحُهَا الإسْلامُ.

كمَا جَرَتْ العَادةُ في بعْضٍ مِن الأحْيَان أن تكُون بعْضُ مِن أعمَالِ الأمَويِّينَ والعبَّاسِيِّينَ مَقْرُونةً بالجَبْرِ والإكْرَاهِ، لاسِيَّمَا إزاءَ أتبَاع الدِّيَانَاتِ الأخْرى! و لذَلِكَ فَإنَّ بعْضاً مِن الإيرَانيِّين اعتنَقُوا

الإسْلام للحِفَاظ على أنفُسِهم وأمْوالِهم؛ لكنْ على الرَّغْم مِن ذَلِكَ فَإنَّ الفئاتِ المَذكورَةَ لم تنْسَ تمَامَاً الشَّرَائع الدِّينيَّة التي شَاعتْ في إيرَان لقُرونٍ، وأثَّرتْ تأثيرَاً عظِيَماً على فِكَرِهَا وعواطِفِهَا الدِّينيَّة وحَياتِهَا اليوميَّة، إذ بقِيَتْ تلك الشرائع مؤثرة بصورة مباشِرةٍ أو غيْر مباشِرةٍ على مُجْمَلِ تفَاصِيلِ عاداتِ النَّاسِ وحَيواتهم.

ولم يكُن الإيرَانيُّون الذين اعتَنَقُوا الإسْلام على مَذْهبٍ واحِدٍ، فمنْهُم مَن كان على مَذْهَبِ السُّنَّة ومنْهُم مَن كان مَذْهَبِ الشِّيعَةِ أو مَذْهبِ الخَوارج؛ وتشعَّبَتْ هَاتَانِ الفرقتَان إلى فِرقٍ وشُعبٍ أخْرى، زيَادةً على أنَّ مُجْمَلَ المُسْلِمِين الجُدُدَ لم يكُونُوا مِن أهلِ البِلادِ، وقد كان بعْضُهُم مِن العُمَّال، وكان بعْضُهم أيضَاً قد دَخَلَ جدِيدَاً في الإسْلام، وبقِيَ بعْضُهم على ديْنِهِ القدِيْم. وإذا لم تكُنْ بعْضُ مِن العَقائِدِ والأفكار مُتَقاربَةً مع الدِّين الإسْلاميِّ والدِّيْن المزدائيِّ، فَإنَّ هنَاك تفَاوتاً حَادَّاً فيما بيْن بعْضٍ مِن الشَّرَائع أو العَقائِدِ الموجُودَة في كلتَي الدِّيَانتَيْن، مثلِ صِفَاتِ الله في الدِّين المزادئيِّ وصِفَاته في الدِّين الإسْلاميِّ، كذلِكَ الشَّرَائعُ المُتعلِّقَةُ بالزَّواج والآدَابِ والأمْواتِ، وكُلُّهَا تفَاصِيلُ تدعُو بشَكْلٍ كبيرٍ إلى عَدَم الاخْتلاطِ أو الامتِزاج بشَكلٍ كامِلٍ أو نهَائيٍّ على الرَّغْم مِن محُاولاتِ الجَبْرِ التي مُورسَتْ في بعْضٍ مِن الأحْيَان مِن أجْلِ صَبْغِ الإيرَانيِّين بصِبغةٍ واحِدَةٍ هي الدِّينُ الإسْلاميِّ.

وقَدْ قامَتْ الثَّورَاتُ التي وصَفنَاهَا على أيدِي الطَّبقَةِ العَامَّة في الغالِبِ! وربَّما يؤيِّد هذا الأمرُ النَّظَرِيَّةَ الآنفةَ. ولمَّا كان العَوامُّ أقلَّ قُدْرَةً مِن الخَواصِّ في قَبْولِ تغيْير العَقائِدِ والعَاداتِ؛ إذ كانَتْ إمكَانيَّتُهم في قَبُولِ العَاداتِ الجدِيدَة أقلَّ مِن غيْرهم، فقَدْ بقَوْا على

عقائِدِهِم القدِيمَةِ، بل إنَّ بعْضَاً منْهم ظَلَّ يجَادِلُ ويقَاومُ كُلَّ مَا هو جَديدٌ، وقَدْ عُدَّ هذا الصِّرَاعُ أو النِّزاع مَا بيْن العقيدَتَيْنِ الأولى والثَّانيَةِ سِمَةً مِن سِمَات إيرَان. واللَّافِتُ للنَّظَر في هذا المنْحَى أنَّ أَكْثَرَ زعَماء الفِرقِ والمَذاهَبِ الذين تمَّ تنَاوُلُهُم لم يكُونُوا مُفكِّرينَ أو مِن أصْحَابِ المَذاهِبِ، وإنَّما كانَتْ أَكْثَرُ أفكارهم وعقائِدِهِم مِن مُحِيطِهِم الذي ترعْرَعُوا فيه ونشَؤوا، وهي انْعِكَاسٌ لعصْرِهِم وللعنَاصِر الفِكريَّة المُختَلفَة فيه، وعلى وجْه التَّحْديدِ المَلامِحُ الدِّيْنيَّةُ لذلِكَ العصْرِ، واسْتمرَّتْ هذه النَّوازِعُ حتَّى عصُورٍ مُتأخِّرةٍ.

ويُلحظ أنَّ هنَالك اخْتِلافَاً شَاسِعَاً بين تنظِيمات المُجتَمَع الإيرَانيِّ وتنظِيمَات المُجتمَع الإسْلاميِّ والعَربِيِّ! فمَثلاً كانَتْ التَّعَالِيمُ الإسْلاميَّة قابِلةً للتَّوافُقِ مع أصُولِ الدِّيمُقرَاطِيَّة، ولكنَّ النِّظَامَ الاجتِماعيَّ الإيرَانيَّ الذي يتَّصفُ بأنَّه نظَامُ مَرَاتبَ وطَبَقَاتٍ كانَ غيرَ قابلٍ للتَّنَاغُم مع تلك الأفكار، فنشِبَ بذلِكَ اخْتِلافٌ كبيرٌ بيْن أنظِمَة المُجتمَعَيْنِ، فتسبَّب هذا الأمْرُ في أن تبقَى الفَوارقُ الطَّبَقيَّةُ موجُودةً، بل إنَّ العَرَبَ المُسْلِمِين كوَّنُوا طَبَقَةً أخْرى مُضَافةً إلى هذه الطَّبقيَّة، هي طبقَةُ الغَالِبينَ!، وقَدْ أفَادُوا مِن الطَّبَقةِ الثَّالثَةِ أي العَامَّة في نزَاعهَا مع الطَّبقتين الأولى والثَّانيةِ في بنَاءِ طبَقَتِهم الجدِيدَةِ.

ولم يغيِّرْ أفُولُ الدَّولَةِ الأمَويَّة ومجِيءُ الدَّولَةِ العبَّاسِيَّة شِيْئاً، إذ لم تُرفَعْ تجَاوزاتُ عمَّالِ وأمَرَاءِ الحُكومةِ الرَّسْميَّةِ كما لحِظْنَا آنِفَاً؛ ويبْدُو أنَّ هذا الأمْرَ هو محَلُّ تعجُّبٍ. فمع وجُودِ المُعَامَلةِ الجَيِّدةِ نسْبيَّاً مِن قِبَلِ العبَّاسِيِّين إزاءَ الإيرَانيِّين، إلَّا أنَّ الحَرَكاتِ الدِّيْنيَّةَ قد بَدَأتْ مع بدايَةِ حُكْمِ هذه الأسْرةِ، حَيْثُ يظْهَرُ مع كُلِّ خَليفةٍ عبَّاسِيٍّ حرَكَةٌ وقائدٌ جدِيدانِ، لكنَّ يبْدُو عند اللَّحْظ والتَّدقيقِ أنَّ هذا الأمْرَ

منْطِقيٌّ! وذَلِكَ لجملَة أسْبابٍ هي:

1ـ اسْتطاعَ الإيرَانيّونَ بعد الفتْحِ العَربِيِّ وانتِهَاءِ المَعَاركِ الحَربِيَّةِ إعَادةَ قُوَاهُم مِن جدِيدٍ.

2ـ هنَاكَ فَرْقٌ بيْن السِّيَاسَة الدِّيْنيَّة للأُمَويِّينَ والسِّيَاسَة الدِّيْنيَّة للعبَّاسِيِّينَ.

3ـ إنَّ تغْيِير الدَّولَة كان ذا فَائِدةٍ لبعْضٍ مِن الإيرَانيِّين فيما كان معْدُومَ الفَائِدة لبعْضٍ آخَر، بل ربَّما زادَ عليْهِم الأعْباءَ والضُّغُوطَ.

4ـ تجَرَّأ بعْضٌ مِن النَّاسِ السَّاخِطِينَ بعد زوَالِ الدَّولَة الأمَويَّة، ووجَدُوا في الإمكَانِ تقويَّةَ الدَّولَةِ العَربيَّةِ، لاسِيَّما أنَّهم سَاهمُوا مسَاهَمَةً كبِيرةً في إسْقاطِ الدَّولَةِ السَّابقةَ.

5ـ كان تغيُّرُ مُعَامَلَةِ بعْضٍ مِن الخُلفَاء العبَّاسِيّينَ لأنصَارهِم الذين أعَانُوهُم في الوصُولِ إلى سُدَّةِ الحُكْم أحَدَ العَوامِلِ المُهيِّجَة لتلك الثَّوْرَات، ومِثالُ ذَلِكَ قَتْلُ أبي مُسْلمٍ بأمْرِ أبي جعْفرٍ، وقَتْلُ وحَبْسُ البرَامِكَةِ مِن قِبَلِ هَارونَ الرَّشيدِ.

6ـ يجبُ عدمُ عَدّ هذه الثَّورَاتِ الدِّينيَّةِ مُقدَّمَةً؛ بل إنَّهَا ثورَاتٌ ختاميَّةٌ لجُملَةِ اضْطرَاباتٍ بدَأَتْ مع بدايَةِ الفَتْحِ العَربيِّ لإيرَان.

كان للدِّينِ في إيرَان السَّاسَانِيَّة قوَّةٌ معنويَّةٌ ومهمَّةٌ بين عُمُوم النَّاسِ، وكان أحَدَ ملامِحِ القَوميَّة الإيرَانيَّة. ويبْدُو أنَّ هذا الأمْرَ ظلَّ ثابتاً حتَّى في العصْر مَوْردِ البحْثِ ولم يتلاشَ، وبقِيَتْ الصِّبغةُ الدِّينيَّةُ هي الطَّاغِيَةَ على الصِّبغةِ السِّيَاسِيَّة في تلك الحَرَكَاتِ، فقَدْ حمَلَتْ أوَّلُ تلك الثَّورَات الرَّسْميَّةِ صِفةً دينيَّةً خَالصَةً أفادتْ مِن رُوحِيَّة النَّاسِ

المتديِّنةِ وعقائدِهِم النَّافِذَةِ في النَّفوسِ، فَأَسْهم ذَلِكَ في تحْريكِ تلك الثَّورَاتِ.

وعلى الرَّغْم مِن انتشَار الإسْلام وتغَلْغُلِهِ في إيرَان، لكنْ مَا زالَ الكثِير مِن المُصنَّفَاتِ الدِّيْنيَّة سَائدةً. فقَدْ اهتمَّ المُوابِذةُ بالأمُور الشَّرعِيَّة، وانشَغَلوا في إعمَار بيُوتِ النِّيرَان، ولهذا فقَدْ حَافَظَ أتبَاعُ الدِّين الزَّرَدَشْتيِّ والفِرَقُ المندائيَّةُ الأُخرى على دِيْنِهِم وعَقائِدِهِم، وعَمِلُوا بالشَّرَائِع الإِيرَانيَّةِ القدِيمَةِ.

ولم يحكُمْ العَرَبُ بالعَدْلِ في جمِيعِ المَنَاطِقِ التي فتَحُوهَا! ولم يسْتطِعْ الدِّينُ الإسْلاميُّ بعدَ قَرْنٍ كاملٍ محْو كُلِّ الخَصُوصِيَات المَحلِّيَّة للمَنَاطِقِ؛ وقَدْ أدَّى ذَلِكَ إلى نوْعٍ مِن الصِّرَاع مَا بيْنَ المَنَافِع الشَّخصْيَّة ومَنَافع الفَاتحِين، وكان هذا أحَدَ عوامِلِ النِّزاع بيْن الطَّرفَيْنِ.

وكَمَا تنَاولنَا في السَّابقِ، فَإنَّ هنَاكَ أسْباباً عديْدةً أدَّتْ إلى ظُهُور مُدَّعي النُّبوَّة، وكانَتْ بعْضٌ مِن الأسْبابِ شَخْصِيَّةً وخَاضِعةً للحَالةِ النَّفسِيَّةِ والرُّوحِيَّةِ والدِّينيَّةِ والأخلاقيَّةِ لأولئِكَ الأشْخَاصِ الذين أسْنَدُوا حركَاتِهِم بفِكْرةٍ رئيسَةٍ وجَوهَريَّةٍ هي تجدِيدُ وإصْلاحُ الدِّيْن والمجْتَمَع؛ فَاسْتثمرُوا عواطِفَ النَّاسِ ومُيولهُم.

ولا يمْكِنُ ـ على أيَّةِ حَالٍ إغْفَالُ الأسبَاب الخَاصَّةِ في تحْريْك تلْك الحَرَكَاتِ وتأجِيجِهَا، بل ونَجَاحِهَا! فهنَاك العَامِلُ الشَّخصِيُّ المُتمثِّلُ بمُؤسِّسِ الحرَكَة و«الكارزمَا» التي امتلَكَهَا والتَّأثيرِ الاجتمَاعِيِّ والدِّيْنيِّ له على أتبَاعِهِ في نجَاحِهَا! فقَدْ صَبَغَ كُلُّ قائِدٍ حرَكَتَه بطبيعَةِ شَخصِيَّتهِ ومَيْلِهِ وتوجُّهِهِ، لكنْ علينَا عَدمُ إغفَالِ أنَّ هذا لم يكُن العَامِلَ الوحِيدَ؛ وإنَّمَا ـ كمَا هو في الحرَكَاتِ العَامَّة ـ هنَالكَ عوامِلُ

أخْرى قد اجتمَعَتْ مع هذا العَامِلِ وتحرَّكَتْ معه، لاسِيَّما العوامِلِ والبِنَى الاجتماعيَّةِ لطبيعة المجتمَع الإيرَانيِّ بعد الفتحِ التي كان لهَا أمرٌ حَاسِمٌ في إنضَاجِ الحرِكَاتِ الدِّيْنيَّة وتكْوينِهَا.

ويظْهَرُ أنَّ مُجْمَلَ قُوّاد الحرَكَاتِ المَذكُورة وأتباعَهَا لم يصِلُوا إلى مساعيهم بشَكلٍ نِهَائيٍّ؛ إلَّا أنَّهَا ترَكَتْ علامَاتٍ بارزةً على صَفحَات تاريخ إيرَان السِّيَاسِيِّ والدِّينيِّ. لكن عندمَا بدأ الدِّينُ المزدائيُّ بالضَّعف أخَذَ الإسْلام كامِلِ قوَّتِهِ ومَكانَهُ، كَمَا إنَّه في الوقتِ ذاته هيَّأتْ هذه الحرَكَاتُ الدِّينيَّةُ لتطوُّرِ بعْضٍ مِن الحرَكَاتِ السِّيَاسِيَّة الأخْرى.

وقَدْ أَثَّرتْ كذلِكَ الحرَكَاتُ الدِّينيَّةُ التي تمَّ ذِكْرُهَا سَابقاً، والتي أخَذَتْ بعْضاً مِن تفَاصِيلهَا مِن الدِّين الإسْلاميِّ، أثَّرتْ في تطوُّر الفِرقِ الدِّينيَّةِ الإسْلاميَّة وآرَائِهَا. وهنَاك تأثيرَاتٌ متعدِّدةٌ، وهذا مَا لا يمكِنْ إنْكَارُهُ.

كَمَا نلحَظُ أنَّ جُمْلةً مِن العَاداتِ والأخْلاقِ والقَواعِدِ والمؤسَّساتِ الإيرَانيَّة قد تحَدَّتْ ـ إلى حَدٍّ مَا ـ الرُّسُومَ والعَاداتِ الجدِيدةَ، وكان هنَاك نَوعٌ مِن التَّأثيرِ والتَّأثُّر المُتبَادَلِ. كَمَا إنَّ هنَاكَ تأثيرَاتٍ لبعْضٍ مِن الأنشِطَة الدِّينيَّةِ على الدِّين الآخَر. وإذا كان تأويلُ بعْضٍ مِن شَرَائع الإسْلام في القَرْنِ الأوَّلِ وفي القَرْنينِ الثَّالثِ والرَّابعِ مَطْمَحَاً لكَثيرٍ مِن النَّاس بعِللٍ متنوِّعَةٍ، فقَدْ أثبتَ ذَلِكَ أنَّ الدِّينَ في حَالِ حِرَاكٍ مسْتمِرٍّ ومُجَدِّدٌ لجُمْلةٍ مِن التَّطوُّرَاتِ الاجتماعِيَّة التي يعيشُهَا النَّاسُ.

الملاحق

المُلحَقُ الأوَّلُ

الأفشِينُ خيدرُ بنُ كاوسَ

كان الأفشِينُ القائدَ الأعلى لجيشِ المعْتَصِم، وهو الذي نجَحَ في القضَاء على بابكَ. ويعُودُ أصْلُه إلى أبنَاء مُلُوك أشروسنه[١] وقَدْ وَصَلَ فيمَا بعدُ إلى منصِبِ المَلَكيَّة، وظَلَّ حَاكِمَاً في مسْقِطِ رَأسِه حتَّى وفَاتِه.

اسْمُه خيدرُ،[٢] واسْم أبيهِ كاوسُ. وقّدْ قامَ في البَدْءِ عندِ إقامَة المَأمُونِ في خُرَاسَانَ بتمرُّدٍ في مناطِقِ جيحُونَ وأطْرَافِهَا ضِدَّ الوُجُودِ العَربِيِّ،[٣] ولمَّا اسْتقرَّتْ هذه المَنَاطِقُ للخليفَةِ المَأمُونِ، أرسَلَ جيشَاً إلى أشروسنة وفرغانة، وأخْضَعَ كُلَّ المُتمَرِّدينَ هنَاك ودعَاهُم إلى الإسْلام. وكَتَبَ كاوسُ المَلكُ أو الأفشِينُ[٤] إلى فَضْلِ بنِ سَهلٍ وزيرِ المَأمُونِ، وكاتَبَهُ ودعَاهُ إلى الصُّلح، وتعَهَّدَ له بالدَّفع إلى الدِّيوانِ الضَّرَائبَ المُسْتَحَقَّةَ عليه بشَرطِ ألَّا يعْتَدِيَ المُسلمُون على مملَكَتِهِ، فقَبِلَ الوزيرُ ذلِكَ، ووفَّى كاوسُ حتَّى بقاءِ المَأمُونِ في خُرَاسَانَ.

ولَمَّا عَادَ المَأمُونُ إلى بغدادَ في سَنَة (202هـ) امتَنَعَ كاوسُ

(1) أو سروسانه Sptrushini وهو اللّفظ القديم (تركستان، بارتولد، ص165).

(2) لا يُعرف على وجه الدّقّة معنى هذا الاسم، ابن خلّكان، وفيَات الأعيَان.

(3) تركستان، بارتولد، 210.

(4) كان لقب الأفشين شاه أشروسانه، ابن خرداذبه مسالك الممَالك، ص14، التّرجمة، ص29.

عن دفْعِ أمْوالِ الصُّلحِ وكان عَامِلاً، وقَدْ زوَّج ابنَتَهُ مِن فضْلِ بن كاوسَ،[1] وحَدَثَ خِلافٌ بيْن خيدرَ معَ العَامِلِ المَذكُورِ، فقَتَلَ خيدرَ وهَرَبَ ثمَّ أظْهَرَ إسْلامَهُ وذَهَبَ فيمَا بعدُ إلى بغدادَ، وبَسَطَ للمَأمُونِ فَتْحَ اشروسنة، وصَادَفَ أن قُتِلَ في سَنَة (207هـ) طَاهرُ بنُ الحُسَيْنِ، فوَضَعَ المَأمُونُ ابنَ طَاهرٍ طلْحَةَ خليفَةً لأبيْهِ، وابتَعَثَ أحمَدَ بنَ خَالدٍ المسْؤولَ عن أحوَالِ الكُتَّابِ مع جيْشٍ عظِيمٍ مِن أجْلِ فَتْحِ أشروسنة، وكان معَه خيدرُ وبعْضٌ مِن أمَرَاء خُرَاسَانَ، وحِينَمَا وَصَلَ الخبَرُ إلى كاوسَ أرسَلَ ابنَه الفضْلَ إلى التُّركِ وطَلَبَ منْهُم المُسَانَدَةَ والمُسَاعَدَةَ، فَأمَدُّوهُ، فجاءَ أحمدُ بنُ خَالدٍ إلى أشروسنة مِن الطَّريقِ القصِيرِ الذي لا يعرِفُه العَرَبُ، وظَنَّ كاوس أنَّ أحمَدَ قد أخذَ الطَّريقَ القديمةَ الأبعَدَ، وأنَّه قد وَقَعَ في يدِ العَرَبِ. وحِينَمَا وَصَلَ هذا الخبَرُ إلى التُّركِ ذهَبُوا إلى الصَّحرَاءِ وحَرَّرُوا صَاحِبَهُم، إلَّا أنَّه مَاتَ في الصَّحْرَاء مِن شِدَّة العَطَشِ، فَالتَحَقَ فضْلُ بأبيْهِ. ولِذلِكَ فقَدْ ذهَبَ كاوس إلى بغدادَ واعتَنَقَ الإسْلامَ، فنصَّبَه المَأمُونُ حَاكِمَاً على ولايتِه، ثمَّ مَنَحَ ابنَه خيدرَ بعد موتِه لقبَ الأفشين.[2]

وبقِي خيدرُ بعد مَوتِ أبيه مع أخِيه الفضْلِ في بغداد، وحِينَمَا كان المَأمُونُ في دمشقَ سَنَة (215هـ) سَمِعَ أنَّ أهْل بشرودَ وهي كُورةٌ مِن كُور مصْر ثَارُوا، فقَالَ المعْتَصِمُ لأخيه: عليكَ الذَّهَابُ مع خيدرَ لإخضَاع هذا التَّمَرُّدِ، فَأرسَلَهُمَا إلى هنَاك، واسْتطَاعَا توطِيدَ الأمْنِ والقضَاءَ على مَوطِنِ الاضْطرَابِ في برقَةَ، وهي المَنطقَةُ الواقِعَةُ بيْن

(1) ويبدو أنّ هذا الاسم أُطلق فيما بعد.

(2) فتوح البلدان، ص430-431؛ اليعقوبيّ، التّاريخ، ج2، ص557؛ الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1165-1166؛ تركستان، بارتولد، ص210-211.

الإسكنْدَريَّة وأفْريقيًّا.[1] وفَتَحَ تلك المَنطِقَةَ في سَنَة (216هـ) ورَجَعَ إلى مصْرَ في السَّنة ذاتِهَا؛ وفي تلك السَّنة عصَى أيضاً أهْلُ حوفَ وبيمَا وبشرودَ،[2] فتحَارَبَا معَهُم وانتصَرَا عليهم، وحَضَرَ إليهم المَأمُونُ بنفْسِه وذَلِكَ في سَنَة (217هـ) وقضَى بالكامِلِ على المُتمُرِّدينَ. ولم يقُمْ الأقبَاطُ مِن ذلِكَ الوقْتِ بأيَّةِ ثوْرةٍ ضِدَّ العبَّاسِيِّين، وقَدْ غَلَبَ المُسْلمون على كُلِّ القُرى هنَاك،[3] ولِذلِكَ حَاز الأفشِينُ على شَوْكَةٍ وَمَنَعَةٍ.

وحِينَمَا توفِّي المَأمُونُ في جمَادى الثَّانيةِ من سَنَة (220هـ) وجَدَ المعتصِمُ الأفشِينَ خيرَ رجُلٍ لصَدِّ بابكَ، فَأرسَلَهُ مع أخيهِ الفضْل مِن بغدادَ إلى برزند، وبدَءا يُعِدَّانِ العُدَّةَ للحرْبِ، وزيَادةً على الأرْزاقِ والمُسَاعداتِ اليوميَّة التي كان يمنَحُهَا المعْتصِم للجيشِ فقَدْ أغدَقَ على الأفشِينِ عن كلِّ يوم يُقاتِلُ فيه عشَرَةَ آلافِ درْهَم، وخمْسَة آلافِ درْهم عن اليوم الذي لا قِتَالَ فيه![4] وتمَّت السَّيطَرَةُ على بذٍّ وهي مدينَةُ بابكَ في التَّاسِعِ مِن رمضانَ سَنَة (222هـ) وأخرَجُوا بابكَ في العَاشِر مِن شوَّال مِن سَنَة (222هـ) مِن مدينَة البرزند، واقتادُوهُ في يوم الخميسِ الثَّالثِ مِن صَفَرَ سَنَة (223هـ) مع أخيْه أسَارى إلى سَامرَّاء. فبذلِكَ قلَّدَ الخليفةُ الأفشِينَ اللَّباسَ الفَاخِرَ، وخلَعَ عليه الكثِيرَ مِن الخِلَعِ ومَنَحَهُ عشرين مليون درهَمٍ ، وأوْكَلَ إليه حكُومَة

(1) تونس حَاليَّاً.

(2) وهي كورة من كور ريف مصر.

(3) اليعقوبّي، ج2، ص569-568؛ الطّبريّ، القسم الثّالث، ص105؛ المقريزيّ، طبعة بولاق، ج2، ص294.

(4) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1233؛ المقدسّي، ج6، ص117؛ الكامل، ج6، ص338.

السِّند.[1] وقَدْ أنشَدَ فيه الأشْعَارَ شُعرَاءُ كبارٌ أمثالَ أبي تمَام الحَسَنِ بنِ الضَّحَّاكِ، فقَدْ نَظَمَ في فتوحَاتِه قصَائدَ كثِيرةً نَالَ بهَا هبَاتٍ جزيْلةً مِنَ المعْتَصِم.[2]

هَجَمَ تيوفييل بنُ ميخَائيلَ إمبرَاطورُ بيزنطَة في سَنَة (223هـ) على الأرَاضِي الإسْلاميَّة، وأسَرَ جمْعَاً كبِيرَاً مِن أهْلِ زبطرة سِرَّاً،[3] فعَزَمَ المعتَصِمُ على الذَّهَاب إلى عمُوريَّة، وأن يُعِيدَهَا، وأن يسَيْطِرَ على تلك المدينَةِ، وكان الأفشِينُ في ذَلِكَ الوقتِ قائِدَ جيشِهِ، فتَلاقَى في يوم الخميسِ لخمسَةِ أيَّام بقينَ مِن شهر شعبان سَنَة (223هـ) مع إمبرَاطور بيزنطَةَ وغَلَبَهُ، لكنَّه لم يقْضِ عليه أو يَأسِرَه، وأرَاد الإبقَاء على المَلِكَيْنِ.[4] فَازدَادَتْ بذلِكَ مكانةُ الأفشِينِ وقدرتُهُ في البَلاطِ، وحكَمَ خُرَاسَانَ في ذَلِكَ الوقت عبدُ الله بنُ طاهرٍ، وكان شبهَ مُسْتقلٍّ في ولايتِهِ، ولم يكُن للمعْتَصِمِ رغْبَةٌ في إدامَة حُكْمِهِ؛[5] لكنَّه لم يُظْهِرْ له ذلكَ، إلَّا أنَّ الأفشِينَ قد عَرَفَ تقريْباً مِن كَلام المعْتَصِم أو أنَّه سَمِعَ بإرَادَتِهِ في عزْلِ عبدِ الله مِن حكُومة خُرَاسَانَ، ولَمَّا غَلَبَ على بابكَ وبلَغَ مكَانَةً عُليَا في بلاَطِ الخَلِيفَةِ، استعَرَتْ مطَامعُه في خُرَاسَان! فقد ذكَرَ الطَّبريُّ أنَّ الأفشِينَ لَمَّا عَرَفَ أنَّ المَازيَار أصْبَهبَذُ طبرسْتانَ

(1) رَاجع الحكاية ببابك وورود الأفشين من كتاب أبي الفضل البيهقيّ في تاريخ المسعوديّ، طبعة طهرَان،1307 قمري (الطبعة الثّانية الدّكتور فيَّاض 2536 ش، ص186-169).

(2) الطّبريّ، اليوم المذكور، الأخبار الطّوال، ص400-401؛ كتاب البدء، ج6، ص118؛ المسعوديّ، ج7، ص132 وبعد ذلك.

(3) Sozopetra.

(4) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1124-1156؛ المسعوديّ، ج7، ص136.

(5) يُلحظ سبب عدم ميل الخليفة إلى عبد الله في كتاب زين الأخبار للكرديزيّ وتركستان بارتولد، عَام (208هـ).

لم يكُنْ على وفَاقٍ مع عبْدِ الله، وأنَّه كانَتْ له خُصُومَةٌ معه،[1] أرسَلَ رسَالةً إلى المَازيَار،[2] طمَّعَهُ فيهَا بالرِّئاسة والدَّهْقَنَةِ، وحرَّضَهُ على مُحَارِبَة عبدِ الله، ولمَّا انشَغَلَ المَازيَارُ بالتَّمرُّد سَعى الخليفة إلى منح حكُومَةِ خُرَاسَانَ إلى الأفشِينِ، ولمَّا بَدَأ المَازيَارُ بثورَتِهِ أو تمَرُّدِهِ ،أمَرَ المعْتَصِمُ عبدَ الله بنَ طَاهرٍ بصَدِّه، فكَتَبَ الأفشِينُ رسَالةً إلى المَازيَار طَلَبَ منه فيهَا أنَ يقِفَ في وجْهِ عبدِ الله، وكذلِكَ كتَبَ المَازيَارُ رسَالةً إلى الأفشِينِ؛ فتيَقَّن الأفشِينُ مَاذا يريدُ المَازيَارُ، ولذَلِكَ فقَدْ اضْطرَّ المعْتَصِمُ إلى أن يرسِلَهُ لصَدِّهِ.[3]

وفي سَنَة (224هـ) اسْتولى منكجورُ أخو زوجِ الأفشِينِ وخَليفتُهُ في أذربيجَان[4] على جُزْءٍ مِن أموالِ بابكَ في البَذِّ، ولم يرسِلهَا إلى الخَليفَةِ، فَأعلمَ عَامِلُ البريدِ الخَليفَةَ بذلِكَ فطَلَبَ الخَليفةُ الأمْوالَ. فَأرسَلَ منكجورُ رسَالةً كذَّبَ فيهَا خَبرَ عَامِلِ البريدِ، وظَلَّ يطَارِدُه مِن أجْلِ قتْلِهِ، ففَرَّ العَامِلُ إلى أردبيلَ، فلحِقَهُ منكجورُ وتحَاربَ مع أهْلِ المدينَةِ الذين دافَعُوا عن عَامِلِ البريْدِ، وقتَلَ عدَداً كبِيرَاً منهم.[5] ولمَّا علِمَ المعْتَصِمُ بذلِكَ أمَرَ الأفشِينَ بعزْلِ مَلكِ جور، فَأمَرَ هذا الأخِيرُ أبا السَّجَّادِ المعْرُوفَ بـ (ديوداد)[6] فَأرسَلَ جيشَاً مُفَاجئاً إلى

(1) حول الخصومة بين عبد الله والأفشين انظر الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1304–1305.

(2) حول رسالة الأفشين إلى المَازيَار، وهل هي صحِيحةٌ أو غير صحِيحةٍ. رَاجع الصّفحَات القادمة.

(3) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1269، ص1205.

(4) تاريخ اليعقوبِّي، ج2، ص583.

(5) اليعقوبِّي، يذكر أنّه حِيناً تمرّد ملك جور التفّ حوله أصحَاب بابك.

(6) وهو منسوبٌ إلى أسرة السّاجيّين. انظر: كسروى، الملوك المجهولون، الطبعة الثّالثة، 1353، ص164.

أذربيجَانَ، غيْر أنَّ أعداءَ الأفشِينِ اتَّهَمُوه عند الخليفَةِ، وقَالَوا له: إنَّ منكجور قد تمَرَّدَ بأمْرِ الأفشِينِ، وطَلَبَ مسَاندة دندار، فَأمَرَ المعْتَصِمُ (بغا) بصَدِّ منكجور؛ وحِينمَا سمِعَ منكجورُ هذا أعلنَ عصْيَانَه! فَاجتَمَعَ حولَه أتباعُ بابكَ، وقَدْ خَرَجَ مِن أردبيل وتقاتَلَ مع (بغا) ولَمَّا انهزَمَ فرَّ إلى الجبَالِ، واسْتقرَّ في قلْعَةٍ كانَ بابكُ قد خرَبهَا، وحَاوَلَ بنَاءَهَا وتحصِينَهَا، ولكنْ بعد بضْعة أسَابيع، اختَلَفَ معَه أتباعُه، وثارُوا عليه في القلْعَةِ، فَاسْتطاع (بغا) إلقاءَ القبْضِ عليه في سَنَة (225هـ) وأرسَلَه إلى المعْتَصِمِ في سَامرَّاء، ثمَّ أُلقِيَ في السِّجْن.[1]

وقَدْ عَمِلَ بعْضٌ مِن الأشْخَاصِ في ذَلِكَ الوقْتِ على الضِّدِّ مِن الأفشِينِ، وكان مِن جُملَتِهِم عبدُ الله بنُ طاهرٍ الذي سَعى إلى إفهَام الخَليفَة أنَّ سَبَبَ تمَرُّدِ المَازيَار هو الأَفشِينُ،[2] ويبْدُو أنَّ أوَّلَ مَن أثَارَ هذا الأمْرَ وعَمِل عليه هو أحمَدُ بنُ داودَ الذي كان له تأثِيرٌ كبِيرٌ على الخَليفَة.[3]

سبَّبَ للأفشِينِ تعلُّقُه بإيرَانَ والأشَيَاءِ المُرتَبطَةِ بهَا العَداوةَ مع العَرَبِ! ففي روايَةٍ يوردُهَا أبو الفَرَجِ الأصْفهَانيُّ، تظْهرُ نيَّةَ الأفشِينِ بقَتْلِ أبي دُلَفٍ قاسمِ بنِ عيسَى العجليِّ،[4] ويذْكُرُ كتابُ الأغاني في

(1) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1301-1302؛ اليعقوبّي، ج2، ص538 يذكر هذا المؤلف أنّ منكجور قد طلب الأمَان من (بغا) فمنحه (بغا) الأمَان.

(2) إنّ عداوة عبد الله والمازيَار مع الأفشين والسّيَاسة المتّبعة في تلك المدّة كانت من أجل ضرب أحدهما بالآخر.

(3) سبط ابن الجوزيّ يذكر في مرْآة الزّمَان f115a إنّ سبب غضب الخليفة على الأفشين وحبسه هي العداوة التي بين عبد الله بن طاهرٍ وابن أبي داود.

(4) نقل هذه الرّواية صَاحب الأغاني (طبعة بولاق ج7، ص154)؛ وكذلك تنَاولهَا الكثير من المؤلّفين الآخرين من جملتهم التّنوخيّ في (الفرج بعد

هذا أنَّ السَّببَ الرَّئيسَ في عدَاوةِ أحمدَ بنِ أبي داودَ مع الأفشِينِ أنَّ أبا دُلَفٍ كان مِن عظَمَاءِ العَرَبِ، وكانت له قلعَةٌ مُحَصَّنةٌ في كُرجَ بين همَدانَ وأصْفهَانَ، وعند شُروعِ الحرْبِ بيْن الأفشِينِ وبابكَ، سَخَّر جيشُه معظَمَ الصَّعَاليك الذين سَاندُوا الأفشِينَ؛ لكنْ لا يُعرفُ على وجْهِ الدِّقَّةِ سَبَبُ تلك العَدَاوةِ.[1] وتمكَّن الأفشِينُ مِن أن ينتزِعَ مِن المعْتَصِمِ بسْرعةٍ حكْمَ قَتْلِ أبي دُلَفٍ؛ لكنَّ المعْتَصِمَ ندِمَ على فَعْلَتِهِ، وأوْكَلَ الأمْرَ إلى أحمدَ بنِ أَبِي داودَ، قاضِي القضَاةِ، فحَمَلَ أحمدُ كتابَ النَّجاةِ بسُرعةٍ إلى بيتِ الأفشِينِ، لكنْ على الرَّغْم مِن إلحَاح أبي داودَ في العفْوِ عنْه إلَّا أنَّ الأفشِينَ لم يَقْبَلْ، وقَالَ: إنَّ هذا الرَّجلَ قد وَصَلَ إلى المَوْتِ. فقَالَ له أحمَدُ: إنَّ أبَا دُلَفٍ مِن فرسَانِ العَربِ وأشْرَافِهم فَاعْفُ عنه، فَإنْ لم تقْبَلْ ذَلِكَ فَاعفُ عنه مِن أجْلِ العَرَبِ؛ فلا تعلَمُ عن عَلاقَةِ ملُوكِ الفُرْسِ بمُلُوكِ العَرَبِ ومَا صَنَعَ كِسْرَى أنوشروانَ للنُّعَمَانِ عندمَا أعَادَهُ إلى المُلْكِ،[2] وأنتَ اليومَ مِن سُلالة الإيرَانيِّين فَاعفُ عن شَريفِ العَرَبِ».[3]

وتوسَّلَ أحمَدُ وقبَّلَ رَأسَ الأفشَينِ واستسْمَحَهُ في العفْو عن أبِي دُلّفٍ، فلم يقْبَلِ الأفشِينُ. ولَمَّا رأى أحمدُ أنَّه لم يوفَّقْ في إطْلاقِ سَرَاح أبِي دُلَفٍ لجَأ إلى الكَذِبِ على الأفشِينِ وقَالَ له: إنَّ الخليفَةَ

الشّدة)، ج2، ص67-69؛ والبيهقيّ في تاريخ المسعوديّ؛ ص168 الطّبعة الثّانية، ص213-221.

(1) حول أحمد بن داود قاضي القضاة رَاجع كتاب وفيَات الأعيَان، طبعة مصر، ج1، ص37.

(2) لَمَّا أصبح أنوشروان ملكاً أرجع ملك الحِيرة المنذر بن امرئ القيس إلى الملك (كتاب البدء والتّاريخ ،ج3،ص168). وللاطّلاع مفصّلاً انظر حكومة قبَّاذ وحركة مزدك، ص45و76و124.

(3) التّنوخيّ الفرج بعد الشّدّة ،الفصل الثّاني، ص68.

أمَرنِي بأنْ تُحْضِرَ أبا دُلَفٍ إلى بَلاطِه! وبذلِكَ نجَا أبو دُلَفٍ. وقد تسبَّب اسْتخفَافُ الأفشِينِ بقاضِي القضَاة إلى عَدَمِ رضَا الكثِيرِ مِن أصْحَابِ المنَاصِبِ في البَلاطِ، ممَّا جعَلَهُم يؤلِّبُون الخليفَة المعْتَصِمَ عليْه، فنَقَلُوا للمْعتَصِمِ: إنَّه نوَى قتْلَكَ لمَّا تقَاتَلَ مع المَازيَار. فقَالَ لهم الخليفَةُ: كيف أسْتَطِيعُ أن أتحَقَّق مِن أقْوالكُم؟ فقَالَوا له: أرسِلْ إلى كاتبِهِ شَابورَ وهَدِّده ليعْتَرِفَ لك بذلِكَ. فَأحضَرَ المعْتَصِمُ كاتبَ الأفشينِ ليْلاً وعن طَريقِ التَّرغِيبِ والتَّرهِيبِ سَأَلَه عن ذلِكَ، فقَالَ له: إنَّه بخَطِّهِ كَتَبَ رسَالةً إلى المَازيَار بأمْرِ الأفشِينِ، فَأعطَاُه المعْتَصِمُ مَالاً، وأمَرَهُ بألَّا يذْكُر لأحَدٍ هذا اللِّقَاءَ.[1]

ويبْدُو أنَّ تهْمَةَ الرِّسَالة التي كتبَهَا الأفشِينُ إلى المَازيَار مِن صِنَاعة خصُوم الأفشِينِ، وأنَّها أثَّرتْ في قلْبِ المعْتَصِمِ، فعَزَلَهُ عن قيَادة الجيشِ؛ ولكنَّ الأفشِينَ عندمَا أحَسَّ بذلِكَ، بَدَءَ يُعِدُّ العُدَّةَ للمواجَهَة؛ فَأخَذَ يقُوم ببعْضٍ مِن المُضَايقاتِ للمعْتَصِمِ عندمَا كان يسيرُ مع أفرَادِ جيشِه في مَنْطِقَةِ المَوْصِلِ، إلَّا أنَّ المعْتَصِمَ اسْتطَاعَ مِن خلال بعْضٍ مِن الحِيلَةِ أن يسَيْطِرِ على الأفشِينِ، فَأمَرَ بحبْسِهِ، وكان ذَلِكَ في الرَّابع مِن ذي القِعْدة سَنَة (225هـ) أي قَبْلَ يوم واحِدٍ من مَوتِ المَازيَار.[2] وقَدْ كَتَبَ المعْتَصِمُ إلى عبدِ الله: اقْبِضْ بالحِيلَةِ

(1) مرْآة الزّمَان، سبط بن الجوزيّ،F115a؛ كذلك مروج الذّهب، ج7، ص138.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1303. يذكر أنّ المعتصم جلس في يوم الخميس من ذي القِعدة عَام 225 في دار العَامّة وأمر أن يجلس المَازيَار والأفشين ليتقابلوا معهم وفي الرَّابع من ذي القِعدة حبسه، يذكر سبط ابن الجوزيّ في مرْآة الزّمَان F119a. ويذكر عن ابن الصّوليّ أنّ المَازيَار قد دخل سامرَاء في شوّال وعلى قولٍ إنَّ ذَلِكَ كان في ذي القِعدة وأنّ الأفشين قد حُبس يومَاً قبله؛ ويذكر الطّبريّ كذلك في القسم الثّالث، ص1303 إنّ

على الحَسَنِ بنِ الأفشِينِ وقيِّدْه. فَأمَرَ عبدُ الله عَاملَه نوحَاً بنَ أسَدٍ،[1] فَألقَى القبضَ على الحَسنِ وأرسَلَهُ إلى سَامرَّاء.[2]

وأمَرَ المعْتَصِمُ بإحضَار الأفشِينِ مِن أجلِ محَاكَمَتِه أمَام مدَّعيْه، فجَمَعَ لذَلِكَ محَمَّداً بنَ عبدِ المَلكِ وزيرَ المعْتَصِمِ، وابنَ أبِي داودَ، وإسْحَاقَ بنَ إبرَاهيمَ، وسَائرَ الأشْرَافِ، وأحضَرَ أمَامَهُم الأفشِينَ؛ وكان رئِيسُ المحْكَمَةِ ابنَ الزَّيَاتِ، وحَضَرَ المَازيَار أيضَاً، والمَوبذُ، والمرزبانُ ابنُ التُّرْكِ، وهو مِن ملُوك الصَّغد، ورجلانِ مِن أهْلِ الصَّغد كذلِكَ. فدعَا ابنُ الزَّيَّاتِ هذين الرَّجلينِ وقَالَ لهُمَا: اكشِفَا عن حَالِكُمَا، فَأبرزا ظَهْرَيْهمَا اللّذَيْن كانَا مجْرُوحَيْن. فقَالَ للأفشِينِ: أتعرِفُ هذَيْن الرَّجلَيْنِ؟ قَالَ: نعَم، الأوَّلُ مُؤذنٌ والثَّاني إمَامٌ، وقَدْ أذَّن الاثنَانِ في مسْجِدِ أشرسونة، وأنَا قد ضَرَبْتُ كُلَّ واحِدٍ منْهمَا ألفَ سَوْطٍ وذَلِكَ لوجُود اتِّفَاقٍ بيْني وبيِن مَلكِ الصَّغد على أنَّ كلَّ إنسَانٍ أو كلَّ قَومٍ أو طَائفةٍ تعْدِلُ عن ديْنهَا يكونُ هذا جزَاءَهَا، فهذانِ الرَّجُلانِ قد حَمَلَا على أصْنَام أهْلِ أشرسونة وأخرجَاهُم عن عبَادةِ تلكَ الأصْنَام، وقَدْ بنَوْا مكَانهَا مسْجداً، فقُمْتُ لذَلِكَ بضَربهمَا بالسَّوطِ لتجَاوزِهمَا ومنْعِهِمَا الآخَرينِ مْن العِبَادَة.

المَازيَار قد دخل سامرَاء في شهر شوّال وأنّه قُتل في الخَامس من ذي القِعدة.

(1) يبدو أنّ نوحَاً هذا هو عمّ إسماعيل السّامَانّي الذي كان عَاملًا على سمرقند من قِبل غسّان بن سنباد أمير خرَاسان في زمن المَأمون وقد بقي حتّى ذَلِكَ الوقت في موقعه، زين الأخبار، طبعة طهرَان، 1363، ص196.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث، 1305، 1308، ورَاجع كذلك تاريخ طبرستان ابن اسنفديَار F101b102a وترجمة براون ص154–156؛ لكن لا توجد هنَالك دقّةٌ حول صحّة هذه الرّواية، وقد ذكر برَاون أنّ الأسباب الحقيقيّة لحوادث الأفشين أسبابٌ سيَاسيّة وليست دينيّةً. تاريخ الأدب في إيرَان، ج1، ص443.

فقَالَ له محمَّدٌ: هذا الكتَابُ الذي هو بيْنَ يديكَ والمُطرَّزُ بالذَّهبِ والنُّقوشِ، هل هو كتابُ كُفْرٍ؟ قَالَ: هذا كتَابٌ ورِثْتُه عن أبِي، وفيه جمْلَةٌ مِن آداب الإيرَانيِّين، وفيه أشْيَاءُ قد تدعُو إلى الكُفْر، ولكنِّي تركْتُهَا جَانبَاً، وأفدْتُ مِن الأشْيَاء المفِيدَةِ، وهو قد لا يبْتَعِدُ كثِيرَاً عن كتابِ كليلةَ ودِمْنة[1] وكتَابِ مروكَ،[2] وأنَا أحتفِظُ بهذيْنِ الكتَابينِ في بيتِي.

ثمَّ تقدَّم المُوبذُ وقَالَ: إنَّ هذا كانَ يَأكُلُ المخْنُوقَةَ، ويحْمِلُنِي على أكْلهَا، ويزْعُمُ أنَّهَا أرطَبُ لحْمَاً مِن المذْبوحَة، وكان يقتُلُ شَاةً سَوداء كلَّ يَوم أربِعَاء، ويضْرِبُ وسَطَهَا بالسَّيفِ، ثمَّ يمشِي بيْن نصْفَيهَا ويَأكلُ لحْمَهَا. وقَالَ لي يَومَاً: إنِّي قد دَخَلتُ لهؤلاءِ القَوْمِ في كُلِّ شَيءٍ أكْرَهُهُ، حتَّى أكلْتُ لهم الزَّيتَ، وركِبْتُ لهم الجمَلَ، ولبسْتُ لهُم النَّعلَ، إلَّا أنِّي إلى هذهِ السَّاعَة لم تسقُطْ عني شَعرةٌ ـ يعنِي لم يخْتَتِنْ. فقَالَ الأفشِينُ: أخبِرونِي عن هذا الذي يتكَلَّمُ بهذا الكَلام، أثِقَةٌ هو في دِيْنِهِ؟ ـ وكان المُوبذُ مجُوسِيَّاً أسْلَمَ عن قَريبٍ على يد المُتوكِّلِ ونَادَمَهُ[3] ـ قَالَوا: لا، قَالَ: فمَا معْنى قبُولكُم شَهَادَةَ مَن لا تثقُونَ به

(1) هذا الكتاب تُرجم من البلهويّ إلى العربّي وأخذ شهرةً واسعةً بين العرب والإيرَانيّين وقد ترجمه شعرَاً أبان بن عبد الحميد اللّاحقيّ، ص119، وآخرين مثل سهل بن هَارون وألّف كذلك رَامنويه كتابا مثل كليلة، الفهرست، ص306–305.

(2) وقد كتب معظم الكتّاب أنّ اسم هذا الكتاب هو مزدك وهو النّبيّ المعَاصر لقباذ وأنوشيروان وأنّ الكتاب اسمه (كتاب مزدك) ويبدو أنّ هذا غير صحِيح، فَإنّه ورد في أصل نسخة= =الفهرست نوروك، واسم نوروك هو اسمٌ قدّيمٌ يعود إلى العصر الأشكانيّ، كمَا ذكره صَاحب كتاب اليتيمة أي الثّعَالبيّ في يتيمة الدّهر، ج4، ص275؛ وتاريخ حمزة الأصفهَانيّ، ص30.

(3) هذا الموبذ الزّرَدَشْتيّ كان اسمه أذر خور ولمّا اعتنق الإسلام أصبح اسمه أبو جعفر محمّد بالموبذ المتوكّل، رَاجعه (المَازيَار تأليف مينوي، ص67)

ولا تُعدِّلُونَه؟! ثمَّ أقبَلَ على المُوبذِ، فقَالَ: هل كانَ بينَ منزلِي ومنزلِكَ بَابٌ أو كُوّةٌ تطَّلعُ عليَّ منهَا وتعرفُ أخبَاري؟ قَالَ: لا. قَالَ: أفليسَ كنْتَ تدْخُلُ عَلَيَّ وأبثُّكُ سِرِّي وأخْبرُكَ بالأعْجَميَّةِ ومَيْلي إليهَا وإلى أهْلهَا؟. قَالَ: بلى. قَالَ: فلسْتَ بالثِّقةِ في دِيْنِكَ ولا الكَريْم في عهْدِكَ إذ أفشَيْتَ سِرَّاً أسْررتُه إليكَ.

ثمَّ تنحَّى المُوبذُ وتَقدَّمَ المرزِبانُ بنُ تركشَ،[1] فقَالَ للأفشَينَ: هل تعْرفُ هذا؟ قَالَ: لا. فقيلَ للمرزِبان: هل تعرفُ هذا؟. قَالَ: نعَم، هذا الأفشِينُ، هذا المرزِبانُ، فقَالَ له المرزِبان: يَا مُخرِّقُ، كم تُدافعُ وتموِّه!. قَالَ له الأفشِينُ: يَا طَويلَ اللِّحِيْة مَا تقُول؟ قَالَ: كيف يكْتُبُ إليكَ أهْلُ مملكَتِكَ؟ قَالَ: كمَا كانُوا يكتُبُونَ إلى أبِي وجَدِّي. قَالَ: فقُلْ. قَالَ: لا أقولُ. قَالَ المرزِبانُ: أليسَ يكتُبُونَ إليكَ بكذا وكذا بالأشروسنيَّة؟. قَالَ: بلى. قَالَ: أفليسَ تفسُيره بالعربيَّةِ إلى الإلهِ إلهِ مَنْ عَبَدَه فُلانُ بنُ فُلانٍ. قالَ: بلى. قَالَ محمَّدُ بنُ عبدِ الملك: والمسْلمونَ يحتمِلُونَ أنْ يُقَالَ لهُم هذا؟ فمَا أبقيْتَ لفرعَونَ حِينَ قَالَ لقومِهِ (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعلَىٰ)؟!.[2] قَالَ: كانتْ هذهِ عَادَةَ القَومِ لأبِي وجَدِّي، وليَ قبْلَ أن أدْخُلَ في الإسْلام، فكَرِهْتُ أن أضَعَ نفْسِي بينَهُم، فتَفْسُدَ عليَّ طَاعتُهم. فقَالَ له إسْحَاقُ بنُ إبرَاهيمَ بنِ مصْعَبٍ: ويحَكَ يَا خِنْزيرُ! كيفَ تحلفُ باللهِ ونُصَدِّقُكَ ونصَدِّقُ يمِينَكَ

ومعجم البلدان، يَاقوت، ج3، ص185؛ وكذلك ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص247؛ وجمَال زاده، صحِيفة كاوه،1920، العدد 4-5، ص9، تعليق4، حكومة قبّاذ، ص85؛ الآثار الباقية، ص222 ص223.

(1) تُنسب قرية مرزبان في السّغد إلى هذه المرزبان (تركستان، بارتولد، ص95).

(2) القرْآن، سورة 79 أية 24.

ونجْريَكَ مجْرَى المُسْلِمِينَ وأنتَ تدَّعِي مَا ادَّعَى فرعَونُ؟!. قَالَ: يَا أبا الحُسَيْنِ، هذه سُورةٌ قَرَأهَا عُجَيْفٌ على عَلِيِّ بنِ هِشَامٍ، وأنتَ تقرَؤهَا عَلَيَّ، فَانظُرْ غداً مَن يقرَؤهَا عليْكَ!. قَالَ: ثمَّ قَدِمَ مازيَارُ صَاحبُ طبرِسْتانَ، فقَالَ للأفشِينِ: أتعْرفُ هذا؟. قَالَ: لا. فقَالوا للمازيَار: أتعرفُ هذا؟. قال: نعم، هذا الأفشِينُ. فقَالوا: هذا المازيَار. قَالَ: نعَم قد عَرَفْتُه الآن. قَالُوا: هل كاتَبْتَه؟. قَالَ: لا. قَالُوا للمازيَار: هل كتَبَ إليكَ؟. قَالَ: نعَم، كتَبَ أخُوه خَاشُ إلى أخيه كوهيَار أنَّه لم يكُن ينصُرُ هذا الدِّينَ الأبيضَ غيْري وغيْرُكَ وغيْرُ بابكَ، فَأمَّا بابكُ فَإنَّه بحَمَقِهِ قتِيلُ نفْسِهِ، ولقَدْ جهدْتُ أن أصْرفَ عنه الموتَ، فَأبى حَمَقُهُ إلَّا أن يكون دلَّالَه إلى أنْ وقَعَ فيه، فَإنْ خَالفتُه لم يكن للقَوم مَن يرمونَكَ به غيْري ومعِي الفُرسَانُ وأهْلُ النَّجدة والبَأسِ، فَإنْ وجَّهتُه إليَه لم يبقَ أحَدٌ يحَاربُنَا إلَّا ثَلاثٌ: العَربُ والمغَاربَةُ[1] والأتْرَاكُ؛ والعَرَبُ بمنْزِلَةِ الكلْبِ أطْرَحُ له كِسْرةً ثمَّ أضْرِبُ رَأسَهُ بالدُّبُّوسِ، وهَؤلاءِ الذُّبَابُ، يعنِي المَغَاربةَ، إنَّما هم أَكْلَةُ رَأسٍ، وأولادُ الشَّيَاطِينِ يعني الأتْرَاك فَإنَّما هي سَاعةٌ حتَّى تَنْفَدَ سِهَامُهُم، ثمَّ تجُولُ الخيْلُ عليهِم جولَةً فتَأتِيَ على آخِرهِم، ويعُودُ الدِّينُ إلى مَا لم يَزلْ عليه أيَّام العَجَم. فقَالَ الأفشِينُ: هذا يدَّعِي على أخيْهِ وأخِي دعْوى لا تجِبُ عليه، ولو كُنْتُ كتَبْتُ له الكِتَابَ لأسْتَميلَهُ إليَّ ويَثِقَ بنَاحِيتِي لكَانَ غَيْرَ مسْتنْكَرٍ؛ لأنِّي إذا نَصَرتُ الخليفَةَ بيَدي كنْتُ بالحِيْلَة أحْرى بأنْ أنصُرَه لآخُذَ بقَفَاهُ وآتِي به الخليفَةَ لأحظَى به عنْدَهُ كما حظِيَ به عبْدُ اللهِ بنُ طَاهرٍ عنْد الخليفَةِ. ثمَّ نُحِّي المَازيَار.[2]

(1) ويُقصد بهم أهل الشّمَال وشمَال غرب أفريقيَّا من العرب والبربر.

(2) الطّبريّ، القسم الثّالث ، ص1308–1311؛ ابن الأثير، ج6، ص362.

ويبْدُو أنَّ الرِّسَالةَ التي كتبَهَا الأفشِينُ إلى المَازيَار بحَسَبِ روايَة الطَّبريِّ ليسَتْ دقِيقَةً وثابتَةً،[1] حَيْثُ يذكُرُ ابنُ اسفنديَار أنَّ المَازيَار قَالَ لعبدِ الله بنِ طَاهرٍ: «اعْلَمْ أنِّي والأفشِينَ وخيدرَ بنَ كاوسَ [كذا] وبابكَ قد تعَاهَدْنَا منذُ زمَنٍ بعيدٍ، وتعَاقدنَا على أن نُسقِطَ دولةَ العرَبِ، وأنْ نعِيدَ المُلكَ إلى أسْرَة الأكاسِرَةِ».[2]

---

(1) فيُعرف من الفقرة الواردة في القسم الثّالث، ص1296 أنّ الأفشين قد كاتب المَازيَار وكذلك المَازيَار قد كاتب الأفشين ويُعلم هذا تحديداً من الفقرة الموجودة في ص1259 والصّفحة الموجودة 1303 والصّفحة الموجودة 1305، أمَّا الفقرة الموجودة في الصّفحة 1298 فلا يظهر أنّ الأفشين قد كاتب المَازيَار غير أنّه في الفقرة ص12 –1311 ويُلحظ ضمن محَاكمة الأفشين أنّ أخَاه (خَاش) وهو أخو الأفشين قد تكاتب مع كوهيَار وهو أخو المَازيَار، ويبدو أنّ هذا ممكنٌ؛ ـ لأنّه كمَا يُعتقد ـ إنّ أخا المَازيَار كوهيَار قد كان في صدد الخيَانة، وكان يعمل بالضّدّ من المَازيَار فنسب هذه الرّسالة إلى خَاش والأفشين وعلى العموم فَإنّ صحّة هذه الرّواية تبقى محلّ شكٍّ.

(2) F101d وقد ذكر المقدسّي هذا المطلب أيضاً (ج6، ص 119، ترجمة، ص117) ويُلحظ في الكتب الإسلاميّة أيضاً فقرَاتٍ متعدّدةً حول هذا، ففي القرنين الثّالث والرَّابع الهجريّين شاعت روايَاتٌ حول عودة الملك والسّلطة إلى الإيرَانيّين، وأنّهم يحكمون كامل المَمالك، ويمكن تقسيم تلك الرِّوايَات على أقسام عديدة:
1- فَالأولى مرتبطةٌ بالنّبوءات التي تصدر بعودة دين زَرَدَشْت كلّ ثلاثة آلاف سنة، والتي يظهر فيهَا موعودٌ، وهذه الفكرة مرتبطةٌ بفكرة المهدويّة والمتعلّقة أيضاً بتجديد الدّين الإيرَانيّ الزَّرَدَشْتيّ القديم، وليس ببعيدٍ تأثير التّنجيم على هذه الفكر والعقائد.
2- القسم الثّاني هي الرّوايَات المتعلّقة بحسابات الأفلاك والنّجوم، وفي مجملهَا تعابير سيَاسيّة، لاسيّما المتعلّق منهَا بعودة الملك إلى الإيرَانيّين، وسقوط السّيطرة العربيّة واضمحلالهَا، ويظهر هنَا بشكلٍ واضحٍ الاتّحاد بين الدَّولة والدّين التي كانت أحد ملامح تاريخ إيرَان القدِيم.
3- القسم الثّالث: وهي المتعلّقة بإحِياء الدّين الإيرَانيّ القديم؛ ولكن يظهر أنّ هؤلاء الأشخَاص الذين يقومون على هذا الأمر قد تمظهروا بالإسلام واعتقدوا ببعضٍ من عقائده؛ ولكنّهم في الدّاخل عمدوا الى إدخَال العقائد

وذكَرَ في مكَانٍ آخَرَ: «إنَّ المَازيَار سَأله: لمَاذا خَلَعْتَ الطَّاعَة؟ فقَالَ: عندمَا أُعطِيتُ ولايةَ طَبرسْتانَ عَصَتْ النَّاسُ. ثمَّ أجَابَه ثمَّ تحَاربَ معه؛ فقَالَ الخليفَةُ: أيُّ شَخصٍ كتَبَ هذا الجوابَ؟. قَالَ المَازيَار: الأفشِينُ.[1]

ومع أنَّ وجودَ هذا الجَوابِ الذي جاءَ في روايَةِ ابنِ أسفنديَار ذو طابَّعٍ قَصَصيٍّ، فَإنَّ مِن الصَّعبِ الاعتمَادَ عليه؛ ولِذَلِكَ نلحَظ أنَّ كَثيراً مِنَ المُؤرِّخِين القُدامى لا يقبلُونَ هذا الرَّأي. إذ يذكُرُ اليعقوبيُّ: «إنَّ محمَّداً بنَ عيسَى قَالَ: قَدِمَ المَازيَارُ وقَدْ حُبسَ الأفشِينُ في ذَلِكَ

الإِيرَانيّة القديمة.

4- الرِّوايَات المتعلّقة بإسحَاق في كتاب ابن النّديم، لاسِيّما حول خبر زَرَدَشْت ومجيئِه وإصلاح الدّين وأمرِ أبي مسلم... تُعدّ من بين الرّوايَات النّوع الأوّل التي يمكنَ لحظهَا في المَصَادر الآتية: (الجاحظ، ص162؛ كتاب التّنبيه والإشرَاف، ص98-99 وص108؛ الشّهرستانيّ، الملل والنّحل، ص188. أمَّا روايَات القسم الثّاني فيمكن لحظهَا في الكتب الآتية: مروج الذّهب، ج6، ص28؛ الفَرق بين الفِرق، 271-273؛ الآثار الباقية، ص132 ص213؛ كتاب البدء والتّاريخ، ج2، ص194؛ وكتاب البدء والتّاريخ، ج 6، 115-116؛ الآثار الباقية، ص132؛ كتاب التّنبيه والإشرَاف، ص354، أمَّا روايَات القسم الثّالث فيمكن لحظهَا في المصَادر الآتية: الفَرق بين الفِرق البغداديّ، ص269-271، ص277-278؛ كتاب البدء والتّاريخ، ج5، ص133 والصفحَات التي بعدهَا؛ الآثار الباقية، ص213؛ بيَان الأديَان، ص37؛ فهرست ابن النّديم، ص118؛ أمثال السّمعَانيّ، t512b؛ تلبيس إبليس، ص212؛ كتاب الفصل في الملل والأهواء والنّحل ابن حزم، طبعة القاهرة،1347 الجزء الأوّل، ص36؛ كتاب المنتظم وهذا منقولٌ من مجلّة الدّرَاسات الشّرقية، rf.ot سنة 1932 (ص264-265 و ص 158؛ كتاب الفصل لابن حزم، ج2، ص91؛ كتاب الخطط للمقريزيّ، ج2، ص462؛ كتاب التّنبيه والأشرَاف، ص395، كتاب جهَان كشاه جوينيّ، طبعة طهرَان، ج3، 82، ومَا بعدهَا.

(1) F102a.

الوقتِ، فجَمَعَ ابنُ داودَ بيْنَه وبيْنَ المَازيَار، وقَالَ له: هذا الأفشِينُ الذي زعَمْتَ أَنَّه حَمَلَكَ على العصْيانِ. فقَالَ له الأفشِينُ: واللهِ إنَّ الكذِبَ بالسُّوَقَةِ لقَبِيحٌ، فكيفَ بالمُلوكِ؟! واللهِ لا ينجِيكَ كَذبُكَ مِن القتْل، فلا تَجْعلْ الكَذبَ خَاتِمَةَ أَمْرِكَ، فقَالَ المَازيَار: واللهِ مَا كَتَبَ إليَّ ومَا رَاسَلنِي، إلَّا أنَّ أبَا الحَارثِ وكيلي أخبَرَنِي أَنَّه لَمَّا قَدِمَ إليّ وقَّرَهُ وأكْرَمَهُ.[1] ولَمَّا قَالَ الأفشِينُ للمَازيَار التَّركشيِّ مَا قَالَ، وقَالَ: لإسْحَاقَ بنِ إبرَاهيمَ مَا قَالَ، زجَرَ ابنُ أَبِي داودَ الأفشِينَ. فقَالَ له الأفشِينُ: أنتَ يَا أَبَا عبدِ الله ترفَعُ طيلسَانكَ بيدكَ فلا تضَعُهُ عن عَاتِقِكَ حتَّى تَقتُلَ به جمَاعَةً. فقَالَ له ابنُ أبي داود: أمختُونٌ أنتَ؟. قَالَ: لا. قَالَ: فمَا مَنَعَكَ مِن ذَلِكَ وبِه تمَامُ الإسْلامِ، والطُّهُورُ مِن النَّجاسَةِ؟!. قَالَ: أوَ ليسَ في الدِّيْن الإسْلاميِّ اسْتعمَالُ التَّقيَّةِ؟! قَالَ: بلى. قَالَ: خفْتُ أنْ أقطَعَ ذَلِكَ العضْوَ مِن جسَدي فَأموتَ، قَالَ: أنتَ تطعَنُ بالرُّمْح، وتضْربُ بالسَّيفِ فمَا مَنَعَكَ أن تكُونَ في الحرْبِ وتجْزَعَ مِن قطْع قُلْفَةٍ؟!. قَالَ: تلك ضُرورةٌ تعنِّينِيْ فَأصْبرُ عليهَا إذا وقَعَتْ، وهذا الشَّيءُ أستجلِبُهُ فلا أُعْمِلُ معه شَيئاً فيه خُرُوجُ نفْسِي، ولم أعْلَمْ أنَّ في تَركهَا خرُوجاً مِن الإسْلام.

فقَالَ ابنُ أبِي داودَ للحَاضِرين: رَأيتُم فِعْلَهُ؟!. فقَالَ لي: احمِلْهُ، فضَرَبَ (بغا) يدَهُ على مِنطَقَتِه فجَلَبَهَا. فقَالَ: قد كنْتُ أتوقَّعُ هذا منْكُم قَبْلَ اليوْم. فقَلَبَ (بغا) ذيلَ القَبْاءِ على رَأسِها، ثمَّ أخَذَ بمَجَامِعِهَا على رَأسِه، ثمَّ أخَذَهَا عندَ عُنُقِهِ. ثمَّ أخرجَه من بابِ الوَزيريِّ إلى محْبِسِهِ،[2] وطَلَبَ الأفشِينُ مِن المعْتَصِمِ أن يرسِلَ إليْه

(1) تاريخ اليعقوبّي، ج2، ص583.

(2) القسم الثّالث، ص1311-1313، ابن الأثير، ج6، ص365-367؛

شَخْصَاً ثِقَةً يطْمِئِنُّ إليْه، فَأمَرَ المعْتَصِمُ حمْدُونَ بنَ إِسْمَاعيلَ، وكان حَمْدونُ في أيَّام الْمُتوكِّلِ في حَبْسِ سُليمَانَ بنِ وهبٍ بحبْسِ الأفشِينِ، فحَدَّثَ بهذا الحدِيثِ وهو فيه. قَالَ حمْدُونُ: فبَعَثَ بـه المعْتَصِمُ إلى الأفشِينِ، فقَالَ لي: إنَّه سيطُولُ عليكَ فلا تَحْتَبِسْ. قَالَ: فدَخَلْتُ عليه وطَبَقُ الفَاكِهَةِ بين يديْه لم تمَسَّ منهُ واحِدَةٌ فمَا فوقَهَا؛ فقَالَ لي: اجْلِسْ. فجَلَسْتُ، فَاسْتمَالنِي بالدَّهقَنَةِ، فقُلْتُ: لا تُطِلْ غَيْبَتَكَ، فَإِنَّ أمْرَ أميرِ الْمُؤمنينَ قد تَقَدَّمَ إليَّ ألَّا أحتَبِس عنْدكَ، فَأوْجِزْ. فقَالَ: قلْ لأمِيرِ الْمُؤمنينَ: أحْسَنتَ إليَّ وشَرَّفتني، ووَطَّأتَ الرّجَالَ عقِبِي، ثمَّ قَبِلَتَ فيَّ كلامَاً لم يتَحقَّق عندَك، ولم تتَدبَّره بعَقْلِكَ؛ كيف يكونُ هذا؟ وكيفَ يجوزُ لي أنْ أفعلَ هذا الذي بلغَكَ؟! تُخْبَرُ أنِّي دسَسْتُ إلى منكجور أنْ يخْرُجَ، وتقبلُه، وتُخبَرُ أنِّي قلْتُ للقائِدِ الذي وجَّهتَهُ إلى منكجور: لا تحاربْه، أعذر، وإنْ أحسَسْتَ بأحَدٍ منَّا فَانْهزِمْ مِن بيْن يديْه. يَا أميرَ الْمُؤمنينَ أنت رجُلٌ قد عَرَفْتَ الحربَ، حَاربتَ الرِّجَالَ، وقُدْتَ العَساكِرَ، هذا يمكِّن رَأسَ العسْكري؛ يقُولُ قوْمٌ: افعلُوا كذا وكذا، هذا مَا يسُوغ لأحَدٍ أن يفْعَلَه، وإنْ كان هذا يمكِنُ، فمَا كان ينبغِي أن تقبَلَه مِن عَدوٍّ، وقد عرفْتَ سببَه وأنتَ أولَى بي، وإنَّما أنَا عبدٌ مِن عبيدِكَ وصَنيعُكَ، ولكنَّ مَثِلِي ومثلَكَ يَا أميرَ الْمُؤمنينَ كمَثَلِ رجْلٍ ربَّى عجْلاً له حتَّى سمَّنَه فكَبِر وحَسُنَتْ حَالُه، وكان لَه أصْحَابٌ اشتَهَوا أنْ يَأكلوا مِن لحمِهِ، فعرَّضُوا له بذَبْحِ العجْلِ فلم يجِبْهُم إلى ذلك، فَاتَّفقُوا جمِيعَاً على أن قَالُوا له ذاتَ يومٍ: ويحَكَ! أمَا تَرى هذَا الأسَدَ؟![1] هذا سَبُعٌ وقَدْ كَبِرَ، والسَّبُعُ إذا كَبِرَ يرجِعُ إلى

تاريخ الأدب، برَاون، ج1، ص330-336، المَازيَار، مينوى، ص65-67.

(1) الطّبريّ، 1312- 1318؛ المسعوديّ، مروج الذّهب، ج6، ص138-

جنْسِهِ. فقَالَ لهم: ويحَكُم هذا عجْلُ بقَرٍ ومَا هو بِسَبُعٌ، فقَالَوا: هذا سَبُعٌ، سَلْ مَن شئتَ عنه؛ وتقدَّموا إلى جميع مَن يعْرفُه فقَالَوا لهم: إنْ سَأَلكُم عن العِجْلِ فقولُوا له: هذا سَبُعٌ. فكَانَ كلَّما سَألَ الرَّجلُ إنسَاناً عنْه قَالَ له: مَا تَرى هذا العِجْلَ مَا أحْسَنَه! فيقولُ الآخرُ: هذا سَبُعٌ! هذا أَسَدٌ، ويْحَكَ!. فَأمَرَ بالعِجْلِ فذُبِحَ. ولكنِّي أنَا ذَلِكَ العِجْلُ كيفَ أقْدِرُ أن أكُونَ أسَدَاً؟!. اللهَ اللهَ في أمْرِي، اصْطنعْتَنِي وشَرَّفتَنِي، وأنتَ سَيِّدي ومَولايَ، أسْألُ اللهَ أنْ يُعَطِّفَ قلبَكَ عليَّ.

قَالَ حمْدونُ: فقمْتُ وانصَرفتُ،[1] وتَركْتُ الطَّبَقَ على حَالِه لم يُمَسَّ منه شَيءٌ، ثمَّ مَا لبثْنَا إلَّا قليلاً حتَّى قيل: إنَّه مَاتَ. فقَالَ المعْتَصِمُ: أخْرِجُوهُ. فطَرحوهُ بينَ يديْه، فنَتَفَ لحْيَتَه وشَعْرَهُ؛ ثمَّ أمَرَ به فحُمِلَ إلى منْزل إيتاخَ.

قَالَ: وكانَ أحمَدُ بنُ أبِي داودَ دعَا به في دارِ العَامَّة؛ فقَالَ له: قد بلَغَ أميرَ المؤمنينَ أنكَ يَا خيدرُ أقلفُ! قَالَ: نعَم ـ وإنَّمَا أرَاد ابنُ أبِي داودَ أن يُشْهِدَ عليْه ـ فَإنْ تَكَشَّفَ نُسِبَ إلى الخَرَعِ، وإنْ لم يتكَشَّفْ صَحَّ عليْه أنَّه أقْلَفُ. فقَالَ: نعَم، أنَا أقْلفُ. فحَضَرَ الدَّارَ ذَلِكَ اليومَ جَميعُ القُوَّاد والنَّاسُ، وكان ابنُ أبِي داودَ أخْرَجَه إلى دارِ العَامَّة قَبْلَ مصِيرِ الوَاثِقِ إليْه بالفَاكِهَةِ، وقَبْلَ مصِيرِ حمْدونَ بنِ إسْمَاعيلَ إليْه. قَالَ حمْدونُ: فقلتُ له: أنتَ أقلفُ كمَا زعَمْتَ؟. فقَالَ الأفشِينُ: أَخْرِجْنِيْ إلى مثْل ذَلِكَ المَوضِعِ. وجَمَعَ القُوَّاد وقَدْ اجتَمَعَ النَّاسُ؛ فقَالَ لي مَا قَالَ، وإنَّمَا أرَادَ أن يفضَحَنِي، فَإنْ قلْتُ له: نعَم، لم يقبَلْ

139، المقدسيّ، ج6، المتن، ص119، التّرجمة، ص116–117، الكامل ابن الأثير، ج6، ص368–369.

(1) تظهر هذه الأبيَات جيّداً أنّ عقائدهم مَخالفةٌ لآرَاء المسلمين.

قولِي، وقَالَ لِي تكشَّفْ يريدُ أنْ يفضَحَنِي بين النَّاسِ، فَالمَوْتُ كان أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أن أتكشَّفَ بيْن يدَيْ النَّاسِ، ولكن يَا حمدُونُ إنْ أحبَبْتَ أنْ أتكشَّفَ بيْن يديْكَ حتَّى ترَانِي فعَلْتُ. قَالَ حمدُونُ: فقلتُ له: أنت عنْدي صَدُوقٌ، ولا أريدُ أن تتكَشَّفَ. فلمَّا انصَرَفَ حمدُونُ أبلَغَ المعتَصِمَ رسَالتَه فَأمَرَ بمنْعِ الطَّعَام عنه إلَّا قليْلاً، فكانَ يُدفَعُ إليه في كلِّ يوم رغيفٌ حتَّى مَاتَ. فلمَّا ذُهِبَ به بعْدَ موتِه إلى دار إيتاخَ، أخرَجُوهُ وصَلبُوه على بابِ العَامَّة ليَرَاهُ النَّاسُ، ثمَّ طُرِحَ ببابِ العَامَّةِ معَ خشَبَتِه فَأُحُرِقَ وحُمِلَ الرَّمَادُ وطُرِحَ في دِجْلَةَ.[1] وقَدْ نَظَمَ الشُّعرَاءُ حول فتُوحَاتَه قصَائدَ كثِيرةً، وأنشَدُوا في صِفَاته وسجايَاه. وكان منهم أبو تمَّامَ.

وقد تُوفِّيَ الأفشِينُ في شعبانَ مِن سَنَة (226هـ)[2] ولمَّا كان أُلْقِيَ في السِّجْنِ في الرَّابعِ من ذي القِعدَة مِن سَنَة (225هـ) فَإنَّ مدَّة بقائِه فيه هي تسْعَةُ أشْهرٍ.

وكان المعْتَصِمُ حِينَ أمَرَ بحبسِ الأفشِينِ قد وجَّه سُليمَانَ بنَ وهْبٍ الكاتِبَ في ليلةٍ من اللَّيَالِي ليُحصِيَ جميعَ مَا في دار الأفشِينِ ويكْتبَهُ. ويقَعُ قصْر الأفشِينِ في المَطِّيرَةِ، فوجَدَ في دارهِ تمثَالَ إنسْانٍ مِن خشَبٍ عليْهِ حِلْيَةٌ كثيرةٌ وجَوهرٌ، وفي أذنيْه حَجَرَانِ أبيضَانِ مشْتبكَانِ عليهمَا ذهَبٌ، فَأخَذَ بعْضُ ممَّن كانَ مع سُليمَان أحَدُ الحَجَرينِ، وظَنَّ أنَّه جَوهرٌ به قيْمَةٌ، وكانَ ذَلِكَ ليْلاً، فلمَّا أصْبَح ونَزَعَ عنه شِبَاكَ الذَّهَب، وجَدَهُ حَجَراً شَبيهَاً بالصَّدفِ الذي يُسمَّى

(1) الطَّبريّ، القسم الثَّالث، ص1318؛ المسعوديّ، مروج الذّهب، ج7، ص139؛ المقدسيّ، كتاب البدء، ج6، ص119.

(2) سبط ابن الجوزيّ، مرآة الزّمَان، f. 118b. ويُقَال: إنّ الأفشين قد توفيّ في شعبان وعلى قولٍ آخر إنّه قد توفّي في شوّال.

الحبْرونَ مِن جنْسِ الصَّدفِ الذِي يُقَالُ له البُوقُ؛ كمَا أخْرَجَ مِن منزلِهِ صُورَ السَّمَاجَة وأصْنَامَاً وغيْرَ ذلِك، والأطْوافَ، والخَشَبَةَ الذي كانَ أعَدَّهَا، وكانَ له مَتاعٌ في الوزيريَّة، فوجَدُوا فيهَا أيضَاً صَنَماً آخَرَ، ووجَدُوا فيهَا كتَابَاً مِن كُتُبِ المَجُوسِ، يُقَالُ له زرَاوه.[1]

ولا نعْرفُ شيئاً عن الكُتُبِ التي وُجدَتْ في بيتِ الأفشِينِ غيْرَ الاسْمِ، أمَّا عن وجُودِ الصَّنم في بيْتِهِ فهذا ليسَ دليلاً قاطِعَاً على أنَّه كان يدِيْنُ بذلِكَ، فَإنَّ الدِّين الإيرَانيَّ القديمَ لم يكن يعْتَقِدُ بالأصْنَام، وإنَّمَا يُشِيرُ ذَلِكَ إلى أنَّ الأفشِينَ كان على البُوذيَّة التي انتَشَرَتْ في منَاطِقِ مَا ورَاء النَّهرِ، ولم يكُنْ هنَاكَ دِيْنٌ رسْميٌّ مفْروضٌ مِن الدَّولَة، ووُجدَتْ في تلك المَنَاطِقِ حُرِّيَّةٌ في العِبَادات، ومِنهَا الدِّين البَدَائِيُّ والنَّسْطُوريُّ، ولم تكُن موضِعَ تعقُّبٍ واضْطِهَاد.[2] ونتيجَةً لوجُودِ النُّفُوذِ الهنْديِّ والصِّينيِّ في تلْكَ المَنَاطِق، فَإنَّ البُوذيَّة حَقَّقتْ مَوْطِئ قَدَمٍ هنَاك.[3] ويذكُرُ ابنُ النَّديْم في كتابِ الفِهرسْت[4] أنَّ كتابَاً حولَ أخبَار خُرَاسَانَ القديمَةِ ألَّفهُ رجُلٌ مِن أهْلِ خُرَاسَانَ، وقَدْ قرَأه بخَطِّهِ، وأنَّ نَبيَّ تلك الفئَةِ يُسمَّى سمنيَة بوداسفَ، وأنَّ أهْلَ مناطِقِ مَا ورَاء النَّهر كانُوا كلُّهم على ذَلِكَ الدِّين.

ويتَّضِح مِن مُحاكَمَةِ الأفشِينِ أنَّ ديْنَ الإسْلام لم يكُن له أثَرٌ قَويٌّ في إقلِيم أشروسنة، ولعلَّ مَا يُثبتُ ذَلِكَ وجُودُ الأصْنَام في بيتِه، وأنَّه في جَميعِ مناطِق خُرَاسَانَ وُجدَ أقوامٌ مِن العَرَبِ مِن مُضَرَ

(1) الطَّبريّ، القسم الثّالث، ص1318.

(2) تركستان، بارتولد، ص180.

(3) ترجمة وتفسير يشتهَا ص28-37.

(4) ص345.

وربيعَةَ وقبائِلَ يمنيَّةٍ مَا عَدا أشروسنة، الذين منَعُوهُم مِن الوصُول إلى مناطِقهم.[1]

وَقْد دَخَلَ ملك أشروسنة في سَنَة (178هـ) تحتَ طاعَةِ فضْلِ بنِ يحْيَى البرمَكِيِّ، وكان مِن شُروطِ الصُّلح معَ الفضْل بنِ سَهلٍ ألَّا يتَعدَّى إلى أرَاضِي المُسْلِمِين في تلكَ المنَاطِقِ. وقَدْ بقِي أكْثرُ أهْل أشروسنة على دينِ أجدادِهِم، وكمَا لحِظنَا فَإنَّ الأفشِينَ وأبَاهُ قد اعتَنَقَا الإسْلام في زمَنِ المَأمُونِ. وربَّمَا يتَّضِحُ مِن وجُود الأصْنَام في بيتِ الأفشِينِ أنَّ إسْلامَه كان ظَاهِريَّاً وأنَّه بقِي على دينِ آبائِه.[2] ولَعلَّ قولَ المُؤرِّخينَ: إنَّ الأفشِينَ كان على ديْن الزَّرَدَشْتيَّة[3] وأنَّه كان على دينِ المَازيَار لم يكُن صَحِيحَاً.

ويذكُرُ كارَادوو: «إنَّ اتِّهَام الأفشِينِ بأنَّه ليسَ مسْلمَاً، وأنَّه بقِيَ على دينَ المزدائيَّة، ـ وهي تُهمةٌ يبْدُو أنَّهَا وُجِّهتْ إلى البرَامِكَة ـ لم يكُن مِن دُون أسَاسٍ. وشَغَلَ هذا القائِدُ المُسْلِمِينَ في عصْره، واسْتطَاع أن يُبْقِيَ على كُتُبِ أتبَاعِهِ.[4]

ولم تنقَرِضْ سُلالَة ملُوك أشروسنة بموتِ الأفشِينِ، وإنَّمَا بقِيتْ أسْرتُه تحكُم حتَّى سَنَة (280هــ 893م).[5] وبقِي ابنُ الأفشِينِ حَيَّاً في السِّجن حتَّى سِنَة (250هـ) وقد نَجَا منه في تلك السَّنَة.[6]

(1) اليعقوبِّي، كتاب البلدان، ص294.

(2) رَاجع تاريخ الحضارة الإسلاميّة ترجمة خدا بخش ص108.

(3) المسعوديّ، مروج الذّهب، ج7، ص138.

(4) ترجمة التّنبيه والإشَراف ص454.

(5) ()تركستان، بارتولد، ص211.

(6) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1533.

المُلحقُ الثَّاني

محمودُ

خَرَجَ رجُلٌ نيسَابوريٌّ سَنَة (223هـ) في سَامرَّاء وادّعَى النُّبوَّة، وكلُّ مَا نعْرفُه عنه مِن معلُومَاتٍ فقَدْ أخَذنَاهَا مِن الطَّبريِّ ومُطهَّرِ بنِ طَاهرٍ المقدسِيِّ. ونوردُ فيمَا يلي مَا جاء عن هذيْن المُؤرِّخيْن:

«وفي هذه السَّنَة (223هـ) ظَهَرَ بسَامرَّاء رجُلٌ يُقَالُ له محمُودُ بنُ الفَرَجِ النَّيسَابوريُّ، فزَعَمَ أنَّه ذو القَرْنَيْنِ، ومَعَه سَبعَةٌ وعشْرونَ رجُلاً عند خَشَبة بابكَ، وخَرَجَ مِن أصْحَابه بباب العَامَّة رجُلانِ، وببغدادَ في مسْجِدِ مدِينتهَا آخَرَانِ، زعمَا أنَّهمَا نبيَّين، وأنَّه ذو القَرنَيْنِ، فَأُتِيَ به وبأصْحَابه إلى المُتوكِّلِ، فَأمَرَ بضَربهِ بالسِّيَاطِ، فضُربَ ضَرباً شَديداً، فمَات مِن ضَربه ذاك، وحُبِسَ أصْحَابُه، وكانُوا قَدِمُوا مِن نيسَابور، ومعهُم شَيءٌ يقرؤونَه، وكان معَهم عَائِلاتُهُم، وفيهم شَيخٌ يَشْهَد له بالنُّبوَّة، ويزعُمُ أنَّه يُوحَى إليه، وأنَّ جبرِيْلَ يَأتيه بالوحْي، فضُربَ محمُودُ مئَة سَوطٍ، فلم يُنكِرْ نبوَّتَه حِينَ ضُربَ، وضُربَ الشَّيخُ الذي كان يشْهَدُ له أربعِينَ سَوطاً، فأنكَرَ نبوَّتَه حِينَ ضُربَ، وحُمِلَ محمودُ إلى بابِ العَامَّة، فَكذَّبَ نفْسَهُ، وقَالَ: الشَّيخُ قد خَدعَنِي، وأمَرَ أصْحَابَ محمُودٍ بأن يصْفَعوه فصَفعُوه، كُلُّ واحِدٍ منهُم عشَر صَفعَاتٍ، وأُخذَ له مصْحفٌ فيه كلامٌ قد جَمَعَه ذَكَرَ أنَّه قرْآنُه، وأنَّ جبرِيْل كان يَأتيْه به. ثمَّ مَاتَ يوم الأربعَاء لثلاثٍ خلونَ من شهر ذي الحجَّة مِن هذه السَّنة، ودُفن في الجزيرة».[1]

---

(1) الطّبريّ، القسم الثّالث، ص1394، وابن الأثير، ج7، ص33.

«وفي أيَّامه ظَهَرَ رجلٌ بِسُرَّ مَن رَأى، يُقَالُ له محمُودُ بنُ الفَرج النَّيسَابوريُّ، وزعَمَ أنَّه ذو القَرنَيْنِ، ومعه مصْحَفٌ قد ألَّفَ كَلاماً، وتبعَهُ على ذَلِكَ سَبْعةَ عَشَرَ رجُلاً، فقِيْلَ له: كيفَ ذهبْتَ إلى ذي القَرنَيْنِ مِن بيْن النَّاسِ؟ قَالَ: لأنَّ الرَّجُلينِ في بغدادَ يَدَّعيَان النُّبوَّة، فكرِهْتُ أن أكونَ ثالثَهُما، فصُفِعَ صفعَاتٍ، وتابَ هو وأصْحَابُه».[1]

(1) كتاب البدء والتّاريخ، ج6، ص122، المتن والترّجمة، ص119.

قائمة المصادر والمرَاجع

أوَّلاً: الفَارسيَّةُ والعربيَّةُ.

* ابن أبي أصيبعة، موفَّق الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن قاسم ـ عيون الأنباءِ في طبقات الأطبّاء، 2 جلد، القاهرة، 1882.

* ابن أبي طاهرٍ، أحمد بن أبي طاهرٍ طيفور ـ كتاب بغداد، به كوشش دكتر كلر، لايپزيگ، 1908.

* ابن الأثير، عزُّ الدِّين أبو الحسن عليٌّ، الكامل في التّاريخ، به كوشش تورنبرگ، ليدن، 1851-1876.

* ابن اسفنديَار- تاريخ طبرستان، نسخهء خطى كتابخَانهء ملي باريس متمم فَارسى 1436 وترجمهء ادوار برَاون. [چاپ تهرَان، 1320].

* ابن البلخيِّ ـ فَارس نَامه، كمبريج، 1921.

* ابن الجوزيِّ، عبد الرَّحمن ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، نسخهء كتابنهء ملى وين، عربى 191.

* نقد العلم والعلماء، القاهرة، 1340 هـ.ق.

*ابن حزمٍ، أبو محمَّد عليُّ بن أحمد ـ الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، 5ج، القاهرة، 1347.

*ابن حوقل، أبو القاسم ـ المسالك والممَالك، ليدن، 1873.

*ابن خردادبه، عبيد الله ـ مسالك الممَالك، ليدن، 1889.

* ابن خلدون، عبد الرَّحمن ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيَّام العرب والعجم والبربر، بولاق، 1867.

* ـــــ - مقدمه- كواترمر، 3ج، باريس، 1858، وترجمهء shane،

2ج، باريس، 1863–65؛ ج. 1284 و ج1، باريس، 1842.

* ابن الدَّاعي، مرتضى ـ تبصرة العوامّ، تهرَان، 1313.

* ابن رسته، أحمد ـ الأعلاق النَّفيسة، ليدن، 1892.

* ابن شاكر، فخر الدِّين ـ عيون التَّواريخ، نسخهء كتابخَانهء ملي باريس مجموعهء عربى ش. 1588.

* ابن شهر آشوب؛ أبو جعفرٍ محمَّد بنُ عليٍّ ـ معَالم العلمَاء، نجف. 1380ق.

* ابن الطَّقطقيِّ، محمَّد ـ الفخريُّ في الآداب السُّلطانيَّة والدُّول الإسلاميَّة، 1860.

* ابن عبد ربِّه، أحمد ـ العقد الفريد، 2ج، القاهرة، 1293.

* ابن العبريِّ، أبو الفرج ـ مختصر الدُّول، بيروت، 1890.

* ابن عساكر، أبو القاسم عليُّ بن حسن ـ التّاريخ الكبير، دمشق، 1329–1351ق.

* ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمَّد الهمدانيِّ ـ البلدان، ليدن، 1885.

* ابن قتيبة، عبد الله ـ الإمَامة والسِّيَاسة، القاهرة،1331.

* ـــــ – عيون الأخبار، 2 مجلّد، القاهرة، 1925.

* ـــــ – كتاب المعَارف، به كوشش وستنفلد، گوتينگن، 1850.

* ابن المرتضى، أحمد ـ المعتزلة؛ برگرفته از كتاب ملل ونحل، به اهتمَام آرنولد، بخش 1، لايبزيگ، 1902.

* ابن مسكويه، أبو عليٍّ أحمد بن محمَّد ـ تجارب الأمم، 3ج (مجموعهء گيب) 1909– 1917.

* ابن نباته، أبو بكر محمَّد ـ سرح العيون، القاهرة، 1278.

* ابن النَّديم، أبو الفرج محمَّد بن أبي يعقوب إسحَاق المعروف بالورَّاق ـ الفهرست العلوم 2 مجلّد، لايپزيگ 1871–2 وچاپ تهرَان 1350ش، بتحقيق رضا تجدد.

* أبو الفرج عليٌّ الأصفهَانيُّ ـ الأغاني، در 20 جلد، القاهرة، 1905.

* أبو المعَالي، محمَّد ـ بيَان الأديَان، تهرَان 1312.

* اسفنرَاييني‌ٌّ، طاهر ـ التَّبصير في الدِّين، نسخهء كتابخَانهء ملى پاريس، عربى 1452.

* اسفزاريُّ، معين الدِّين ـ روضات الجنَّات، به كوشش سيّد محمَّد كاظم إمَام، تهرَان 1338–39ش.

* اش‌پولر، برتولد ـ تاريخ إيرَان در قرون نخستين اسلامى، ترجمهء دكتر جواد فلاطوري، تهرَان، 1349.

* أشعريّ، أبو الحسن عليٌّ ـ مقالات الإسلاميِّين واختلاف المضلِّين، 3جلد ، استانبول، 1929.

* اصطخريُّ، أبو إسحَاق إبرَاهيم بن محمَّد ـ المسالك والممَالك، ليدن، 1927.

* القبائل آشتيَانيّ، عبَّاس، – ابن المقفَّع، برلين 1926.

* ــــــ – خَاندان نوبختى، تهرَان، 1311.

* ــــــ – سخنى چند در باب ابن المقفع (نسخهء خطى مؤلف).

* أمين، أحمد– ضحى الإسلام، دو جلد، القاهرة، 1934–1935.

* ــــــ – فجر الإسلام ، بخش أول، القاهرة، 1935.

* برَاون، ادوارد ـ تاريخ ادبى ايرَان، ترجمه وتحشيهء على پاشا صالح، تهرَان، 1333.

* بغداديّ، عبد القاهر ـ الفرق بين الفرق، القاهرة، 1328.

* بلاذرى، أحمد ـ أنساب الأشرَاف؛ كتابخَانهء ملى پاريس، عربى، 6068، ج 11 * چاپ اهل وارت، 1883، ج5، چاپ گويتين، بيت المقدس 1936.

* ــــــ – فتوح البلدان، چاپ دخويه، ليدن 1866.

* بلعميّ، محمَّد ـ تاريخ نَامه، معروف به ترجمهء تاريخ طبرى، نسخهء موزهء بريتانيَا ـ شمَارهء 7622 و نسخهء كتابخَانهء وين mxt 374؛ ونسخهء كتابخَانه ملى پاريس، متمم فَارسى 162 و 162 الف. بخش دوم (چ . تهرَان 1366).

* بيرونيّ، أبو ريحَان، محمَّد بن أحمد ـ الآثار الباقية عن القرون الخَالية، لايپزيگ، 1923.

* ــــــــ- تحقيق مَاللهند، لايپزيگ 1925.

* بيهقيّ أبو الفضل محمَّد بن حسين ـ تاريخ بيهقى، تهرَان 1307ق. تصحِيح دكتر على اكبر فياض، چاپ دوم، 2536.

* پورداود، إبرَاهيم ـ يشتهَا، ترجمه وتفسير يشتهَا، 2ج، 1931.

* پيرنيَا حسن ـ ايرَان باستان، 3ج ، تهرَان 1311.

* تاريخ سِيْستَان، از مؤلفي نَا معلوم، تصحيح ملك الشعراء بهار، تهران، 1314.

* تقى زاده حسن ـ از پرويز تا جنگيز، تهرَان، 1310.

* ــــــ - روزنَامهء كاوه، دورهء جديد، سال 2، برلين، 1339-40.

* تنوخيّ، أبو عليّ محسن، الفرج بعد الشِّدَّة، القاهرة، 1903-1904.

* ــــــ - نشوار المحَاضرة، ج1، القاهرة، 1921.

* ثعَالبيّ، عبد الملك بن محمّد بن إسمَاعيل نيسابوريّ، ثمَار القلوب، القاهرة، 1326ق.

* ــــــ - غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم؛ مقدمه وترجمه به فرَانسه وطبع زوتنبرگ پاريس، 1900.

* ــــــ - يتيمة الدَّهر في محَاسن أهل العصر، مصر، 1947.

*جاحظ، عمرو ـ كتاب البيَان والتَّبيين، القاهرة، 1923.

* ــــــ - التّاريخ، القاهرة، 1914.

* ـــــــ - الحَيوان، 9 جلد در يك مجلد، القاهرة، 1905.

* ـــــــ - المحَاسن والأضداد، طبع فن فلوتن، ليدن، 1898.

* جرجانيّ، عليّ ـ شرح كتاب المواقف، 3 مجلد، استانبول، 1239ق.

* جهشيَارى، محمّد ـ كتاب الوزرَاء والكتَّاب، به كوشش مَاكس يَافه، لايپزيگ، 1930.

* حَاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب چلبى ـ كشف الظُّنون، 7 مجلّد، به كوشش * فلوگل، لندن ـ لايپزيگ، 1835-1858.

* حدود العَالم، مؤلف نَاشنَاخته، تهرَان، 1314 [چ. دانشگاه تهرَان، 1340).

* حمد الله مستوفى قزوينيّ.

* حمزة أصفهَانّ، أبو عبد الله بن حسن ـ تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبيَاء، برلين، 1340ق.

* خوارزميّ، محمّد بن أحمد ـ مفَاتيح العلوم، قاهره، 1342ق.

* خيَّاط، عبد الرّحِيم ـ كتاب الانتصار× به كوشش نيبرگ، القاهرة، 1925.

* دهخدا، عليّ أكبر ـ أمثال وحكم، 4ج، تهرَان، 1310.

* ـــــــ - لغتنَامه، تهرَان.

* دينورى، أبو حنيفة أحمد ـ كتاب الأخبار الطّوال، 2 مجلّد، ليدن 1888-1912.

* رَاوندى، نجم الدِّين أبو بكر محمّد بن عليّ ـ رَاحة الصُّدور، طبع محمّد إقبال، مجموعه گيب، لندن، 1921.

* رشيد الدِّين، فضل الله ـ جامع التَّواريخ، كتابخَانه ملى پاريس، متتم فَارسى شمَاره 2004.

* زرين كوب، دكتر عبد الحسين، استاد سيس، مجله پشوتن، سال اول،

ش11. لغتنَامه دهخدا.

* ـــــــ - تاريخ ايرَان بعد از اسلام؛ تهرَان، 1343.

* ـــــــ - دو قرن سكوت، ج2، تهرَان، 1336.

* سبط ابن الجوزيّ، شمس الدِّين أبو المظفَّر يوسف بن قزاوغليّ، مرْآة الزّمَان، نسخه كتابخَانه ملى پاريس، مجموعه عربى، 1505.

* سمعَانيّ، عبد الكريم ـ كتاب الأنساب، ليدن، 1912.

* سيوطيّ، أبو الفضل عبد الرَّحمن بن أبي بكر ـ تاريخ الخلفَاء أمرَاء المؤمنين، القاهرة، 1351ق.

* شهرستانيّ، أبو الفتح محمّد بن أبي القاسم عبد الكريم- الملل والنِّحل، به كوشش و .كورتن، لايپزيگ، 1923.

* صابى، هلال ـ تحفة الأمرَاء في تاريخ الوزرَاء، ليدن، 1904.

* صاعد أبو القاسم الأندلسيّ ـ طبقات الأمم، بيروت،1912.

* طبريّ، أبو جعفرٍ محمّد بن جرير ـ تاريخ الأمم والملوك، به كوشش دخويه 13 مجلد، ليدن، 1876-1901.

* عبد الرَّزاق الرِّسعنيّ، ابن رزق الله بن أبي بكر بن خلف- خلاصة الفرق بين الفرق، به كوشش فيليپ هيتى. القاهرة، 1924.

* عفيف الدِّين، عبد الله ـ مرْآة الجنَان، نسخه كتابخَانه ملى پاريس، مجموعه عربى ، 1589 و 5952.

* عوفيّ، سديد الدّين محمّد بن محمّد ـ جوامع الحكايَات ولوامع الرِّوايَات، نسخه كتابخَانه ملى پاريس، متمم فَارسى 906 [از 1352 بعد بعد اجزاى آن بتدريج در تهرَان چاپ شده است].

* قزوينيّ، حمد الله مستوفي ـ تاريخ گزيده، جلد 1 (متن) طبع ادوار برَاون، جلد 2 (ترجمه مختصر) طبع ادوار برَاون ونيكلسون، مجموعه گيب، ليدن 1910-1913 [به طريق افست از روى همَان چاپ تهرَان 1361].

* ـــــــ – نزهة القلوب (بخش جغرَافيَایی) طبع گ‌ی ـ لسترنج (مجموعه گ‌یب) ليدن 1915.

* قزوينيّ، زكريَّا بن محمّد بن محمود ـ آثار البلاد وأخبار العباد، گوتينگن، 1847.

* ـــــــ – عجائب المخلوقات، گوتينگن 1849.

* قزوينيّ، محمّد بن عبد الوهَّاب ـ بيست مقاله، طبع اقبال، تهرَان 1313.

* قفطيّ، جمَال الدّين أبو الحسن عليّ بن يوسف ـ تاريخ الحكمَاء، مختصر الزَّوزنيّ المسمّى بالمنتخبات من كتاب أخبار العلمَاء بأخبار الحكمَاء، لجمَال الدِّين القفطيّ، لايپزيگ، 1903.

* كسرويّ، أحمد حسينيّ تبريزيّ ـ شهر يَارَان گمنَام، 4ج، 1307–8.

* گرديزيّ، أبو سعيد عبد الحَي – زين الأخبار، طبع نَاظم، برلين، 1928 [چاپ تهرَان 1363].

* مَا فروخيّ، مفضّل سعد بن الحسين ـ كتاب محَاسن أصفهَان، (نسخه فَارسى حسن بن محمد العلوى) نسخه كتابخَانه ملى پاريس، متمم فَارسى 1573.

* مؤيّد ثاتبيّ، سيّد عليّ ـ تاريخ نيسابور، تهرَان 1335.

* مبرّد، أبو العبَّاس ـ الكامل، طبع رَايت، 12 جزوه، لايپزيگ، 1864.

* مجد الدِّين خوافيّ ـ روضه خلد يَا خَارستان، نسخه كتابخَانه ملى پاريس، متمم فَارسى 1942.

* مجمل التَّواريخ والقصص، نسخه كتابخَانه ملى پاريس، مجموعه فَارسى 62 [چاپ تهرَان 1318].

* مرتضى، علم الهدى ذو المجدين أبو القاسم عليّ بن الحسين الموسويّ ـ أمَالي (غرر الفوائد ودرر القلائد) مصر، 1325ق.

* مسعوديّ، أبو الحسن عليّ بن الحسين ـ التَّنبيه والإشرَاف ليدن، 1893.

* ـــــــ - مروج الذَّهب، متن وترجمه فرَانسوى به كوشش باربيه دومينَار ويَاوه جوكورتى، 9ج، پاريس، 1861-71.

* مصاحب، غلام حسين ـ دائرة المعَارف فَارسى، ج أول، تهرَان 1345 (ج2، 1356).

* مقريزيّ، أحمد بن عليّ ـ السُّلوك في معرفة دول الملوك نسخه كتابخَانه ملى پاريس، عربى 1726.

* ـــــــ - المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، 2ج، بولاق، 1853.

* مقدسيّ، مطهّر بن طاهر ـ البدء والتّاريخ، طبع وترجمه كلمَان هوار به فرَانسوى، پاريس، 1901-1903.

* مقدسيّ بشارى، محمّد ـ أحسن التَّقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1877.

* ملطيّ، محمّد ـ التَّنبيه والرَّد على أهل الأهواء والبدع، استانبول،1936.

* مينوى، مجتبى ـ مَازيَار، تهرَان 1312.

* ـــــــ - نَامه تنسر، تهرَان 1311.

* نرشخيّ، أبو بكر جعفرٌ ـ تاريخ بخَارى، شفر، پاريس 1892 (مدرس رضوى، 1319).

* نظام الملك، أبو عليّ حسن طوسيّ ـ سيَاسه نَامه يَا سير الملوك متن، ترجمه وضمَائم از شفر، 2 مجلد، پاريس ، 1893-1897 (چاپ تهرَان 2535).

* نفيسيّ، سعيد ـ أحوال وأشعَار رودكى، 2ج، تهرَان،1309.

* نوبختيّ، حسن ـ فرق الشّيعة طبع، ريتر استانبول،1931.

* هندوشاه، ابن سنجر بن عبد الله صاحبى نخجوانى ـ تجارب السَّلف، به اهتمَام عباس اقبال آشتيَانى، تهرَان 1313 (چاپ سوم تهرَان 1357).

* يَاقوت، أبو عبد الله ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، 7 مجلّد، به

كوشش مَارگوليوث در مجموعه گيب، ليدن 1923-31.

* ــــــ - معجم البلدان، به كوشش ووستنفلد، 6 مجلد لايپزيگ، 1924.

* يحْيى بن آدم، أبو زكريَّا يحْيى بن آدم بن سليمان القرشيّ- كتاب الخَرَاج، طبع جوينبال، ليدن 1896.

* يعقوب، أبو يوسف ـ كتاب الخَرَاج، ترجمه وحواشى فَاينَان، پاريس 1921.

* يعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفرٍ بن وهب بن واضح ـ البلدان، طبع دخويه، ليدن، 1892.

* ــــــ - تاريخ، 2ج، به كوشش هوتسما، ليدن 1883.

ثانيًا: المصادر الأجنبيَّة.

- Alfaric, P- Les Ecritures manicheennes, 2 v ,paris , 1918 – 1919.
- Arnold, T.W- The Caliphate, Oxford 1924.
- ……The preaching Of Islam , History of the Propagation of the Muslim Faith, London .1986.
- Arnold, T.w.Nichogson (R.A)- Ajab- Namih ; volume of Oriental studies presented to E.G Browne, Cambirdge 1922.
- Barbire De Meynard – Dictionnaire geographique historique et lite teraire de la perse et des Contrees adjacentes , extrit du Modjem el-Boldan de Yaqout …paris 1861 .
- ……Traduction de Moruj – adh- Dhahab , paris 1914.
- Barthelemy , A. Gujastac Abalish , Relation d, Conference theologique preside par le calife Mammoun ; texte Pahlavi … avec une tradaction , commentair et lexique , B,E.H.e , Siences historiques et philologiques, 69 faacicule , paris 1887.
- Barhold , W. – Mussolman culture (translated from the Rusian by Shahid sahrawardy).Calcutta 1934.

- ….Turkistan Dawn to the Mengole Invasion . London 1928.
- Bastide – Les problems de la vie mistque , paris
- Benveniste , E , Une apocalypse pehlevie ; le Zamasp – Namak.
- Dans R.H. r. 1932(Tirage a part).
- Berthelot , R, - L , Astrobiologie et la pensee de I esse de I Asie ; essai sur les origins des sciences et des theorise morales R.M.M 1933 – 1937.
- Blochet, E.Catalogue de la collection des manuscrits orientux de M.ch. Chefer paris 1905.
- …… Catalogue des Manuscrits Mazdeens de la B,N Besnancon, 1900
- …… Catalogue des manuscrits persans de la B.N de paris . 4 vol.paris 1905 – 1934.
- …… Etudes sur Ihistorie religieuse de I Iran 1-11 , 1898 – 9 Extr. De R.H.R. .
- …… Le Liver Intitule ; L Oulma – I – Islam .Extr. de R.H.R , t. XXXVII, paris 1898.
- ……le Messianisianisme dance L heterodoxi musulmane .par is 1903.
- ……Textes pehlives historiques et legendaries dans la Revue Archeologique , 1896
- Texts religieux pehlvie dans R.H.R 1895 – 1896.

- Bouvat, L. – Les Barmecides , d, après les historiens arabes et persans, paris 1912.
- Brockelmann C. – Geschichte der Arabischen Litterture , Weimar , 1118989 – 1902.
- …… ibidem supplement 1936-1937.
- Briwne E.G – Aliterary History of Persia , 4 vol. Cambridge , 1928.
- …… Translation of Ibn Isfandiyar History – of – Tabaristan (Gibb Series) , Leid 1905.
- Burkitt, F.- C- The Relegion of the Manichees, Cambridge ,
- Cara , De Vaux B. – Liver de I avertissement et de la Revision (traduction de Masudi K.at – tambih v- al Ichrar),paris 1897.
- Chavannes m E et pelliot P. Un traite Manicheen retruve en Chine J . A, 1911 et 1913 .
- Christensen , A – L Empire des Sassanides , Copenhague 1894.
- ……-Etudes sur le Zoroastrisme de perse la Perse antique . Copenhague , 1928.
- Iran sose les Sassanides , Copenhague – paris 1936- [1]

(1) تمت إعَادة كتابة هذا الكتاب بنفس المؤلف بعنوان الامبَراطورية الساسانية وقد ترجمه المرحوم نينوي كمَا ترجم الطبعة الجديدة(طبعة عَام 1944

•	- Les Kayanides Copenhague , 1932.
•	- Le Renge du Roi Kawadh I et le Communisme Mazdakite, Kopenhague, 1925.
•	….- Remarques critiques sur le kitab bayani – I – Adyan d, Abdul Maali; Uppsala , 1911 .
•	Comont , F. Recherches sur le Manicheisme , Bruxelles , 1908- 1912.
•	Darmester, J . _ Coup – d oeil sur lhistoire de la perse , paris 1885.
•	…….Etudes Iraniennes , 2 vol. paris 1883.
•	Letter de tansar au roi de Tabaristan de la pers , Paris 1885.
•	J . – le Mahdi depuis les origins de Islam jusqua nos Jours J . A . 1894.
•	……le Zend Avesta ; traduction nouvelle avec Commentaire historique et philologique, 3 vol , paris , 1892 – 93.
•	Defremery- Memoire sur la Famille des Sadjides, J.A.Mai 1847 , pp.409 – 446.
•	Dozy, R. – Essai sur histoire de Islamisme , trade , V. Chauvin, Leyden, Leyden- Paris 1879.
•	Durkheim, E. de la Division du Travail social ,

كوبنهَاكن المرحوم رشيد يَاسمي)

paris 1932.

- ……Les forms elemenentaires de la Vie religieuse , paris , 1925.
- Encycolopedie britannique 24 vol14 ed 1929.
- Encycolopedie de lIslam , lieden 1913 , 4 vol .
- Encyclopedy of religion and Ethics , Edited by J, Hasting , 12 , vol Edinburgh 1908 – 1912.
- Friedlaender I , The Heterodo doxies – of- the shittes in the presention of ibn Hazm , dans , J A.O.s. 1907 et 1909
- Gaudefefroy- Demombynes J . Les Institutions Musulmans paris 1921.
- Gibb, H. A. R. The Arab Conquests in Cenin central Asia , London , 1923.
- Goeje , M, J . de – Fragmenta historicorum arabicorum, Leyde , 1868.
- …… Memorie sur les carmberment du Bahrain et les Fatimides , Liede. , 1886.
- Goldzeher, I , Le denombrement des sects mohamatance , dans, R.H.R. vol.XXXvi, 1892 pp. 129 SQ.
- ……Le Dogme et la loi de I Islam trad de Felex Arian < Paris 1920.
- ……Islamisme et Parsisme , dans R.H.R tome

LIV, 1901.

- Guidi, I, Tables Alphabatiques du Kitabul-Aghani , index des , Leyden 1895 – 1900.
- Guignebert, Ch. L. Evolution des dogmes , Paris.
- Halkin , J , s, Moslem Schism and sects (trad, de, ff, de Baghdad). Part , II Palestine , 1935.
- Hamza- Annalium libri X, ed Gottwald petropoli , 1844.
- Harlez, C.de Avesta … traduit du text zen d , paris 1881.
- Hell. J . The Arabe Civilisation , translated from the Germany by; S.Khuda Buksh Cambridge 1926.
- Henry V. Le Parisme , paris , 1905.
- Hoshange , D, Memorial volume Bombay, 1908.
- Houtsma, Th. Bihafarid dans W.Z.K.M. III Band wien , 1889.
- Hovelaque , A. Avesta , Zoroastre et le Mazdeisme , Paris 1880
- ….Les Zindiqe en droit Musulman, X.
- Hurgronje C. S- Contributions recentes a la connaissance de Islam ,dansR.H.R tom XX, 1889 , pp 64 – 90.
- Inostranzev , Iranian Influencs on Moslem lit-

erature , Part, I , translated from the Russian by G. K Nariman , Bomby , 1918.

• Jackson , W. Researches in Manicaesm , New York , 1932.

• Jamsetjee , Sir Jejeebhay Madressa Jubelle volume . Papers on Iranian subjecte written by varios Scolar , edited by J.J Modi Bombay 1914.

• Jackson , W. Research in Manicnaeiseme , New York 1932.

• Jamstiee , Sir – Jejeebhay Madressa Jubilee volume , papers

• Justi F. – Iranisches Namenbuch , Marburg 1895.

• Kasimiriski . B. Le Koran , traduction nouvelle paris 1841.

• …… Menoutchehri , poete person du 11 siecle , paris 1886.

• Kuda Bukhsh , S. S Contribution to the history of Islamic civilian , 2 vol . calcatta 1929 – 1930.

• Kramers , J . H Ostadsis ; in Incyciopedia de I Islam , Tom III, Lieden 1936.

• Kremer, Von – Culturgeschichtliche Strefzuge translated by Khuda BAkhshs in I. C (VoirKhuda akhsha).

- Labourt. J . Le Christainisme dans iEmpire pres sour la dynastie Sassanide , Paris 1904.
- Lammens, H. L, Islam , Coroyances et Institutions, Beyoroth, 1926.
- Lane- Pooles , S. The Mohammadan Dynasties , London , 1894.
- La, Sausay , Chantepi de , Manual d, histoier des Relegions , Paris , 1904.
- Lebon, g> La civilization des Arabes, Paris, 1884.
- Leberton, J , Mani et son Oeure , dans Etudes t, CC, XVII, no 20. Pp129 – 142 , paris 1933.
- Legge, F. Western Manichaeisme and the turfan Discoveries, dans , J.R.A.S , 1911.
- Le strane , G. Baghdad during the Abbasid Caliphate, Oxford , 1924.
- …….The lands of the Eastern Caliphate , Cambridge , 1930.
- Levy Bruhle , l. la Morie et la Science des Moeurs , Paris , 1927.
- Macdonald, D.B. The religious and life in Islam , Chicago , 1909.
- …..The early Development of Mohammedannism , London 1914.

- Mass, H. L, expose des Religions(trad. De B.A. d, Abolm) dans, R.H.R. , paris 1926.
- …..L Islam paris 1903.
- Masignon , L, Esquisse d une Bibliographie Qarmat (dans Ajab Namih; (VOIR Arnold et Nicholson)(Masingnon, E,B,Q).
- -- -Essai sur les Origines du Lexique technique de la mystique rnusulmane, Paris, .1914- 1922
- --- -La Pass/on d' Al Hossayn Ibn Mansour al Hallaj, Martyr mystique de L' Islam,.
- 2Vol., Paris, 1922.
- ….. -Salman Pak et les Premices spirituelles de I'lslam Iranien, P.S.E.I., Tours, 1934.
- ……. -Zindiq- L'artiole dans Etudes iraniennes, E.I.
- …… Massignon, L et Kraus P. -Akhbar al- Hallaj, Texte ancien relatif a la predication et au
- …… supplice du mystique musulman al- Hosayn b. Mansour al- Hallaj publie, annote et traduit, Paris, 1936.
- …… Melanges Asiatiques tires du Bulletin de I' Academie imperiale des Sciences de
- St- Petersbourg, tome IX, livraison 4, Leipzig,

1887.

- * Minorsky, V. -La Domination des Daylamites, P.S.E.I., Paris, 1932.
- ...... -Les Etudes historiques et geographiques sur la Perse, 1937.
- ...... Etudes sur les Ahl-i-Haqq. R.H.R., 1928, PP. 90-105.
- ...... - Magyar, dans E.I.
- ...... - Notice sur la-secte des Ahle- Haqq, l-ll, Paris, 1921.
- Modi, J.-J. -Memorial Papers, Bombay, 1922.
- Muir, S.W. -The Caliphate, its Rise, Decline, and Fail, 2nd ed,, London, 1892.
- Murgotten, F.-C. -Traduction de Fotuh al- Boldan de Baladhori, New-York, 1924.
- Nicholson, R.A. Literary History of the Arabs, Cambridge, 19JO. ^
- Nicoll, A. -Catalogue des manuscrits Orientaux d' Oxford, 'II ' partier I Volume, 1821,
- Nizamu'D-Din- M.- Introduction to Jawami'al-Hikayat of Mohammad ' Awfi (Gibb
- Series), London, 1929.
- Noldeke, T.- Das Iranische Nationalepos. Trans-

lated by L. Bogdanov, Bombay, 1930.

- …… Sketches from Eastern History, trad. de J.S. Black, London, 1892.
- Nyberg, H.S. -Mu'tazila, I'article dans E.I.
- Paglidro A. -History of Sacred Fires; in Oriental Studies in honour of C.E. Pavry, Oxford,
- 1933.
- Payry, C.- The Zoroastrian Doctrine of a future life, New York 1926,
- Pelliot, P. -Les influences iraniennes en Asie Centraie; dans la Rev. d' hist. e,t de lift, re., 1912.
- …… -Mo- Ni et Manicheens, J.A., 1914.
- Peshotan, Dastur Behramjee Sanjana- The Dinkard, Bombay 1888,
- Rabino, H.- L -Mazandaran and Astarabad, London, 1928. (Gibb Series).
- Reinach, S. -Orpheus, Histoire generale des Religions, Paris, 1928.
- Revue des Etudes islamiques; publiee sous la direction de M.L. Massignon, Paris, 1997
- et suiv, (Suite de la Revue du monde musulman).
- Rieu, Ch. -Catalogue of the Persian Manuscripts

in the B.M., 4 Vol., London, 1879- 95.

- ‘ Rochat, E.-Essa/ sur Mani et sa doctrine, Geneve, 1897.
- ‘ Rodhes, E. -Psyche; edition francaise par A.Reymond, Paris, 1928.
- ‘ Rustomgee, E.-M.-Darab Hormazyar’s Rivay-af, with an introduction by Shams -ul- Ulama
- J.J. Modi, vol, II (PP. 214- 230 sur Mazdak), Bombay, 1922.
- ‘ Sachau, C.E. -Albirunf’s chronology of Ancient Nations, London. 1879.
- ‘ Sacy, S.de -Expose de la Religion des Druses, 2 Vol., Paris, 1838.
- Schefer, Ch. -Traduction de Sfyassat Nameh, 2 Vol., Paris, 1893- 1897.
- Slane, Baron Mac Guckin de -Catalogue des manuscrits arabes de la B.N. de Paris,
- Pas. I- III, Paris, 1883- 1895.
- Smith, W.- R. -The Religion of the Semites, London, 1927.
- Soderblom, N. -Manuel d’ Histoire des Religions, Paris, 1925.
- Stoop, Em. de -La Diffusion du .manicheisme

dans I’ empire romain, Ghent, 1909.

- Sykes, S.P, -A History of Persia, 2 Vol., London, 1930.
- …… -Ten Thousand Miles in Persia, London, 1902.
- Van VIoten, -Recherche sur la Domination arabe, Ie Chiitisme et les Croyances
- messianiques sous Ie Khalifat des Omayades, Amesterdam, 1894.
- …… Tria opuscula auctore. Abu Othman Amr ibn bahr al Djahiz Basrensi, editit (opus
- posfhumum), Leyden, 1903.
- Wellhausen, -The Arab Kingdom and its fall, translated by M.G. Weir, Calcutta, 1927.
- Wensinck, A.J. - The Muslim Creed, Cambridge, 1932.
- West, E.- W. -Pahlavi texts translated, in Vols, V, XCIII, XXIV, XXVII and XIVII of the
- Sacred Boooks of the East, Oxford, 1880.
- Zambaur, E. -Manuel de Genealogie et de Chronologic pour I’ Histoire de I’ Islam,
- Hanovre, 1927.
- Zaydan, G. -Umayyds and Abbasids, translated

by, D.S. Margoliouth (Gibb, Series),

- Leyden, 1907.
- Zotenberg, H. -Chronique de Abou- D/afar- Mo' hammed- ben- Djarir- ben- Yezid Tabari,
- traduite sur la version persane d' Abou- 'AN Mohammed belami, 4 tomes. Paris,
- 1867-74.

المحتويات

الفصل الأوَّل: به آفريد

الفصل الثَّاني: فيروز الأصْبَهْبَذ المعروف بـ سِنْباد

الفصل الثّالث :إسْحَاق

الفصل الرَّابع : استاد سيس

الفصل الخَامس : المُقنَّع

الفصل السَّادس : أصحَابُ المذهَبِ الخرَّميِّ

الفصل السَّابع : بابكُ الخرَّميُّ

هذا الكتاب:

يصنف كتاب **الحـركات الدينـية في إيران في القرون الإسلامية الأولى** ضمن الدراسات التي تبحث في الاجتماع الديني في الإسلام المبكر، إذ تعقب وبمنهجية مزجت بين طرائق البحث الإجتماعي والحفر التأريخي العمودي في غواطس تشكل تلك الاحتجاجات ذات الصبغة والخلفية الدينية على الدين الجديد واللافت في الدراسة مقدرتها وجدارتها العالية بتعقب النصوص الأولية المفقودة الأصول وإجراء تصنيف وهيكلية لها، ثم طبيعة النتائج الحيوية التي توصلّ لها الكتاب، فهي دراسة حفرية للمعارضة الدينية في الإسلام.

